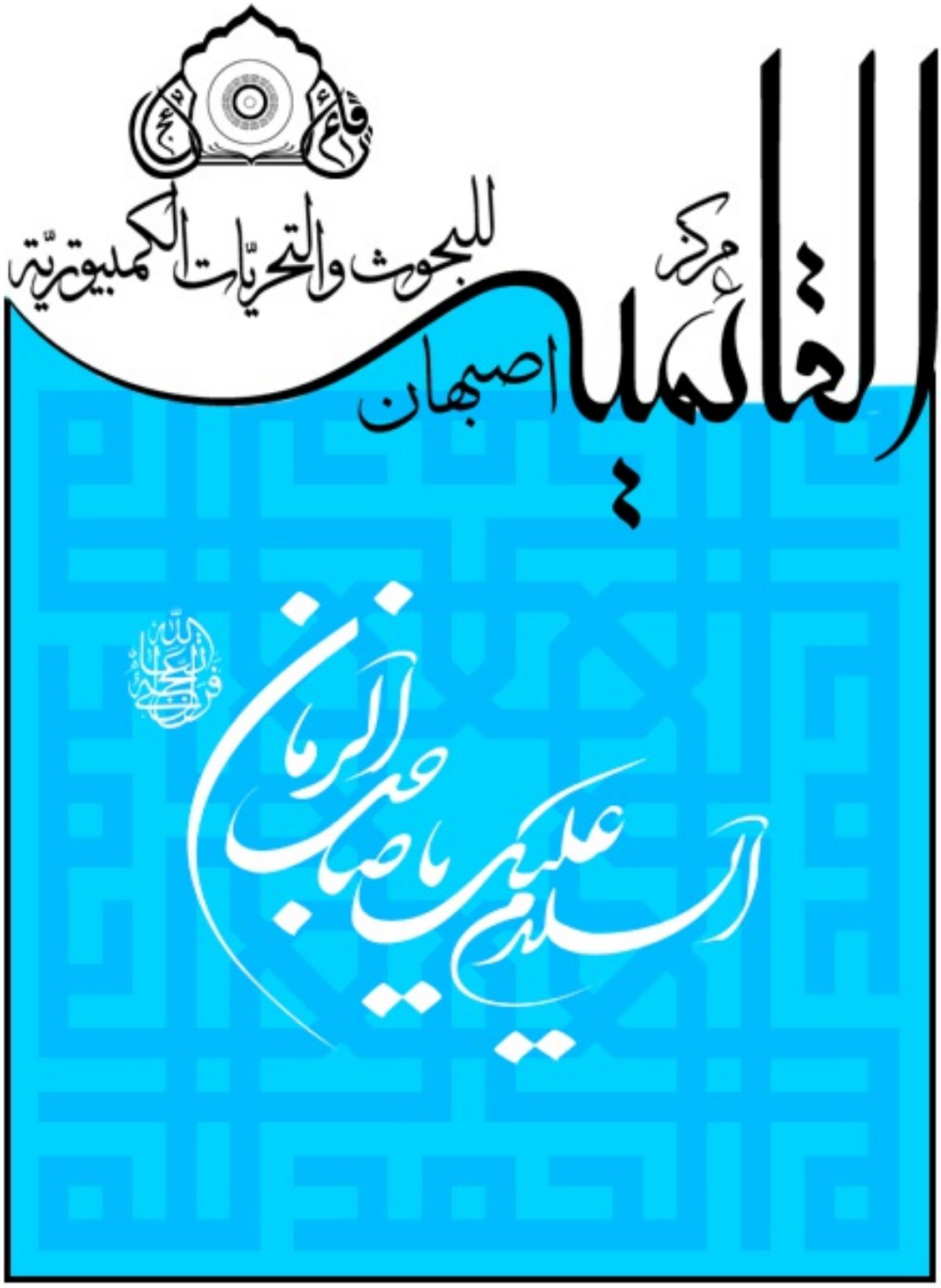

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الإحاطة
في
أخبار غرناطة

تأليف

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن سعيد
المعروف بلسان الدين بن الخطيب
(٧١٣ - ٧٧٦ هـ)

تحرير صفحة وتعليقه

الأستاذ الدكتور يوسف علي طويل
أستاذ اللغة العربية وآدابها
بالجامعة الأردنية

تقديم

سعادة الدكتور عبد المنعم خلاف
رئيس الجامعة الأردنية

المجلد الثالث

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الاحاطة فى اخبار غرناطة

كاتب:

ابن خطيب، محمد بن عبد الله

نشرت فى الطباعة:

دارالكتب العلمية

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الاحاطة فی اخبار غرناطة المجلد ۳ ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
[تتمة قسم الثانی] ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
محمد بن یحیی بن عبد اللّه بن محمد بن أحمد العزفی ----- ۱۵
محمد المکودی ----- ۱۹
المقرئون و العلماء- الأصلیون منهم ----- ۲۰
محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن یحیی ابن عبد الرحمن بن یوسف بن جزیّ الکلبی ----- ۲۰
محمد بن أحمد بن فتّوح بن شقرال اللخمی ----- ۲۱
محمد بن جابر بن یحیی بن محمد بن ذی النّون التّغلبی ----- ۲۲
محمد بن محمد بن محمد بن بیبش العبدری ----- ۲۳
محمد بن محمد النّمری الضّریر ----- ۲۵
محمد بن عبد الولی الرّعینی ----- ۲۶
محمد بن علی بن أحمد الخولانی ----- ۲۶
محمد بن علی بن محمد البلنسی ----- ۲۸
محمد بن سعد بن محمد بن لب بن حسن بن حسن ابن عبد الرحمن بن بقیّ ----- ۲۸
محمد بن سعید بن علی بن یوسف الأنصاری ----- ۲۹
محمد بن یوسف بن علی بن یوسف بن حیّان النّفزی ----- ۳۰
و من الطارئین علیها فی هذا الحرف ----- ۳۹
محمد بن أحمد بن داود بن موسی بن مالک اللّخمی الیکّی ----- ۳۹
محمد بن أحمد بن محمد بن علی الغسّانی ----- ۴۰
محمد بن أحمد بن علی بن قاسم المذحجی ----- ۴۱

محمد بن أحمد بن محمد بن علی الغسّانی ---- ۴۱
محمد بن أحمد الرّقوطی المرسی ---- ۴۱
محمد بن إبراهیم بن المفرّج الأوسی ---- ۴۲
محمد بن إبراهیم بن محمد الأوسی ---- ۴۲
محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حمید ابن مأمون الأنصاری ---- ۴۲
محمد بن حکم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامی ---- ۴۳
محمد بن حسن بن محمد بن عبد اللّه بن خلف ابن یوسف بن خلف الأنصاری ---- ۴۴
محمد بن محمد بن أحمد بن علی الأنصاری ---- ۴۴
محمد بن محمد بن إدریس بن مالک بن عبد الواحد ابن عبد الملک بن محمد بن سعید بن عبد الواحد ابن أحمد بن عبد اللّه القضاعی ---- ۴۴
محمد بن محمد بن محارب الضّریحی ---- ۴۵
محمد بن محمد بن لب الکنانی ---- ۴۶
محمد بن محمد البدوی ---- ۴۶
محمد بن عبد اللّه بن میمون بن إدریس بن محمد ابن عبد اللّه العبدری ---- ۴۸
محمد بن عبد اللّه بن عبد العظیم بن أرقم التّمیری ---- ۵۰
محمد بن عبد اللّه بن یحیی بن عبد اللّه بن فرج ابن الجدّ الفهری ---- ۵۰
محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علی بن محمد ابن أحمد بن الفخّار الجذامی ---- ۵۱
محمد بن علی بن عمر بن یحیی بن العربی الغستانی ---- ۵۲
محمد بن علی بن محمد العبدری ---- ۵۳
و من الغرباء فی هذا الباب ---- ۵۶
محمد بن أحمد بن محمد ابن محمد بن أبی بکر بن مرزوق العجیسی ---- ۵۶
محمد بن عبد الرحمن بن سعد التّمیمی التّسلی الکرسوطی ---- ۶۹
محمد بن عبد المنعم الصّنهاجی الحمیری ---- ۷۰
محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدریس ابن سعید بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر ابن رشید الفهری ---- ۷۰
محمد بن علی بن هانی اللّخمی السّبتی ---- ۷۴

محمد بن یحیی العبدری ---- ۸۰
المحدّثون و الفقهاء و الطلبة النجباء و أولا الأصلیون ---- ۸۰
محمد بن أحمد بن إبراهیم بن الزّبیر ---- ۸۰
محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملک ابن غالب الغسّانی ---- ۸۱
محمد بن أحمد بن محمد الدّوسی ---- ۸۲
محمد بن إبراهیم بن عبد اللّه بن أحمد بن محمد بن یوسف بن روبیل الأنصاری ---- ۸۲
محمد بن إبراهیم بن عبد اللّه بن أبی زمنین المرّی ---- ۸۳
محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهیم ابن حسّان القیسی ---- ۸۳
محمد بن خلف بن موسی الأنصاری الأوسی ---- ۸۴
محمد بن محمد بن إبراهیم بن محمد بن عبد اللّه الخولانی ---- ۸۵
محمد بن محمد بن علی بن سودة المرّی ---- ۸۶
محمد بن عبد العزیز بن سالم بن خلف القیسی ---- ۸۷
محمد بن عبد اللّه بن أبی زمنین ---- ۸۷
محمد بن عبد اللّه بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد اللّه بن محمد بن إبراهیم بن محمد بن أبی زمنین عدنان بن بشیر بن کثیر المرّی
محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم بن مشرّف ابن قاسم بن محمد بن هانی اللخمی القائصی ---- ۸۸
محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد ابن یوسف بن أحمد الغسانی ---- ۸۹
محمد بن عبد الواحد بن إبراهیم بن مفرّج بن أحمد ابن عبد الواحد بن حریث بن جعفر بن سعید بن محمد ابن حقل الغافقی ---- ۸۹
محمد بن علی بن عبد اللّه اللخمی ---- ۹۰
محمد بن علی بن فرج القربلیانی ---- ۹۰
محمد بن علی بن یوسف بن محمد السّکونی ---- ۹۱
محمد بن سودة بن إبراهیم بن سودة المرّی ---- ۹۱
محمد بن یزید بن رفاعة الأموی البیری ---- ۹۲
محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن محمد بن علی ابن أبی بکر بن خمیس الأنصاری ---- ۹۲
محمد بن أحمد بن عبد اللّه العطار ---- ۹۳

محمد بن أحمد بن المراکشی ---- ۹۳
محمد بن بکرون بن حزب اللّه ---- ۹۴
محمد بن الحسن بن أحمد بن یحیی الأنصاری الخزرجی ---- ۹۴
محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهیم الأنصاری الساحلی ---- ۹۵
محمد بن محمد بن یوسف بن عمر الهاشمی ---- ۹۶
محمد بن محمد بن میمون الخزرجی ---- ۹۶
محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهیم الأنصاری ---- ۹۷
و من الغرباء فی هذا الاسم ---- ۹۸
محمد بن أحمد بن إبراهیم بن محمد التّلمسانی الأنصاری ---- ۹۸
محمد بن علی بن محمد بن علی بن محمد بن یوسف ابن قطرال الأنصاری ---- ۹۹
العمال فی هذا الاسم و أولا الأصلیون ---- ۱۰۰
محمد بن أحمد بن محمد بن الأکحل ---- ۱۰۰
محمد بن الحسن بن زید بن أیوب بن حامد الغافقی ---- ۱۰۱
محمد بن محمد بن حسّان الغافقی ---- ۱۰۲
محمد بن عبد اللّه بن إبراهیم بن محمد بن إبراهیم ابن موسی بن إبراهیم بن عبد العزیز بن إسحاق بن أحمد ابن أسد بن قاسم التّمیری، المدعو باب
محمد بن عبد الرحمن الکاتب ---- ۱۰۳
محمد بن عبد الملک بن سعید بن خلف بن سعید ابن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد اللّه بن سعید ابن عمار بن یاسر ---- ۱۰۴
محمد بن سعید بن خلف بن سعید بن محمد بن عبد اللّه ابن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد اللّه بن عمار ابن یاسر العنسی ---- ۱۰۵
و من الطارئین فی هذا الاسم من العمال ---- ۱۰۶
محمد بن أحمد بن المتأهّل العبدری ---- ۱۰۶
محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوی ---- ۱۰۷
محمد بن محمد بن شعبة الغسّانی ---- ۱۰۹
محمد بن عبد اللّه بن محمد بن علی بن عبد اللّه ابن محمد بن عبد اللّه بن فرتون الأنصاری ---- ۱۱۰
محمد بن عبد اللّه بن محمد بن مقاتل ---- ۱۱۱

محمد بن علی بن عبد ربه التجیبی ---- ۱۱۱
الزّهاد و الصّلحاء و الصّوفیة و الفقراء و أولا الأصلیون ---- ۱۱۲
محمد بن إبراهیم بن محمد بن محمد الأنصاری ---- ۱۱۲
محمد بن أحمد الأنصاری ---- ۱۱۲
محمد بن حسنون الحمیری ---- ۱۱۲
محمد بن محمد البکری ---- ۱۱۳
محمد بن محمد بن أحمد الأنصاری ---- ۱۱۳
و من الطّارئین علیها فی هذا الاسم ---- ۱۱۳
محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد بن جعفر ابن محمد بن أحمد بن مروان بن الحسن بن نصر بن نزار ابن عمرو بن زید بن عامر بن
محمد بن أحمد بن حسین بن یحیی بن الحسین ابن محمد بن أحمد بن صفوان القیسی ---- ۱۱۴
محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهیم الأنصاری ---- ۱۱۶
محمد بن أحمد بن قاسم الأمی ---- ۱۱۶
محمد بن أحمد بن یوسف بن أحمد بن عمر بن یوسف بن علی ابن خالد بن عبد الرحمن بن حمید الهاشمی الطّنجالی ---- ۱۱۹
محمد بن إبراهیم بن محمد بن إبراهیم البلفیقی ابن الحاج ---- ۱۲۰
محمد بن یحیی بن إبراهیم بن أحمد بن مالک ابن إبراهیم بن یحیی بن عبّاد التّفزی ---- ۱۲۱
محمد بن یوسف بن خلصون ---- ۱۲۳
و من الغرباء فی هذا الاسم ---- ۱۲۹
محمد بن أحمد بن أمین بن معاذ بن إبراهیم بن جمیل ابن یوسف العراقی ---- ۱۲۹
محمد بن أحمد بن شاطر الجمحی المرّاکشی ---- ۱۲۹
محمد بن محمد بن عبد الرحمن التمیمی ابن الحلفاوی ---- ۱۳۰
محمد بن عبد اللّه بن محمد بن إبراهیم بن عبد الرحمن ابن یوسف اللّواتی ---- ۱۳۱
سائر الأسماء فی حرف المیم الملوک و الأمراء و ما منهم إلّا طارىء علینا أو غریب ---- ۱۳۱
مزدلی بن تیولتکان بن حمنی بن محمد بن ترقوت بن وربابطن ابن منصور بن نصاله بن أمیة بن واباتن الصّنهاجی اللّتمونی ---- ۱۳۱
موسی بن محمد بن یوسف بن عبد المؤمن بن علی الهنتانی ---- ۱۳۱

منديل بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو الأمير أبو زيّان ---- ۱۳۲
و من الطارئين ---- ۱۳۳
المطرّف بن عبد اللّه بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ---- ۱۳۳
منذر بن يحيى التّجيبى ---- ۱۳۴
موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى ابن يغمراسن بن زيّان ---- ۱۳۶
مبارک و مظفّر الأميران موليا المنصور بن أبى عامر ---- ۱۳۹
و من ترجمة الأعيان و الوزراء بل و من ترجمة الطارئين و الغرباء منها ---- ۱۴۲
منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو ---- ۱۴۲
مقاتل بن عطية البرزالى ---- ۱۴۲
مومّل بن رجاء بن عكرمة بن رجاء العقيلى ---- ۱۴۳
و من الطارئين و الغرباء ---- ۱۴۴
المهلب بن أحمد بن أبى صفرة الأسدى ---- ۱۴۴
و من ترجمة الكتاب و الشعراء و هم الأصليّون ---- ۱۴۴
مالک بن عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن الفرج ابن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرج ---- ۱۴۴
و من طارئى المقرئين و العلماء ---- ۱۵۵
منصور بن على بن عبد اللّه الزواوى ---- ۱۵۵
مسلم بن سعيد التّنملّى ---- ۱۵۷
و من العمال الأثراء ---- ۱۵۷
مؤمّل، مولى باديس بن حبّوس ---- ۱۵۷
نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد ابن محمد بن خميس بن عقيل الخزرجى الأنصارى ---- ۱۵۸
و من الأعيان و الوزراء ---- ۱۶۲
نصر بن إبراهيم بن أبى الفتح الفهرى ---- ۱۶۲
نصر بن إبراهيم بن أبى الفتح بن نصر بن إبراهيم ابن نصر الفهرى ---- ۱۶۲
و من الكتّاب و الشعراء ---- ۱۶۲

نزهون بنت القليعى ----- ۱۶۲
من الأعيان و الوزراء ----- ۱۶۳
الضّميل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شمر بن ذى الجوشن الضّبابى الكلبى ----- ۱۶۳
و من الكتّاب و الشعراء ----- ۱۶۴
صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى ابن إدريس التّجيبى ----- ۱۶۴
صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبى القاسم ابن على بن شريف التّفزى ----- ۱۷۰
عبد اللّه بن إبراهيم بن على بن محمد التجيبى الرئيس أبو محمد بن إشقيلولة ----- ۱۷۸
عبد اللّه بن بلقّين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن ابن زيرى بن مناد الصّنهاجى ----- ۱۷۹
عبد اللّه بن على بن محمد التّجيبى، الرئيس أبو محمد ابن إشقيلولة ----- ۱۸۰
عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن محمد العزفى ----- ۱۸۱
عبد اللّه بن الجبير بن عثمان بن عيسى بن الجبير اليحصبى ----- ۱۸۱
عبد اللّه بن سعيد بن عبد اللّه بن سعيد بن أحمد ابن على السّلمانى ----- ۱۸۲
عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزىّ ----- ۱۸۴
و من المقرئين و العلماء ----- ۱۸۸
عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدرى الكوّاب ----- ۱۸۸
عبد اللّه بن على بن عبد اللّه بن على بن سلمون الكنانى ----- ۱۸۹
عبد اللّه بن سهل الغرناطى ----- ۱۹۰
عبد اللّه بن أيوب الأنصارى ----- ۱۹۱
عبد اللّه بن الحسن بن أحمد بن يحيى ابن عبد اللّه الأنصارى ----- ۱۹۱
عبد اللّه بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد ابن إسماعيل بن سماك العاملى ----- ۱۹۳
و من ترجمة القضاة ----- ۱۹۳
عبد اللّه بن أحمد بن محمد بن سعيد بن أيوب بن الحسن ابن منخل بن زيد الغافقى ----- ۱۹۳
عبد اللّه بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه ابن أبى زمنين المرّى ----- ۱۹۴
عبد اللّه بن يحيى بن محمد بن أحمد بن زكريا بن عيسى ابن محمد بن يحيى بن زكريا الأنصارى ----- ۱۹۴

عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملک ابن أبی جمرة الأزدی ---- ۱۹۵
عبد اللّه بن سلیمان بن داود بن عبد الرحمن بن سلیمان ابن عمر بن حوط اللّه الأنصاری الحارثی الأزدی ---- ۱۹۵
عبد اللّه بن یحیی بن عبد الرحمن بن أحمد ابن عبد الرحمن بن ربیع الأشعری ---- ۱۹۶
عبد اللّه بن إبراهیم بن الزبیر بن الحسن ابن الحسین الثقفی العاصمی ---- ۱۹۶
عبد اللّه بن موسی بن عبد الرحمن بن حمّاد الصّنهاجی ---- ۱۹۶
و من ترجمة الکتّاب و الشعراء بین أصلی و طارىء ---- ۱۹۷
عبد اللّه بن إبراهیم بن عبد اللّه الأزدی ---- ۱۹۷
عبد اللّه بن إبراهیم بن و زمّر الحجاری الصّنهاجی ---- ۲۰۱
عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه بن سعید بن عبد اللّه ابن سعید بن الخطیب السّلمانی ---- ۲۰۳
عبد اللّه بن محمد بن سارة البکری ---- ۲۰۴
عبد اللّه بن محمد الشرّاط ---- ۲۰۵
عبد اللّه بن یوسف بن رضوان بن یوسف ابن رضوان النّجاری ---- ۲۰۶
عبد اللّه بن عبد الرحمن بن عبد الملک بن سعید ابن خلف بن محمد بن عبد اللّه بن سعید بن الحسن ابن عثمان بن محمد بن عبد اللّه بن سعید ب
و من الصوفیة و الفقراء ---- ۲۱۳
عبد اللّه بن عبد البر بن سلیمان بن محمد بن محمد ابن أشعث الرّعینی ---- ۲۱۳
عبد اللّه بن فارس بن زیان ---- ۲۱۴
عبد اللّه بن فرج بن غزلون الیحصبی ---- ۲۱۵
و من الملوک و الأمراء و الأعیان و الوزراء ---- ۲۱۵
عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه [ابن محمد] ابن عبد الرحمن بن الحکم بن هشام بن عبد الرحمن ابن معاویة، أمیر المؤمنین، الناصر لدین اللّه ۵
عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه بن عبد الرحمن الناصر لدین اللّه بن محمد بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن معاویة ---- ۲۱۶
عبد الرحمن بن معاویة بن هشام بن عبد الملک بن مروان ابن الحکم بن أبی العاصی بن أمیة بن عبد شمس ---- ۲۱۶
عبد الرحمن بن إبراهیم بن یحیی بن سعید ابن محمد اللخمی ---- ۲۱۸
عبد الرحیم بن إبراهیم بن عبد الرحیم الخزرجی ---- ۲۱۹
و من ترجمة المقرئین و العلماء و الطلبة النجباء من ترجمة الطارئین منهم ---- ۲۲۰

عبد الرحمن بن عبد اللّه بن أحمد بن أبی الحسن أصبغ بن حسن بن سعدون بن رضوان بن فتّوح الخثعمی ---- ۲۲۰
عبد الرحمن بن هانیء اللخمی ---- ۲۲۲
عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدی ---- ۲۲۲
عبد الرحمن بن إبراهیم بن محمد الأنصاری ---- ۲۲۳
عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهیم بن محمد ابن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمی ۸
عبد الرحمن بن الحاج بن القمیی الإلبیری ---- ۲۳۸
عبد الرحمن بن یخلفتن بن أحمد بن تفلیت الفازازی ---- ۲۳۸
عبد الرحمن بن أسباط ---- ۲۴۱
عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه بن مالک المعافری ---- ۲۴۱
عبد الرحمن بن عبد الملک الینشتی ---- ۲۴۳
و فی سائر الأسماء التی بمعنی عبد اللّه و عبد الرحمن، و أولاد الأمراء: ---- ۲۴۴
عبد الأعلی بن موسی بن نصیر مولی لخم ---- ۲۴۴
عبد الحلیم بن عمر بن عثمان بن یعقوب بن عبد الحق ابن محیو ---- ۲۴۴
عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن یعقوب بن عبد الحق ابن محیو ---- ۲۴۵
و من الأفراد أیضا فی هذا الحرف و هم طارؤون ---- ۲۴۶
عبد الحق بن علی بن عثمان بن أبی یوسف یعقوب ابن عبد الحق ---- ۲۴۶
عبد الواحد بن زکریا بن أحمد اللحیانی ---- ۲۴۶
و من ترجمة الأعیان و الوزراء و الأماثل و الکبرا ---- ۲۴۷
عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن محیو ---- ۲۴۷
عبد الملک بن علی بن هذیل الفزاری و عبد اللّه أخوه ---- ۲۴۷
عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذیل الفزاری ---- ۲۴۷
القضاة الفضلاء و أولا الأصلیون ---- ۲۴۸
عبد الحق بن غالب بن عطیة بن عبد الرحمن بن غالب ابن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد اللّه بن تمام بن عطیة بن خالد ابن عطیة بن خالد بن خفاف
عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحیم بن فرج الخزرجی ---- ۲۴۹

و من غیر الأصلبین ----- ۲۵۱
عبد الحکیم بن الحسین بن عبد الملک بن یحیی ابن باسیو بن تادررت التّنمالی الیدرازتینی ثم الواغدینی ----- ۲۵۱
و من المقرئین و العلماء ----- ۲۵۲
عبد الملک بن حبیب بن سلیمان بن هارون بن جلهمة ابن العباس بن مرداس السلمی ----- ۲۵۲
و من الطارئین علیها ----- ۲۵۴
عبد الواحد بن محمد بن علی بن أبی السّداد الأموی المالقی، الشهیر بالباهلی ----- ۲۵۴
و من الکتّاب و الشعراء فی هذا الحرف ----- ۲۵۵
عبد الحق بن محمد بن عطیة بن یحیی بن عبد اللّه بن طلحة ابن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطیة المحاربی ----- ۲۵۵
عبد الرزّاق بن یوسف بن عبد الرزّاق الأشعری ----- ۲۶۳
عبد الملک بن سعید بن خلف العنسی ----- ۲۶۳
عبد العزیز بن علی بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد العزیز بن یست ----- ۲۶۴
عبد البر بن فرسان بن إبراهیم بن عبد اللّه ابن عبد الرحمن الغسانی ----- ۲۶۵
عبد المنعم بن عمر بن عبد اللّه بن حسّان الغسّانی ----- ۲۶۶
فهرس المحتویات ----- ۲۶۷
و من الکتّاب و الشعراء فی هذا الحر ----- ۲۷۴
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۲۷۴

الاحاطة فی اخبار غرناطة المجلد ۳

اشارة

نام کتاب: الإحاطة فی أخبار غرناطة

نویسنده: ابن خطیب، محمد بن عبد الله

تاریخ وفات مؤلف: ۷۷۶ ه. ق

موضوع: شرح حال

زبان: عربی

تعداد جلد: ۴

ناشر: دار الکتب العلمیة

مکان چاپ: بیروت

سال چاپ: ۱۴۲۴ ه. ق

نوبت چاپ: اول

[تتمة قسم الثانی]

اشارة

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم

و صلّی اللّه علی سیّدنا محمد و آله و صحبه و سلّم

محمد بن یحیی بن عبد اللّه بن محمد بن أحمد العزفی

من أهل سبتة، أبو القاسم بن أبی زکریا بن أبی طالب.

حاله: من أهل الظّرف و البراعة، و الطبع المعین، و الذکاء، رئیس سبتة، و ابن رؤسائها، و انتقل إلی غرناطة عند خلعه و انصرافه عن بلده. أقام بها تحت رعی حسن الرّواء، مألفا للظرفاء، و اشتهر بها أدبه، و نظر فی الطّبّ و دوّن فیه، و برع فی التّوشیح. ثم انتقل إلی العدوة، انتقال غبطة و أثرة، فاستعمل بها فی خطط نبیهة، و کتب عن ملوکها، و هو الآن بالحالة الموصوفة.

و جری ذکره فی «الإکلیل» بما نصّه : فرع تأوّد من الرئاسة فی دوحة، و تردّد بین غدوة فی المجد و روحة، نشأ و الرئاسة العزفیّة تعلّه و تنهله، و الدّهر یسیّر أمله الأقصی و یسهّله، حتی اتّسقت أسباب سعده، و انتهت إلیه ریاسة سلفه من بعده، فألقت إلیه رحالها و حطّت، و متّعته بقربها بعدما شطّت. ثمّ کلح له الدهر بعد ما تبسّم، و عاد زعزعا نسیمه الذی کان یتنسّم، و عاق هلاله عن تمّه، ما کان من تغلّب ابن عمّه، و استقرّ بهذه البلاد نائی الدار بحکم الأقدار، و إن کان نبیه المکانة و المقدار، و جرت علیه جرایة واسعة، و رعایة متتابعة، و له أدب کالرّوض باکرته

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴

الغمائم، و الزّهر تفتّحت عنه الکمائم، رفع منه رایة خافقة، و أقام له سوقا نافقة.

و علی تدفّق أنهاره، و کثرة نظمه و اشتهاره، فلم أظفر منه إلّا بالیسیر التافه بعد انصرافه.

شعره: قال: [مجزوء الرجز]

أفديك يا ريح الصّباعوجى على تلك الرّبى

واحد النّعامى سحراترسل غماما صبّا

على ربى غرناطةلكى تقضّى ما ربا

ثم ابلغى يا ريحعن صبّ سلاما طيّبا

و من منظومه أيضا فى بعض القضاة الفاسيّين، و هو من البديع، و ورّى فيه ببابين من أبواب المدينة: [المتقارب]

و ليت بفاس أمور القضاءفأحدثت فيها أمورا شنيعه

فتحت لنفسك باب الفتوحو غلقت للناس باب الشّريعة

فبادر مولى الورى فارسبعزلك عنها قبيل الذّريعه

و قال: [الكامل]

دع عنك قول عواذل و وشاةو أدر كؤوسك يا أخا اللّذّات

و اخلع عذارك لاهيا فى شربهاو اقطع زمانك بين هاك و هات

خذها إليك بكفّ ساق أغيدلين المعاطف فاتر الحركات

قد قام من ألحاظه إنسانهامثبتا فى فترة اللحظات

يسقيكها حمراء يسطع نورهافى الكأس كالمصباح فى المشكات

رقّت و راقت فى الزّجاجة منظرالمّا عدت تجلى على الرّاحات

لا تمزجنها فى الأبارق إنهاتبدو محاسنها لدى الكاسات

عجبا لها كالشمس تغرب فى فملكن مطالعها من الوجنات

نلنا بها ما نشتهيه من المنىفى جنّة تزهى على الجنّات

رفّت عليها كلّ طلّ سجسجمن كلّ غضّ يانع الثمرات

ما بين خضر حدائق و خمائلو جداول تفضى إلى دوحات

سرى النسيم بها يصافح زهرهفيهبّ و هو مورّج النفحات

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۵ و شدا لنا فيها مغنّ شادنحاز المدى سبقا إلى الغايات

طربت له القضب اللّدان و بادرترجعا له تختال فى الحبرات

مرّت عليه ركّعا لكنهاجعلت تحيّتها لدى الرّكعات

قصرت صلاة الخوف منه فقرّبتقربانها و حفته بالزّهرات

و العود مثناه يطابق زيّهافيها ردانات على رنّات

إن جسّ مثلثه بان بغنّة فى اليمّ منه ثقيلة النّغمات

فكان ما غنّت عليه الورق منألحانها ألقاه للقينات

عكفت على ألحانها تشدو لناخلف السّتائر باختلاف لغات

فكأنها عجم تورات بالحجابو ردّدت سورا من التّورات

نطقت بأفصح نغمة فى شدوهاتتلو علينا هذه الآيات

و مما أنشده ليلة ميلاد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: [المتقارب]

إذا لم أطق نحو نجد وصولابعثت الفؤاد إليها رسولا

و كم حلّ قلبى رهينا بهاغداة نوى الرّكب فيها النزولا

محل بها فى الحلال التىضحى أصبح القوم فيها حلولا

و كم بتّ فيها غداة النّوىأسحّ من العين دمعا همولا

على شمس حسن سما ناظرىإليها و عنّى توارت أفولا

وقفت بوادى الغضا ساعةلعلّى أندب فيها الطّلولا

و فى البان من أيكه ساجعيرجّع بالقضب منها الهديلا

بحقّ الهوى يا حمام الحمىترفّق بقلبى المعنّى قليلا

فقد هجت تاللّه أشواقهبذكرك إلفا ثنى أو خليلا

أ لم تدر أن ادّكارى الهوىيذيب و يعنى الفؤاد العليلا؟

رعى اللّه تلك المطايا الّتىإلى الحجّ و خدا سرت أو ذميلا

و يا عجبا كيف خفّت بهمو حمّلت القلب حملا ثقيلا

و ودّعنى الصبر إذ ودّعوافما أن وجدت إليه سبيلا

و آثرت، يا ويح نفسى، المقامو آثر أهل الوداد الرّحيلا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۶ و جادوا رجاء الرّضى بالنفوسو كنت بنفسى ضنينا بخيلا

ندمت على السّير إذ فاتنىو لازمت حزنى دهرا طويلا

و فاز المخفّون إذ يمّموامنازل آثارها لن تزولا

و حجّوا و زاروا نبىّ الهدىمحمدا الهاشمىّ الرسولا

و فازوا بإدراك ما أملواو نالوا لديه الرّضى و القبولا

و لو كنت فى عزمهم مثلهمإذا لانصرفت إليه عجولا

و لكننى أثقلتنى الذنوبو ما كنت للثّقل منها حمولا

ركبت مطيّة جهل الصّباو كانت أوان التّصابى ذلولا

و مالت بى النّفس نحو الهوىو قد وجدتنى غرّا جهولا

فطوبى لمن حلّ فى طيبةو عرّس بالسّفح منها الحمولا

و نال المنى فى منّى عندمانوى بالمنازل منها نزولا

و أصفى الضمائر نحو الصّفايؤمّل للوصل فيه الوصولا

و جاء إلى البيت مستبشراليطهر بالأمن فيه دخولا

و طاف و لبّى بذاك الحمىو نال من الحجر قصدا وسولا

بلاد بها حلّ خير الورىفطوبى لمن نال فيها الحلولا

نبىّ كريم سما رفعةو قدرا جليلا و مجدا أصيلا

و كان لأمّته رحمةبفضل الشفاعة فيهم كفيلا

و كان رؤوفا رحيما لهمعطوفا شفيعا عليهم وصولا

له يفزعون إذا ما رأوالدى الحشر خسفا و أمرا مهولا

و إن جاء فى ذنبهم شافعابدا الرّحب من ربّه و القبولا

له معجزات إذا عدّدت‌تفوت النّهى و تكلّ العقولا

و لن يبلغ القول معشارهاو إن كان الوصف فيها مطيلا

و قسّ البيان و سحبانه يرى ذهنه فى مداها كليلا

تخيّره اللّه فى خلقه‌فكان الخطير لديه المثيلا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۷ و لم ير فى النّاس ندّا له‌و لا فى الخلائق منه بديلا

و أبقى له الحكم فى أرضه‌فكان الأمين عليها الوكيلا

و كلّ ظلام و ظلم بهاعلى الفور لمّا أتى قد أزيلا

و كانت كنار لظى فتنةفعادت من الأمن ظلّا ظليلا

و قد زان حسن الدّجى جيله‌إذا ذكر الدهر جيلا فجيلا

و أيّامه غرر قد بدت‌بوجه الدّنا و الليالى حجولا

رسول كريم إذا جئته‌و يمّمت مغناه تلقى القبولا

بمولده فى زمان الربيع‌ربيع أتانا يجرّ الذّيولا

فأهلا به الآن من زائرأتانا بفضل يفوق الفضولا

و قام الإمام به المرتضى‌فنال ثوابا و أجرا جزيلا

هو المستعين أبو سالم‌مليك ترفّع قدرا جليلا

و حاز من الصّيت ذكرا أثيراو من كرم الخيم مجدا أثيلا

سليل علىّ غمام النّدى‌ألا أيّد اللّه ذاك السّليلا

فتى أوسع النّاس من جوده‌عطاء جزيلا و برّا حفيلا

حلاه الوقار و لاقيه‌إذا ارتاح للجود يلفى عجولا

و قد شاع عنه جميل الثّناء و عمّ البسيطة عرضا و طولا

و ما منّ بالوعد إلّا وفى‌فلم يك بالوعد يوما مطولا

و لا فى علاه مغال لمن‌يكثّر فى الملك قالا و قيلا

تفرّد بالفضل فى عصره‌و كان بعرف الأيادى كفيلا

أطاعت له حين وافى البلادرضّى عندما حلّ فيها حلولا

و جاء لطاعته أهلهاسراعا يرومون فيها الدّخولا

فنبّه قدر الموالى بهاو أكسف فيها المعادى خمولا

و مهّد بالأمن أفكارهاو أمّن بالعدل فيها السبيلا

و كفّ أكفّ التعدّى بهافلا يظلم الناس فيها فتيلا

و عصر الكروب الذى قد مضى‌زمان المسرّات منه أديلا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۸ أتانا إلى الغرب فى شوكة‌بها عاد جمع الأعادى قليلا

و فوق رؤوس الطغاة انتضى‌حساما ليسمع فيها صليلا

و جرّد من عزمه مرهفالحسم أمور المناوى صقيلا

و كل كفور معاد لهسيأخذه اللّه أخذا و بيلا

أعزّ الخلائق لمّا ولىو نوّه من كان منهم ذليلا

و راعى لمن جاءه داخلاحماه من القاصدين الدّخيلا

فكان بأفعاله قصدهإلى منهج الفضل قصدا جميلا

و صحّ انتعاش المعالى بهو قد كان شخص المعالى عليلا

و شيّد مبنى العلا بالنّدىو وثّقه خشيهٔ أن يميلا

ينيل و يعطى جزيل العطاء فما زال أخرى الليالى منيلا

و دام مدى الدّهر فى رفعهٔتثير من الحاسدين الغليلا

و لا برح السعد فى بابهيؤمّ به مربعا أو مقيلا

محمد المكودى

من أهل فاس، يكنى أبا عبد اللّه.

حاله: من «الإكليل» : شاعر لا يتعاطى ميدانه، و مرعى بيان ورف عضاهه و أينع سعدانه ، يدعو الكلام فيهطع لداعيه، و يسعى فى اجتلاب المعانى فتنجح مساعيه، غير أنه أفرط فى الانهماك، و هوى إلى السّماكهٔ من أوج السّماك . و قدم على هذه البلاد مفلتا من رهق تلمسان حين الحصار، صفر اليمين و اليسار من اليسار، ملئ هوى أنحى على طريفه و تلاده، و أخرجه من بلاده.

الإحاطهٔ فى أخبار غرناطهٔ، ج٣، ص: ٩

و لمّا جدّ به البين، و حلّ هذه البلاد بحال تقبحها العين، و السيف بهزّته، لا بحسن بزّته، دعوته إلى مجلس أعاره البدر هالته، و خلع عليه الأصيل غلالته، و روض تفتّح كمامه، و همى عليه غمامه، و كاس أنس تدور، فتتلقّى نجومها البدور. فلمّا ذهبت المؤانسهٔ بخجله، و تذكّر هواه و يوم نواه حتّى خفنا حلول أجله، جذبنا للمؤانسهٔ زمامه، و استقينا منها غمامه، فأمتع و أحسب، و نظر و نسب، و تكلّم فى المسائل، و حضر بطرف الأبيات و عيون الرسائل، حتى نشر الصباح رايته، و أطلع النهار آيته.

و مما أنشدنا و نسب لنفسه : [الوافر]

غرامى فيك جلّ عن القياسو قد أسقيتنيه بكل كاس

و لا أنسى هواك و لو جفانىعليك أقاربى طرّا و ناسى

و لا أدرى لنفسى من كمالسوى أنّى لعهدك غير ناس

و قال فى غرض معروف : [الطويل]

بعثت بخمر فيه ماء و إنّمابعثت بماء فيه رائحهٔ الخمر

فقلّ عليه الشكر إذ قلّ سكرنافنحن بلا سكر و أنت بلا شكر

و مما خاطبنى به : [البسيط]

رحماك بى فلقد خلّدت فى خلدىهوى أكابد منه حرّهٔ الكبد

حللت عقد سلوّى فى فؤادى إذحللت منه محلّ الروح فى جسدى

مرآك بدرى و ذكراك التذاذ فمىو دين حبّك إضمارى و معتقدى

و من جمالك نور لاح فى بصرىو من ودادك روح حلّ فى خلدى

لا تحسبنّ فؤادى عنك مصطبرا فقبل حبّك كان الصبر طوع يدى

و هاك جسمى قد أودى النّحول بهفلو طلبت وجودا منه لم تجد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٠ بما بطرفك من غنج و من حورو ما بثغرك من درّ و من برد

كن بين طرفى و قلبى منصفا فلقدحابيت بعضهما فاعدل و لا تحد

فقال لى قد جعلت القلب لى وطناو قد قضيت على الأجفان بالسّهد

و كيف تطلب عدلا و الهوى حكمو حكمه قطّ لم يعدل على أحد

من لى بأغيد لا يرثى إلى شجنو ليس يعرف ما يلقاه ذو كمد

ما كنت من قبل إذعانى لصولته إخال أنّ الرّشا يسطو على الأسد

إن جاد بالوعد لم تصدق مواعدهفإن قنعت بزور الوعد لم يعد

شكوته علّتى منه فقال: ألا سر للطبيب فما برء الضّنى بيدى

فقلت: إن شئت برئى أو شفا ألمىفبارتشاف لماك الكوثرىّ جد

و إن بخلت فلى مولى يجود علىضعفى و يبرئ ما أضنيت من جسدى

و خرج إلى المدح فأطال.

المقرئون و العلماء- الأصليون منهم

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن يحيى ابن عبد الرحمن بن يوسف بن جزىّ الكلبى

يكنى أبا القاسم، من أهل غرناطة و ذوى الأصالة و النباهة فيها، شيخنا رحمة اللّه عليه.

أوليته: أصل سلفه من ولبة من حصون البراجلة، نزل بها أولهم عند

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١١

الفتح صحبة قريبهم أبى الخطار حسام بن ضرار الكلبى، و عند خلع دعوة المرابطين، و كانت لجدهم بجيّان رئاسة و انفراد بالتدبير.

حاله: كان ، رحمه اللّه، على طريقة مثلى من العكوف على العلم، و الاقتصاد على الاقتيات من حرّ النّشب ، و الاشتغال بالنّظر و التّقييد و التّدوين، فقيها، حافظا، قائما على التدريس، مشاركا فى فنون من العربية ، و الفقه، و الأصول، و القراءات، و الحديث، و الأدب، حفظة للتفسير، مستوعبا للأقوال، جمّاعة للكتب، ملوكى الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغور، صحيح الباطن. تقدّم خطيبا بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنّه، فاتّفق على فضله، و جرى على سنن أصالته.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبى جعفر بن الزبير ، و أخذ عنه العربية و الفقه و الحديث و القرآن. و روى عن أبى الحسن بن مستقور. و قرأ القرآن على الأستاذ المقرئ الرّاوية المكثر أبى عبد اللّه بن الكمّاد، و لازم الخطيب أبا عبد اللّه بن رشيد، و سمع على الشّيخ الوزير أبى محمد عبد اللّه بن أحمد ابن المؤذن، و على الراوية المسن أبى الوليد الحضرمى. يروى عن سهل بن مالك و طبقته. و روى عن الشيخ الرّاوية أبى زكريا البرشانى، و عن الرّاوية الخطيب أبى عبد اللّه محمّد بن محمّد بن على الأنصارى، و القاضى أبى المجد بن أبى على بن أبى الأحوص، و القاضى أبى عبد اللّه بن برطال، و الشيخ الوزير ابن أبى عامر بن ربيع ، و الخطيب الولى أبى عبد اللّه الطّنجالى، و الأستاذ النظّار المتفنّن أبى القاسم قاسم بن عبد اللّه بن الشّاط.

و ألّف الكثير فى فنون شتى.

تواليفه: منها كتاب «وسيلة المسلم فى تهذيب صحيح مسلم» و كتاب «الأنوار السّنية فى الكلمات السّنيّة» و كتاب «الدّعوات و الأذكار، المخرجة من صحيح

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۲

الأخبار» و كتاب «القوانين الفقهيـة، فى تلخيص مـذهب المالكيـة» و «التنبيه على مذهب الشافعية و الحنفية و الحنبليّة» و كتاب «تقريب الوصول إلى علم الأـصول» و كتاب «النّور المبين، فى قواعـد عقائـد الـدين» و كتاب «المختصـر البارع، فى قراءة نافع» و كتاب «أصول القرّاء الستة غير نافع»، و كتاب «الفوائد العامة، فى لحن العامّة»، إلى غير ذلك مما قيّده فى التفسير و القراءات و غير ذلك. و له فهرسة كبيرة اشتملت على جملة من أهل المشرق و المغرب.

شعره: قال فى الأبيات الغيثيّة ذاهبا مـذهب الجماعة كأبى العلاء المعرّى، و الرئيس أبى المظفر ، و أبى الطاهر السّلفى، و أبى الحجاج ابن الشيخ، و أبى الربيع بن سالم، و أبى على بن أبى الأحوص، و غيرهم، كلهم نظم فى ذلك :

[الطويل]

لكلّ بنى الدنيا مراد و مقصدو إنّ مرادى صحّة و فراغ

لأبلغ فى علم الشّريعة مبلغايكون به لى للجنان بلاغ

و فى مثل هذا فلينافس أولو النّهىو حسبى من الدنيا الغرور بلاغ

فما الفوز إلّا فى نعيم مؤبّدبه العيش رغد و الشّراب يساغ

و قال فى الجناب النّبوى : [الطويل]

أروم امتداح المصطفى و يردّنى قصورى عن إدراك تلك المناقب

و من لى بحصر البحر و البحر زاخر؟و من لى بإحصاء الحصى و الكواكب

و لو أنّ أعضائى غدت ألسنا إذالما بلغت فى المدح بعض مآربى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۳ و لو أنّ كلّ العالمين تألّفوا على مدحه لم يبلغوا بعض واجب

فأمسكت عنه هيبة و تأدّباو خوفا و إعظاما لأرفع جانب

و ربّ سكوت كان فيه بلاغةو ربّ كلام فيه عتب لعاتب

و قال، رحمه اللّه، مشفقا من ذنبه : [البسيط]

يا ربّ إنّ ذنوبى اليوم قد كثرت فما أطيق لها حصرا و لا عددا

و ليس لى بعذاب النّار من قبلو لا أطيق لها صبرا و لا جلدا

فانظر إلهى إلى ضعفى و مسكنتىو لا تذيقنّنى حرّ الجحيم غدا

و قال فى مذهب الفخر : [الوافر]

و كم من صفحة كالشمس تبدوفيسلى حسنها قلب الحزين

غضضت الطّرف عن نظرى إليهامحافظة على عرضى و دينى

وفاته: فقد و هو يشـحذ الناس و يحرّضـهم، و يثبت بصائرهم، يوم الكائنة بطريف ، ضحوة يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى عام أحد و أربعين و سبعمائة، تقبّل اللّه شهادته. و عقبه ظاهر بين القضاء و الكتابة.

محمد بن أحمد بن فتّوح بن شقرال اللخمى

شرقى الأصل، من سكان غرناطة، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بالطّرسونى.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۴

حـاله: نقلت من خطّ شـيخنا أبى البركـات بن الحاج: أمتع اللّه به، كنّى نفسه أبا عبـد الرحمن، و دعى بها وقتا، و كوتب بها. و كان له

ابن سمّاه عبد الرحيم، فقلنا له: سمّه عبد الرحمن، ليعضّد لك الكنية التى اخترت، فأبى. كان هذا الرجل قيّما على النحو و القراءات و اللغة، مجيدا فى ذلك، محكما لما يأخذ فيه منه، و كانت لديه مشاركة فى الأصلين و المنطق، طمح إليها بفضل نباهته و ذكائه، و شعوره بمراتب العلوم، دون شيخ أرشده إلى ذلك. يجمع إلى ما ذكر خطّا بارعا، و ظرفا و فكاهة، و سخا نفس، و جميل مشاركة لأصحابه بأقصى ما يستطيع. و كان صنّاع اليدين يرسم بالذّهب، و يسفّر، و يحكم عمل التّراكيب الطّبّية. و على الجملة، فالرجل من أجلّ نبلاء عصره، الذين قلّ أمثالهم.

مشيخته: أخذ القراءات عن الشيخ الأستاذ أبى الحسن ابن أبى العيش، و به تفقّه ببلده ألمريّة. و قرأ على الأستاذ أبى جعفر بن الزبير، و الخطيب أبى جعفر بن الزيات، و الراوية أبى الحسن بن مستقور، و الولى أبى عبد اللّه الطّنجالى، و صهره الخطيب أبى تمام غالب بن حسن بن سيدبونه، و الخطيب أبى الحسن القيجاطى، و الخطيب المحدّث أبى عبد اللّه بن رشيد، و غيرهم.

شعره: من شعره قوله: [الطويل]

إذا قذفت بى حيثما شاءت النّوىففى كل شعب لى إليك طريق

و إن أنا لم أبصر محيّاك باسمافإنسان عينى فى الدموع غريق

فإن لم تصل كفّى بكفّك وافيافأسمال أحبابى لدّى فتوق

محنته: أحظاه وزير الدّولة أبو عبد اللّه بن المحروق ، و اختصّه، و رتّب له بالحمراء جراية، و قلّد نظره خزانة الكتب السلطانية. ثم فسد ما بينهما، فاتّهمه ببراءات كانت تطرح بمذامّه بمسجد البيّازين ، و ترصد ما فيها، فزعم أنه هو الذى طرحها بمحراب المسجد، فقبض عليه و اعتقل، ثمّ جلّاه إلى إفريقية.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٥

وفاته: و لمّا بلغته بإفريقية وفاة مخيفه، كرّ راجعا إلى الأندلس، فتوفى فى طريقه ببونة ، من بلاد العنّاب أو بأحوازها فى أواخر عام ثلاثين، أو أقرب من الأواخر و سبعمائة.

محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذى النّون التّغلبى

و يعرف بابن الرمّالية، من أهل غرناطة، و يعرف خلفه الآن، ببنى مرزبّة، و لهم أصالة و قدم و جدة.

حاله: فقيه، نبيه، نبيل، ذكى، عنده معرفة بالفقه و الأدب و العربية، حسن المشاركة و المحاضرة، حاضر الذهن، ذاكر لما قرأه.

مشيخته: روى عن الإمام أبى بكر بن العربى. قال أبو القاسم الملّاحى:

و حدّثنى سنة أربع و ستمائة، قال: حدّثنى الإمام أبو بكر بن العربى، رضى اللّه عنه، قال: حدّثنى محمد بن عبد الملك السّبتى، قال: خرجت مع أبى الفضل الجزيرى مشيّعين لقافلة الحاجّ من بغداد، و مودّعين لها من الغد، و حين أصبحنا أثيرت الجمال، و فرض الناس الرّحال، و نحن بموضع يعرف بجبّ عميرة، إذا بفتى شاحب اللّون، حسن الوجه، يشيّع الرّواحل، راحلة بعد أخرى، حتى فنيت، و مشى الحاجّ، و هو يقول فى أثناء تردّده و نظره إليها: [الطويل]

أ حجّاج بيت اللّه، فى أىّ هودجو فى أىّ بيت من بيوتكم حبّى؟

أ أبقى رهين القلب فى أرض غربةو حاديكم يحدو فؤادى مع الرّكب؟

فوا أسفا لم أقض منكم لبانتىو لم أتمتّع بالسلام و بالقرب

و فرّق بينى بالرّحيل و بينكمفها أنذا أقضى على إثركم نحبى

يقولون هذا آخر العهد منكمفقلت و هذا آخر العهد من قلبى

قال: فلمّا كمل الحاجّ المشى، و انقطع رجاؤه، و جعل يخطو هائما، و هو ينشد، ثمّ رمى بنفسه إلى الأرض و قال: [المديد]

خلّ دمع العين ينهمل‌بان من تهواه و ارتحل

أىّ دمع صانه كلف‌فهو يوم البين ينهمل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۶

قال: ثم مال على الأرض، فبادرنا إليه فوجدناه ميّتا، فحفرنا له لحدا، و غسّلناه و كفّنّاه فى رداء و صلّينا عليه، و دفنّاه.

وفاته: وفاة المترجم به سنة خمسين و ستمائة.

محمد بن محمد بن محمد بن بيبش العبدرى

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بابن بيبش .

حاله: كان خيّرا، منقبضا، عفّا، متصاونا، مشتغلا بما يعنيه، مضطلعا بالعربية، عاكفا عمره على تحقيق اللّغة، مشاركا فى الطّب، متعيّشا من التّجارة فى الكتب، أثرى منها، و حسنت حاله. و انتقل إلى سكنى سبتة، إلى أن حططت بها رسولا فى عام اثنتين و خمسين و سبعمائة، فاستدعيته و نقلته إلى بلده، فقعد للإقراء به إلى أن توفى.

و جرى ذكره فى بعض الموضوعات الأدبية بما نصّه : معلّم مدرّب، مسهّل مقرّب، له فى صنعة العربية باع مديد، و فى هدفها سهم سديد، و مشاركة فى الأدب لا يفارقها تسديد، خاصىّ المنازع مختصرها، مرتّب الأحوال مقرّرها، تميّز لأول وقته بالتّجارة فى الكتب فسلّطت عليها منه أرضة آكلة، و سهم أصاب من رميتها شاكلة ، أترب بسببها و أثرى، و أغنى جهة و أفقر أخرى، و انتقل لهذا العهد الأخير إلى سكنى غرناطة مسقط رأسه، و منبت غرسه، و جرت عليه جراية من أحباسها ، و وقع عليه قبول من ناسها، و بها تلاحق به الحمام، فكان من ترابها البداية و إليه التمام. و له شعر لم يقصر فيه عن المدى، و أدب توشّح بالإجادة و ارتدى.

مشيخته: قرأ على شيخ الجماعة ببلده أبى جعفر بن الزبير، و على الخطيب أبى عبد اللّه بن رشيد، و الوزير أبى محمد بن المؤذن المرادى، و الأستاذ عبد اللّه بن الكمّاد، و سمع على الوزير المسنّ أبى محمد عبد المنعم بن سماك. و قرأ بسبتة على الأستاذ أبى إسحاق الغافقى.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۷

شعره: أنشدنى بدار الصّناعة السلطانية من سبتة تاسع جمادى الأولى من عام اثنين و خمسين المذكور، عند توجّهى فى غرض الرسالة إلى السلطان ملك المغرب، قوله يجيب عن الأبيات المشهورة، التى أكثر فيها الناس و هى : [مخلع البسيط]

يا ساكنا قلبى المعنّى‌و ليس فيه سواك ثان

لأىّ معنى كسرت قلبى‌و ما التقى فيه ساكنان؟

فقال : [مخلع البسيط]

نحلتنى طائعا فؤادافصار إذ حزته مكانى

لا غرو إذ كان لى مضافاأنّى على الكسر فيه بانى

و قال يخاطب أبا العباس عميد سبتة، أعزّه اللّه، و هى ممّا أنشدنيه فيه التاريخ المذكور، و قد أهدى إليه أقلاما : [الطويل]

أنا ملك الغرّ التى سيب جودهايفيض كفيض المزن بالصّيّب القطر

أتتنى منها تحفة مثل حدّها إذا انتضيت كانت كمرهفة السّمر

هى الصّفر لكن تعلم البيض أنهامحكّمة فيها على النّفع و الضّرّ

مهذّبة الأوصال ممشوقة كماتصاغ سهام الرّمى من خالص التّبر

فقبّلتها عشرا و مثّلت أننى‌ظفرت بلثم فى أناملك العشر

و أنشدنى فى التاريخ المذكور فى ترتيب حروف الصحاح قوله : [الطويل]

أ ساجعة بالواديين تبوّئى‌ثمارا جنتها حاليات خواضب

دعى ذكر روض زاره سقى شربه‌صباح ضحى طير ظماء عصائب

غرام فؤادى قاذف كلّ ليلة‌متى ما نأى وهنا هواه يراقب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۸

و من مطولاته ما رفعه على يدى السلطان و هو قوله : [الوافر]

ديار خطّها مجد قديم‌و شاد بناءها شرف صميم

و حلّ جنابها الأعلى علاء يقصّر عنه رضوى أو شميم

سقى نجدا بها و هضاب نجدعهاد ثرّة و حيا عميم

و لا عدمت رباه رباب مزن‌يغادى روضهنّ و يستديم

فيصبح زهرها يحكى شذاه‌فتيت المسك يذكيه النّسيم

و تنثره الصّبا فتريك درّانثيرا خانه عقد نظيم

و ظلّت فى ظلال الأيك تشدومطوّقة لها صوت رخيم

ترجّع فى الغصون فنون سجع‌بألحان لها يصبو الحليم

أهيم بملتقى الوادى بنجدو ليس سواه فى واد أهيم

و كنت صرفت عنه النفس كرهاو ما برحت على نجد تحوم

و ما ينفكّ لى و لها نزاع‌إلى مغنى به ملك كريم

له بيت سما فوق الثّريّاو عزّ لا يخيم و لا يريم

تبوّأ من بنى نصر علاهاو أنصار النبىّ له أروم

أفاض على الورى نيلا و عدلا سواء فيه مثر أو عديم

ملاذ للملوك إذا ألمّت‌صروف الدهر أو خطب جسيم

تؤمّله فتأمن فى ذراه‌و تدنو من علاه فيستقيم

و يبدو فى ندىّ الملك بدراتحفّ به الملوك و هم نجوم

بوجه يوسفىّ الحسن طلق‌يضىء بنوره اللّيل البهيم

و تلقاه العفاة له ابتسام‌و منه للعدى أخذ أليم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۹ فيا شرف الملوك لك انقطاعى‌و إنّى فى محلّكم خديم

و آمالى أملت إليك حتّى‌وردن على نداك و هنّ هيم

فلا ظمأ و وردك خير وردنمير ماؤه عذب جميم

و لا أضحى و فى مغناك ظلّ‌ظليل حين تحتدم السّموم

ركبت البحر نحوك و المطاياتسير لها ذميل أو رسيم

و إنّ علاك إن عطفت بلحظعلىّ فذلك العزّ المقيم

فوا أسفى على عمر تقضّى‌بدار ليس لى فيها حميم

سوى ثمر للفؤاد ذهبت عنه‌و بين جوانحى منه كلوم

و دون لقائها عرض الفيافىو نجد موجه طود عظيم

لعلّ اللّه ينعم باجتماعو ينظم شملنا البرّ الرحيم

بقيت بغبطة و قرار عينبملك سعده أبدا يدوم

كما دامت حلى الأنصار تتلىيشيد بذكرها الذّكر الحكيم

عليك تحية عطر شذاهاكعرف الرّوض جادته الغيوم

مولده: بغرناطة فى رجب ثمانين و ستمائة. و توفى عام ثلاثة و خمسين و سبعمائة، و دفن بباب إلبيرة، و تبعه من الناس ثناء حسن، رحمه اللّه.

محمد بن محمد النّمرى الضّرير

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرفه بنسبه.

حاله: من عائد الصلة: كان حافظا للقرآن، طيب النّغمة به، طرفا فى ذلك، من أهل المشاركة فى العلم، واعظا بليغا، أستاذا يقوم على العربية قيام تحقيق، و يستحضر الشّواهد من كتاب اللّه و خطب العرب و أشعارها، بعيد القرين فى ذلك، آخذا فى الأدب، حفظة للأناشيد و المطوّلات، بقيّة حسنة ممتعة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۰

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبى عبد اللّه بن الفخّار الأركشى ، و به تأدّب، و لازمه كثيرا، فانتفع به.

شعره: ممّا صدّر به رسالة لزوجه و هو نازح عنها ببعض البلاد. فقال:

[الطويل]

سلام كرشف الطّل فى مبسم الوردو سيل نسيم الريح بالقضب الملد

سلام كما ارتاح المشوق مبشّرابرؤية من يهواه من دون ما وعد

سلام كما يرضى المحبّ حبيبهمن الجدّ فى الإخلاص و الصّدق فى الوعد

سلام و تكريم و برّ و رحمةبقدر مزيد الشوق أو منتهى الودّ

على ظبية فى الأنس مرتعها الحشافتأوى إليه لا لشيح و لا رند

و من أطلع البدر التّمام جبينهايرى تحت ليل من دجى الشّعر مسودّ

و ثغر أقاح زانه سمط لؤلؤيجبّ به المرجان فى أحكم النّضد

يجول به سلسال راح معتّقحمته ظبا الألحاظ صونا عن الورد

فللّه عينا من رأى بدر أسعدو روضة أزهار علت غصن القدّ

و بشرى لصبّ فاز منها بلمحةمن القرب بشراه بمستكمل السّعد

و أضحى هواها كامنا بين أضلعى كمزن خفىّ النار فى باطن الزّند

و راحت فراح الروح إثر رحيلها و ودّعت صبرى حين ودّعها كبدى

و صارت لى الأيّام تبدو لياليا و قد كان ليل الوصل صبحا بها يبدى

فساعاتها كالدهر طولا و طالماحكى الدهر ساعات بها قصرا عندى

و منها:

ترى قلبها هل هام منى بمثل مابقلبى من الحبّ الملازم و الوجد؟

و هل هى ترعى ذمّتى و مودّتى كما أنا أرعاها على القرب و البعد؟

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۱ إليك خطابى و الحديث لغائب كنيت بلفظى عن مغيبك بالعمد

عليك سلامى إننى متشوّق‌للقياك لى أو من جوابك بالرّدّ

وفاته: توفى بغرناطة تحت جراية من أمرائها؛ لاختصاصه بقراءة القرآن على قبورهم، فى التاسع عشر من شعبان عام ستة و ثلاثين و سبعمائة.

محمد بن عبد الولى الرّعينى

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بالعوّاد.

حاله: من «عائد الصلة»: الشيخ المكتّب، الأستاذ الصالح، سابق الميدان، و علم أعلام القرآن، فى إتقان تجويده، و المعرفة بطرق روايته، و الاضطلاع بفنونه، لا يشقّ غباره، و لا يتعاطى طلقه، و لا تأتى الأيّام بمثله، تستقصر بين يديه مدارك الأعلام، و تظهر سقطات الأئمة، مهتديا إلى مكان الحجج على المسائل، مصروف عنان الأشغال إليه، مستندا إلى نغمة رخيمة، و إتقان غير متكلّف، و حفظ غزير.

و طلب إلى التّصدّر للإقراء، فأبى لشدّة انقباضه، فتبّهت بالباب السلطانى على وجوب نصبه للناس، فكان ذلك فى شهر شعبان من عام وفاته، فانتفع به، و كان أدأب الناس على سنّة، و ألزمهم لميقات ورد، يجعل جيرانه حركته إلى ذلك ليلا ميقاتا لا يختلف و لا يكذب، فى ترحيل الليل، شديد الطرب، مليح الترتيب، لا تمرّ به ساعة ضياعا إلّا و قد عمرها بشأن دينى أو دنياوى ضرورى مما يسوّغه الورع.

يلازم المكتب ناصح التعليم، مسوّيا بين أبناء النّعم، و حلفاء الحاجة، شامخ الأنف على أهل الدّنيا، تغصّ السّكك عند ترنّمه بالقرآن، مساوقا لتلاوة التجويد، و مباشرا أيام الأخمسة و الأثانين العمل فى موئل كان له، على طريقة القدماء من الإخشيشان عند المهن و نقل آلة الخدمة، غير مفارق للظّرف و الخصوصية. و يقرأ أيام الجمعات كتب الوعظ و الرّقائق على أهله، فيصغى إليه الجيران عادة لا تختلف. و كان له لكل عمل ثوب، و لكل مهنة زىّ، ما رأيت أحسن ترتيبا منه. و هو أستاذى و جارى الألصق، لم أتعلّم الكتاب العزيز إلّا فى مكتبه، رحمة اللّه عليه.

مشيخته: قرأ على بقيّة المقرئين الأستاذ أبى جعفر بن الزبير، و لازمه و انتفع به، و على الأستاذ أبى جعفر الجزيرى الضرير، و أخذ عن الخطيب المحدّث أبى عبد اللّه بن رشيد.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۲

مولده: فى حدود عام ثمانين و ستمائة.

وفاته: توفى رحمة اللّه عليه فى ... الموفى ثلاثين لذى قعدة من عام خمسين و سبعمائة.

محمد بن على بن أحمد الخولانى

يكنى أبا عبد اللّه، أصله من مجلقر، و يعرف بابن الفخّار و بالبيرى، شيخنا رحمه اللّه.

حاله: من «عائد الصلة»: أستاذ الجماعة، و علم الصناعة، و سيبويه العصر، و آخر الطبقة من أهل هذا الفن. كان، رحمه اللّه، فاضلا، تقيّا، منقبضا، عاكفا على العلم، ملازما للتدريس، إمام الأئمّة من غير مدافع، مبرّزا أمام أعلام البصريّين من النّحاة، منتشر الذكر، بعيد الصّيت، عظيم الشهرة، مستبحر الحفظ، يتفجّر بالعربية تفجّر البحر، و يسترسل استرسال القطر، قد خالطت دمه و لحمه، لا يشكل عليه منها مشكل، و لا يعوزه توجيه، و لا تشذّ عنه حجّة. جدّد بالأندلس ما كان قد درس من لسان العرب، من لدن وفاة أبى على الشلوبين،

مقيم السوق على عهده. و كانت له مشاركة فى غير صناعة العربية من قراءات وفقه، و عروض، و تفسير. و تقدم خطيبا بالجامع الأعظم، و قعد للتدريس بالمدرسة النّصرية ، و قلّ فى الأندلس من لم يأخذ عنه من الطّلبة. و استعمل فى السّفارة إلى العدوة، مع مثله من الفقهاء، فكانت له حيث حلّ الشّهرة و عليه الازدحام و الغاشية، و خرّج، و درّب، و أقرأ، و أجاز، لا يأخذ على ذلك أجرا و خصوصا فيما دون البداية، إلّا الجراية المعروفة، مقتصدا فى أحواله، و قورا، مفرط الطّول، نحيفا، سريع الخطو، قليل الالتفات و التعريج، متوسط الزّى، متبذلا فى معالجة ما يتملّكه بخارج البلد، قليل الدّهاء و التّصنّع، غريب النّزعة، جامعا بين الحرص و القناعة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٣

مشيخته: قرأ بسبتة على الشيخ الإمام أبى إسحاق الغافقى، و لازمه كثيرا، و أخذ عنه، و أكثر عليه. و قرأ على الإمام الصالح أبى عبد اللّه بن حريث، و المقرئ الشريف الفاضل أبى العبّاس الحسنى، و الشيخ الأستاذ النظّار أبى القاسم بن الشّاط، و أخذ عن الخطيب المحدث أبى عبد اللّه بن رشيد، و القاضى أبى عبد اللّه بن القرطبى و غيرهم. و هو أستاذى، قرأت عليه القرآن، و كتابى الجمل و الإيضاح، و حضرت عليه دولا من الكتاب، و لازمته مدة، و عاشرته، و توجّه صحبتى فى الرسالة إلى المغرب.

وفاته: توفى بغرناطة ليلة الاثنين الثانى عشر من رجب عام أربعة و خمسين و سبعمائة، و كانت جنازته حافلة. و خمدت قرائح الآخذين عنه، ممن يدلى دلو أدب، فيأتى بماء أو حمأة، على كثرتهم، تقصيرا عن الحق، و قدحا فى نسب الوفاء، إلّا ما كان من بعض من تأخّر أخذه عنه، و هو محمد بن عبد اللّه اللّوشى، فإنه قال: و عين هذه الأبيات قرارها : [الطويل]

و يوم نعى النّاعى شهاب المحامدتغيّرت الدنيا لمصرع واحد

فلا عذر للعينين إن لم تسامحا بدمع يحاكى الوبل يشفى لواجد

مضى من بنى الفخّار أفضل ماجدجميل المساعى للعلا جدّ شاهد

طواه الرّدى ما كلّ حىّ يهابهو ما ورده عارا يشين لوارد

لقد غيّبت منه المكارم فى الثّرىغداة ثوى و انسدّ باب الفوائد

فيا حاملى أعواده، ما علمتمبسؤدده الجمّ الكريم المحاتد؟

و يا حفرة خطّت له اليوم مضجعا،سقتك الغوادى الصادقات الرّواعد

ألا يا حمام الأيك ساعدن بالبكا على علم الدّنيا و زين المشاهد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٤ على أن لو اسطعت الفداء فديته بأنفس مال من طريف و تالد

محمد، ما النّعمى لموتك غضّة تروق و لا ماء الحياة ببارد

و كيف و باب العلم بعدك مغلقو مورده المتروك بين الموارد

أ أستاذنا كنت الرّجاء لآملفأصبحت مهجور الفناء لقاصد

فلا تبعدن شيخ المعارف و الحجا أليس الذى تحت التّراب بباعد؟

لتبك العلوم بعدك اليوم شجوهاو يقفر لها ربع العلا و المعاهد

ليبك عليك الجود و الدين و التّقىو حسب البكا أن صرت ملحود لاحد

أمولاى، من للمشكلات يبينهافيجلى عمى كلّ القلوب الشّواهد

و من ذا يحلّ المقفلات صعابها؟و من ذا الذى يهدى السبيل لحائد

فيا راحلا عنّا فزعنا لفقدهلقد أونست منك القبور بوافد

و يا كوكبا غال النهار ضياءهو شيكا، و هل هذا الزمان بخالد؟

سأبكيك ما لاحت بروق لشائمو أرعاك ما كان الغمام بعائد

عليك سلام اللّه ما دامت الصّباتهبّ بغصن فى الأراكة مائد

قلت : العجب من الشيخ ابن الخطيب، كيف قال: و خمدت قرائح الآخدين عنه، و هو من أجلّ من أخذ عنه، حسبما قرره آنفا، بل أخصّ من ذلك المعاشرة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٥

و السفارة للعدوة. و هو مع ذلك أقدرهم على هذا الشأن، و أسخاهم قريحة فى هذا الميدان، و إن أتى غيره بماء أو حمأة، أتى هو بالبحر الذى لا ساحل له. و لعمرى لو قام هو بما يجب من ذلك، لزال القدح فى نسب وفاء الغير، فعين ما نسبه من التقصير عن الحق فى ذلك، متوجّه عليه، و لا حقّ له، و لا يبعد عنده أن يكون وقع بينهما ما أوجب إعراضه مما يقع فى الأزمان، و لا سيما من أهل هذ الشان، فيكون ذلك سببا فى إعراض الغير مشيا فى غرضه، و مساعدة له. و اللّه أعلم بحقيقة ذلك كله.

محمد بن على بن محمد البلنسى

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد اللّه.

حاله: طالب هشّ، حسن اللّقاء، عفيف النشأة، مكبّ على العلم، حريص على استفادته، مع زمانة أصابت يمنى يديه، نفعه اللّه. قيّد بأختها و انتسخ، قائم على العربية و البيان، ذاكر الكثير من المسائل، حافظ متقن، على نزعة عربية من التّجاذع فى المشى و قلّة الالتفات إلّا بجملته، و جهوريّة الصوت، متحلّ بسذاجة، حسن الإلقاء و التقرير، متّ للمتغلّب على الدولة بضنّ أفاده جاها و استعمالا فى خطّة السوق، ثمّ اصطناعا فى الرسالة إلى ملك المغرب، جرّ عليه آخرا النّكبة، و قاد المحنة، فأرصد له السلطان أبو عبد اللّه فى أخرياتها رجالا بعثهم فى رندة، فأسروه فى طريقه، و قدموا به سليبا قدوم الشّهرة و المثلة، موقنا بالقتل. ثم عطف عليه حنينا إلى حسن تلاوته فى محبسه ليلا، فانتاشه لذلك من هفوة بعيدة و نكبة مبيرة. و لما عاد لملكه، أعاده للإقراء.

مشيخته: جلّ انتفاعه بشيخ الجماعة أبى عبد اللّه بن الفخّار، لازمه و انتفع به، و أعاد دول تدريسه، و قرأ على غيره. و ألّف كتابا فى تفسير القرآن، متعدّد الأسفار، و استدرك على السّهيلى فى أعلام القرآن كتابا نبيلا، رفعه على يدى للسّلطان. و هو من فضلاء جنسه، أعانه اللّه و سدّده.

محمد بن سعد بن محمد بن لب بن حسن بن حسن ابن عبد الرحمن بن بقىّ

يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف باسم جدّه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٦

أوليته: كان القاضى العدل أبو عبد اللّه بن هشام، قاضى الجماعة بالأندلس، يجلّ سلفه، و بنسبه إلى بقىّ بن مخلد، قاضى الخلافة بقرطبة، و ابن هشام ممّن يحتجّ به.

حاله: هذا الرّجل فاضل، حسن الخلق، جميل العشرة، كريم الصحبة، مبذول المشاركة، معروف الذكاء و العفّة، مبسوط الكنف مع الانقباض، فكه مع الحشمة، تسع الطوائف أكناف خلقه، و يعمّ المتضادّين رحب ذرعه، طالب محصل، حصيف العقل، حسن المشاركة فى فنون؛ من فقه، و قراءات، و نحو، و غير ذلك. تكلّم للناس بجامع الرّبض ثمّ بمسجد البكرى المجاور للزاوية و التربة اللتين أقمتهما بأخشارش من داخل الحضرة، و حلّق به لتعليم العلم، فانثال عليه المتعلم و المستفيد و السامع، لإجادة بيانه، و حسن تفهيمه.

مشيخته: قرأ القرآن بجرف نافع، على أبيه، و على الشيخ الخطيب المكتّب أبى عبد اللّه بن طرفة، و الخطيب أبى عبد اللّه بن عامور. و قرأ العربية على إمام الجماعة الأستاذ أبى عبد اللّه بن الفخّار، و جوّد عليه القرآن بالقراءات السبع، و قرأ على الأستاذ أبى سعيد بن لب.

شعره: أنشدنى من ذلك قوله بعد الانصراف من مواراة جنازة : [الرمل]

كم أرى مدمن لهو و دعه‌لست أخلى ساعة من تبعه

كان لى عذر لدى عهد الصّباو أنا آمل فى العمر سعه

أو ما يوقظنا من كلّناآنفا لقبره قد شيّعه

سيّما إذ قد بدا فى مفرقى‌ما إخال الموت قد جاء معه

فدعونى ساعة أبكى على‌عمر أمسيت ممّن ضيّعه

و من شعره فى النوم، و هو كثيرا ما يطرقه: [الوافر]

أباد البين أجناد التّلاقى‌و حالت بيننا خيل الفراق

فجودوا و ارحموا و ارثوا و رقّواعلى من جفنه سكب المآقى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۷

و من ذلك ما أنشد فى النّوم على لسان رجل من أصحابه: [مخلع البسيط] الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج۳ ؛ ص۲۷

يا صاحبىّ، قفا المطاياو أشفقا فالعبيد عبده

إذا انتهى و انقضى زمان‌هل يرسل اللّه من يردّه؟

مولده: فى الثانى عشر لصفر من عام اثنين و عشرين و سبعمائة.

محمد بن سعيد بن على بن يوسف الأنصارى

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بالطّرّاز.

حاله: من صلة ابن الزّبير: كان، رحمه اللّه، مقرئا جليلا، و محدّثا حافلا، به ختم بالمغرب هذا الباب البتّة. و كان ضابطا متقنا، و مقيّدا حافلا، بارع الخطّ، حسن الوراقة، عارفا بالأسانيد و الطّرق و الرّجال و طبقاتهم، مقرئا، عارفا بالأسانيد و القراءات، ماهرا فى صناعة التّجويد، مشاركا فى علم العربية و الفقه الأصول و غير ذلك، كاتبا نبيلا، مجموعا فاضلا متخلّقا، ثقة فيما روّى، عدلا ممن يرجع إليه فيما قيّد و ضبط، لإتقانه و حذقه. كتب بخطه كثيرا، و ترك أمّهات حديثيّة، اعتمدها الناس بعده، و عوّلوا عليها. و تجرّد آخر عمره، إلى كتاب «مشارق الأنوار» تأليف القاضى أبى الفضل عياض، و كان قد تركه فى مبيّضة، فى أنهى درجات النسخ و الإدماج و الإشكال و إهمال الحروف حتى اخترمت منفعتها، حتى استوفى ما نقل منه المؤلف، و جمع عليها أصولا حافلة و أمّهات جامعة من الأغربة و كتب اللّغة، فتخلّص الكتاب على أتمّ وجه و أحسنه، و كمل من غير أن يسقط منه حرف و لا كلمة. و الكتاب فى ذاته لم يؤلف مثله.

مشيخته: روى عن القاضى أبى القاسم بن سمحون، و القاضى ابن الطبّاع، و عن أبى جعفر بن شراحيل، و أبى عبد اللّه بن صاحب الأحكام و المتكلم، و أبى محمد بن عبد الصمد بن أبى رجا، و أبى القاسم الملّاحى، و أبى محمد الكوّاب و غيرهم، أخذ عن هؤلاء كلهم ببلده، و بقرطبة عن جماعة، و بمالقة كذلك، و بسبتة. و بإشبيلية عن أبى الحسن بن زرقون، و ابن عبد النور. و بفاس و بمرسية عن جماعة.

قلت: هذه الترجمة فى الأصل المختصر منه هذا طويله، و اختصرتها لطولها.

وفاته: توفى بغرناطة ثالث شوال عام خمسة و أربعين و ستمائة، و كانت جنازته من أحفل جنازة، إذ كان اللّه قد وضع له ودّا فى قلوب المؤمنين.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۸

محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيّان النّفزى

من أهل غرناطة، يكنى أبا حيان، و يلقب من الألقاب المشرقية بأثير الدين.

حاله: كان نسيج وحده فى ثقوب الذهن، و صحّة الإدراك و الحفظ ، و الاضطلاع بعلم العربية، و التفسير و طريق الرواية، إمام النّحاة فى زمانه غير مدافع، نشأ ببلده غرناطة، مشارا إليه فى التبريز بميدان الإدراك، و تغيير السوابق فى مضمار التّحصيل. و نالته نبوة لحق بسببها بالمشرق، و استقرّ بمصر، فنال ما شاء من عزّ و شهرة، و تأثّل وبرّ و حظوة، و أضحى لمن حلّ بساحته من المغاربة ملجأ و عدّة.

و كان شديد البسط، مهيبا، جهوريا، مع الدّعابة و الغزل، و طرح السّمت ، شاعرا مكثرا، مليح الحديث، لا يملّ و إن أطال، و أسنّ جدّا، و انتفع به. قال بعض أصحابنا: دخلت عليه، و هو يتوضّأ، و قد استقرّ على إحدى رجليه لغسل الأخرى، كما تفعل البرك و الإوزّ، فقال : لو كنت اليوم جار شلير ، ما تركنى لهذا العمل فى هذا السّن .

مشيخته: قرأ ببلده على الأستاذ حائز الرياسة أبى جعفر بن الزّبير و لازمه، و انتسب إليه، و انتفع به، و شاد له بالمشرق ذكرا كبيرا. و يقال إنه نادى فى الناس عندما بلغه نعيه، و صلّى عليه بالقاهرة، و له إليه مخاطبات أدبية اختصرتها، و على الأستاذ الخطيب أبى جعفر على بن محمد الرّعينى الطبّاع، و الخطيب الصالح وليّ اللّه أبى الحسن فضل بن محمد بن على بن إبراهيم بن فضيلة المعافرى. و روى عن القاضى المحدّث أبى على الحسين بن عبد العزيز بن أبى الأحوص الفهرى،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۹

و المكتّب أبى سهل اليسر بن عبد اللّه بن محمد بن خلف بن اليسر القشيرى، و الأستاذ أبى الحسن بن الصايغ، و الأديب الكاتب أبى محمد عبد اللّه بن هارون الطائى بتونس، و على المسند صفى الدين أبى محمد عبد الوهاب بن حسن بن إسماعيل بن مظفر بن الفرات الحسنى بالإسكندرية، و المسند الأصولى وجيه الدين أبى عبد اللّه محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران الأنصارى بالثغر، و المحدّث نجيب الدين أبى عبد اللّه محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيّد الهمدانى بالقاهرة، و غيرهم ممن يشقّ إحصارهم، كالإمام بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبى نصر بن النّحاس الشافعى. قرأ عليه جميع كتاب سيبويه فى سنة ثمان و ثمانين و ستمائة، و قال له عند ختمه: لم يقرأه على أحد غيره.

تواليفه: و تواليفه كثيرة، منها شرحه كتاب «تسهيل الفوائد لابن مالك». و هو بديع، و قد وقفت على بعضه بغرناطة فى عام سبعة و خمسين و سبعمائة. و كتابه فى تفسير الكتاب العزيز، و هو المسمّى ب «البحر المحيط» تسمية، زعموا، موافقة للغرض.

و ألف كتابا فى نحو اللّسان التّركى، حدّثنا عنه الجملة الكثيرة من أصحابنا، كالحاجّ أبى يزيد خالد بن عيسى، و المقرى الخطيب أبى جعفر الشّقورى، و الشّريف أبى عبد اللّه بن راجح، و شيخنا الخطيب أبى عبد اللّه بن مرزوق. و قال : حدّثنا شيخنا أثير الدّين فى الجملة سنة خمس و ثلاثين و سبعمائة بالمدرسة الصالحية بين القصرين بمنزلة منها . قال : حدّثنا الأستاذ العلّامة المتفنن أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزّبير، سماعا من لفظه، و كتبا من خطّه بغرناطة، عن الكاتب أبى إسحاق بن عامر الهمدانى الطّوسى بفتح الطاء، حدّثنا أبو عبد اللّه بن محمد العنسى القرطبى، و هو آخر من حدّث عنه، أخبرنا أبو على الحسن بن محمد الحافظ الجيّانى، أنبأنا حكم بن محمد، أنبأنا أبو بكر بن المهندس، أنبأنا عبد اللّه بن محمد، أنبأنا طالوت بن عياد بن بصّال بن جعفر، سمعت أبا أمامة الباهلى يقول: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، يقول: اكفلوا لى بستّ أكفل لكم فى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۰

الجنة ، إذا حدّث أحدكم بلا كذب، و إذا ائتمن فلا يخن، و إذا وعد فلا يخلف.

غضّوا أبصاركم، و كفّوا أيديكم، و احفظوا فروجكم .

و قال: أنشدنا الخطيب أبو جعفر الطبّاع، قال: أنشدنا ابن خلفون، قال: أنشدنا أبو عبد اللّه محمد بن سعيد، قال: أنشدنا أبو عمران

موسى بن أبى تليد لنفسه:

[المنسرح]

حالى مع الدهر فى تقلّبه كطائر ضمّ رجله الشّرك

فهمّه فى خلاص مهجته يروم تخليصها فيشتبك

و من ملحه: قال: قدم علينا الشيخ المحدث أبو العلاء محمد بن أبى بكر البخارى الفرضى بالقاهرة فى طلب الحديث، و كان رجلا حسنا طيّب الأخلاق، لطيف المزاج، فكنّا نسايره فى طلب الحديث، فإذا رأى صورة حسنة قال: هذا حديث على شرط البخارى، فنظمت هذه الأبيات : [الطويل]

بدا كهلال العيد وقت طلوعه و ماس كغصن الخيزران المنعّم

غزال رخيم الدّلّ وافى مواصلا موافقة منه على رغم لوّم

مليح غريب الحسن أصبح معلما بحمرة خدّ بالمحاسن معلم

و قالوا: على شرط البخارىّ قد أتى فقلنا : على شرط البخارىّ و مسلم

فقال البخارى: فمن هو مسلم ؟فقلت له: أنت البخارى و مسلم

محنته: حملته حدّة الشيبة على التّعريض للأستاذ أبى جعفر الطّبّاع، و قد وقعت بينه و بين أستاذه ابن الزّبير الوحشة فنال منه، و تصدّى للتأليف فى الرّد عليه، و تكذيب روايته، فرفع أمره إلى السلطان، فامتعض له، و نفّذ الأمر بتنكيله، فاختفى، ثم أجاز البحر مختفيا، و لحق بالمشرق يلتفت خلفه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۱

شعره: و شعره كثير بحيث يتّصف بالإجادة و ضدّها. فمن مطوّلاته، رحمه اللّه، قوله : [البسيط]

لا تعذلاه فما ذو الحبّ معذول العقل مختبل و القلب متبول

هزّت له أسمرا من خوط قامتها فما انثنى الصّبّ إلّا و هو مقتول

جميلة فصّل الحسن البديع لها فكم جمل منه و تفصيل

فالنّحر مرمرة و النّشر عنبرة و الثّغر جوهرة و الرّيق معسول

و الطّرف ذو غنج و العرف ذو أرج و الخصر مختطف، و العنق مجدول

هيفاء ينبس فى الخصر الوشاح لها درماء تخرس فى الساق الخلاخيل

من اللواتى غذاهنّ النّعيم فما يشقين، آباؤها الصّيد البهاليل

نزر الكلام غميّات الجواب إذا يسلن بعد الصحا حصر مكاسيل

من حليها و سناها مونس و هدى فليس يلحقها ذعر و تضليل

حلّت بمنعقد الزّوراء زارة شوسا غيارى فعقد الصّبر محلول

فصدّ عن ذكر ليلى إنّ ذكراها على التّنائى لتعذيب و تعليل

أتاك منك نذير فأنذرن به و بادر التّوب إنّ التّوب مقبول

و آمل العفو و اسلك مهمها قدفا إلى رضى اللّه إنّ العفو مأمول

إن الجهاد و حجّ البيت مختتما بزورة المصطفى للعفو تأميل

فشقّ حيزوم هذا الليل ممتطيا أخا خرام به قد يبلغ السّول

أقبّ أعوج يعزى للوجيه له وجه أغرّ و فى الرجلين تحجيل

جفر حوافره، معر قوائمهضمر أياطله، و للذيل عثكول

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۲ إذا توجّه أصغی و هو ملتفتمساعر أعتقا فيهنّ تأليل

و إن تعارض به هوجاء هاج لهجری يری البرق عنه و هو مخذول

يحمی به حوزة الإسلام ملتقياكتائبا غصّ منها العرض و الطّول

كتائبا قد عموا عن كل واضحةمن الكتاب و غرّتهم أباطيل

فی ماقط ضرب الموت الزؤام بهسرادقا فعليهم منه تخييل

هيجاء يشرف فيها المشرفیّ علیهام العدوّ و يصحی النّقع تضليل

تدير كأس شعوب فی شعوبهمفكلّهم منهل بالموت معلول

و إذ قضيت غزاة فالتفت عملاللحجّ فالحجّ للإسلام تكميل

واصل بسرّ معدّ يا ابن أندلسو الطّرف أدهم بالأشطان مغلول

يلاطم الريح منه أبيض نفقله من السحب المزبد إكليل

يعلو حضارين منه شامخ جللسام طفا و هو بالنّكباء محمول

كأنّما هو فی طخياء لجّتهأيم يعرو أديم السّيل شمليل

ما زالت الموج تعليه و تخفضهحتّی بدا من منار الثّغر قنديل

و كبر الناس أعلاه الرنيم و كلّهم طرفه بالشهد مكحول

و صافحوا البيد بعد اليمّ و ابتدرواسبلا بها لجناب اللّه توصيل

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۳ علی نجائب تتلوه أجنابها خيل بها الخير معقود و معقول

فی موكب تزحف الأرض الفضاء بهأضحت و موحشها بالناس مأمول

يطارد الوحش منه فيلق لجبحتی لقد ذعرت فی بيدها الغول

سيوفهم طرب نحو الحجاز فهمذوو ارتياح علی أكوارها ميل

شعث رؤوسهم، يبس شفاههمخوص عيونهم، غرب مهازيل

حتی إذا لاح من بيت الإله لهمنور إذا هم علی الغبرا أراحيل

يعفّرون وجوها طالما سمّتباكين حتی أديم الأرض مبلول

حفّوا بكعبة مولاهم فكعبهمعال بها لهم طوف و تقبيل

و بالصّفا وقتهم صاف بسعيهمو فی منی لمناهم كان تنويل

تعرّفوا عرفات واقفين بهالهم إلی اللّه تكبير و تهليل

لمّا قضينا من الغرّاء منكسناثرنا و كلّ بنار الشوق مشمول

شدنا إلی الشّدقميات التی سكنتأبدانهنّ و أفناهنّ تنقيل

إلی الرسول تزجّی كلّ تعلمةأجلّ من نجوة تزجی المراسيل

من أنزلت فيه آيات مطهّرةو أورثت فيه توراة و إنجيل

و عطّرت من شذاه كلّ ناحيةكأنّما المسك فی الأرجاء محلول

سرّ من العالم العلویّ ضمّنهجسم من الجوهر الأرضی محمول

نور تمثّل فی أبصارنا بشراعلی الملائك من سيماه تمثيل

لقد تسامى و جبريل مصاميهإلى مقام رخىّ فيه جبريل

أوحى إليه الذى أوحاه من كثبفالقلب واع بسرّ اللّه مشغول

يتلو كتابا من الرحمن جاء بهمطهّرا طاهر منه و تأويل

جار على منهج الأعراب أعجزهمباق مع الدّهر لا يأتيه تبديل

بلاغة عندها كعّ البليغ فلمينطق و فى هديه صاحت أضاليل

و منها:

و طولبوا أن يجيبوا حين رابهمبسورة مثله فاستعجز القيل

لا ذوا بذوبان خطّىّ و بتر ظبىيوم الوغى و اعتراهم منه تنكيل

فمونف فى جبال الوهد منحدرو موثق فى حبال الغد مكبول

ما زال بالعضب هتّاكا سوابغهمحتى انثنى العصب منهم و هو مفلول

و قد تحطّم فى نحر العدا قصدصمّ الوشيج و خانتها العواميل

من لا يعدّله القران كان لهمن الصّفاد و بيض البتر تعديل

و كم له معجزا غير القران أتىفيه من الحقّ منقول و معقول

فللرسول انشقاق البدر نشهدهكما لموسى انفلاق البحر منقول

و نبع ماء فرات من أناملهكالعين ثرّت فجا الهتّان ما النيل

روّوا الخميس و هم زهاء سبع ميمع الرّكاب فمشروب و محمول

و ميّ عين بكفّ جاء يحملهاقتادة و له شكوى و تعويل

فكان أحسن عينيه و لا عجبمسّت أناميل فيها اليمن مجعول

و الجذع حنّ إليه حين فارقهحنين ولهى لها للرّوم مثكول

و أشبع الكثر من قلّ الطعام و لميكن ليعوزه بالكثر تقليل

و فى جراب و لا هنّ عجائب كميمتار منه فمبذول و مأكول

و فى ارتواء إلى ذرء بزمزم مايكفى تبدّن منه و هو مهزول

و العنكبوت بباب الغار قد نسجتحتى كأنّ رداء منه مسدول

و فرّخت فى حماه الورق ساجعةتبكى و ما دمعها فى الخدّ مطلول

هذا و كم معجزات للرسول أتتلها من اللّه أمداد و تأصيل

غدت من الكثر أعداد النجوم فمايحصى لها عددا كتب و لا قيل

قد انقضت معجزات الرّسل منذ قضوانحبا و أعجم منها ذلك الجيل

و معجزات رسول اللّه باقيةمحفوظة ما لها فى الدّهر تحويل

تكفّل اللّه هذا الذّكر يحفظهو هل يضيع الذى بالله مكفول؟

هذى المفاخر لا يحظى الملوك بهاللملك منقطع و الوحى موصول

و من مطولاته فى غرض يظهر منها: [الطويل]

هو العلم لا كالعلم شىء تراودهلقد فاز باغيه و أنجح قاصده

و ما فضّل الإنسان إلّا بعلمهو ما امتاز إلّا ثاقب الذّهن واقده

و قد قصرت أعمارنا و علومنایطول علینا حصرها و نکابده

و فی کلّها خیر و لکنّ أصلهاهو النّحو فاحذر من جهول یعانده

به یعرف القرآن و السّنّة التی‌هما أصل دین اللّه ذو أنت عابده

و ناهیک من علم علیّ مشیدمبانیه أعزز بالذی هو شائده

لقد حاز فی الدنیا فخارا و سؤدداأبو الأسود الدیلی فللجرّ ساندہ

هو استنبط العلم الذی جلّ قدرهو طار به للعرب ذکر نعاوده

و ساد عطا نجله و ابن هرمزو یحیی و نصر ثم میمون ماهده

و عنبسة قد کان أبرع صحبهفقد قلّدت جید المعالی قلائده

و ما زال هذا العلم تنمیه سادةجهابذة تبلی به و تعاضده

إلی أن أتی الدّهر العقیم بواحدمن الأزد تنمیه إلیه فرائده

إمام الوری ذاک الخلیل بن أحمدأقرّ له بالسبق فی العلم حاسده

و بالبصرة الغرّاء قد لاح فجرهفنارت أدانیه و ضاءت أباعده

ذکیّ الوری ذهنا و أصدق لهجةإذا ظنّ أمرا قلت ما هو شاهده

و ما أن یروّی بل جمیع علومهبدائه أعیت کلّ حبر تجالده

هو الواضع الثانی الذی فاق أولاو لا ثالث فی الناس تصمی قواصده

فقد کان ربّانیّ أهل زمانهصویم قویم راکع اللیل ساجده

یقیّم منه دهره فی مثوبةو ثوقا بأنّ اللّه حقّا مواعده

فعام إلی حجّ و عام لغزوةفیعرفه البیت العتیق و وافده

و لم یثنه یوما عن العلم و التّقی‌کواعب حسن تنثنی و نواهده

و أکثر سکناه بقفر بحیث لاتناغیه إلّا عفره و أوابده

و ما قوته إلّا شعیر یسیغه‌بماء قراح لیس تغشی موارده

عزوبا عن الدنیا و عن زهراتهاو شوقا إلی المولی و ما هو واعده

و لمّا رأی من سیبویه نجابةو أیقن أنّ الحین أدناه باعده

تخیّره إذ کان وارث علمهو لاطفه حتّی کأن هو والده

و علّمه شیئا فشیئا علومهإلی أن بدت سیماه و اشتدّ ساعده

فإذ ذاک وافاه من اللّه وعدهو راح وحید العصر إذ جاء واحده

أتی سیبویه ناشرا لعلومهفلولاه أضحی النحو عطلا شواهده

و أبدی کتابا کان فخرا وجودهلقحطان إذ کعب بن عمرو محاتده

و جمّع فیه ما تفرّق فی الوری‌فطارفه یعزی إلیه و تالده

بعمرو بن عثمان بن قنبر الرّضاأطاعت عواصیه و تابت شوارده

علیک قران النحو نحو ابن قنبرفآیاته مشهودة و شواهده

کتاب أبی بشر فلا تک قارئاسواه فکلّ ذاهب الحسن فاقده

هم خلج بالعلم مدّت فعندماتناءت غدت تزهی و لیست تشاهده

و لا تعد عمّا حازه إنه الفراو فى جوفه كلّ الذى أنت صائده

إذا كنت يوما محكما فى كتابهفإنّك فينا نابه القدر ماجده

و لست تبالى إن فككت رموزهأعضّك دهر أم عرتك ثرائده

هو العضب إن تلق الهياج شهرتهو إن لا تصب حربا فإنّك غامده

تلقّاه كلّ بالقبول و بالرّضىفذو الفهم من تبدو إليه مقاصده

و لم يعترض فيه سوى ابن طراوةو كان طريّا لم تقادم معاهده

و جسّره طعن المبرّد قبلهو إنّ الثّمالى بارد الذّهن خامده

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٧ هما ما هما صارا مدى الدهر ضحكةيزيّف ما قالا و تبدو مفاسده

تكون صحيح العقل حتى إذا تريتبارى أبا بشر، إذا أنت فاسده

يقول امرؤ قد خامر الكبر رأسهو قد ظنّ أنّ النحو سهل مقاصده

و لم يشتغل إلّا بنزر مسائلمن الفقه فى أوراقه هو راصده

و قد نال بين الناس جاها و رتبةو ألهاك عن نيل المعالى و لابده

و ما ذاق للآداب طعما و لم يبتيعنّى بمنظوم و نثر يجاوده

فينكح أبكار المعانى و يبتغىلها الكفو من لفظ بها هو عاقده

رأى سيبويه فيه بعض نكادةو عجمة لفظ لا تحلّ معاقده

فقلت: أما أتى ما أنت أهل لفهمهو ما أنت إلّا غائض الفكر راكده

لعمرك ما ذو لحية و تسمّتو إطراق رأس و الجهات تساعده

فيمشى على الأرض الهوينا كأنماإلى الملإ الأعلى تناهت مراصده

و إيهامك الجهّال أنّك عالمو أنّك فرد فى الوجود و زاهده

بأجلب للنّحو الذى أنت هاجرمن الدّرس بالليل الذى أنت هاجده

أصاح، تجنّب من غوىّ مخذّلو خذ فى طريق النّحو أنّك راشده

لك الخير فادأب ساهرا فى علومهفلم تشم إلّا ساهر الطّرف ساهده

و لا ترج فى الدنيا ثوابا فإنمالدى اللّه حقا أنت لا شكّ واجده

ذوو النحو فى الدنيا قليل حظوظهمو ذو الجهل فيها وافر الحظّ زائده

لهم أسوة فيها على لاغد مضىو لم يلق فى الدنيا صديقا يساعده

مضى بعده عنها الخليل فلم ينل كفافا و لم يعدم حسودا يناكده

و لاقى أبا بشر خليل سفيههاغداة تمالت فى ضلال يماددده

أتى نحو هارون يناظر شيخهفنفحته حتّى تبدّت مناكده

فأطرق شيئا ثم أبدى جوابهبحقّ و لكن أنكر الحقّ جاحده

و كاد على عمرا إذا صار حاكماو قدما علىّ كان عمرو يكايده

سقاه بكأس لم يفق من خمارهاو أورده الأمر الذى هو وارده

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٨ و لابن زياد شركة فى مرادهو لابن رشيد شرك القلب رائده

هما جرّعا إلى علىّ و قنبرأفاويق سمّ لم تنجّد أساوده

أبکی علی عمرو و لا عمر مثلهإذا مشکل أعیا و أعور ناقده

قضی نحبه شرخ الشّبیبة لم یرعبشیب و لم تعلق بذامّ معاقده

لقد کان للناس اعتناء بعلمهبشرق و غرب تستنار فوائده

و الآن فلا شخص علی الأرض قاریءکتاب أبی بشر و لا هو رائده

سوی معشر بالغرب فیهم تلفّتإلیه و شوق لیس یخبو مواقده

و ما زال منّا أهل أندلس لهجهابذ تبدی فضله و تناجده

و إنّی فی مصر علی ضعف ناصریلناصره ما دمت حیّا و عاضده

أثار أثیر الغرب للنّحو کامناو عالجه حتّی تبدّت قواعده

و أحیا أبو حیّان میت علومهفأصبح علم النحو ینفق کاسده

إذا مغربی حطّ بالثّغر رحلهتیقّن أنّ النحو أخفاه لاحده

منینا بقوم صدّروا فی مجالسلإقراء علم ضلّ عنهم مراشده

لقد أخّر التصدیر عن مستحقّهو قدّم غمر خامد الذهن جامده

و سوف یلاقی من سعی فی جلوسهمجزاء و عقبی أکنّت عقائده

علا عقله فیهم هواه فما دریبأنّ هوی الإنسان للنار قائده

أقمنا بمصر نحو عشرین حجةیشاهدنا ذو أمرهم و نشاهده

فلمّا ننل منهم مدی الدهر طائلاو لمّا نجد فیهم صدیقا نواده

لنا سلوة فیمن سردنا حدیثهمو قد یتسلّی بالذی قال ساردہ

أخی إن تصل یوما و بلّغت سالمالغرناطة فانفذ لما أنا عاهده

و قبل ثری أرض بها حلّ ملکناو سلطاننا الشّهم الجمیل عوائده

مبید العدا قتلا و قد عمّ شرّهمو محیی النّدی فضلا و قد رمّ هامده

أفاض علی الإسلام جودا و نجدةفعزّ موالیه و ذلّ معانده

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۹ و عمّ بها إخواننا بتحیّةو خصّ بها الأستاذ لا عاش کائده

جزی اللّه عنّا شیخنا و إمامناو أستاذنا الحبر الذی عمّ فائده

لقد أطلعت جیّان أوحد عصرهفللغرب فخر أعجز الشرق خالده

مؤرخة نحویة و إمامةمحدّثة جلّت و صحّت مسانده

جاه عظیم من ثقیف و إنمابه استوثقت منه العری و مساعده

و ما أنس لا أنسی سهادی ببابهبسبق و غیری نائم اللیل راقده

فیجلو بنور العلم ظلمة جهلناو یفتح علما مغلقات رصائده

و إنّی و إن شطّت بنا غربة النّویلشاکر له فی کل وقت و حامده

بغرناطة روحی و فی مصر جثّتیتری هل یثنّی الفرد من هو فارده؟

أبا جعفر، خذها قوافی من فتیتتیه علی غرّ القوافی قصائده

یسیر بلا إذن إلی الأذن حسنهافیرتاح سمّاع لها و مناشده

غریبة شکل کم حوت من غرائبمجیدة أصل أنتجتها أماجده

فلولاك يا مولاى ما فاه مقولىبمصر و لا حبّرت ما أنا قاصده

لهذّبتنى حتّى أحوك مفوّقامن النظم لا يبلى مدى الدهر آبده

و أذكيت فكرى بعد ما كان خامداو قيّد شعرى بعد ما ندّ شارده

جعلت ختاما فيه ذكرك إنههو المسك بل أعلى و إن عزّ ناشده

و مما دون من المطولات قوله رحمه اللّه : [الطويل]

تفرّدت لمّا أن جمعت بذاتى و أسكنت لما أن بدت حركاتى

فلم أر فى الأكوان غيرا لأننىأزحت عن الأغيار روح حياتى

و قدّستها عن رتبة لو تعيّنتلها دائما دامت لها حسراتى

فها أنا قد أصعدتها عن حضيضهاإلى رتبة تقضى لها بثبات

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴٠ تشاهد معنى روضة أذهب العناو أيقظنى للحقّ بعد سنات

أقامت زمانا فى حجاب فعندماتزحزح عنها رامت الخلوات

لنقضى بها ما فات من طيب أنسنابها و ننال الجمع بعد شتات

و من النسيب قوله : [الكامل]

كتم اللسان و مدمعى قد باحاو ثوى الأسى عندى و أنسى راحا

إنى لصبّ طىّ ما نشر الهوىنشرا و ما زال الهوى إفصاحا

و مهجتى من لا أصرّح باسمهو من الإشارة ما يكون صراحا

ريم أروم حنوّه و جنوحهو يروم عنى جفوة و جماحا

أبدى لنا من شعره و جبينهضدّين ذا ليلا و ذاك صباحا

عجبا له يأسو الجسوم بطبّهو لكم بأرواح أثار جراحا

فبلفظه برء الأخيذ و لحظهأخذ البرىّ فما يطيق براحا

ناديته فى ليلة لا ثالثإلّا أخوه البدر غار فلاحا

يا حسنها من ليلة لو أنهادامت و مدّت للوصال جناحا

و قال : [الكامل]

نور بخدّك أم توقّد نار؟و ضنى بجفنك أم فتور عقار؟

و شذا بريقك أم تأرّج مسكة؟وسنى بثغرك أم شعاع درارى ؟

جمعت معانى الحسن فيك فقد غدت قيد القلوب و فتنة الأبصار

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴١ متصاون خفر إذا ناطقتهأغضى حياء فى سكون وقار

فى وجهه زهرات لفظ تجتلىمن نرجس مع وردة و بهار

خاف اقتطاف الورد من جنباتها فأدار من أسر سياج عذار

و تسلّلت نمل العذار بخدّهليردن شهدة ريقه المعطار

و بخدّه ورد حمتها وردهافوقفن بين الورد و الإصدار

كم ذا أوارى فى هواه محبّتىو لقد وشى بى فيه فرط أوارى

و من نظمه من المقطوعات فى شتى الأغراض قوله رحمه اللّه : [البسيط]

أزحت نفسى من الإيناس بالناس‌لمّا غنيت عن الأكياس بالياس

و صرت فى البيت وحدى لا أرى أحدابنات فكرى و كتبى هنّ جلّاسى

و قال : [الطويل]

و زهّدنى فى جمعى المال أنه‌إذا ما انتهى عند الفتى فارق العمرا

فلا روحه يوما أراح من العناو لم يكتسب حمدا و لم يدّخر أجرا

و قال: [الطويل]

سعت حيّة من شعره نحو صدغه‌و ما انفصلت من خدّه إنّ ذا عجب

و أعجب من ذا أنّ سلسال ريقه‌برود و لكن شبّ فى قلبى اللّهب

و قال : [السريع]

راض حبيبى عارض قد بدايا حسنه من عارض رائض

و ظنّ قوم أنّ قلبى سلاو الأصل لا يعتدّ بالعارض

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۲

و قال : [الخفيف]

سال فى الخدّ للحبيب عذارو هو لا شكّ سائل مرحوم

و سألت التثامه فتجنّى‌فأنا اليوم سائل محروم

و قال: [الطويل]

جننت بها سوداء لون و ناظرو يا طالما كان الجنون بسوداء

وجدت بها برد النعيم و إنّ‌فؤادى منها فى جحيم و لأواء

و قال فى فتى يسمى مظلوم : [الطويل]

و ما كنت أدرى أنّ مالك مهجتى‌يسمّى بمظلوم و ظلم جفاؤه

إلى أن دعانى للصّبا فأجبته‌و من يك مظلوما أجيب دعاؤه

و قال : [الخفيف]

جنّ غيرى بعارض فترجّى‌أهله أن يفيق عمّا قريب

و فؤادى بعارضين مصاب‌فهو داء أعيا دواء الطبيب

و قال : [الطويل]

شكا الخصر منه ما يلاقى بردفه‌و أضعف غصن البان جرّ كثيب

إذا كان منه البعض يظلم بعضه‌فما حال مشتطّ المزار غريب

و قال : [الطويل]

و ذى شفة لمياء زينت بشامة من المسك فى رشافها يذهب النّسك

ظمئت إليها ريقة كوثريّة‌بمثل لآلى ثغرها ينظم السّلك

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۳ تعلّ بمعسول كأنّ رضابه‌مدام من الفردوس خاتمه مسك

و قال: [الطويل]

أجلّ شفيع ليس يمكن ردّه‌دراهم بيض للجروح مراهم

تصيّر صعب الأمر أسهل ما تروو يقضى لبانات الفتى و هو نائم

و قال : [مخلع البسيط]

نعيد ودّ قريب ضلّ كبير عتب، قليل عتبى

كالشمس ظرفا، كالمسك عرفاكالخشف طرفا، كالصّخر قلبا

و قال : [الطويل]

عداتى لهم فضل علىّ و منّةفلا أذهب الرحمن عنّى الأعاديا

هم بحثوا عن زلّتى فاجتنبتها و هم نافسونى فاكتسبت المعاليا

مولده: ولد بغرناطة عام اثنين و خمسين و ستمائة .

وفاته: أخبرنى الحاج الخطيب الفاضل أبو جعفر الشّقورى، رحمه اللّه، قال:

توفى عام خمسة و أربعين و سبعمائة بمصر، و دفن بالقرافة. و كانت جنازته حافلة.

و من الطارئين عليها فى هذا الحرف

محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللّخمى اليكّى

من أهل بلّش ، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بابن الكمّاد.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴۴

حاله: من «عائد الصلة»: كان من جلّة صدور الفقهاء الفضلاء، زهدا و قناعة و انقباضا، إلى دماثة الخلق، و لين الجانب، و حسن اللقاء، و السّذاجة المموّهة بالغفلة، و العمل على التقشّف و العزلة، قديم السّماع و الرّحلة، إماما مشهورا فى القراءات، يرحل إليه، و يعوّل عليه، إتقانا و معرفة منها بالأصول، كثير المحافظة و الضّبط، محدّثا ثبتا، بليغ التّحرّز، شديد الثقة، فقيها متصرّفا فى المسائل، أعرف الناس بعقد الشروط، ذا حظّ من العربية و اللغة و الأدب. رحل إلى العدوة، و تجوّل فى بلاد الأندلس، فأخذ عن كثير من الأعلام، و روى و قيّد و صنّف و أفاد، و تصدّر للإقراء بغرناطة و بلّش و غيرهما، و تخرّج بين يديه جملة وافرة من العلماء و الطلبة، و انتفعوا به.

مشيخته: قرأ ببلده مرسية على الأستاذ أبى الحسن على بن محمد بن لب بن أحمد بن أبى بكر الرّقوطى، و المقرئ أبى الحسن بن خلف الرّشاطى، و المحدّث الجليل أبى عمرو محمد بن على بن عيشون اللخمى، و على الشيخ الفقيه الكاتب أبى محمد بن عبد اللّه بن داود بن خطّاب الغافقى المرسى. و ممن أجازه الفقيه أبو عثمان سعيد بن عمرو البطرنى، و القاضى أبو على بن أبى الأحوص، لقيه ببلّش مالقة و بسطة، فروى عنه الكثير، و الأستاذ أبو القاسم بن الأصهر الحارثى، لقيه بألمريّة.

و لقى بغرناطة الأستاذ أبا جعفر الطّبّاع، و الوزير الرّاوية أبا القاسم محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن جزىّ الكلبى، روى عنه و أجازه. و كتب له بالإجازة جماعة كبيرة من أهل المشرق و المغرب، حسبما تضمنه برنامجه.

تواليفه: اختصر كتاب «المقنع» فى القراءات اختصارا بديعا، و سماه كتاب «الممتع فى تهذيب المقنع» و غير ذلك.

شعره: من ذلك و قد وقف على أبيات أبى القاسم بن الصّقر فى فضل الحديث: [الطويل]

لقد حاز أصحاب الحديث و أهلهشأوا و ثيرا و مجدا مخلّدا

و صحّت لهم بين الأنام مزيّةأبانت لهم عزّا و مجدا و سؤددا

بدعوة خير الخلق أفضل مرسلمحمد المبعوث بالنّور و الهدى

فهم دوّنوا علم الحديث و أتقنواو نصّوا بتبيين صحيحا و مسندا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۵ و جاءوا بأخبار الرّسول و صحبهعلى وجهها لفظا و رسما مقيدا

و هم نقلوا الآثار و السّنن التىمن أصبح ذا أخذ بها فقد اهتدى

و ما قصّروا فيها بفقه و لا ونوابل التزموا حدّا و حزما مؤكّدا

و هم أوضحوا من بعدهم باجتهادهمو تبيينهم سبل الهدى لمن اقتدى

جزاهم إله العرش عنّا بنصحهمبأحسن ما جازى نصيحا و مرشدا

و نسأله سبحانه نهج هديهمو سعيا إلى التّقوى سبيلا و مقصدا

و من شعره، رحمه اللّه، قوله: [السريع]

عليك بالصّبر و كن راضيابما قضاه اللّه تلقى النجاح

و اسلك طريق المجد و الهج بهفهو الذى يرضاه أهل الصلاح

و قد ألّف شيخنا أبو البركات بن الحاج، جزءا سماه «شعر من لا شعر له»، فيه من شعر هذا الرجل الفاضل و مثله كثير.

مولده: قبل الأربعين و ستمائة. و توفى ثانى شهر اللّه المحرم عام اثنى عشر و سبعمائة.

انتهى ما اختصر من السّفر السابع من كتاب «الإحاطة فى تاريخ غرناطة» يتلوه فى السفر الثامن بعده إن شاء اللّه و من السفر الثامن من ترجمة المقرئين و العلماء رحمهم اللّه***

و من السفر الثامن من ترجمة المقرئين و العلماء

محمد بن أحمد بن محمد بن على الغسّانى

من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم، و يعرف بابن حفيد الأمين.

حاله: كان من أهل العلم و الفضل و الدين المتين، و الدّؤوب على تدريس كتب الفقه. استظهر كتاب «الجواهر» لابن شاس، و اضطلع بها، فكان مجلسه من مجالس الحفّاظ، حفّاظ المذهب، و انتفع به الناس، و كان معظّما فيهم، متبرّكا به، على سنن الصالحين من الزّهد و الانقباض و عدم المبالاة بالملبس و المطعم. و قال صاحبنا الفقيه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۶

أبو الحسن النّباهى فى تذييله لتاريخ مالقة: كان رجلا ساذجا، مخشوشنا، سنّىّ المنازع، شديد الإنكار على أهل البدع. جلس للتّحليق العام بالمسجد الجامع، و أقرأ به الفقه و العربية و الفرائض.

مشيخته: قال: منهم أبو على بن أبى الأحوص، و أبو جعفر بن الزبير، و أبو محمد بن أبى السّداد، و القاضى أبو القاسم ابن السّكوت.

قال: و أنشد للزاهد أبى إسحاق بن قشوم، قوله: [الطويل]

يروقك يوم العيد حسن ملابسو نعمة أجسام و لين قدود

أجل لحظات الفكر منك فلا تريسوى خرق تبلى و طعمة دود

و أنشد لأبى عمرو الزاهد: [السريع]

تختبر الدّنير فى ميذقو الدّرهم الزايف إذ يبهم

و المرء إن رمت اختبارا لهميذقه الدّنير و الدّرهم

من عفّ عن هذا و هذا معافهو التّقىّ الورع المسلم

تواليفه: له تقييد حسن فى الفرائض، و جزء فى تفضيل التّين على التّمر، و كلام على نوازل الفقه.

وفاته: و توفى فى الكائنة العظمى بطريف .

محمد بن أحمد بن على بن قاسم المذحجى

من أهل ملتماس ، يكنى أبا عبد اللّه.

حاله: من «العائـد»: كان، رحمه اللّه، من سـراة بلـده و أعيانهم، أسـتاذا متفنّنا مقرئا لكتاب اللّه، كاتبا بليغا، شديـد العنايـة بالكتب، كثير المغالاة فى قيمها و أثمانها، حتى صار له من أعلاقها و ذخائرها ما عجز عن تحصـيله كثير من أهل بلـده. كتب بخطّه، و قيّـد كثيرا من كتب العلم. و كان مقرئا مجوّدا، عارفا بالقراءات، بصـيرا بالعربيـة، ثقة ضابطا، مبرّزا فى العدالة، حريصا على العلم اسـتفادة ثم إفادة، لا يأنف من حمله عن أقرانه، و انتفع به أهل بلده، و الغرباء أكثر.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۷

مشيخته: أخذ عن طائفة من أهل العلم، منهم الشّيخان الرّحلتان؛ أبو عبد اللّه بن الكمّاد، و أبو جعفر بن الزيات، عظيما بلده، و الخطيب ولى اللّه أبو عبد اللّه الطّنجالى، و القاضـى أبو عبد اللّه بن بكر. و روى عن الشـيخ الوزير أبى عبد اللّه بن ربيع، و ابنه الرّاوية أبى عامر، و الخطيب الصالح أبى إسـحاق بن أبى العاصى. و روى عن الشيخ الرّاوية الرّحّال أبى عبد اللّه بن عامر الوادى آشى و غيرهم، و دخل غرناطة.

مولده: ولد ببلّش عام ثمانية و ثمانين و ستمائة.

وفاته: توفى ببلّش عاشر شهر شعبان من عام أربعة و ثلاثين و سبعمائة.

محمد بن أحمد بن محمد بن على الغسّانى

من أهل مالقة، يكنى أبا الحكم، و يعرف بابن حفيد الأمين.

حاله: من «العائـد»: كان هـذا الشـيخ من أهل العلم و الـدّين المتين، و الجرى على سـنن الفقهاء المتقـدّمين، عقـد الشـروط بمالقة مدة طويلة فى العدول المبرّزين، و جلس للتّحليق فى المسـجد الأعظم من مالقة، بعد فقد أخيه أبى القاسم، و خطب بمسـجد مالقة الأعظم. ثم أخّر عن الخطبـة لمشاحنـة وقعت بينه و بين بعض الولاـة، أثمرت فى إحنته. و لم يزل على مـا كـان عليه من الاجتهـاد فى العبادة، و التقييد للعلم، و الاشتغال به، و العناية بأهله، إلى أن توفى على خير عمل.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الخطيب أبى محمد الباهلى، و روى عن جلّة من الشيوخ مثل صهره الخطيب الولى أبى عبد اللّه الطّنجالى ، و شاركه فى أكثر شيوخه، و الأديب الحاج الصالح أبى القاسم القبتورى و غيرهم.

مولده: ولد بمالقة عام ثلاثة و سبعين و ستمائة.

وفاته: توفى بمالقة يوم الأربعاء الثامن عشـر لذى حجة من عام تسعة و أربعين و سبعمائة. و دخل غرناطة غير ما مرّة مع الوفود من أهل بلده و فى أغراضه الخاصة. الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج۳ ؛ ص۴۷

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۸

محمد بن أحمد الرّقوطى المرسى

يكنى أبا بكر.

حاله: كان طرفا فى المعرفـة بالفنون القديمـة؛ المنطق و الهندسـة و العدد و الموسـيقا و الطّب، فيلسوفا، طبيبا ماهرا، آية اللّه فى المعرفة بالأـلسن، يقرئ الأـمم بألسـنتهم فنونهم التى يرغبون فى تعلمهـا، شديـد البـأو، مترفّعا، متعاطيا. عرف طاغيـة الروم حقّه، لما تغلّب على مرسـية، فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين و النصارى و اليهود، و لم يزل معظما عنده. و مما يحكى من ملحه معه، أنه قال له يوما، و

قد أدنى منزلته، و أشاد بفضله: لو تنصّرت و حصّلت الكمال، كان عندى لك كذا و كذا، و كنت كذا، فأجابه بما أقنعه. و لما خرج من عنده، قال لأصحابه: أنا الآن أعبد واحدا، و قد عجزت عما يجب له، فكيف حالى لو كنت أعبد ثلاثة كما أراد منى.

و طلبه سلطان المسلمين، ثانى الملوك من بنى نصر ، و استقدمه، و تلمذ له، و أسكنه فى أعدل البقع من حضرته. و كان الطلبة يغشون منزله المعروف له، و هو بيدى الآن، فتعلّم عليه الطب و التعاليم و غيرها، إذ كان لا يجارى فى ذلك. و كان قوىّ العارضة، مضطلعا بالجدل، و كان السلطان يجمع بينه و بين منتابى حضرته، ممن يقدم منتحلا صناعة أو علما، فيظهر عليهم، لتمكنه و دالّته، حسبما يأتى فى اسم أبى الحسن الأبّيدى، و أبى القاسم بن خلصون، إن شاء اللّه. و كان يركب إلى باب السلطان، عظيم التّؤدة، معار البغلة، رائق البزّة، رفيق المشى، إلى أن توفى بها، سمح اللّه له.

محمد بن إبراهيم بن المفرّج الأوسى

المعروف بابن الدبّاغ الإشبيلى.

حاله: كان واحد عصره فى حفظ مذهب مالك، و فى عقد الوثائق، و معرفة عللها، عارفا بالنحو و اللغة و الأدب و الكتابة و الشعر و التاريخ. و كان كثير البشاشة، عظيم الانقباض، طيّب النفس، جميل المعاشرة، كثير المشاركة، شديد التّواضع، صبورا على المطالعة، سهل الألفاظ فى تعليمه و إقرائه. أقرأ بجامع غرناطة لأكابر علمائها الفقه و أصوله، و أقرأ به الفروع و العقائد للعامة مدة. و أقرأ بجامع باب الفخّارين، و بمسجد ابن عزرة و غيره.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴۹

مشيخته: قرأ على والده الأستاذ أبى إسحاق إبراهيم، و على الأستاذ أبى الحسن الدباج، و على القاضى أبى الوليد محمد بن الحاج التّجيبى القرطبى، و على القاضى أبى عبد اللّه بن عياض.

وفاته: توفى برندة يوم الجمعة أول يوم من شوال عند انصراف الناس من صلاة الجمعة من عام ثمانية و ستين و ستمائة.

محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسى

من أهل مرسية، نزيل غرناطة، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بابن الرّقّام، الشيخ الأستاذ المتفنن.

حاله: كان نسيج وحده، و فريد دهره، علما بالحساب و الهندسة و الطب و الهيئة، و غير ذلك، مديد الباع، أصيل المعرفة، مضطلعا، متبحرا لا يشقّ غبارة، أقرأ التعاليم و الطب و الأصول بغرناطة لما استقدمه السلطان ثانى الملوك من بنى نصر من مدينة بجاية، فانتفع الناس به، و أوضح المشكلات، و سئل من الأقطار النازحة فى الأوهام العارضة، و دوّن فى هذه الفنون كلها، و لخّص، و لم يفتر من تقييد و شرح و تلخيص و تدوين.

تواليفه: و تواليفه كثيرة، منها كتابه الكبير على طريقة كتاب «الشّفا»، و الزّيج القويم الغريب المرصد، المبتّية رسائله على جداول ابن إسحاق، و عدّل مناخ الأهلّة، و عليه كان العمل، و قيّد أبكار الأفكار فى الأصول، و لخّص المباحث، و كتاب الحيوان و الخواص. و مقالاته كثيرة جدا، و دواوينه عديدة.

وفاته: توفى عن سنّ عالية بغرناطة فى الحادى و العشرين لصفر من عام خمسة عشر و سبعمائة.

محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد ابن مأمون الأنصارى

و نسبه أبو محمد القرطبى أمويّا من صريحهم، بلنسى الأصل، يكنى أبا عبد اللّه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۵۰

حاله: كان صدرا فى متقنى القرآن العظيم، و أئمّة تجويده، مبرّزا فى النحو، إماما معتمدا عليه، بارع الأدب، وافر الحظّ من البلاغة، و التّصرّف البديع فى الكتابة، طيّب الإمتاع بما يورده من الفنون، كريم الأخلاق، حسن السّمت، كثير البشر، و قورا، ديّنا، عارفا، ورعا، وافر الحظّ من رواية الحديث.

مشيخته: روى عن أبى إسحاق بن صالح، و أبى بكر بن أبى ركب، و أبى جعفر بن ثعبان، و أبى الحجاج القفّال، و أبى الحسن شريح، و أبى محمد عبد الحق بن عطية، و أبى الحسن بن ثابت، و أبى الحسن بن هذيل، و تلا عليه بالسّبع، و أبو عبد اللّه بن عبد الرحمن المذحجى الغرناطى، و ابن فرح القيسى، و أبى القاسم خلف بن فرتون، و لم يذكر أنهم أجازوا له. و كتب له أبو بكر عبد العزيز بن سدير ، و ابن العزفى ، و ابن قندلة ، فأبو الحسن طارق بن موسى، و ابن موهب، و يونس بن مغيث، و أبو جعفر بن أيوب، و أبو الحكم عبد الرحمن بن غشيان ، و أبو عبد اللّه الجيّانى، المعروف بالبغدادى. و ذكر أبو عبد اللّه بن يربوع أن له راوية عن أبى الحسن بن الطراوة.

من روى عنه: روى عنه أبو بحر صفوان بن إدريس، و أبو بكر بن عتيق الأزدى ، و ابن قترال ، و أبو جعفر الجيّار، و الذّهبى، و ابن عميرة الشهيد، و أبو الحسن بن عزمون ، و ابن عبد الرزاق ، و أبو الحسن عبيد اللّه بن عاصم الدّارى ، و أبو الربيع بن سالم، و أبو زكريا الجعفرى ، و أبو سليمان بن حوط اللّه، و أبو عبد اللّه الأندرشى، و ابن الحسين بن محبر ، و ابن إبراهيم الريسى ، و ابن صلتان، و ابن عبد الحق التلمسينى، و ابن يربوع، و أبو العباس العزفى، و أبو عثمان سعد الحفّار، و أبو على عمر بن جميع ، و أبو عمران بن إسحاق ، و أبو

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۵۱

القاسم الطيب بن هرقال ، و عبد الرحيم بن إبراهيم بن قريش الملّاحى ، و أبو محمد بن دلف بن اليسر، و أبو الوليد بن الحجاج .

تواليفه: له شرح على «إيضاح الفارسى»، و آخر على «جمل الزّجّاجى».

مولده: ببلنسية سنة ثلاث عشرة و خمسمائة.

وفاته: توفى بمرسية إثر صدوره عن غرناطة عشى يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة ست و ثمانين و خمسمائة.

محمد بن حكم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامى

من أهل سرقسطة. سكن غرناطة ثم فاس، يكنى أبا جعفر.

حاله: كان مقرئا مجوّدا، محققا بعلم الكلام و أصول الفقه، محصّلا لهما، متقدّما فى النحو، حافظا للغة، حاضر الذّكر لأقوال تلك العلوم، جيّد النظر، متوقّد الذهن، ذكىّ القلب، فصيح اللسان . ولّى أحكام فاس، و أفتى فيها، و درّس بها العربية: كتاب سيبويه و غير ذلك.

مشيخته: روى عن أبى الأصبغ بن سهل، و أبوى الحسن الحضرمى، و ابن سابق، و أبى جعفر بن جرّاح، و أبى طالب السّرقسطى، الأديبين، و أبوى عبد اللّه بن نصر، و ابن يحيى بن هشام المحدّث، و أبى العباس الدلائى، و أبى عبيد اللّه البكرى، و أبى عمر أحمد بن مروان القيروانى، و أبى محمد بن قورش ، و أبى مروان بن سراج. و أجاز له أبو الوليد الباجى، رحمه اللّه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۵۲

من روى عنه: روى عنه أبو إسحاق بن قرقول، و أبو الحسن صالح بن خلف، و أبو عبد اللّه بن حسن السّبتى، و أبو الحسن الأبّذى، و توفى قبله، و ابن خلف بن الأيسر ، و النّميرى، و أبو العباس بن عبد الرحمن بن الصّقر، و أبو على حسن بن الجزّار ، و أبو الفضل بن هارون الأزدى، و أبوا محمد: عبد الحق بن بونه، و قاسم بن دحمان، و أبو مروان بن الصّقيل الوقّشى .

تواليفه: شرح «إيضاح الفارسى»، و كان قيما على كتابه، و صنّف فى الجدل مصنّفين، كبيرا و صغيرا. و له عقيدة جيدة.

وفاته: توفى بفاس، و قيل بتلمسان ، سنة ثلاث و ثلاثين و خمسمائة.

محمد بن حسن بن محمد بن عبد اللّه بن خلف ابن يوسف بن خلف الأنصارى

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بابن الحاج، و بابن صاحب الصلاة.

حاله: كان مقرئا صدرا فى أئمّة التّجويد، محدّثا متقنا ضابطا، نبيل الخطّ و التقييد، ديّنا، فاضلا. و صنّف فى الحديث، و خطب بجامع بلده. و أمّ فى الفريضة زمانا، و استمرّت حاله كذلك، من نشر العلم و بثّه إلى أن كرّمه اللّه بالشهادة فى وقيعة العقاب .

دخوله غرناطة، راويا عن ابن الفرس، و ابن عروس، و غيرهما.

مشيخته: روى بالأندلس عن الحجاج ابن الشيخ، و أبى الحسن بن كوثر، و أبى خالد يزيد بن رفاعة، و أكثر عنه، و أبوى عبد اللّه بن عروس، و ابن الفخّار، و أبى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۵٣

محمد بن حوط اللّه، و عبد الحق بن بونه، و عبد الصّمد بن يعيش، و عبد المنعم بن الفرس، و أجازوا له. و تلا القرآن على أبى عبد اللّه الإستجّى. و روى الحديث عن أبى جعفر الحصّار. و حجّ فى نحو سنة ثمانين و خمسمائة، و أخذ عن جماعة من أهل المشرق، كأبى الطّاهر الخشوعى و غيره.

وفاته: توفى شهيدا محرضا صابرا يوم الاثنين منتصف صفر عام تسعة و ستمائة.

محمد بن محمد بن أحمد بن على الأنصارى

يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بابن قرال، من أهل مالقة.

حاله: طالب عفيف مجتهد خيّر. قرأ بغرناطة، و قام على فنّ العربية قياما بالغا، و شارك فى غيره، و انتسخ الكثير من الدّواوين بخطّ بالغ أقصى مبالغ الإجادة و الحسن، و انتقل إلى مالقة فأقرأ بها العربية، و اقتدى بصهره الصّالح أبى عبد اللّه القطّان، فكان من أهل الصلاح و الفضل. و توفى فى محرم عام خمسين و سبعمائة.

محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد ابن عبد الملك بن محمد بن سعيد بن عبد الواحد ابن أحمد بن عبد اللّه القضاعى

من أهل إسطبونة ، يكنى أبا بكر، و يعرف بالقللوسى.

حاله: كان، رحمه اللّه، إماما فى العربية و العروض و القوافى، موصوفا بذلك، منسوبا إليه، يحفظ الكثير من كتاب سيبويه، و لا يفارقه بياض يومه، شديد التعصّب له، مع خفّة و طيش يحمله على التوغّل فى ذلك. حدّثنى شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب، رحمه اللّه، قال: وقف أبو بكر القللوسى يوما على القاضى أبى عمرو بن الرّندون، و كان شديد الوقار، مهيبا، و تكلم فى مسألة من العربية، نقلها عن سيبويه، فقال القاضى أبو عمرو: أخطأ سيبويه، فأصاب أبا بكر القللوسى قلق كاد يلبط به الأرض، و لم يقدر على جوابه بما يشفى به صدره لمكان رتبته. قال: فكان يدور بالمسجد، و الدموع تنحدر على وجهه، و هو يقول: أخطأ من خطّأه، يكرّرها، و القاضى أبو عمرو يتغافل عنه، و يزرى عليه. و كان، مع ذلك، مشاركا فى فنون، من

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۵۴

فقه و قراءات و فرائض، من أعلام الحفّاظ للغة، حجّة فى العروض و القوافى، يخطط بالقافية عند ذكره فى الكتب. و له فى ذلك تواليف بديعة. و ولّى الخطابة ببلده مدة، و قعد للتدريس به، و انثال عليه الناس و أخذوا عنه. و نسخ بيده الكثير و قيّد، و كان بقطره علما من أعلام الفضل و الإيثار و المشاركة.

تواليفه: نظم رجزا شهيرا فى الفرائض علما و عملا، و نظم فى العروض و القوافى، و ألّف كتاب «الدّرة المكنونة فى محاسن إسطبونة»، و ألّف تأليفا حسنا فى ترحيل الشمس، و سوسطات الفجر، و معرفة الأوقات، و نظم أرجوزة فى شرح ملاحن ابن دريد، و أرجوزة فى شرح كتاب «الفصيح». و رفع للوزير ابن الحكيم كتابا فى الخواص و صنعة الأمدّة و التطبّع الشاب، غريبا فى معناه.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبى الحسن بن أبى الربيع، و لازمه، و أخذ عنه، و عن أبى القاسم بن الحصّار الضرير السّبتى، و على الأستاذ أبى جعفر بن الزّبير بغرناطة، و غيرهم.

شعره: من شعره قوله من قصيدة يمدح ابن الحكيم: [الطويل]

علاه رياض أورقت بمحامدتنوّر بالجدوى و تثمر بالأمل

تسحّ عليها من نداه غمامةتروى ثرى المعروف بالعلّ و النّيل

و هل هو إلّا الشمس نفسا و رفعةفيغرب بالجدوى و يبعد بالأمل؟

تعمّ أياديه البريّة كلّهافدان وقاص جود كفّيه قد شمل

و هى طويلة. و نقلت من خطّ صاحبنا أبى الحسن النّباهى، قال يمدح أبا عبد اللّه الرّنداحى: [الكامل]

أطلع بأفق الرّاح كأس الرّاحوصل الزّمان مساءه بصباح

خذها على رغم العذول مدامةتنفى الهموم و تأت بالأفراح

و الأرض قد لبست برود أزاهرو تمنطقت من نهرها بوشاح

و الجوّ إذ يبكى بدمع غمامةضحك الربيع له بثغر أقاح

و الرّوض مرقوم بوشى أزاهرو الطّير يفصح أيّما إفصاح

و الغصن من طرب يميل كأنماسقيت بكفّ الرّيح كأس الراح

و الورد منتظم على أغصانهيبدو فتحسبه خدود ملاح

و كأنّ عرف الريح من زهر الرّبىعرف امتداح القائد الرّنداح

وفاته: ببلده عصر يوم الجمعة الثامن عشر لرجب الفرد سنة سبع و سبعمائة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۵۵

محمد بن محمد بن محارب الضّريحى

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بابن أبى الجيش.

حاله و أوليّته: أصل سلفه من حصن يسر من عمل مرسية، من بيت حسب و أصالة، و لخؤولته بالجهة التاكرونيّة ثورة.

و قلت فيه فى «عائد الصلة»: كان من صدور المقرئين، و أعلام المتصدّرين تفنّنا و اضطلاعا و إدراكا و نظرا، إماما فى الفرائض و الحساب، قائما على العربية، مشاركا فى الفقه و الأصول و كثير من العلوم العقلية.

قعد للإقراء بمالقة، و خطب بجامع الرّبض.

مشيخته: قرأ على الأستاذ القاضى المتفنّن أبى عبد اللّه بن بكر، و لازمه. ثم ساء ما بينهما فى مسألة وقعت بمالقة، و هى تجويز الخلف فى وعد اللّه، شنّع فيها على شيخنا المذكور. و نسبه إلى أن قال: وعد اللّه ليس بلازم الصّدق، بل يجوز فيه الخلف، إذ الأشياء فى حقه متساوية. و كتب فى ذلك أسئلة للعلماء بالمغرب، فقاطعه و هجره. و لمّا ولّى القاضى أبو عبد اللّه بن بكر القضاء، خافه، فوجّه عنه إثر ولايته، فلم يشكّ فى الشّرّ، فلما دخل عليه، رحّب به، و أظهر له القبول عليه، و العفو عنه، و استأنف مودّته، فكانت تعدّ فى مآثر القاضى، رحمه اللّه.

و رحل المذكور إلى سبتة، فقرأ بها على الأستاذ أبى إسحاق الغافقى، و من عاصره، ثم عاد إلى مالقة، فالتزم التدريس بها إلى حين وفاته.

دخوله غرناطة: دخل غرناطة مرات، متعلّما، و طالب حاج. و دعى إلى الإقراء بمدرستها النّصرية ، عام تسعة و أربعين و سبعمائة، فقدم على الباب السّلطانى، و اعتذر بما قبل فيه عذره. و كان قد شرع فى تقييد مفيد على كتاب «التسهيل» لابن مالك، فى غاية النبل و الاستيفاء و الحصر و التّوجيه، عاقته المنية عن إتمامه.

وفاته: توفى بمالقة فى كائنة الطاعون الأعظم فى أخريات ربيع الآخر من عام خمسين و سبعمائة، بعد أن تصدّق بمال كثير، و عهد بريع مجد لطلبة العلم، و حبس عليهم كتبه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۵۶

محمد بن محمد بن لب الكنانى

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بابن لب.

حاله: كان ذاكرا للعلوم القديمة، معتنيا بها، عاكفا عليها، متقدّما فى علمها على أهل وقته، لم يكن يشاركه أحد فى معرفتها، من الرياضيّات و الطبيعيّات و الإلهيّات، ذاكرا لمذاهب القدماء، و مآخذهم فى ذلك، حافظا جدا، ذاكرا لمذاهب المتكلّمين من الأشعريّة و غيرهم، إلّا أنه يؤثر ما غلب عليه من مآخذ خصومهم، و كان نفوذه فى فهمه دون نفوذه فى حفظه، فكان معتمده على حفظه فى إيراده و مناظرته، و كان ذاكرا مع ذلك لأصول الفقه و فروعه، عجبا فى ذلك؛ إذا وردت مسألة، أورد ما للناس فيها من المذاهب. و عزم عليه آخر عمره، فقعد بجامع مالقة، يتكلّم على الموطّأ، و ما كان من قبل تهيّأ لذلك، إلّا أنه ستر عليه حفظه، و تعظيم أهل بلده له. قال ابن الزّبير: و كانت فيه لوثة، و اخشيشان، و كان له أربّ فى التّطواف، و خصوصا بأرض النصارى، يتكلم مع الأساقفة فى الدّين، فيظهر عليهم، و كانت أموره غريبة، من امتزاج اليقظة بالغفلة، و خلط السّذاجة بالدّعابة. يحكى عنه أنه كانت له شجرة تين بداره بمالقة، فباع ما عليها من أحد أهل السّوق، فلمّا همّ بجمعها، ذهب ليمهّد للتّين بالورق فى الوعاء، فمنعه من ذلك، و قال له: إنما اشتريت التين، و لم تدخل الورق فى البيع، فتعب ذلك المشترى ما شاء اللّه، و جلب ورقا من غيرها، حتى انقضى الأمر، و عزم على معاملته فى السنة الثانية، فأول ما اشترط الورق، فلمّا فرغ من الغلّة، دعاه فقال له: احمل ورقك، فإنه يؤذينى، فأصابه من المشقة فى جمعه من أطراف الغصون ما لم يكن يحستب، و لم تأت السنة الثالثة، إلّا و الرجل فقيه، اشترط مقدار الكفاية من الورق، فسامحه و رفق به.

دخل غرناطة و غيرها، و أخباره عجيبة. قال أبو جعفر بن الزّبير: عرض لى بمالقة مسائل، يرجع بعضها إلى الطريقة البيانيّة، و المآخذ الأدبية؛ و ضحت ضرورة إلى الأخذ معه فيها، و فى آيات من الكتاب العزيز، فاستدعيته إلى منزلى، و كان فيه تخلّق، و حسن ملاقاة، مع خفّته الطبيعية و تشتّت منازعه، فأجاب، و أخذت معه فى ذلك، فألفيته صائما عن ذلك جملة.

و صمته: قال: و كان القاضى الجليل أبو القاسم بن ربيع و أخوه أبو الحسن ينافرانه على الإطلاق، و يحذران منه، و هو كان الظاهر من حاله. قال: و استدعانى فى مرض اشتدّ به، قبل خروجى من مالقة على انفراد، فتنصّل لى مما كان يذنّ به، و أكثر البكاء، حتى رثيت له.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۵۷

وفاته: توفى بمالقة، و وصّى قبل موته بوصايا من ماله، فى صدقات و أشباهها، و حبس داره و طائفة من كتبه على الجامع الكبير بمالقة.

محمد بن محمد البدوى

الخطيب بالرّبض من بلّش ، يكنى أبا عبد اللّه.

حاله: من «العائد» : كان، رحمه اللّه، حسن التّلاوة لكتاب اللّه، ذا قدم فى الفقه، له معرفة بالأصلين، شاعرا مجيدا، بصيرا، بليغا فى خطبته، حسن الوعظ، سريع الدّمعة. حجّ و لقى جلّة. و أقرأ ببلّش زمانا، و انتفع به، و لقى شدايد أصلها الحسد.

مشيخته: قرأ العلم على الشّيخين المقرئين، الحجّتين، أبى جعفر بن الزّيّات، و أبى عبد اللّه بن الكمّاد، و قرأ العربية و الأصلين على الأستاذ أبى عمرو بن منظور، و لازمه و انتفع به، و قرأ الفقه على الشيخ القاضى أبى عبد اللّه بن عبد السّلام بمدينة تونس.

شعره: من شعره قوله فى غرض النسيب : [السريع]

خال على خدّك أم عنبر؟و لؤلؤ ثغرك أم جوهر؟

أوريت نار الوجد طيّ الحشافصارت النّار به تسعر

لو جدت لى منك برشف اللّمالقلت: خمر عسل سكّر

دعنى فى الحبّ أذب حسرةسفك دم العاشق لا ينكر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۵۸

و قال : [البسيط]

عيناى تفهم من عينيك أسراراو ورد خدّك يذكى فى الحشا نارا

ملكت قلب محبّ فيك مكتئبقد أثّر الدّمع فى خدّيه آثارا

رضاب ثغرك يروى حرّ غلّتهيا ليت نفسى تقضى منه أوطارا

أنعم بطيف خيال منك ألمحهما ذا عليك بطيف منك لو زارا

نفسى فداؤك من ظبى به كلفّ يصبو له القلب مضطرّا و مختارا

و قال : [مجزوء الرمل]

أيها الظّبى ترفّقبكئيب قد هلك

الذنب تتجنّىأم لشىء يوصلك؟

إنّ روحى لك ملك و كذا قلبى لك

إنّما أنت هلالفلك القلب فلك

و من مجموع نظمه و نثره ما خاطبنى به، و قد طلبت من أدبه لبعض ما صدر عنى من المجموعات: «يا سيدى، أبقاك اللّه بهجة للأعيان الفضلاء، و حجّة لأعلام العلاء، و لا زلت تسير فوق النّسر، و تجرى فى الفضائل على كرم النّجر. ذكر لى فلان أنكم أردتم أن يرد على كمالكم، بعض الهذيان الصادر عن معظّم جلالكم، فأكبرت ذلك، و رأيتنى لست هنالك، و عجبت أن ينظم مع الدّرّ السّبج، أو يضارع العمش الدّعج. بيد أنّ لنظم الدّرّ صنّاع ، و الحديث قد يذاع، و لا يضاع، و حين اعتذرت له فلم يعذرنى، و انتظرته فلم ينظرنى، بعد أن استعفيته فأبى، و استنهضت جواد الإجابة فكبى، و سلك غير طريقى، و لم يبلّغنى ريقى، وفّيت الغرض، و قضيت من إجابته الحقّ المفترض، و رددت عن تعذاله النّصيح، و أثبتّ هنا ما معناه صحيح، و لفظه غير فصيح: [السريع]

بريت من حولى و من قوّتىبحول من لا حول إلّا له

و ثقت بالخالق فهو الذىيدبّر العبد و أفعاله

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۵۹

و قلت بالحرم عند الملتزم من المنظوم فى مثل ذلك: [المتقارب]

أمولاى بالباب ذو فاقةو هذا يحطّ خطايا الأمم

فجد لى بعفوك عن زلّتىيجود الكريم بقدر الكرم

و مما أعددته للوفادة على خير من عقدت عليه ألوية السّيادة: [الكامل]

حمدت إليك مع الصباح سراهاو أتتك تطلب من نداك قراها

و سرت إليك مع النّسيم يمينهاشوقا يسابق فى السّرى يسراها

و لو لا العجز لوصلت، و العذر لأطلت، لكن ثنيت عنانى لثنائك، لحسن اعتنائك، و قلت معتذرا من الصّورة لمجدكم، و تاليا سورة حمدكم: [البسيط]

المجد يخبر عن صدق مآثرهو ناظم المجد فى العلياء ناثره

و الجود إنّ جدّ جدّ المرء ينجدهو قلّما ثمّ فى الأيّام ذاكره

من نال ما نلت من مجد و من شرف؟فليس فى الناس من شخص يناظره

يا سيدا طاب فى العلياء محتدهدم ماجدا رسخت فيه أواصره

سريت فى الفضل مستنّا على سنن الفضل مآربه حقا و سامره

و رثته عن كبير أوحد علمكذاك يحمله أيضا أكابره

مبارك الوجه وضّاح الجبين لهنور ينير أغرّ النّور باهره

موفّق بكفيل من عنايتهمرفّع العذر سامى الذّكر طاهره

رعيت فى الفضل حقّ الفضل مجتهدامفهوم مجدك هذا الحكم ظاهره

علوت كالشمس إشراقا و منزلةفأنت كالغيث يحيى الأرض ماطره

ينمّ بالفضل منك الفضل مشتهراكما ينمّ بزهر الرّوض عاطره

دم و ابق للمجد كهفا و العلا وزرا فإنما المجد شخص أنت ناظره

مؤمّلا منك خيرا أنت صانعهو صانع الخير عند اللّه شاكره

و ما وليت و ما أوليت من حسنللنّاس و العالم العلوى ذاكره

بقيت تكسب من والاك مكرمةو ناصرا أبدا من قلّ ناصره

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۶۰ عذرا لك الفضل عمّا جئت من خطإأن يخط مثلى يوما أنت عاذره

ثم السلام على علياك من رجل تهدى الذى أبدا تخفى ضمائره

دخوله غرناطة: دخلها غير ما مرّة، و لقيته بها لتقضّى بعض أغراض بباب السلطان، مما يليق بمثله.

مولده: ... .

وفاته: توفى ببلّش فى أخريات عام خمسين و سبعمائة.

محمد بن عبد اللّه بن ميمون بن إدريس بن محمد ابن عبد اللّه العبدرى

قرطبى، استوطن مدينة مرّاكش، يكنى أبا بكر.

حاله: كان عالما بالقراءات، ذاكرا للتفسير، حافظا للفقه و اللغات و الأدب، شاعرا محسنا، كاتبا بليغا، مبرّزا فى النحو، جميل العشرة، حسن الخلق، متواضعا، فكه المحاضرة، مليح المداعبة. و صنّف فى غير ما فنّ من العلم، و كلامه كثير مدوّن، نظما و نثرا.

مشيخته: روى عن أبى بكر بن العربى، و أبى الحسن شريح، و عبد الرحمن بن بقى، و ابن الباذش، و يونس بن مغيث، و أبى عبد اللّه

بن الحاج، و أبى محمد بن عتّاب، و أبى الوليد بن رشد، و لازمه عشرين سنة. قرأ عليهم و سمع، و أجازوا له، و سمع أبا بحر الأسدى، و أبوى بكر عيّاش بن عبد الملك، و ابن أبى ركب، و أبا جعفر بن شانجة ، و أبا الحسن عبد الجليل، و أبا عبد اللّه بن خلف الأيسرى، و ابن المناصف، و ابن أخت غانم، و لم يذكر أنهم أجازوا له، و روى أيضا عن أبوى عبد اللّه مكّى، و ابن المعمر، و أبى الوليد بن طريف.

من روى عنه: روى عنه أبو البقاء يعيش بن القديم، و أبو الحسن بن مؤمن، و أبو زكريا المرجيعى، و أبو يحيى أبو بكر الضرير و اختصّ به.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۶۱

تواليفه: من مصنّفاته «مشاحذ الأفكار فى مآخذ النظار» و شرحاه الكبير و الصغير على «جمل الزجّاجى»، و شرح أبيات الإيضاح العضدى، و «مقامات الحريرى»، و شرح معشّراته الغزليّة، و مكفّراته الزهديّة، إلى غير ذلك، و هما مما أبان عن وفور علمه، و غزارة مادّته، و اتّساع معارفه، و حسن تصرفه.

دخل غرناطة راويا عن الحسن بن الباذش و مثله.

محنته: كان يحضر مجلس عبد المؤمن مع أكابر من يحضره من العلماء، فيشفّ على أكثرهم بما كان لديه من التحقيق بالمعارف، إلى أن أنشد أبا محمد عبد المؤمن أبياتا كان نظمها فى أبى القاسم عبد المنعم بن محمد بن تست، و هى:

[المتقارب]

أبا قاسم و الهوى جنّة و ها أنا من مسّها لم أفق

تقحّمت جامح نار الضلوع كما خضت بحر دموع الحدق

أكنت الخليل، أكنت الكليم؟أمنت الحريق، أمنت الغرق

فهجره عبد المؤمن، و منعه من الحضور بمجلسه، و صرف بنيه عن القراءة عليه، و سرى ذلك فى أكثر من كان يقرأ عليه، و يتردّد إليه، على أنه كان فى الطبقة العليا من الطّهارة و العفاف.

شعره: قال فى أبى القاسم المذكور: و كان أزرق، و قد دخل عليه و معه أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الشاطبى، و أبو عثمان سعيد بن قوسرة، فقال ابن قوسرة:

[الكامل]

عابوه بالزّرق الذى يجفونهو الماء أزرق و العيون كذلكا

فقال أبو عبد اللّه الشّاطبى: [الكامل]

الماء يهدى للنفوس حياتهاو الرّمح يشرع للمنون مسالكا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۶۲

فقال أبو بكر بن ميمون المترجم به: [الكامل]

و كذاك فى أجفانه سبب الرّدىلكن أرى طيب الحياة هنالكا

و مما استفاض من شعره قوله فى زمن الصّبا، عفا اللّه عنه: [الكامل]

لا تكترث بفراق أوطان الصبافعسى تنال بغيرهنّ سعودا

و الدّرّ ينظم عند فقد بحارهبجميل أجياد الحسان عقودا

و من مشهور شعره: [الطويل]

توسّلت يا ربى بأنى مؤمنو ما قلت أنى سامع و مطيع

أ يصلى بحرّ النار عاص موحّدو أنت كريم و الرسول شفيع؟

و قال فى مرضه: [مخلع البسيط]

أ يرتجى العيش من عليه‌دلائل للرّدى جليّهٔ؟

أوّلها مخبر بثان‌ذاك أمان و ذا متيّه؟

وفاته: توفى بمراكش يوم الثلاثاء اثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة سبع و ستين و خمسمائة، و دفن بمقبرة تاغزوت داخل مراكش، و قد قارب السبعين سنة.

محمد بن عبد اللّه بن عبد العظيم بن أرقم النّميرى

من أهل وادى آش، يكنى أبا عامر.

حاله: كان أحد شيوخ بلده و طلبته ، مشاركا فى فنون، من فقه و أدب و عربية، و هى أغلب الفنون عليه، مطّرح السّمت، مخشوشن الزّى، قليل المبالاة بنفسه، مختصرا فى كافة شؤونه، مليح الدّعابة، شديد الحمل، كثير التواضع، و بيته معمور بالعلماء أولى الأصالة و التعيّن. تصدّر ببلده للفتيا و التدريس و الإسماع.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۶۳

مشيخته: قرأ على الأستاذ القاضى أبى خالد بن أرقم، و الأستاذ أبى العبّاس بن عبد النّور. و روى عن أبيه مديح رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و عن الوزير العالم أبى عبد اللّه بن ربيع، و القاضى أبى جعفر بن مسعدة، و الأستاذ أبى جعفر بن الزبير، و ولى اللّه الحسن بن فضيلة.

و رحل إلى العدوة، فأخذ بسبته عن الأستاذ أبى بكر بن عبيدة ، و الإمام الزاهد أبى عبد اللّه بن حريث، و أبى عبد اللّه بن الخضار، و أبى القاسم بن الشّاط، و غيرهم.

شعره: و هو من الجزء المسمى ب «شعر من لا شعر له» و الحمد للّه. فمن ذلك قوله يمدح أبا زكريا العزفى بسبتة، و يذكر ظفره بالأسطول من قصيدة أولها :

[الكامل]

أمّا الوصال فإنّه كالعيدعذر المتيّم واضح فى الغيد

وفاته: توفى ببلده عام أربعين و سبعمائة. و دخل غرناطة راويا و متعلما، و غير ذلك.

محمد بن عبد اللّه بن يحيى بن عبد اللّه بن فرج ابن الجدّ الفهرى

الحافظ الجليل، يكنى أبا بكر، جليل إشبيلية، و زعيم وقته فى الحفظ. لبلى الأصل، إشبيلى، استدعاه السّيد أبو سعيد والى غرناطة، فأقام بها عنده فى جملة من الفضلاء مثله سنين. ذكر ذلك صاحب كتاب «ثورة المريدين» .

حاله: كان فى حفظ الفقه بحرا يغرف من محيط. يقال: إنه ما طالع شيئا من الكتب فنسيه، إلى الجلالة و الأصالة، و بعد الصّيت، و اشتهار المحلّ. و كان مع هذا يتكلّم عند الملوك، و يخطب بين يديها، و يأتى بعجاب، و فى كتاب «الإعلام» شىء من خبره، قال ابن الزبير.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۶۴

مشيخته: روى عن أبى الحسن بن الأخضر، أخذ عنه كتاب سيبويه و غير ذلك، و عن أبى محمد بن عتّاب، و سمع عليه بعض الموطّإ، و عن أبى بحر الأسدى، و أبى الوليد بن طريف، و أبى القاسم بن منظور القاضى، و سمع عليه صحيح البخارى كله، و شريح بن

محمد، و أبى الوليد بن رشد، و ناوله كتاب «البيان و التحصيل». و كتاب «المقدّمات». لقى هؤلاء كلهم، و أجازوا له عامة. و أخذ أيضا عن مالك بن وهيب.

من حدّث عنه: أبو الحسن بن زرقون، و أبو محمد القرطبى الحافظ، و ابنا حوط اللّه، و غيرهم. و عليه من ختمت به المائة السادسة كأبى محمد بن جمهور، و أبى العبّاس بن خليل، و إخوته الثلاثة أبى محمد عبد اللّه، و أبى زيد عبد الرحمن، و أبى محمد عبد الحق.

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: حدّثنى عنه ابن خليل و أبو القاسم الجيّانى، و أبو الحسن بن السّرّاج.

مولده: بلبلة فى ربيع الأول سنة ست و تسعين و أربعمائة.

وفاته: و توفى بإشبيلية فى شوال سنة ست و ثمانين و خمسمائة. ذكره ابن الملجوم، و أبو الربيع بن سالم، و ابن فرتون.

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن على بن محمد ابن أحمد بن الفخّار الجذامى

يكنى أبا بكر، أركشى المولد و المنشإ، مالقى الاستيطان، شريشى التدرّب و القراءة.

حاله: من «عائد الصّلة»: كان، رحمه اللّه، خيّرا صالحا، شديد الانقباض، مغرقا فى باب الورع، سليم الباطن، كثير العكوف على العلم و الملازمة، قليل الرياء و التصنّع. خرج من بلده أركش عند استيلاء العدو على قصبتها، و كان يصفها، و ينشد فيها من شعر أستاذه الأديب أبى الحسن الكرمانى: [المجتث]

أكرم بأركش داراتاهت على البدر قدرا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۶۵ يخاطب المجد عنهاللقلب تدنى شكرا

و استوطن مدينة شريش، و قرأ بها، و روى بها عن علمائها، و أقرأ بها، و لمّا استولى العدوّ عليها لحق بالجزيرة الخضراء، فدرّس بها، ثم عبر البحر إلى سبتة، فقرأ بها و روّى. ثم كرّ إلى الأندلس، فقصد غرناطة، و أخذ عن أهلها. ثم استوطن مالقة، و تصدّر للإقراء بها؛ مفيد التعليم، متفنّنه، من فقه و عربية و قراءات و أدب و حديث، عظيم الصبر، مستغرق الوقت. يدرس من لدن صلاة الصبح إلى الزّوال. ثم يسند ظهره إلى طاق المسجد بعد ذلك، فيقرىء، و تأتيه النساء من خلفه للفتيا، فيفتيهنّ على حال سؤالاتهنّ إلى نصف ما بين العصر و العشاء الأولى. ثم يأتى المسجد الأعظم بعد الغروب، فيقعد للفتيا إلى العشاء الآخرة، من غير أن يقبل من أحد شيئا. و من أخذ منه بعد تحكيم الورع، أثابه بمثله، ما رئى فى وقته أورع منه. و كان يتّخذ روميّة مملوكة، لا يشتمل منزله على سواها، فإذا أنس منها الضّجر للحصر و تمادى الحجاب، أعتقها، و أصحبها إلى أرضها.

و نشأت بينه و بين فقهاء بلده خصومة فى أمور عدّوها عليه، مما ارتكبها اجتهاده فى مناط الفتوى، و عقد لهم أمير المسلمين بالأندلس مجلسا أجلى عن ظهوره فيه، و بقاء رسمه، فكانت محنة، و خلّصه اللّه منها. و بلغ من تعظيم الناس إيّاه، و انحياشهم إليه، مبلغا لم ينله مثله، و انتفع بتعليمه، و استفيد منه الأدب على نسكه و سذاجته.

مشيخته: قرأ ببلده شريش على المكتّب الحاج أبى محمد عبد اللّه بن أبى بكر بن داود القيسى، و على الأستاذ أبى بكر محمد بن محمد بن الرّياح، و على الأستاذ أبى الحسن على بن إبراهيم بن حكيم السّكونى الكرمانى؛ أخذ عنه العربية و الأدب، و على الحافظ أبى الحسن على بن عيسى، المعروف بابن متيوان، و على الأصولى الكاتب أبى الحسن هلال بن أبى سنان الأزدى المرّاكشى، و على الخطيب أبى العرب إسماعيل بن إبراهيم الأنصارى، و على الفقيه أبى عبد اللّه الجنيدى، المعروف بالغرّاق، و على الفقيه العددى أبى عبد اللّه محمد بن على بن يوسف، المعروف بابن الكاتب المكناسى. و قرأ بالجزيرة الخضراء على الخطيب الصالح أبى محمد الرّكبى، و روى عنه، و قرأ بها على الخطيب أبى عبيد اللّه بن خميس، و على الأصولى أبى أميّة. و قرأ بسبتة على الأستاذ الفرضى إمام النحاة أبى الحسن بن أبى الربيع، و على أبى يعقوب المحبسانى، و على المحدّث أبى عمرو عثمان بن عبد اللّه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۶۶

العبدرى، و على الفقيه المالكى الحافظ أبى الحسن المتيوى، و الأصولى أبى الحسن البصرى، و الفقيه المعمّر الراوية أبى عبد اللّه محمد الأزدى، و المحدّث الحافظ أبى محمد بن الكمّاد، و على الأستاذ العروضى الكفيف أبى الحسن بن الخضّار التلمسانى. و لقى بغرناطة قاضى الجماعة أبا القاسم بن أبى عامر بن ربيع، و الأستاذ أبا جعفر الطبّاع، و أبا الوليد إسماعيل بن عيسى بن أبى الوليد الأزدى، و الأستاذ أبا الحسن بن الصّائغ. و لقى بمالقة الخطيب الصالح أبا محمد عبد العظيم ابن الشيخ، و الرّاوية أبا عبد اللّه محمد بن على بن الحسن الجذامى السّهيلى. و سمع على الرّاوية أبى عمرو بن حوط اللّه، و على الأستاذ أبى عبد اللّه بن عباس القرطبى.

تواليفه: كان، رحمه اللّه، مغرّى بالتأليف، فألّف نحو الثلاثين تأليفا فى فنون مختلفة، منها كتاب «تحبير نظم الجمان، فى تفسير أم القرآن»، و «انتفاع الطّلبة النّبهاء، فى اجتماع السّبعة القرّاء». و «الأحاديث الأربعون، بما ينتفع به القارئون و السّامعون»، و كتاب «منظوم الدّرر، فى شرح كتاب المختصر»، و «كتاب نصح المقالة، فى شرح الرسالة»، و كتاب «الجواب المختصر المروم، فى تحريم سكنى المسلمين ببلاد الرّوم»، و كتاب «استواء النّهج، فى تحريم اللعب بالشطرنج»، و كتاب «الفيصل المنتضى المهزوز، فى الرّد على من أنكر صيام يوم النّيروز»، و كتاب «جواب البيان، على مصارمة أهل الزمان»، و كتاب «تفضيل صلاة الصبح للجماعة فى آخر الوقت المختار، على صلاة الصبح للمنفرد فى أول وقتها بالابتدار»، و كتاب «إرشاد السّالك، فى بيان إسناد زياد عن مالك»، و كتاب «الجوابات المجتمعة، عن السّؤالات المنوّعة»، و كتاب «إملاء فوائد الدول، فى ابتداء مقاصد الجمل»، و كتاب «أجوبة الإقناع و الإحساب، فى مشكلات مسائل الكتاب»، و كتاب «منهج الضّوابط المقسّمة، فى شرح قوانين المقدّمة»، و كتاب «التوجيه الأوضح الأسمى، فى حذف التنوين من حديث أسما»، و كتاب «التكملة و التّبرئة، فى إعراب البسملة و التّصلية»، و كتاب «سحّ مزنة الانتخاب، فى شرح خطبة الكتاب». و منها اللّائح المعتمد عليه، فى الردّ على من رفع الخبر بلا إلى سيبويه، و غير ذلك من مجيد و مقصر.

شعره: و شعره كثير، غريب النّزعة، دالّ على السّذاجة، و عدم الاسترابة و الشعور، و الغفلة المعربة عن السّلامة، من ارتكاب الحوشى، و اقتحام الضّرار، و استعمال الألفاظ المشتركة التى تتشبّث بها أطراف الملاحين و المعاريض، و لع كثير من أهل زمانه بالرّدّ عليه، و التّملّح بما يصدر عنه، منهم القاضى أبو عبد اللّه بن عبد الملك.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۶۷

و من منتخب شعره قوله: [الكامل]

انظر إلى ورد الرّياض كأنّه‌ديباج خدّ فى بنان زبرجد

قد فتّحته نضارة فبدا لهفى القلب رونق صفرة كالعسجد

حكت الجوانب خدّ حبّ ناعمو القلب يحكى خدّ صبّ مكمد

حدّث الفقيه العدل أبو جعفر أحمد بن مفضل المالقى، قال: قال لى يوما الشيخ الأستاذ أبو بكر بن الفخّار: خرجت ذات يوم و أنا شاب من حلقة الأستاذ بشريش، أعادها اللّه للإسلام، فى جملة من الطلبة، و كان يقابل باب المسجد حانوت سرّاج، و إذا فتى و سيم فى الحانوت يرقم جلدا كان فى يده، فقالوا لى: لا تجاوز هذا الباب، حتى تصنع لنا شعرا فى هذا الفتى. فقلت: [الوافر]

و ربّ معذّر للحبّ داعيروق بهاء منظره البهيج

و شى فى وجنتيه الحسن و شياكوشى يديه فى أدم السروج

مولده: بحصن أركش بلده، و كان لا يخبر به، فى ما بين الثلاثين و الأربعين و ستمائة.

وفاته: توفى بمالقة فى عام ثلاثة و عشرين و سبعمائة، و كانت جنازته بمالقة مشهورة.

محمد بن على بن عمر بن يحيى بن العربى الغستانى

من أهل الحمّة من عمل المريّة، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بابن العربى، و ينتمى فى بنى أسود من أعيانها.

حاله: من «العائـد»: كان، رحمه اللّه، من أهل العلم و الـدين و الفضل، طلق الوجه، حسن السّير، كثير الحياء، كأنّك إذا كلّمته تخاطب البكر العـذراء، لا تلقاه إلّا مبتسـما، فى حسن سـمت، و فضل هوى، و جميل وقار، كثير الخشوع، و خصوصا عنـد الدخول فى الصّلاة، تلوح عليه بذلك، عند تلاوته سيما الحضور، و حلاوة الإقبال. و كان له تحقّق بضبط القراءات، و القيام عليها، و عناية بعلم العربية، مع مشاركة فى غير ذلك من الفنون السّنية، و العلوم الدينية. انتصب للإقراء و التدريس

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۶۸

بالحمّة المذكورة، فقرّب النّجعة على أهل الحصون و القرى الشّرقية، فصار مجتمعا لأرباب الطّلب من أهل تلك الجهات و مرتفقاتهم. و كـان رجلا صالحـا، مبـارك النيّـة، حسن التّعليم، نفع اللّه به من هنالك، و تخرّج على يـديه جمع وافر من الطّلبـة، عمرت بهم سائر الحصون. و كان له منزل رحب للقاصـدين، و منتـدى عـذب للواردين. تجول فى آخرة بالأنـدلس و العدوة ، و أخذ عمن لقى بها من العلماء، و أقام مدّة بسبتة مكبّا على قراءة القرآن و العربية. و بعد عوده من تجواله لزم التصدّر للإقراء بحيث ذكر، و قد كانت الحواضر فقيرة لمثله، غير أنه آثر الوطن، و اختار الاقتصاد.

مشـيخته: أخـذ بألمريّـة عـن شـيخها أبى الحسـن بـن أبى العيش، و بغرناطـة عن الأسـتاذ أبى جعفر بن الزّبير، و العـدل أبى الحسن بن مسـتقور. و ببلّش عن الأسـتاذ أبى عبد اللّه بن الكمّاد، و الخطيب أبى جعفر بن الزيات. و بمالقة عن الأستاذ أبى عبد اللّه بن الفخّار، و الشّيخ أبى عبد اللّه محمد بن يحيى بن ربيع الأشعرى.

و بـالجزيرة عن خطيبها أبى العبّاس بن خميس. و بسـبتة عن الأسـتاذ أبى إسـحاق الغافقى، و الخطيب أبى عبـد اللّه بن رشـيد، و الإمام الصالـح أبى عبـد اللّه محمد بن محمد بن حريث، و القاضـى أبى عبد اللّه القرطبى، و الزّاهد أبى عبد اللّه بن معلّى، و الشـيخ الخطيب أبى عبـد اللّه الغمارى. و بمكناسـة من القاضـى و ارياش. و بفاس من الحاج الخطيب أبى الربيع سـليمان بن مفتاح اللجّائى، و الأسـتاذ أبى الحسن بن سـليمان، و الأسـتاذ أبى عبد اللّه بن أجروم الصّنهاجى، و الحاج أبى القاسم بن رجا بن محمد بن على و غيرهم، و كل من ذكر أجاز له عامة، إلّا قاضى مكناسة أبى عبد اللّه محمد بن على الكلبى الشهير بوارياش.

مولده: فى أول عام اثنين و ثمانين و ستمائة.

وفاته: توفى بالحمّة ليلة الاثنين الثامن عشر لشهر محرّم عام ثمانية و أربعين و سبعمائة.

محمد بن على بن محمد العبدرى

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف باليتيم.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۶۹

حاله: كان، رحمه اللّه، أحـد الظرفاء من أهل بلـده، مليح الشـكل، حسن الشّـيبة، لوذعيا فى وقار، رشـيق النظم و النثر، غزلا مع الصّون، كثير الدّعابـة من غير إفحاش، غزير الأدب، حسن الصّوت، رائق الخطّ، بـديع الوراقـة، معسول الألفاظ، ممتع المجالسـة، طيّب العشـرة، أدّب الصّبيان مدة، و عقد الشروط أخرى، و كان يقرأ كتب الحديث و التفسير و الرّقائق للعامة بالمسجد الأعظم، بأعذب نغمة، و أمثل طريقة، مذ أزيد من ثلاثين سـنة، لم يخل منها وقتا إلّا ليلتين، إحداهما بسـبب امتساكنا به فى نزهة برياض بعض الطلبة، لم يخلف مثله بعده. و خطب بقصـبة مالقة، و مال أخيرا إلى نظر الطّب، فكان الناس يميلون إليه، و ينتفعون به لسياغ مشاركته، و عموم انقياده، و برّه، و عمله على التّودّد و التّجمّل.

و جرى ذكره فى «التّاج المحلّى» بما نصّه : مجموع أدوات حسان، من خطّ و نغمة و لسان، أوراقه روض تتضوّع نسـماته، و بشره صبح تتألّق قسـماته، و لا تخفى سـماته. يقرطس أغراض الدّعابـة و يصـميها، و يفوّق سـهام الفكاهـة إلى مراميها، فكلّما صدرت فى عصـره قصـيدة هازلة، أو أبيات منحطّة عن الإجادة نازلة، خمّس أبياتها و ذيّلها، و صرف معانيها و سهّلها ، و تركها سمر النّدمان، و أضحوكة

الزمان . و هو الآن خطيب المسجد الأعلى من مالقة ، متحلّ بوقار و سكينة، حالّ من أهلها بمكانة مكينة، لسهولة جانبه، و اتّضاح مقاصده فى الخير و مذاهبه. و اشتغل لأوّل أمره بالتّعليم و التّكتيب، و بلغ الغاية فى الوقار و التّرتيب، و الشّباب لم ينصل خضابه، و لا سلّت للمشيب عضابه، و نفسه بالمحاسن كلفة صبّة ، و شأنه كله هوى و محبّة، و لذلك ما خاطبه به بعض أودّائه ، و كلاهما رمى أهله بدائه، حسبما يأتى خلال هذا القول و فى أثنائه، بحول اللّه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۷۰

شعره: كتبت إليه أسأل منه ما أثبت فى كتاب «التّاج» من شعره، فكتب إلىّ : [البسيط]

أمّا الغرام فلم أخلل بمذهبهفلم حرمت فؤادى نيل مطلبه؟

يا معرضا عن فؤاد لم يزل كلفابحبّه ذا حذار من تجنّبه

قطعت عنه الذى عوّدته فغداو حظّه من رضاه برق خلّبه

أيام وصلك مبذول، و برّك بى‌مجدّد، قد صفا لى عذب مشربه

و سمع ودّك عن إفكك العواذل فى‌شغل و بدر الدّجى ناس لمغربه

لا أنت تمنعنى نيل الرّضا كرماو لا فؤادى بوان فى تطلّبه

للّه عرفك ما أذكى تنسّمهلو كنت تمنحنى استنشاق طيّبه

أنت الحبيب الذى لم أتّخذ بدلامنه و حاش لقلبى من تقلّبه

يا ابن الخطيب الذى قد فقت كلّ سنأأزال عن ناظرى إظلام غيهبه

محمد الحسن فى خلق و فى خلقأكملت باسمك معنى الحسن فازه به

نأيت أو غبت ما لى عن هواك غنى‌لا ينقص البدر حسنا فى تغيّبه

سيّان حال التّدانى و البعاد، و هل‌لمبصر البدر نيل فى ترقّبه؟

يا من أحسن ظنّى فى رضاه و ماينفكّ يبدى قبيحا من تغضّبه

إن كان ذنبى الهوى فالقلب منّى لايصغى لسمع ملام من مؤنّبه

فأجبته بهذه الرسالة، و هى ظريفة فى معناها :

«يا سيدى الذى إذا رفعت راية ثنائه تلقّيتها باليدين ، و إذا قسّمت سهام وداده

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۷۱

على ذوى اعتقاده كنت صاحب الفريضة و الدّين، دام بقاؤك لطرفة تبديها، و غريبة تردفها بأخرى تليها، و عقيلة بيان تجلّيها، و نفس أخذ الحزن بكظمها، و كلف الدّهر بشتّ نظمها، تؤنسها و تسلّيها، لم أزل أعزّك اللّه، أشدّ على بدائعها يد الضّنين ، و أقتنى درر كلامك، و نفثات أقلامك، اقتناء الدّرّ الثمين، و الأيام بلقياك تعد، و لا تسعد، و فى هذه الأيام انثالت علىّ سماوك بعد قحط، و توالت علىّ آلاوك على شحط ، و زارتنى من عقائل بيانك كلّ فاتنة الطّرف، عاطرة العرف، رافلة فى حلل البيان و الظّرف، لو ضربت بيوتها بالحجاز، لأقرّت لنا العرب العاربة بالإعجاز، ما شئت من رصف المبنى، و مطاوعة اللّفظ لغرض المعنى، و طيب الأسلوب، و التّشبّث بالقلوب، غير أن سيّدى أفرط فى التّنزّل، و خلط المخاطبة بالتّغزّل، و راجع الالتفات، و رام استدراك ما فات.

يرحم اللّه شاعر المعرّة، فلقد أجاد فى قوله، و أنكر مناجاة الشّوق بعد انصرام حوله، فقال : [البسيط]

أبعد حول تناجى الشّوق ناجيةهلّا و نحن على عشر من العشر

و قد تجاوزت فى الأمد ، و أنسيت أخبار صاحبك عبد الصّمد، فأقسم بألفات القدود، و همزات الجفون السّود، و حاملى الأرواح مع الألواح، بالغدوّ و الرّواح، لو لا بعد مزارك، ما أمنت غائلة ما تحت إزارك. ثمّ إنّى حقّقت الغرض، و بحثت عن المشكل الذى

عرض، فقلت: للخواطر انتقال، و لكلّ مقام مقال، و تختلف الحوائج باختلاف الأوقات، ثم رفع اللّبس خبر الثّقات.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۷۲

و منها : و تعرّفت ما كان من مراجعة سيدى لحرفة التّكتيب و التّعليم، و الحنين إلى العهد القديم، فسررت باستقامة حاله، و فضل ماله، و إن لاـ حظ الملاحظ ، ما قال الجاحظ ، فاعتراض لا يردّ، و قياس لا يضطرد ، حبّذا و اللّه عيش أهل التّأديب، فلا بالضّنك و لا بالجديب ، معاهدة الإحسان، و مشاهدة الصّور الحسان، يمينا إنّ المعلّمين، لسادة المسلمين، و إنّى لأنظر منهم كلما خطرت على المكاتب، أمراء فوق المراتب، من كل مسيطر الدّرّة، متقطّب الأسرّة، متنمّر للوارد تنمّر الهرّة، يغدو إلى مكتبه، كالأمير فى موكبه، حتى إذا استقلّ فى فرشه، و استولى على عرشه، و ترنّم بتلاوة قالونه و ورشه، أظهر للخلق احتقارا، و أزرى بالجبال وقارا، و رفعت إليه الخصوم، و وقف بين يديه الظّالم و المظلوم، فتقول: كسرى فى إيوانه، و الرّشيد فى زمانه ، و الحجّاج بين أعوانه. و إذا استولى على البدر السّرار، و تبيّن للشهر الغرار ، تحرّك إلى الخرج ، تحرّك العود إلى الفرج، أستغفر اللّه مما يشقّ على سيدى سماعه، و تشمئزّ من ذكره طباعه، شيم اللّسان، خلط الإساءة بالإحسان، و الغفلة من صفات الإنسان. فأىّ عيش هذا العيش، و كيف حال أمير هذا الجيش؟ طاعة معروفة، و وجوه إليه مصروفة، فإن أشار بالإنصات، تتحقق الغصّات ، فكأنّما طمس الأفواه ، و لأم بين الشّفاه، و إن أمر بالإفصاح، و تلاوة الألواح، علا الضّجيج و العجيج، و حفّ به كما حفّ بالبيت الحجيج. و كم بين ذلك من رشوة تدسّ، و غمزة لا تحسّ، و وعد يستنجز، و حاجة تستعجل و تحفز. هنّأ اللّه سيدى ما خوّله، و أنساه بطيب آخره أوّله. و قد بعثت

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۷۳

بدعابتى هذه مع إجلال قدره، و الثّقة بسعة صدره، فليتلقّها بيمينه، و يفسح لها فى المرتبة بينه و بين خدينه ، و يفرغ لمراجعتها وقتا من أوقاته عملا بمقتضى دينه، و فضل يقينه، و السّلام.

و من شعره ما كتب به إلىّ : [الكامل]

آيات حسنك حجّة للقال فى الحبّ قائمة على العذّال

يا من سبى طوعا عقول ذوى النّهى ببلاغة قد أيّدت بجمال

يستعبد الأبصار و الأسماع مايجلو و يتلو من سنىّ مقال

و عليك أهواء النفوس بأسرها وقفت فغيرك لا يمرّ ببال

رفعت لديك فى البلاغة رايةلمّا احتللت بها وحيد كمال

و غدت تباهى منك بالبدر الذى تعنو البدور لنوره المتلالى

ما ذا ترى يا ابن الخطيب لخاطب ودّا ينافس فيك كلّ مغال ؟

جذبته نحو هواك غرّ محاسن مشفوعة أفرادها بمعال

و شمائل رقّت لرقّة طبعها فزلالها يزرى بكل زلال

و حلىّ آداب بمثل نفيسها تزهو الحلى و يجلّ قدر الحالى

تستخدم الياقوت عند نظامها فمقصّر من قاسها بلآل

سبق الأخير الأوّلين بفضلها فغدا المقدّم تابعا للتّالى

شغفى ببكر من عقائلها إذا تبدو تصان من الحجى بحجال

فابعث بها بنت المنى ممهورة طيب الثّناء لنقدها و الكالى

لا زلت شمسا فى الفضائل يهتدى بسناك فى الأفعال و الأقوال

ثم السّلام عليك يترى ما تلت بكر الزّمان روادف الآصال

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۷۴

و من الدّعابة، و قد وقعت إليها الإشارة من قبل، ما كتب به إليه صديقه الملاطف أبو على بن عبد السّلام : [الوافر]

أبا عبد اللّه نداء خلّو فىّ جاء يمنحك النّصيحه

إلى كم تألف الشّبان غيّاو خذلانا، أما تخشى الفضيحة؟

فأجابه رحمه اللّه: [الوافر]

فديتك، صاحب السّمة المليحهو من طابت أرومته الصّريحه

و من قلبى وضعت له محلّافما عنه يحلّ بأن أزيحه

نأيت فدمع عينى فى انسكابو أكباد لفرقتكم قريحه

و طرفى لا يتاح له رقادو هل نوم لأجفان جريحه؟

و زاد تشوّقى أبيات شعرأتت منكم بألفاظ فصيحه

و لم تقصد بها جدّا، و لكنقصدت بها مداعبة قبيحه

فقلت: أتألف الشبّان غيّاو خذلانا، أما تخشى الفضيحه؟

و فيهم حرفتى و قوام عيشىو أحوالى بخلطتهم نجيحه

و أمرى فيهم أمر مطاعو أوجههم مصابيح صبيحه

و تعلم أنّنى رجل حصور و تعرف ذاك معرفة صحيحه

قال فى «التّاج»: و لمّا اشتهر المشيب بعارضه و لمّته، و خفر الدهر لعمود صباه و أذمّته، أقلع و استرجع، و تألّم لما فرط و توجّع، و هو الآن من جلّة الخطباء طاهر العرض و الثّوب، خالص من الشّوب، باد عليه قبول قابل التوب.

وفاته رحمه اللّه: فى آخر صفر من عام خمسين و سبعمائة فى وقيعة الطاعون العام، و دخل غرناطة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۷۵

و من الغرباء فى هذا الباب

محمد بن أحمد بن محمد ابن محمد بن أبى بكر بن مرزوق العجيسى

من أهل تلمسان، يكنى أبا عبد اللّه، و يلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين.

حاله: هذا الرجل من طرف دهره ظرفا و خصوصيّة و لطافة، مليح التوسّل، حسن اللقاء، مبذول البشر، كثير التّودّد، نظيف البزّة، لطيف التّأنّى ، خيّر البيت، طلق الوجه، خلوب اللسان، طيّب الحديث، مقدر الألفاظ، عارف بالأبواب، درب على صحبة الملوك و الأشراف، متقاض لإيثار السلاطين و الأمراء، يسحرهم بخلابة لفظه، و يفتلهم فى الذّروة و الغارب بتنزّله، و يهتدى إلى أغراضهم الكمينة بحذقه، و يصنع غاشيتهم بتلطّفه، ممزوج الدّعابة بالوقار، و الفكاهة بالنّسك، و الحشمة بالبسط، عظيم المشاركة لأهل ودّه، و التّعصّب لإخوانه، إلف مألوف، كثير الأتباع و العلق ، مسخّر الرّقاع فى سبيل الوساطة، مجدى الجاه، غاصّ المنزل بالطّلبة، منقاد الدّعوة، بارع الخطّ أنيقه، عذب التّلاوة، متّسع الرّواية، مشارك فى فنون من أصول و فروع و تفسير، يكتب و يشعر و يقيّد و يؤلّف، فلا يعدو السّداد فى ذلك، فارس منبر، غير جزوع و لا هيابة . رحل إلى المشرق فى كنف حشمة من جناب والده، رحمه اللّه، فحجّ و جاور، و لقى الجلّة، ثم فارقه، و قد عرف بالمشرق حقّه، و صرف وجهه إلى المغرب، فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن أميره اشتمالا خلطه بنفسه، و جعله مفضى سرّه، و إمام جمعته، و خطيب منبره، و أمين رسالته، فقدم فى غرضها على الأندلس فى أواخر عام ثمانية و أربعين و

سبعمائة، فاجتذبه سلطانها، رحمه اللّه، و أجراه على تلك الوتيرة، فقلّده الخطبة بمسجده فى السادس لصفر عام ثلاثة و خمسين و سبعمائة، و أقعده للإقراء بالمدرسة من حضرته. و فى أخريات عام أربعة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۷۶

و خمسين بعده أطرف عنه جفن برّه، فى أسلوب طماح، و دالّة، و سبيل هوى و قحة، فاغتنم العبرة ، و انتهز الفرصة، و أنفذ فى الرّحيل العزمة، و انصرف عزيز الرّحلة، مغبوط المنقلب، فى أوائل شعبان عام أربعة و خمسين و سبعمائة ، فاستقرّ بباب ملك المغرب، أمير المؤمنين أبى عنان فارس فى محلّ تجلّة، و بساط قرب، مشترك الجاه، مجدى التوسّط، ناجع الشّفاعة، و اللّه يتولّاه و يزيده من فضله.

مشيخته: من كتابه المسمى «عجالة المستوفز المستجاز فى ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز، من أئمة المغرب و الشّام و الحجاز»: فممن لقيه بالمدينة المشرّفة على ساكنها الصلاة و السلام، الإمام العلّامة عزّ الدين محمد أبو الحسن بن على بن إسماعيل الواسطى، صاحب خطّتى الإمامة و الخطابة بالمسجد النبوى الكريم، و أفرد جزءا فى مناقبه. و منهم الشيخ الإمام جمال الدين أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى الخزرجى السّعدى العبادى، تحمّل عن عفيف الدين أبى محمد عبد السلام بن مزروع و أبى اليمن و غيره. و الشيخ الإمام خادم الوقت بالمسجد الكريم، و نائب الإمامة و الخطابة به، و منشد الأمداح النبوية هنالك و بمكة، شرّفها اللّه، الشيخ المعمّر الثّقة شرف الدين أبو عبد اللّه عيسى بن عبد اللّه الحجى المكىّ. و الشيخ الصالح شرف الدين خضر بن عبد الرحمن العجمى.

و الشيخ مقرئ الحرم برهان الدين إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم الآبلى المصرى.

و الشيخ الإمام الصالح أبو محمد عبد اللّه بن أسعد الشافعى الحجّة، انتهت إليه الرّياسة العلمية و الخطط الشّرعية بالحرم. و الشيخ قاضى القضاة و خطيب الخطباء عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكنانى، قاضى القضاة بمصر .

و بمصر الشيخ علاء الدين القونوى. و التّقى السعدى، و قاضى القضاة القزوينى، و الشرف أقضى القضاة الإخميمى، و كثيرون غيرهم.

و سمع من عدد عديد آخر من أعلام القضاة و الحفّاظ و العلماء بتونس، و بجاية، و الزّاب، و تلمسان.

محنته: اقتضى الخوض الواقع بين يدى تأميل الأمير أبى الحسن، رحمه اللّه، و توقّع عودة الأمر إليه، و قد ألقاه اليمّ بالسّاحل بمدينة الجزائر، أن قبض

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۷۷

عليه بتلمسان أمراؤها المتوثّبون عليها فى هذه الفترة من بنى زيّان، إرضاء لقبيلهم المتّهم بمداخلته، و قد رحل عنهم دسيسا من أميرهم عثمان بن يحيى بن عبد الرحمن بن يغمراسن، فصرف مأخوذا عليه طريقه، منتهبا رحله، منتهكة حرمته، و أسكن قرارة مطبق عميق القعر، مقفل المسلك، حريز القفل، ثانى اثنين. و لأيام قتل ثانيه ذبحا بمقربة من شفى تلك الرّكيّة، و انقطع لشدّة الثّقاف أثره، و أيقن الناس بفوات الأمر فيه. و لزمان من محنته ظهرت عليه بركة سلفه فى خبر ينظر بطرفه إلى الكرامة، فنجا و لا تسل كيف، و خلّصه اللّه خلاصا جميلا، و قدم على الأندلس، و اللّه ينفعه بمحنته .

شعره، و ما وقع من المكاتبة بينى و بينه: ركب مع السلطان خارج الحمراء، أيام ضربت اللّوز قبابها البيض، و زيّنت الفحص العريض، و الرّوض الأريض ، فارتجل فى ذلك: [الكامل]

انظر إلى النّوار فى أغصانهيحكى النجوم إذا تبدّت فى الحلك

حيّا أمير المسلمين و قال: قدعميت بصيرة من بغيرك مثّلك

يا يوسفا حزت الجمال بأسرهفمحاسن الأيام تومى هيت لك

أنت الذى صعدت به أوصافهفيقال فيه: ذا مليك أو ملك

و لما قدمت على مدينة فاس فى غرض الرسالة، خاطبنى بمنزل الشاطبى على مرحلة منها بما نصه : [الكامل]

یا قادما وافی بکلّ نجاح‌أبشر بما تلقاه من أفراح

هذی ذری ملک الملوک فلذ بهاتنل المنی و تفز بکلّ سماح

مغنی الإمام أبی عنان یمّمن‌تظفر ببحر فی العلی طفّاح

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۷۸ من قاس جود أبی عنان ذی الندی‌بسواه قاس البحر بالضّحضاح

ملک یفیض علی العفاة نواله‌قبل السّؤال و قبل بسطة راح

فلجود کعب و ابن سعدی فی الندی‌ذکر محاه من نداه ماح

ما أن رأیت و لا سمعت بمثله من أریحیّ للندی مرتاح

بسط الأمان علی الأنام فأصبحواقد ألحفوا منه بظلّ جناح

و همی علی العافین سیب نواله‌حتی حکی سحّ الغمام الساحی

فنواله و جلاله و فعاله‌فاقت و أعیت ألسن المدّاح

و به الدّنا أضحت تروق و أصبحت‌کلّ المنی تنقاد بعد جماح

من کان ذا ترح فرؤیة وجهه‌متلافة الأحزان و الأتراح

فانهض أبا عبد الإله تفز بماتبغیه من أمل و نیل نجاح

لا زلت ترتشف الأمانی راحة‌من راحة المولی بکلّ صباح

و الحمد للّه یا سیدی و أخی علی نعمه التی لا تحصی، حمدا یؤمّ به جمیعنا المقصد الأسنی، فیبلغ الأمد الأقصی، فطالما کان معظّم سیدی للأسی فی خبال، و للأسف بین اشتغال بال، و اشتغال بلبال . و لقدومکم علی هذا المقام العلی فی ارتقاب، و لمواعدکم بذلک فی تحقّق وقوعه من غیر شکّ و لا ارتیاب، فها أنت تجتلی، من هذا المقام العلی، لتشیّعک وجوه المسرّات صباحا، و تتلقّی أحادیث مکارمه و مواهبه مسندة صحاحا، بحول اللّه. و لسیدی الفضل فی قبول مرکوبه الواصل إلیه بسرجه و لجامه، فهو من بعض ما لدی المحب من إحسان مولای و إنعامه. و لعمری لقد کان وافدا علی سیدی فی مستقرّه مع غیره. فالحمد للّه الذی یسّر فی إیصاله، علی أفضل أحواله.

فراجعته بقولی : [الکامل]

راحت تذکّرنی کؤوس الرّاح‌و القرب یخفض للجنوح جناحی الإحاطة فی أخبار غرناطة ؛ ج۳ ؛ ص۷۸

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۷۹ و سرت تدلّ علی القبول کأنمادلّ النسیم علی انبلاج صباح

حسناء قد غنیت بحسن صفاتهاعن دملج و قلادة و وشاح

أمست تحضّ علی اللّیاذ بمن جرت‌بسعوده الأقلام فی الأفراح

بخلیفة اللّه المؤیّد فارس‌شمس المعالی الأزهر الوضّاح

ما شئت من همم و من شیم غدت‌کالزّهر أو کالزّهر فی الأدواح

فضل الملوک فلیس یدرک شأوه‌أنّی یقاس الغمر بالضّحضاح؟

أسنی بنی عبّاسهم بلوائه المنصور أو بحسامه السّفّاح

و غدت مغانی الملک لمّا حلّهاتزهی ببدر هدی و بحر سماح

و حیاة من أهداک تحفة قادمفی العرف منها راحة الأرواح

ما زلت أجعل ذکره و ثناءروحی و ریحانی الأریج و راحی

و لقد تمازج حبّه بجوارحی‌کتمازج الأجسام بالأرواح

و لو أننى أبصرت يوما فى يدىأمرى لطرت إليه دون جناح

فالآن ساعدنى الزّمان و أيقنتمن قربه نفسى بفوز قداحى

إيه أبا عبد الإله و إنهلنداء ودّ فى علاك صراح

أما إذا استنجدتنى من بعد ماركدت لما خبت الخطوب رياحى

فإليكها مهزولة و أنا امرؤقرّرت عجزى و اطّرحت سلاحى

سيدى ، أبقاك اللّه لعهد تحفظه، و ولىّ بعين الولاء تلحظه، وصلتنى رقعتك التى ابتدعت ، و بالحق من مدح المولى الخليفة صدعت، و ألفتنى و قد سطت بى الأوحال ، حتى كادت تتلف الرّحال، و الحاجة إلى الغذاء قد شمّرت كشح البطين، و ثانية العجماوين قد توقع فوات وقتها و إن كانت صلاتها صلاة الطّين، و الفكر قد غاض معينه، و ضعف و على اللّه جزاء المولى الذى يعينه، فغزتنى بكتيبة بيان أسدها هصور، و علمها منصور، و ألفاظها ليس فيها قصور، و معانيها عليها الحسن مقصور، و اعتراف مثلى بالعجز فى المضايق حول و منّة، و قول «لا أدرى» للعالم فكيف لغيره

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۸۰

جنّة، لكنها بشّرتنى بما يقلّ لمهديه بذل النفوس و إن جلّت، و أطلعتنى من السرّاء على وجه تحسده الشمس إذا تجلّت، بما أعلمت به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيّده اللّه، فى عبده، و صدق المخيلة فى كرم مجده. و هذا هو الجود المحض، و الفضل الذى شكره هو الفرض. و تلك الخلافة المولويّة تتّصف بصفة من يبدأ بالنّوال، من قبل الضّراعة و السؤال، من غير اعتبار للأسباب و لا مجازاة للأعمال. نسأل اللّه أن يبقى منها على الإسلام أوفى الظّلال، و يبلغها من فضله أقصى الآمال. و وصل ما بعثه سيدى صحبتها من الهديّة، و التحفة الوديّة، و قبلتها امتثالا، و استجليت منها عتقا و جمالا. و سيدى فى الوقت أنسب إلى اتخاذ ذلك الجنس، و أقدر على الاستكثار من إناث البهم و الإنس. و أنا ضعيف القدرة، غير مستطيع لذلك إلّا فى النّدرة، فلو رأى سيدى، و رأيه سداد، و قصده فضل و وداد، أن ينقل القضيّة إلى باب العارية من باب الهبة، مع وجوب الحقوق المترتّبة، لبسط خاطرى و جمعه، و عمل فى رفع المؤنة على شاكلة حالى معه، و قد استصحبت مركوبا يشقّ علىّ هجره، و يناسب مقامى شكله و نجره ، و سيدى فى الإسعاف على اللّه أجره، و هذا أمر عرض، و فرض فرض، و على نظره المعوّل، و اعتماد إغضائه هو المعقول الأول. و السلام على سيدى من معظّم قدره، و ملتزم برّه، ابن الخطيب، فى ليلة الأحد السابع و العشرين لذى قعدة سنة خمس و خمسين و سبعمائة، و السّماء قد جادت بمطر سهرت منه الأجفان، و ظنّ أنه طوفان، و اللّحاف فى غد بالباب المولوى، مؤمل بحول اللّه.

و من الشعر المنسوب إلى محاسنه، ما أنشد عنه، و بين يديه، فى ليلة الميلاد المعظم، من عام ثلاثة و ستين و سبعمائة بمدينة فاس المحروسة : [مجزوء الرجز]

أيا نسيم السّحربالله بلّغ خبرى

إن أنت يوما بالحمىجررت فضل المئزر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۸۱ ثم حثثت الخطو منفوق الكثيب الأعفر

مستقريا فى عشبهخفىّ وطء المطر

تروى عن الضّحاك فى الروض حديث الزّهر

مخلّق الأذيال بالعبير أو بالعنبر

وصف لجيران الحمىوجدى بهم و سهرى

و حقّهم ما غيّرتودّى صروف الغير

للّه عهد فيه قضّيت حميد الأثر

أيّامه هى التىأحسبها من عمرى

و بالليل فيه ماعيب بغير القصر

العمر فينان و وجه الدهر طلق الغرر

و الشّمل بالأحباب منظوم كنظم الدّرر

صفو من العيش بلاشائبة من كدر

ما بين أهل تقطف الأنس جنىّ الثمر

و بين آمال تبيح القرب صافى الغدر

يا شجرات الحىّ حىّاك الحيا من شجر

إذا أجال الشوق فىتلك المغانى فكرى

خرّجت من خدّى حديث الدمع فوق الطّرر

و قلت يا خدّ أرو منىدمعى صحاح الجوهرى

عهدى بحادى الرّكب كالورقاء عند السّحر

و العيس تجتاب الفلاو اليعملات تنبرى

تخبط بالأخفاف مظلوم البرى و هو برى

قد عطفت عن ميدو التفتت عن حور

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٨٢ قسىّ سير ما سوى العزم لها من وتر

حتى إذا الأعلام حللت لحفىّ البشر

و استبشر النازح بالقرب و نيل الوطر

و عيّن الميقات للسّفر نجاح السّفر

و الناس بين محرمبالحجّ أو معتمر

لبّيك لبيك إله الخلق بارى الصّور

و لاحت الكعبة بيت اللّه ذات الأثر

مقام إبراهيم والمأمن عند الذّعر

و اغتنم القوم طواف القادم المبتدر

و أعقبوا ركعتى السّعى استلام الحجر

و عرّفوا فى عرفات كلّ عرف أذفر

ثم أفاض الناس سعيا فى غد للمشعر

فوقفوا و كبّرواقبل الصباح المسفر

و فى منّى نالوا المنىو أيقنوا بالظّفر

و بعد رمى الجمرات كان خلق الشّعر

أكرم بذاك الصّحب والله و ذاك النّفر

يا فوزه من موقفيا ربحه من متجر

حتى إذا كان الوداع و طواف الصّدر

فأیّ صبر لم یخن أو جلد لم یغدر

و أیّ وجد لم یصل و سلوة لم تهجر

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۸۳ ما أفجع البین لقلب الواله المستغفر

ثم ثنوا نحو رسول اللّه سیر الضّمّر

فعاینوا فی طیبة لألاء نور نیّر

زاروا رسول اللّه و استشفعوا بلثم الجدر

نالوا به ما أمّلوا و عرّجوا فی الأثر

علی الضّجیعین أبی بکر الرّضا و عمر

زیارة الهادی الشّفیع جنّة فی المحشر

فأحسن اللّه عزاء قاصد لم یزر

ربع تری مستنزل الآی به و السّور

و ملتقی جبریل بالهادی الزّکیّ العنصر

و روضة الجنّة بین روضة و منبر

منتخب اللّه و مختار الوری من مضر

و المنتقی و الکون من ملابس الخلق عری

إذ لم یکن فی أفق من زحل أو مشتری

ذو المعجزات الغرّ أمثال النجوم الزّهر

یشهد بالصّدق له منها انشقاق القمر

و الضّبّ و الظّبی إلی نطق الحصی و الشّجر

من أطعم الألف بصاع فی صحیح الخبر

و الجیش روّاه بماء الرّاحة المنهمر

یا نکتة الکون التی فاتت منال الفکر

یا حجّة اللّه علی الرائح و المبتکر

یا أکرم الرّسل علی الله و خیر البشر

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۸۴ یا من له التّقدم الحقّ علی التّأخر

یا من لدی مولده المقدّس المطهّر

إیوان کسری ارتجّ إذ ضاقت قصور قیصر

و موقد النار طفا کأنها لم تسعر

یا عمدتی یا ملجئی یا مفزعی یا وزری

یا من له اللّواء و الحوض و ورد الکوثر

یا منقذ الغرقی و همرهن العذاب الأکبر

إن لم تحقّق أملی بؤت بسعی المخسر

صلّی علیک اللّه یانور الدّجا المعتکر

يا ويح نفسى كم أرىمن غفلتى فى غمر

وا حسرتا من قلّة الزّاد و بعد السّفر

يحجّنى و اللّه بالبرهان وعظ المنبر

يا حسنها من خطبلو حرّكت من نظرى

يا حسنها من شجرلو أورقت من ثمر

أومّل الأوبة و الأمر بكفّ القدر

أ سوف العزم بها من شهر لشهر

من صفر لرجبمن رجب لصفر

ضيّعت فى الكبرة ماأعددته فى صغرى

و ليس ما مرّ من الأيام بالمنتظر

و قلّ ما أن حمدتسلامة فى غرر

ولى غريم لا ينىعن طلب المنكسر

يا نفس جدّى قد بدا الصبح ألا فاعتبرى

و اتّعظى بمن مضىو ارتدعى و ازدجرى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۸۵ ما بعد شيب الفود منمرتقب فشمّرى

أنت و إن طال المدىفى قلعة أو سفر

و ليس من عذر يقيم حجّة المعتذر

يا ليت شعرى و المنىتسرق طيب العمر

هل أرتجى من عودةأو رجعة أو صدر

فأبرّد الغلّة منذاك الزّلال الخصر ؟

مقتديا بمن مضىمن سلف و معشر

نالوا جوار اللّه و هو الفخر للمفتخر

أرجو بإبراهيم مولانا بلوغ الوطر

فوعده لا يمتريفى الصّدق منه الممترى

فهو الإمام المرتضىو الخيّر ابن الخيّر

أكرم من نال المنى بالمرهفات البتر

ممهّد الملك و سيف الحقّ و الليث الجرى

خليفة اللّه الذىفاق بحسن السّير

و كان منه الخبر فى العلياء وفق الخبر

فصدّق التّصديق منمرآه للتّصور

و مستعين اللّه فىورد له و صدر

فاق الملوك الصّيدا بالمجد الرّفيع الخطر

فأصبحت ألقابهممنسيّة لم تذكر

و حاز منهم أوحدوصف العديد الأكثر

برأيه المأمون أوعسكره المظفّر

بسيفه السّفاح أوبعزمه المقتدر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۸۶ بالعلم المنصور أوبالذّابل المستنصر

بابن الإمام الطاهر البرّ الزّكى السّير

مدحك قد علّم نظم الشّعر من لم يشعر

جهد المقلّ اليوم منمثلى كوسع المكثر

فإن يقصّر ظاهرىفلم يقصّر مضمرى

و وردت على باب السلطان الكبير العالم أبى عنان، فبلوت من مشاركته، و حميد سعيه ما يليق بمثله. و لمّا نكبه لم أقصّر عن ممكن حيلة فى أمره.

و لما هلك السلطان أبو عنان، رحمه اللّه، و صار الأمر لأخيه المتلاحق من الأندلس أبى سالم بعد الولد المسمّى بالسّعيد، كان ممن دمث له الطّاعة، و أناخ راحلة الملك، و حلب ضرع الدّعوة ، و خطب عروس الموهبة، فأنشب ظفره فى متات معقود من لدن الأب، مشدود من لدن القربة ، فاستحكم عن قرب، و استغلظ عن كثب، فاستولى على أمره، و خلطه بنفسه، و لم يستأثر عنه ببثّه، و لا انفرد بما سوى بضع أهله، بحيث لا يقطع فى شىء إلّا عن رأيه، و لا يمحو و يثبت إلّا واقفا عند حدّه، فغشيت بابه الوفود، و صرفت إليه الوجوه، و وقفت عليه الآمال، و خدمته الأشراف و جلبت إلى سدّته بضائع العقول و الأموال، و هادته الملوك، فلا تحدو الحداة إلّا إليه، و لا تحطّ الرّحال إلّا لديه. إن حضر أجرى الرسم، و أنفذ الأمر و النّهى، لحظا أو سرارا أو مكاتبة، و إن غاب، تردّدت الرّقاع، و اختلفت الرّسل. ثم انفرد أخيرا ببيت الخلوة، و منتبذ المناجاة، من دونه مصطفّ الوزراء، و غايات الحجّاب، فإذا انصرف تبعته الدّنيا، و سارت بين يديه الوزراء، و وقفت ببابه الأمراء، قد وسع الكلّ لحظه، و شملهم بحسب الرّتب و الأموال رعيه، و وسم أفذاذهم تسويده، و عقدت ببنان عليتهم بنانه. لكن رضى الناس غاية لا تدرك، و الحقد بين بنى آدم قديم، و قبيل الملك مباين لمثله، فطويت الجوانح منه على سل،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۸۷

و حنيت الضّلوع على بثّ، و أغمضت الجفون على قذى، إلى أن كان من نكبته ما هو معروف، جعلها اللّه له طهورا.

و لمّا جرت الحادثة على السلطان بالأندلس، و كان لحاق جميعنا بالمغرب، جنيت ثمرة ما أسلفته فى ودّه، فوفّى كيل الوفا، و أشرك فى الجاه، و أدرّ الرّزق، و رفع المجلس بعد التّسبيب فى الخلاص و السّعى فى الجبر، جبره اللّه تعالى، و كان له أحوج ما يكون إلى ذلك، يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ (۸۸) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (۸۹) .

و لما انقضى أمر سلطانه، رحمه اللّه، و قذف به بحر التّمحيص إلى شطّه، و أضحى جوّ النّكبة بعد انطباقه، آثر التّشريق بأهله و جملته، و استقرّ بتونس خطيب الخلافة، مقيما على رسمه من التّجلّة، ذائع الفضل هنالك و المشاركة، و هو بحاله الموصوفة إلى الآن، كان اللّه له.

و كنت أحسست منه فى بعض الكتب الواردة صاغية إلى الدّنيا، و حنينا لما فارق من غرورها، فحملنى الطّور الذى ارتكبته فى هذا الأيام، بتوفيق اللّه، على أن خاطبته بهذه الرسالة، و حقّها أن يجعلها خدمة الملوك ممّن ينسب إلى نبل، أو يلمّ بمعرفة، مصحفا يدرسه، و شعارا يلتزمه، و هى :

سيدى الذى يده البيضاء لم تذهب بشهرتها المكافاة ، و لم تختلف فى مدحها الأفعال و لا تغايرت فى حمدها الصّفات، و لا تزال تعترف بها العظام الرّفات، أطلقك اللّه من أسر الكون كما أطلقك من أسر بعضه، و رشّدك فى سمائه العالية و أرضه، و حقّر الحظّ

فى عين بصيرتك بما يحملك على رفضه. اتّصل بى الخبر السّار من تركك لشانك، و إجناء اللّه إيّاك ثمرة إحسانك، و انجياب ظلام

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۸۸

الشّدة الحالك، عن أفق حالك، فكبرت لانتشاق عفو اللّه العطر ، و استعبرت لتضاؤل الشّدة بين يدى الفرج لا بسوى ذلك من رضى مخلوق يؤمر فيأتمر، و يدعوه القضاء فيبتدر ، إنما هو فىء ، و ظلّ ليس له من الأمر شىء، و نسأله جلّ و تعالى أن يجعلها آخر عهدك بالدّنيا و بنيها، و أوّل معارج نفسك التى تقرّبها من الحقّ و تدنيها، و كأنّنى و اللّه أحسّ بثقل هذه الدعوة على سمعك، و مضادّتها و لا حول و لا قوة إلّا باللّه لطبعك، و أنا أنافرك إلى العقل الذى هو قسطاس اللّه فى عالم الإنسان، و الآلة لبثّ العدل و الإحسان، و الملك الذى يبين عنه ترجمان اللّسان، فأقول: ليت شعرى ما الذى غبط سيدى بالدّنيا، و إن بلغ من زبرجها الرّتبة العليا، و أفرض المثال لحالة إقبالها، و وصل حبالها، و ضراعة سبالها، و خشوع جبالها.

التوقّع المكروه صباح مسا ، و ارتقاب الحوالة التى تديل من النّعيم البأساء ، و لزوم المنافسة التى تعادى الأشراف و الرؤسا ؟ أ لترتّب العتب، حتى على التّقصير فى الكتب، و ضعينة جار الجنب، و ولوع الصّديق بإحصاء الذّنب؟ أ لنسبة وقائع الدولة إليك و أنت برى، و تطويقك الموبقات و أنت منها عرى؟ أ لاستهدافك للمضّار التى تنتجها غيرة الفروج، و الأحقاد التى تضطبنها ركبة السّروج و سرحة المروج، و نجوم السّما ذات البروج؟ أ لتقليدك التّقصير فيما ضاقت عنه طاقتك، و صحّت إليه فاقتك، من حاجة لا يقتضى قضاءها الوجود، و لا يكيفها الرّكوع للملك و السّجود؟ أ لقطع الزّمان بين سلطان يعبد، و سهام للغيوب تكبّد، و عجاجة شرّ تلبّد، و أقبوحة تخلّد و توبّد؟ ألوزير يصانع و يدارى، و ذى حجّة صحيحة يجادل فى مرضاة السّلطان و يمارى، و عورة لا توارى؟ أ لمباكرة كلّ عائب حاسد، و عدوّ مستأسد، و سوق للإنصاف و الشّفقة كاسد، و حال فاسد؟ أ للوفود تتزاحم بسدّتك،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۸۹

مكلّفة لك غير ما فى طوقك، فإن لم تنل أغراضها قلبت عليك السّماء من فوقك؟ أ لجلساء ببابك، لا يقطعون زمن رجوعك و إيابك، إلّا بقبيح اغتيابك؟

فالتّصرّفات تمقت، و القواطع النّجوميّات توقّت، و الألاقىّ تبثّ، و السعايات تحثّ، و المساجد يشتكى فيها البثّ، يعتقدون أن السلطان فى يدك بمنزلة الحمار المدبور، و اليتيم المحجور، و الأسير المأمور، ليس له شهوة و لا غضب، و لا أمل فى الملك و لا أرب، و لا موجدة لأحد كامنة، و للشّر ضامنة، و ليس فى نفسه عن رأى نفرة، و لا بإزاء ما لا يقبله نزوة و طفرة، إنما هو جارحة لصيدك، و عان فى قيدك، و آلة لتصرّف كيدك، و أنّك علّة حيفه، و مسلّط سيفه: الشّرار يسملون عيون الناس باسمك، ثم يمزّقون بالغيبة مزق جسمك، قد تنخّلهم الوجود أخبث ما فيه، و اختارهم السّفيه فالسّفيه، إذ الخير يسرّه اللّه عن الدّول و يخفيه، و يقنعه بالقليل فيكفيه، فهم يمتاحون بك و يولونك الملامة، و يقتحمون عليك أبواب القول و يسدّون طرق السّلامة، و ليس لك فى أثناء هذه إلّا ما يعوزك مع ارتفاعه، و لا يفوتك مع انقشاعه، و ذهاب صداعه، من غذاء يشبع، و ثوب يقنع، و فراش ينيم، و خديم يقعد و يقيم. و ما الفائدة فى فرش تحتها جمر الغضا، و مال من ورائه سوء القضا، و جاه يحلّق عليه سيف منتضى؟ و إذا بلغت النّفس إلى الالتذاذ بما لا تملك، و اللّجاج حول المسقط الذى تعلم أنها فيه تهلك ، فكيف تنسب إلى نبل، أو تسير مع السعادة فى سبل؟ و إن وجدت فى القعود بمجلس التّحية، بعض الأريحيّة، فليت شعرى أىّ شىء زادها، أو معنى أفادها، إلّا مباكرة وجه الحاسد، و ذى القلب الفاسد، و مواجهة العدوّ المستأسد؟ أو شعرت ببعض الإيناس، فى الركوب بين الناس. هل التذّت إلّا بحلم كاذب، أو جذبها غير الغرور مجاذب ؟ إنما الحلية و افتك من يحدّق إلى البزّة، و يستطيل مدّة العزّة، و يرتاب إذا حدّث

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۹۰

بخبرك، و يتبع بالنّقد و التّجسّس مواقع نظرك، و يمنعك من مسايرة أنيسك ، و يحتال على فراغ كيسك، و يضمر الشّرّ لك و

لرئيسك . و أىّ راحة لمن لا يباشر قصده، و يسير متى شاء وحده؟ و لو صحّ فى هذه الحال للّه حظّ، و هبه زهيدا، أو عيّن للرّشد عملا حميدا، لساغ الصّاب ، و خفّت الأوصاب ، و سهل المصاب. لكن الوقت أشغل، و الفكر أوغل، و الزّمن قد غمرته الحصص الوهميّة، و استنفدت منه الكميّة، أما ليله ففكر أو نوم، و عتب يجرّ الضّراس و لوم، و أمّا يومه فتدبير، و قبيل و دبير، و أمور يعيا بها ثبير ، و بلاء مبير، و لغط لا يدخل فيه حكيم كبير، و أنا بمثل ذلك خبير. و و اللّه يا سيّدى، و من فلق الحبّ و أخرج الأبّ ، و ذرأ من مشى و من دبّ، و سمّى نفسه الربّ، لو تعلّق المال الذى يجده هذا الكدح ، و يورى سقيطه هذا القدح، بأذيال الكواكب، و زاحمت البدر بدره بالمناكب، لما ورثه عقب، و لا خلص به محتقب ، و لا فاز به سافر و لا منتقب. و الشّاهد الدّول و المشائيم الأول: فأين الرّباع المقتناة؟ و أين الدّيار المبتناة ؟ و أين الحدائق المغترسات، و أين الذّخائر المختلسات؟ و أين الودائع المؤمّلة، و أين الأمانات المحمّلة؟ تأذّن اللّه بتتبيرها، و إدناء نار التّبار من دنانيرها، فقلّما تلقى أعقابهم إلّا أعراء الظّهور ، مترمّقين بجرايات الشّهور، متعلّلين بالهباء المنثور، يطردون من الأبواب التى حجب عندها آباؤهم، و عرف

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٩١

منها إباؤهم، و شمّ من مقاصيرها عنبرهم و كباؤهم، لم تسامحهم الأيام إلّا فى إرث محرّر، أو حلال مقرّر، و ربما محقه الحرام، و تعذّر منه المرام. هذه، أعزّك اللّه، حال قبولها و مالها مع التّرفيه، و على فرض أن يستوفى العمر فى العزّ مستوفيه. و أما ضدّه من عدوّ يتحكّم و ينتقم، و حوت بغى يبتلع و يلتقم، و طبق يحجب الهواء، و يطيل فى التّراب الثّواء، و ثعبان قيد يعضّ السّاق، و شؤبوب عذاب يمزّق الأبشار الرّقاق، و غيلة يهديها الواقب الغاسق، و يجرعها العدوّ الفاسق، [فصرف السوق، و سلعته المعتادة الطروق ،] مع الأفول و الشروق. فهل فى شىء من هذا مغتبط لنفس حرّة، أو ما يساوى جرعة حال مرّة؟ وا حسرتاه للأحلام ضلّت، و للأقدام زلّت، و يا لها مصيبة جلّت! و لسيدى أن يقول: حكمت علىّ باستثقال الموعظة و استجفائها، و مراودة الدّنيا بين خلّانها و أكفائها، و تناسى عدم وفائها، فأقول: الطّبيب بالعلل أدرى، و الشّفيق بسوء الظّنّ مغرى، و كيف لا- و أنا أقف على السّجاءات بخطّ يد سيدى من مطارح الاعتقال، و مثاقف النّوب الثّقال، و خلوات الاستعداد للقاء الخطوب الشّداد، و نوش الأسنّة الحداد، و حيث يجمل بمثله إلّا يصرف فى غير الخضوع للّه بنانا، و لا يثنى لمخلوق عنانا.

و أتعرف أنها قد ملأت الجوّ و الدوّ ، و قصدت الجماد و البوّ ، تقتحم أكفّ أولى الشّمات، و حفظة المذمّات، و أعوان النّوب الملمّات، زيادة فى الشّقاء، و قصدا بريّا من الاختيار و الانتقاء، مشتملة من التّجاوز على أغرب من العنقاء، و من النّقاق على أشهر من البلقاء. فهذا يوصف بالإمامة، [و هذا ينسب فى الجود إلى كعب بن مامة]، و هذا يجعل من أهل الكرامة، و هذا يكلّف الدّعاء و ليس من أهله، و هذا يطلب منه لقاء الصّالحين و ليسوا من شكله، إلى ما أحفظنى و اللّه من البحث عن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٩٢

السّموم، و كتب النجوم، و المذموم من المعلوم، هلّا كان من ينظر فى ذلك قد قوطع بتاتا، و أعتقد أنّ اللّه قد جعل لزمن الخير و الشّرّ ميقاتا، و أنّا لا نملك موتا و لا نشورا و لا حياتا، و أنّ اللّوح قد حصر الأشياء محوا و إثباتا، فكيف نرجو لما منع منالا أو نستطيع مما قدر إفلاتا؟ أفيدونا ما يرجّح العقيدة المقررة نتحوّل إليه، و بيّنوا لنا الحقّ نعوّل عليه. اللّه اللّه يا سيدى فى النّفس المرشّحة، و الذّات المحلّاة بالفضائل الموشّحة، و السّلف الشهير الخير، و العمر المشرف على الرّحلة بعد حثّ السّير، و دع الدنيا لأهلها فما أوكس حظوظهم، و أخسّ لحوظهم، و أقلّ متاعهم، و أعجل إسراعهم، و أكثر عناءهم، و أقصر آناءهم:

[مجزوء الكامل]

ما ثمّ إلّا ما رأيت، و ربما تعيى السّلامة

و الناس إمّا جائرأو حائر يشكو ظلامه

و اللّه ما احتقب الحريص سوى الذّنوب أو الملامه

هل ثمّ شكّ فى المعاد الحقّ أو يوم القيامه

قولوا لنا ما عندكم أهل الخطابة و الإمامه

و إن رميت بأحجارى، و أوجرت المرّ من أشجارى، فو اللّه ما تلبّست منها اليوم بشيء قديم و لا حديث، و لا استاثرت بطيّب فضلا عن خبيث. و ما أنا إلّا عابر سبيل، و هاجر مرعى و بيل، و مرتقب وعد قدر فيه الإنجاز، و عاكف على حقيقة لا تعرف المجاز، قد فررت من الدنيا كما يفرّ من الأسد، و حاولت المقاطعة حتى بين روحى و الجسد، و غسل اللّه قلبى، و للّه الحمد، من الطّمع و الحسد، فلم أبق عادة إلّا قطعتها، و لا جنّة للصّبر إلّا ادّرعتها، أمّا اللّباس فالصّوف، و أما الزّهد فيما فى أيدى الناس فمعروف، و أما المال الغبيط فعلى الصّدقة مصروف. و و اللّه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۹۳

لو علمت أنّ حالى هذه تتّصل، و عراها لا تنفصل، و أن ترتيبى هذا يدوم، و لا يحيّرنى الوعد المحتوم، و الوقت المعلوم، لمتّ أسفا، و حسبى اللّه و كفى. و مع هذا يا سيدى، فالموعظة تتلقّى من لسان الوجود، و الحكمة ضالّة المؤمن يطلبها ببذل المجهود، و يأخذها من غير اعتبار بمحلّها المذموم أو المحمود. و لقد أعملت نظرى فيما يكافىء عنى بعض يدك، أو ينتهى فى الفضل إلى أمدك، فلم أر لك الدّنيا كفاء هذا لو كنت صاحب دنيا، و ألفيت بذل النّفس قليلا لك من غير شرط و لا ثنيا ، فلمّا ألهمنى اللّه لمخاطبتك بهذه النّصيحة المفرغة فى قالب الجفا، لمن لا يثبت عين الصّفا، و لا يشيم بارقة الوفا، و لا يعرف قاذورة الدنيا معرفة مثلى من المتدنّسين بها المنهمكين، و ينظر عوّارها القادح بعين اليقين، و يعلم أنها المومسة التى حسنها زور، و عاشقها مغرور، و سرورها شرور، تبيّن لى أنى قد كافيت صنيعتك المتقدّمة، و خرجت عن عهدتك الملتزمة، و أمحضت لك النّصح الذى يعزّ بعزّ اللّه ذاتك، و يطيب حياتك، و يحيى مواتك، و يريح جوارحك من الوصب ، و قلبك من النّصب ، و يحقّر الدنيا و أهلها فى عينك إذا اعتبرت، و يلاشى عظائمها لديك إذا اختبرت. كلّ من تقع عليه عينك حقير قليل، و فقير ذليل، لا يفضلك بشىّ إلّا باقتفاء رشد أو ترك غىّ، أثوابه النّبيهة يجرّدها الغاسل، و عروة عزّه يفصّمها الفاصل ، و ماله الحاضر الحاصل، يعيث فيه الحسام الفاصل، و اللّه ما تعيّن للخلف إلّا ما تعيّن للسّلف، و لا مصير المجموع إلّا إلى التّلف، و لا صحّ من الهياط و المياط ، و الصّياح و العياط ، و جمع القيراط إلى القيراط، و الاستظهار بالوزعة و الأشراط، و الخبط و الخبّاط، و الاستكثار و الاغتباط،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۹۴

و الغلوّ و الاشتطاط، و بنا الصّرح و عمل السّاباط، و رفع العماد و إدارة الفسطاط، إلّا ألم يذهب القوة، و ينسى الآمال المرجوّة، ثمّ نفس يصعد، و سكرات تتردّد، و حسرات لفراق الدّنيا تتجدّد، و لسان يثقل، و عين تبصر الفراق الحقّ و تمقل قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (۶۷) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (۶۸) . ثم القبر و ما بعده، و اللّه منجز وعيده و وعده، فالإضراب الإضراب، و التّراب التّراب. و إن اعتذر سيدى بقلّة الجلد، لكثرة الولد، فهو ابن مرزوق لا ابن رزّاق، و بيده من التّسبّب ما يتكفّل بإمساك أرماق، أين النّسخ الذى يتبلّغ الإنسان بأجرته ، فى كن حجرته؟ لا بل السؤال الذى لا عار عند الحاجة بمعرّته؟ السؤال و اللّه أقوم طريقا، و أكرم فريقا، من يد تمتدّ إلى حرام، لا يقوم بمرام، و لا يومّن من ضرام، أحرقت فيه الحلل، و قلبت الأديان و الملل، و ضربت الأبشار، و نحرت العشار، و لم يصل منه على يدى واسطة السّوء المعشار.

ثم طلب عند الشّدّة ففضح، و بان سومه و وضح، اللهمّ طهّر منها أيدينا و قلوبنا، و بلّغنا من الانصراف إليك مطلوبنا، و عرّفنا بمن لا يعرف غيرك، و لا يسترفد إلّا خيرك، يا اللّه. و حقيق على الفضلاء إن جنح سيدى منها إلى إشارة، أو أعمل فى احتلابها إضبارة ، أو لبس منها شارة، أو تشوّف إلى خدمة إمارة، ألا يحسنوا ظنونهم بعدها بابن ناس، و لا يغترّوا بسمة و لا خلق و لا لباس، فما عدا، عمّا بدا ؟ تقضّى العمر فى سجن و قيد، و عمرو و زيد، و ضرّ و كيد، و طراد صيد، و سعد و سعيد، و عبد و عبيد، فمتى تظهر الأفكار، و يقرّ القرار، و تلازم الأذكار ، و تشام الأنوار، و تتجلّى الأسرار؟ ثم يقع الشّهود الذى تذهب معه الأفكار ، ثم يحقّ الوصول الذى إليه

من كلّ ما سواه الفرار، و عليه المدار. و حقّ الحقّ الذى ما سواه فباطل، و الفيض الرّحمانى الذى ربابه الأبد هاطل، ما شابت

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۹۵

مخاطبتى لكَ شائبة تريب ، و لقد محضت لكَ ما يمحضه الحبيب إلى الحبيب ، فيحمل جفاء فى الذى حملت عليه الغيره، و لا تظنّ بى غيره. و إن أقدر قدرى فى مكاشفة سيادتكَ بهذا البثّ، فى الأسلوب الرّث، فالحقّ أقدم، و بناؤه لا يهدم، و شأنى معروف فى مواجهة الجبابرة على حين يدى إلى رفدهم ممدودة، و نفسى فى النّفوس المتهافتة عليهم معدودة، و شبابى فاحم، و على الشّهوات مزاحم، فكيف بى اليوم مع الشّيب، و نصح الجيب، و استكشاف العيب؟ إنما أنا اليوم على كلّ من عرفنى كلّ ثقيل، و سيف العذل فى كفّى صقيل، أعذل أهل الهوى، و ليست النّفوس فى القبول سوا، و لا لكلّ مرض دوا، و قد شفيت صدرى، و إن جهلت قدرى، فاحملنى، حملكَ اللّه، على الجادّة الواضحة، و سحب عليكَ ستر الأبوّة الصّالحة، و السّلام.

و لمّا شرح كتاب «الشّفا» للقاضى أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض، رحمه اللّه، و استبحر فيه، طلب أهل العدوتين بنظم مقطوعات تتضمّن الثّناء على الكتاب المذكور، و إطراء مؤلّفه، فانثال عليه من ذلكَ الطّم و الرّم، بما تعدّدت منه الأوراق، و اختلفت فى الإجادة و غيرها الأرزاق، إيثارا لغرضه، و مبادرة من أهل الجهات لإسعاف أربه، و طلب منى أن ألمّ فى ذلكَ بشىء، فكتبت فى ذلكَ:

[الطويل]

شفاء عياض للصّدور شفاءو ليس بفضل قد حواه خفاء

هديّة برّ لم يكن لجزيلها سوى الأجر و الذّكر الجميل كفاء

وفى لنبىّ اللّه حقّ وفائهو أكرم أوصاف الكرام وفاء

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۹۶ و جاء به بحرا يقول بفضلهعلى البحر طعم طيّب و صفاء

و حقّ رسول اللّه بعد وفاتهرعاه، و إغفال الحقوق جفاء

هو الذّخر يغنى فى الحياة عتادهو يترك منه لليقين رفاء

هو الأثر المحمود ليس يناله‌دثور و لا يخشى عليه عفاء

حرصت على الإطناب فى نشر فضلهو تمجيده لو ساعدتنى فاء

و استزاد من هذا الغرض الذى لم يقنع منه بالقليل، فبعثت إليه من محلّ انتقالى بمدينة سلا حرسها اللّه : [مجزوء الرمل]

أ أزاهير رياض‌أم شفاء لعياض

جدّل الباطل للحقّ‌بأسياف مواض

و جلا الأنوار برهانا بحقّ و افتراض

و شفى من يشتكى الغلّة فى زرق الحياض

أىّ بنيان معار آمن فوق انقضاض

أىّ عهد ليس يرمى‌بانتكاث و انتقاض

و معان فى سطوركأسود فى غياض

و شفاء لصدور من ضنى الجهل مراض

حرّر القصد فما شين بنقد و اعتراض

يا أبا الفضل أدر أنّ اللّه عن سعيكَ راض

فاز عبد أقرض اللّه برجحان القراض

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۹۷ وجبت عزّ المزايامن طوال و عراض

لك يا أصدق راو لك يا أعدل قاض

لرسول اللّه وفّيت بجدّ و انتهاض

خير خلق اللّه فى حال و فى آت و ماض

سدّد اللّه ابن مرزوق إلى تلك المراضى

زبدة العرفان معنى كلّ نسك و ارتياض

فتولّى بسط ما أجملت من غير انقباض

ساهر لم يدر فى استخلاصه طعم اغتماض

إن يكن دينا على الأيام قد حان التّقاضى

دام فى علوّ و من عاداه يهوى فى انخفاض

ما وشى الصّبح الدّياجىفى سواد بياض

ثم نظمت له أيضا فى الغرض المذكور، و الإكثار من هذا النمط، فى هذا الموضع، ليس على سبيل التّبجّح بغرابته و إجادته ، و لكن على سبيل الإشادة بالشّرح المشار إليه، فهو بالغ غاية الاستبحار : [السريع]

حيّيت يا مختطّ سبت بن نوحبكلّ مزن يغتدى أو يروح

و حمل الرّيحان ريح الصّباأمانة فيك إلى كلّ روح

دار أبى الفضل عياض الذىأضحت بريّاه رياضا تفوح

يا ناقل الآثار يعنى بهاو واصلا فى العلم جرى الجموح

طرفك فى الفخر بعيد المدىطرفك للمجد شديد الطّموح

كفاك إعجازا كتاب الشّفاو الصبح لا ينكر عند الوضوح

للّه ما أجزلت فينا به منمنحة تقصر عنها المنوح

روض من العلم همى فوقهمن صيّب الفكر الغمام السّفوح

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۹۸ فمن بيان الحقّ زهر ند و من لسان الصّدق طير صدوح

تأرّج العرف و طاب الجنىو كيف لا يثمر أو لا يفوح

و حلّة من طيب خير الورىفى الجيب و الأعطاف منها نضوح

و معلم للدين شيّدتهفهذه الأعلام منه تلوح

فقل لهامان كذا أو فلايا من أضلّ الرّشد تبنى الصّروح

فى أحسن التّقويم أنشأتهخلقا جديدا بين جسم و روح

فعمره المكتوب لا ينقضىإذا تقضّى عمر سام و نوح

كأنّه فى الحفل ريح الصّباو كلّ عطف فهو غضّ مروح

ما عذر مشغوف بخير الورىإن هاج منه الذّكر أن لا يبوح

عجبت من أكباد أهل الهوىو قد سطا البعد و طال النّزوح

إن ذكر المحبوب سالت دماما هنّ أكباد و لكن جروح

يا سيّد الأوضاع يا من لهبسيّد الإرسال فضل الرّجوح

يا من له الفخر على غيرهو الشّهب تخفى عند إشراق يوح
يا خير مشروح و فى و اكتفى‌منه ابن مرزوق بخير الشّروح
فتح من اللّه حباه بهو من جناب اللّه تأتى الفتوح
مولده: بتلمسان عام أحد عشر و سبعمائة.

محمد بن عبد الرحمن بن سعد التّميمى التّسلى الكرسوطى

من أهل فاس، نزيل مالقة، يكنى أبا عبد اللّه.
حاله: الشيخ الفقيه المتكلّم أبو عبد اللّه، غزير الحفظ، متبحّر الذّكر، عديم القرين، عظيم الاطّلاع، عارف بأسماء الأوضاع، ينثال منه على المسائل كثيب مهيل، ينقل الفقه منسوبا إلى أمانة، و منوطا برجاله، و الحديث بأسانيده و متونه،
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۹۹
خوّار العنان، وسّاع الخطو، بعيد الشأو، يفيض من حديث إلى فقه، و من أدب إلى حكاية، و يتعدّى ذلك إلى غرائب المنظومات، ممّا يختصّ بنظمه أولو الشّطارة و الحرفة من المغاربة، و يستظهر مطوّلات القصاص، و طوابير الوعّاظ، و مساطير أهل الكدية، فى أسلوب وقاح يفضحه الإعراب، حسن الخلق، جمّ الاحتمال، مطرّح الوقار، رافض التّصنّع، متبذّل اللّبسة، رحيب أكناف المرارة لأهل الولايات، يلقى بمعاطنهم البرك، و ينوط بهم الوسائل، كثير المشاركة لوصلائه، مخصب على أهل بيته، حدب على بنيه. قدم على الأندلس عام اثنين و عشرين و سبعمائة، فأقام بالجزيرة مقرئا بمسجد الصّواع منها، و مسجد الرّايات، ثم قدم على مالقة و أقرأ بها، ثم قدم على غرناطة عام خمسة و عشرين و سبعمائة، فتعرف على أرباب الأمر، بما نجحت حيلته، و خفّ به موقعه، فلم يعدم صلة، و لا فقد مرفقة، حتى ارتاش و تأثّل بمحل سكناه من مالقة، مدرة مغلّة، و عقارا مفيدا. و طال قعوده لسرد الفقه بمسجدها الجامع، نمير فى الركب، مهجور الحلقة، حملا من الخاصّة و العامّة، لتلبّسه بالعرض الأدنى. و هو الآن خطيب مسجد القصبة بها، و محلّه من الشهرة، بالحفظ و الاستظهار لفروع الفقه، كبير.
مشيخته: قرأ القرآن على الجماعة بالمغرب و الأندلس، منهم أبوه، و الأستاذ أبو الحسن القيجاطى البلوى، و أبو إسحاق الحريرى، و أبو الحسن بن سليمان، و أبو عبد اللّه بن أجروم. و قرأ الفقه على أبى زيد الجزولى، و عبد الرحمن بن عفّان، و أبى الحسن الصغير، و عبد المؤمن الجاناتى، و قرأ الكتاب بين يديه مدة، ثم عزله، و لذلك حكاية. حدّثنى الشيخ أبو عبد اللّه الكرسوطى، المترجم به، قال: قرأت بين يديه، فى قول أبى سعيد فى التهذيب، و الدّجاج و الأوز المخلات، فقال: انظر، هل يقال الدّجاج أو الجدّاد، لغة القرآن أفصح، قال اللّه تعالى: و جدد بيض، و حمر مختلف ألوانها، و غرابيب سود. فأزرى به، و نقل إليه إزاره، فعزله. و قعد بعد ذلك للإقراء بفاس، كذا حدث. و أخذ عن أبى إسحاق الزناتى، و عن خلف اللّه المجاصى، و أبى عبد اللّه بن عبد الرحمن الجزولى، و أبى الحسين المزدغى، و أبى الفضل ابنه، و أبى العبّاس بن راشد العمرانى، و أبى عبد اللّه بن رشيد. و روى الحديث بسبتة عن أبى عبد اللّه الغمارى، و أبى عبد اللّه بن هانى، و ذاكر أبا الحسن بن وشّاش. و بمالقة عن الخطيب الصالح الطّنجالى، و أبى عمرو بن منظور.
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۰۰
و بغرناطة عن أبى الحسن القيجاطى، و أبى إسحاق بن أبى العاص. و ببلّش عن أبى جعفر الزيات.
تواليفه: منها «الغرر فى تكميل الطّرر»، طرر أبى إبراهيم الأعرج. ثم «الدّرر فى اختصار الطّرر» المذكور. و تقييدان على الرسالة، كبير و صغير.
و لخّص «التهذيب» لابن بشير، و حذف أسانيد المصنّفات الثلاثة، البخارى، و الترمذى، و مسلم ، و التزم إسقاط التكرار، و استدراك الصّحاح الواقعة فى التهذيب على مسلم و البخارى. و قيّد على مختصر الطّليطلى، و شرع فى تقييد على قواعد الإمام أبى الفضل عياض

بن موسى بن عياض، برسم ولدى، أسعده اللّه.

شعره: أنشدنى، و أنا أحاول بمالقة لوث العمامة، و أستعين بالغير على إصلاح العمل، و إحكام اللّياثة : [الكامل]

أ معمّما قمرا تكامل حسنهأربى على الشمس المنيرة فى البها

لا تلتمس ممّن لديك زيادةفالبدر لا يمتار من نور السّها

و يصدر منه الشعر مصدّرا، لا تكنفه العناية.

محنته: أسر ببحر الزّقاق ، قادما على الأندلس فى جملة من الفضلاء، منهم والده. و استقرّ بطريف عام ستة و عشرين و سبعمائة، و لقى بها شدّة و نكالا، ثم سرّح والده، لمحاولة فكاك نفسه، و فكّ ابنه، و يسّر اللّه عليه، فتخلّصا من تلك المحنة فى سبيل كدية، و أفلت من بين أنياب مشقّة. الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج٣ ؛ ص ١٠٠

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٠١

بعض أخباره: قال: لقيت الشيخ وليّ اللّه أبا يعقوب بساحل بادس ، قاصدا الأخذ عنه، و التّبرّك به، و لم يكن رآنى قط، و ألفيت بين يديه عند دخولى عليه، رجلا يقرأ عليه القرآن، فلمّا فرغ أراد أن يقرأ عليه أسطرا من الرّسالة، فقال له:

اقرأها على هذا الفقيه، و أشار إلىّ، و رأيت فى عرصة له أصول خصّ، فتمنيت الأكل منها، و كان ربّاعها غير حاضر، فقام عن سرعة، و اقتلع منها أصولا ثلاثة، و دفعها إلىّ، و قال: كل. فقلت فى نفسى، تصرف فى الخضرة قبل حضور ربّاعها، فقال لى: إذا أردت الأكل من هذه الخضرة، فكل من هذا القسم، فإنّه لى. قلت: و خبرت من اضطلاع هذا المترجم به بعبارة الرّؤيا ما قضيت منه العجب فى غير ما شىء جرّبته. و هو الآن بحاله الموصوفة. و أصابه لهذا العهد جلاء عن وطنه؛ لتوفر الحمل عليه من الخاصّ و العامّ، بما طال به نكده. ثم آلت حاله إلى بعض صلاح، و اللّه يتولّاه.

مولده: بمدينة فاس عام تسعين و ستمائة.

محمد بن عبد المنعم الصّنهاجى الحميرى

يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بابن عبد المنعم، من أهل سبتة، الأستاذ الحافظ.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه اللّه، رجل صدق، طيّب اللهجة، سليم الصدر، تام الرّجولة، صالحا، عابدا، كثير القرب و الأوراد فى آخر حاله، صادق اللسان. قرأ كثيرا، و سنّه تنيف على سبع و عشرين، ففات أهل الدّؤب و السّابقة، و كان من صدور الحفّاظ، لم يستظهر أحد فى زمانه من اللّغة ما استظهره، فكاد يستظهر كتاب التّاج للجوهرى و غيره، آية تتلى، و مثلا يضرب، قائما على كتاب سيبويه، يسرده بلفظه. اختبره الفاسيون فى ذلك غير ما مرة. طبقة فى الشطرنج، يلعبها محجوبا، مشاركا فى الأصول، آخذا فى العلوم العقلية، مع الملازمة للسّنّة، يعرب أبدا كلامه و يزينه.

مشيخته: أخذ ببلده عن الأستاذ أبى إسحاق الغافقى، و لازم أبا القاسم بن الشّاط و انتفع به و بغيره من العلماء.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٠٢

دخوله غرناطة: قدم غرناطة مع الوفد من أهل بلده عندما صارت إلى إيالة الملوك من بنى نصر، لما وصلوا بالبيعة.

وفاته: كان من الوفد الذين استأصلهم الموتان عند منصرفهم عن باب السلطان ملك المغرب، بأحواز تيزى ، حسبما وقع التّنبيه على بعضهم.

محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس ابن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر ابن رشيد الفهرى

من أهل سبتة، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بابن رشيد.

حاله: من «عائد الصلة»: الخطيب المحدّث، المتبحّر فى علوم الرّوايهٔ و الإسناد. كان، رحمه اللّه، فريد دهره عدالهٔ و جلالهٔ، و حفظا و أدبا، و سمتا و هديا، واسع الأسمعهٔ، عالى الإسناد، صحيح النّقل، أصيل الضّبط، تام العنايهٔ بصناعهٔ الحديث، قيّما عليها، بصيرا بها، محققا فيها، ذاكرا فيها الرجال، جمّاعهٔ للكتب، محافظا على الطّريقهٔ، مضطلعا بغيرها من العربيهٔ و اللغهٔ و العروض، فقيها أصيل النّظر، ذاكرا للتفسير، ريّان من الأدب، حافظا للأخبار و التواريخ، مشاركا فى الأصلين، عارفا بالقراءات، عظيم الوقار و السّكينهٔ، بارع الخطّ، حسن الخلق، كثير التّواضع، رقيق الوجه، متجمّلا كلف الخاصهٔ و العامّهٔ، مبذول الجاه و الشّفاعهٔ، كهفا لأصناف الطّلبهٔ. قدم على غرناطهٔ فى وزارهٔ صديقه، و رفيق طريقه، فى حجّه و تشريقه، أبى عبد اللّه بن الحكيم، فلقى برّا، و تقدّم للخطابهٔ بالمسجد الأعظم، و نفع اللّه لديه بشفاعته المبذولهٔ طائفهٔ من خلقه، و انصرف إثر مقتله إلى العدوهٔ، فاستقرّ بمدينهٔ فاس، معظّما عند الملوك و الخاصّهٔ، معروف القدر عندهم.

مشيخته: قرأ ببلده سبتهٔ على الأستاذ إمام النّحاهٔ أبى الحسن بن أبى الربيع كتاب سيبويه. و قيّد على ذلك تقييدا مفيدا، و أخذ عنه القراءات. و أخذ أيضا عن الأستاذ أبى الحسن بن الخطّار. و رحل من بلده سبتهٔ لأداء الفريضهٔ. حجّ و لقى

الإحاطهٔ فى أخبار غرناطهٔ، ج۳، ص: ۱۰۳

المشايخ عام ثمانيهٔ و ثمانين و ستمائهٔ، فوافى فى طريقه الحاجّ المحدّث الرّاويهٔ، ذا الوزارتين بعد، أبا عبد اللّه الحكيم، و أخذ عن الجلّهٔ الذين يشقّ إحصاؤهم، فممّن لقى بإفريقيهٔ الرّاويهٔ العدل أبا محمد عبد اللّه بن هارون، يروى عن ابن بقىّ، و الأديب المتبحّر أبا الحسن حازم بن محمد القرطاجنّى. و روى بالمشرق عن العدد الكثير كالإمام جار اللّه أبى اليمن بن عساكر، لقيه بباب الصّفا تجاه الكعبهٔ المعظّمهٔ، و هو موضع جلوسه للسّماع، غرّهٔ شوال عام أربعهٔ و ثمانين و ستمائهٔ، و عن غيره، كأبى العزّ عبد الرحمن بن عبد المنعم بن على بن نصر بن منظور بن هبهٔ اللّه، و غيرهم ممن ثبت فى اسم مرافقهٔ فى السّماع و الرّحلهٔ أبى عبد اللّه بن الحكيم، رحمه اللّه، فلينظر هنالك.

تواليفه: ألّف فوائد رحلته فى كتاب سمّاه «ملء العيبهٔ، فيما جمع بطول الغيبهٔ، فى الوجهتين الكريمتين إلى مكّهٔ و طيبهٔ». قال شيخنا أبو بكر بن شبرين: وقفت على مسوّدته، و رأيت فيه فنونا و ضروبا من الفوائد العلميهٔ و التاريخ، و طرفا من الأخبار الحسان، و المسندات العوالى و الأناشيد. و هو ديوان كبير، و لم يسبق إلى مثله. قلت: و رأيت شيئا من مختصره بسبتهٔ.

دخوله غرناطهٔ: ورد على الأندلس فى عام اثنين و تسعين و ستمائهٔ، فعقد مجالس للخاصّ و العام، يقرئ بها فنونا من العلم. و تقدّم خطيبا و إماما بالمسجد الأعظم منها. حدّثنى بعض شيوخنا، قال: قعد يوما على المنبر، و ظنّ أن المؤذّن الثالث قد فرغ، فقام يخطب و المؤذّن قد رفع صوته بآذانه، فاستعظم ذلك بعض الحاضرين، و همّ آخر بإشعاره و تنبيهه، و كلّمه آخر، فلم يثنه ذلك عمّا شرع فيه، و قال بديهۀ: أيها الناس، رحمكم اللّه، إنّ الواجب لا يبطله المندوب، و أن الأذان الذى بعد الأوّل غير مشروع الوجوب، فتأهّبوا لطلب العلم، و انتبهوا، و تذكّروا قوله، عزّ و جلّ: و ما أتاكم الرّسول فخذوه، و ما نهاكم عنه فانتهوا، و قد روّينا عنه صلّى اللّه عليه و سلّم، أنه قال: من قال لأخيه و الإمام يخطب، اصمت، فقد لغا، و من لغا فلا جمعهٔ له. جعلنا اللّه و إيّاكم ممّن علم فعمل، و عمل فقبل، و أخلص فتخلّص. و كان ذلك مما استدلّ به على قوّهٔ جنانه، و انقياد لسانه لبيانه.

شعره: و له شعر يتكلفه، إذ كان لا يزن أعاريضه إلّا بميزان العروض، فمن ذلك ما حدّث به، قال: لما حللت بدمشق، و دخلت دار الحديث الأشرفيّهٔ، برسم رؤيهٔ النّعل الكريمهٔ، نعل المصطفى، صلوات اللّه عليه، و لثمتها، حضرتنى هذه

الإحاطهٔ فى أخبار غرناطهٔ، ج۳، ص: ۱۰۴

الأبيات: [الطويل]

هنيئا لعينى أن رأت نعل أحمدفيا سعد، جدّى قد ظفرت بأسعد

و قبّلتها أشفى الغليل فزادنىفيا عجبا زاد الظّما عند مورد

فللّه ذاك اللّثم فهو ألذّ من‌لمى شفة لميا و خدّ مورّد

و للّه ذاك اليوم عيدا و معلمابتاريخه أرّخت مولد أسعد

عليه صلاة نشرها طيّب كمايحبّ و يرضى ربّنا لمحمّد

و قال: و قلت فى موسم عام ستة و ثمانين و ستمائة، بثغر سبتة حرسها اللّه تعالى: [الطويل]

أقول إذا هبّ النّسيم المعطّرلعلّ بشيرا باللقاء يبشّر

و عالى الصّبا مرّت على ربع جيرتى‌فعن طيبهم عرف النّسيم يعبّر

و أذكر أوقاتى بسلمى و بالحمى‌فتذكو لظى فى أضلعى حين أذكر

ربوع يودّ المسك طيب ترابهاو يهوى حصى فيها عقيق و جوهر

بها جيرة لا يخفرون بذمّةهم لمواليهم جمال و مفخر

إذا ما اجتلت زهر النجوم جمالهم‌تغار لباهى نورهم فتغوّر

و من جود جدواهم يرى اللّيث يعمرو من خوف عدواهم يرى الليث يذعر

و من سيب يمناهم يرى الرّوض يزهرو من فيض نعماهم يرى البحر يزخر

رعى اللّه عهدا بالمصلّى عهدتهو روض المنى غضّ يرقّ و ينضر

زمانا نعمنا فيه و الظلّ وارف‌بجنّات عدن تحتها العذب يخضر

و للّه أيام المصلّى و طيبهاو أنفسنا بالقرب و الأنس تجبر

بحيث يرى بدر الكمال و شمسهو روضته فردوس حوض و منبر

أروم دنوّا من بهاء جمالهاو لثما فتأبى هيبة و توقّر

خضعت و ذلّى للحبيب تعزّزفطرفى مغضوض و خدّى معفّر

و وجه سرورى سافر متهلّلو حالى بهم حلّ و عيشى أخضر

فطوبى لمن أضحى بطيبة ثاويايجرّ بأذيال الفخار و ينشر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۰۵ و إذ فات عينى أن تراهم فردّدواعلى مسمعى ذكر المصلّى و كرّروا

وردت فيا طيب الورود بطيبةصدرت فواحزنى فلا كان مصدر

رمانى زمانى بالفراق فغرّنى‌على مثل من فارقت عزّ التّصبّر

و أضمرت أشجانى و دمعى مظهّرو أسررت هجرانى و حالى تخبّر

فمن أدمعى ماء يفيض و يهمرو من أضلعى نار تفور و تسعر

فجسمى مصفرّ و فودى أبيض‌و عيشى مغبرّ و دمعى أحمر

و حين دنا التّوديع ممّن أحبّهو حان الذى ما زلت منه أحذّر

و نادى صحابى بالرّحيل و أزمعواو سارت مطاياهم و ظلت أقهقر

و ألوى إليه الجيد حتى وجعتهو ظلّ فؤادى لوعة يتفطّر

وقفت لأقضى زفرة و صبابةو لا أنثنى فالموت أجدى و أجدر

و لو أنّنى بعت الحياة بنظرةلأبّت و حظّى فيه أوفى و أوفر

و ما باختيارى إنما قدر جرى‌رضيت بما يقضى الإله و يقدر

حنينى إلى مغنى الجمال مواصلو شوقى إلى معنى الجمال موفّر

و غير جميل أن يرى عن جمالهافؤادى صبورا و المسير ميسّر

أ يصبر ظمآن يغال بغلّةو فى روضة الرّضوان شهد و كوثر؟

فيا عينها الزّرقاء إنّ عيونهامن الحزن فيض بالنّجيع تفجّر

سأقطع ليلى بالسّرى أو أزورهاو أحمى الكرى عينا لبعدك يظهر

و أنضى المطايا أو أوافى ربعهافتنجدنى طورا و طورا تغوّر

حظرت على نفسى الحذار من الرّدىأتحذر نفس الحبيب تسيّر؟

أ ينكر تغرير المشوق بنفسهو قد علموا أنّ المحبّ مغرّر؟

وقفت على فتوى المحبّين كلّهمفلم أجد التّغرير فى الوصل ينكر

و إنى إذا ما خطرة خطرت قضتبهمّى و عزمى همّة لا تؤطّر

أقيم فألفى بين عينىّ همّتىو سيرى فى سبل العلا ليس ينكر

إذا ما بدت للعين أعلام طيبةو لاحت قباب كالكواكب تزهر

و للقبّة الزّهراء سمك سما علاوراق سنى كالشمس بل هو أزهر

لها منظر قيد النّواظر و النّهىلها ساكن من نوره البدر يبدر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٠۶ فأعرجوا على أهل الكمال و سلّمواسلمتم و بلّغتم مناكم فأبشروا

بنفسى لا بالمال أرضى بشارةإذا لاح نور فى سناها مبشّر

و ما قدر نفسى أن تكون كفاء و لكنها جهد المقلّ فأعذر

أقول إذا أوفيت أكرم مرسلقراى عليكم أنّ ذنبى يغفر

و أحظى بتقريب الجوار مكرّماو أصفح عن جور البعاد و أعذر

و أرتع فى ظلّ الجنان منعّماو أمنى بقرب من حماك و أجبر

هناك هناك القرب فانعم بنيلهبحيث ثوى جسم كريم مطهّر

و دع عنك تطواف البلاد و خيّم بطيبة طابت فهى مسك و عنبر

فخرت بمدحى للنّبىّ محمدو من مدحه المدّاح يزهى و يفخر

أطلت و إنّى فى المديح مقصّرفكلّ طويل فى معاليك يقصر

ما بلغت كفّ امرئ متناولبها المجد إلّا و الذى نلت أكبر

و ما بلغ المهدون فى القول مدحةو إن أطنبوا إلّا الذى فيك أفخر

عليك صلاة اللّه ما مرّ سبقإليك و ما هبّ النّسيم المعطّر

و قال يرثى ابنا نجيبا ثكله بغرناطة: [الطويل]

شباب ثوى شابت عليه المفارقو غصن ذوى تاقت إليه الحدائق

على حين راق النّاظرين بسوقهرمته سهام للعيون رواشق

فما أخطأت منه الفؤاد بعمدهافلا أبصرت تلك العيون الرّوانق

و حين تدانى للكمال هلالهألمّ به نقص و جدّت مواحق

إلى اللّه أشكو فهو يشكى نوازعاعظاما سطاها للعظام عوارق

و لا مثل فقدان البنىّ فجيعةو إن طال ما لجّت و جلّت بوائق

محمد إنّ الصّبر صبر و علقم‌على أنه حلو المثوبة سابق

فإن جزعا فاللّه للعبد عاذرو إن جلدا فالوعد للّه صادق

و تاللّه ما لى بعد عيشك لذّةو لا راقنى مرأى لعينى رائق

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۰۷ فأنى به و المذكرات عديدةفنبل و همّ للعوائد خارق

فإن ألتفت فالشخص للعين ماثلو إن أستمع فالصّوت للأذن طارق

و إن أدع شخصا باسمه لضرورةفإنّ أسمك المحبوب للنّطق سابق

و إن تقرع الأبواب راحة قارع‌يطر عندها قلب لذكرك خافق

و كلّ كتاب قد حويت فمذكرو آثاره كلّ إليك توائق

سبقت كهولا فى الطّفولة لا تنىو أرهقت أشياخا و أنت مراهق

فلو لم يغلك الموت دمت مجلّياو أقبل سكّيتا و جيئا و لا حق

على مهل أحرزت ما شئت ثانياعنانك لا تجهد و أنت مسابق

رأتك المنايا سابقا فأغرتهافجدّ طلابا إنّهن لواحق

لئن سلبت منّى نفيس ذخائرفإنّى بمذخور الأجور لواثق

و قد كان ظنّى أنّنى لك سابق‌فقد صار علمى أنّنى بك لاحق

غريبين كنّا فرّق البين بيننافأبرح ما يلقى الغريب المفارق

فبين و بعد بالغريب توكّلاقد رعى بما حملت و اللّه ضائق

عسى وطن يدنو فتدنو له منىو أىّ الأمانى و الخطوب عوائق؟

فلولا الأسى ذاب الفؤاد من الأسىو لو لا البكا لم يحمل الحزن طائق

فخطّ الأسى خطّا تروق سطورهو تمحو البكا فالدّمع ماح و ساحق

فيا واحدا قد كان للعين نورهاعليك ضياء بعد بعدك غاسق

عليك سلام اللّه ما جنّ ساجعو ما طلعت شمس و ما ذرّ شارق

و ما همعت سحب غواد روائحو ما لمعت تحدو الرّعود بوارق

و جاد على مثواك غيث مروّض‌عباد لرضوان الإله موافق

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۰۸

محنته: تعرّض إليه قوم يوم قتل صديقه أبى عبد اللّه الحكيم بإذاءة قبيحة، و أسمع كل شارق من القول على ألسنة زعانفة فجّر و ترهم القتيل، فتخلّص و لا تسل كيف، و أزمع الرّحيل فلم يلبث بعد ذلك.

وفاته: كانت وفاته بمدينة فاس، فى اليوم الثامن من شهر المحرم مفتتح عام أحد و عشرين و سبعمائة. و دفن فى الجبانة التى بخارج باب الفتوح بالرّوضة المعروفة بمطرح الجنّة، التى اشتملت على العلماء و الصلحاء و الفضلاء، من الغرباء الواردين مدينة فاس، و كان مولده بسبتة عام سبعة و خمسين و ستمائة.

محمد بن على بن هانى اللّخمى السّبتى

يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف باسم جدّه، أصلهم من إشبيلية.

حاله: كان، رحمه اللّه، فريد دهره فى سموّ الهمّة، و إيثار الاقتصاد و التّحلّى بالقناعة، و شموخ الأنف على أهل الرّئاسة، مقتصرا على

فائدة ربع له ببلده، يتبلّغ مع الاستقامة، مع الصّبر و العمل على حفظ المروءة، و صون ماء الوجه، إماما فى علم العربيّة، مبرّزا متقدّما فيه، حافظا للأقوال، مستوعبا لطريق الخلاف، مستحضرا لحجج التّوجيه، لا يشقّ فى ذلك غباره، ريّان من الأدب، بارع الخطّ، سهل مقادة الكلام، مشاركا فى الأصلين، قائما على القراءات، حسن المجلس، رائق البزّة، بارع المحاضرة، فائق التّرسّل، متوسط النّظم، كثير الاجتهاد و العكوف، مليح الخلق، ظاهر الخشوع، قريب الدّمعة، بيته شهير الحسب و الجلالة.

و جرى ذكره فى «الإكليل الزاهر» بما نصّه : علم تشير إليه الأكفّ ، و يعمل إلى لقائه الحافر و الخفّ ، رفع للعربيّة ببلده راية لا تتأخّر، و مرج منها لجّة تزخر، فانفسح مجال درسه، و أثمرت أدواح غرسه، فركض بما شاء و برّح، و دوّن و شرح، إلى شمائل تملّك الظّرف زمامها، و دعابة راشت الحلاوة سهامها.

و لمّا أخذ المسلمون فى منازلة الجبل و حصاره، و أصابوا الكفر منه بجارحة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٠٩

أبصاره، و رموا بالثّكل فيه نازح أمصاره، كان ممّن انتدب و تطوّع، و سمع النّداء فأهطع ، فلازمه إلى أن نفد لأهله القوت، و بلغ من فسحة الأجل الموقوت، فأقام الصّلاة بمحرابه، و قد غيّر محيّاه طول اغترابه، و بادره الطّاغية قبل أن يستقرّ نصل الإسلام فى قرابه ، أو يعلق أصل الدّين فى ترابه. و انتدب إلى الحصار به و تبرّع، و دعاه أجله فلبّى و أسرع. و لمّا هدر عليه الفنيق ، و ركعت إلى قبلته المجانيق ، أصيب بحجر دوّم عليه كالجارح المحلّق، و انقضّ إليه انقضاض البارق المتألّق، فاقتنصه و اختطفه، و عمد إلى زهره فقطفه ، فمضى إلى اللّه طوع نيّته، و صحبته غرابة المنازع حتى فى منيّته .

مشيخته: قرأ على الأستاذ العلّامة أبى إسحاق الغافقى، و على الأستاذ النحوى أبى بكر بن عبيدة، و اعتمد عليه، و قرأ على الإمام الصالح أبى عبد اللّه بن حريث.

تواليفه: ألّف كتبا، منها كتاب «شرح التّسهيل لابن مالك»، و هو أجلّ كتبه، أبدع فيه، و تنافس الناس فيه. و منها «الغرّة الطّالعة فى شعراء المائة السابعة»، و منها «إنشاد الضّوّال، و إرشاد السّوّال فى لحن العامة»، و هو كتاب مفيد، و «قوت المقيم». و دوّن ترسّل رئيس الكتّاب أبى المطرّف بن عميرة و ضمّه فى سفرين. و له رجز فى الفرائض مفيد.

شعره: حدّثنا شيخنا القاضى الشّريف، نسيج وحده، أبو القاسم الحسنى، قال: خاطبت الأستاذ أبا عبد اللّه بن هانىء، رحمه اللّه، بقصيدة من نظمى أولها :

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١١٠

[البسيط]

هات الحديث عن الرّكب الذى شخصا

فأجابنى عن ذلك بقصيدة فى رويّها :

لو لا مشيب بفودى للفؤاد عصى نضيت فى مهمه التّشبيب لى قلصا

و استوقفت عبراتى و هى جاريةو كفاء توهم ربعا للحبيب قصا

مسائلا عن لياليه التى انتهزت أيدى الأمانى بها ما شئته فرصا

و كنت جاريت فيها من جرى طلقامن الإجادة لم يحجم و لا نكصا

أصاب شاكلة المرمىّ حين رمىمن الشّوارد ما لولاه ما اقتنصا

و من أعدّ مكان النّبل نبل حجالم يرض إلّا بأبكار النّهى قنصا

ثم انثنى ثانيا عطف النّسيب إلىمدح به قد غلا ما كان قد رخصا

فظلت أرفل فيها لبسة شرفتذاتا و منتسبا أعزز به قمصا

يقول فيها و قد خولت منحتهاو جرّع الكاشح المغرى بها غصصا

هذى عقائل وافت منك ذا شرفلو لا أياديه بيع الحمد مرتخصا

فقلت: هلّا عكست القول منك لهو لم يكن قابلا من مدحه الرّخصا؟

و قلت: ذى بكر فكر من أخى شرفيردى و يرضى بها الحسّاد و الخلّصا

لها حلى حسيّات على حللحسيّة تستبى من حلّ أو شخصا

خوّلتها و قد اعتزّت ملابسهابالبخت ينقاد للإنسان ما عوصا

خذها أبا قاسم منّى نتيجة ذىودّ إذا شئت ودّا للورى خلصا

جاءت تجاوب عمّا قد بعثت بهإن كنت تأخذ من درّ النحور حصا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١١١

و هى طويلة. و ممّا ينسب إليه، و هو مليح فى معناه : [الكامل]

ما للنّوى مدّت لغير ضرورةو لقبل ما عهدى بها مقصوره

إنّ الخليل و إن دعته ضرورةلم يرض ذاك فكيف دون ضروره

و قال مضمّنا: [الرمل]

لا يلمنى عاذلى حتى يرى وجه من أهوى فلومى مستحيل

لو رأى وجه حبيبى عاذلىلتفارقنا على وجه جميل

و قال فى الفخر: [الكامل]

قل للموالى: عش بغبطة حامدو للمعادى: بت بضغنة حاسد

المزن كفّى و الثريّا همّتىو ذكاء ذكرى و السّعود مقاصدى

و قال فى غير ذلك: [البسيط]

غنيت بى دون غيرى الدّهر عن مثلبعضى لبعضى أضحى يضرب المثلا

ظهرى انحنى لمشيب لاح وا عجباغضّ إذا أينعت أزهاره ذبلا

أذاك أم زهر لاحت تخبّر أنيوم الصّبا و التّصابى آنس الطّفلا

و مما جمع فيه بين نظمه و نثره، ما راجع به شيخنا القاضى الشريف أبا القاسم الحسنى، عن القصيدة الهمزية التى ثبتت فى اسمه : [الكامل]

يا أوحد الأدباء أو يا أوحد الفضلاء أو يا أوحد الشّرفاء

من ذا تراه أحقّ منك إذا التوتطرق الحجاج بأن يجيب ندائى

أدب أرقّ من الهواء و إن تشافمن الهوا و الماء و الصّهباء

و ألذّ من ظلم الحبيب و ظلمهبالظّاء مفتوحا و ضمّ الظّاء

ما السّحر إلّا ما تصوغ بنانهو لسانه من حلية الإنشاء

[و الفضل ما حلّيته و حبيتهو حبوتنى منه بخير حباء

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١١٢ أبكار فكرك قد زفّت بمدحتىتمشى روائعها على استحياء

لا من قصور بل لتقصيهامن حيث لم يظفرن بالإرفاء

لكن جبرن و قد جبلن على الرضافالجبر للأبكار للآباء

هذا إلى الشّرف الذى قد فزت‌علياءه بالعزّة القعساء

شرف السّليل من الرسول وسيلةقامت بابن سنا و ابن سناء

حسن أبو حسن و فاطمة ابنة الهادى البريّة خاتم النّبلاء

شرف على شرف إلى شرفين‌من حائز ما حزت من علياء

هذى ثلاث أنت واحد فخرهافاشمخ لها شرفا بأنف علاء

من رام رتبتك السّنيّة فليقف‌دون المرام مواقف الإقصاء

هذى مآثر قد شأوت بصيتهامن كان من آب لها أو شاء

و اللّيث يرهب زأره فى موطن‌ما كان من نقد به أو شاء

يكفيك من نكد المعاند أن يرى‌متقلّد الأعضاء بالبغضاء

السّنّ يفنى بالأنامل قرعه‌أو عضّه متوقّد الأحشاء

أتحفتنى بقصيدة همزيّة‌مقصورة ممدودة الآراء

كم بين تلك و هذه لكنّهاغطّى على هذى ذهاب فتائى

ذو الشيب يعذره الشّباب فما لهم‌بذكاء نبل أو بنبل ذكاء

من قارب الخمسين خطوا سنّه‌فمحاله مستوجب الإبطاء

أ بنىّ، إنك أنت أسدى من به‌يتعاظم الآباء بالأبناء]

للّه نفثة سحر ما قد شدت لى‌من نفث سحرك فى مشاد ثناء

عارضت صفوانا بها فأريت مايستعظم الرّاوى له و الرّائى

لو راء لؤلؤك المنظّم لم يفزفى نظم لؤلؤه بغير عناء

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١١٣ بوّأتنى منها أجلّ مبوّإفلأخمصى مستوطن الجوزاء

و سما بها اسمى سائرا فأنا بماأسديت ذو الأسماء فى الأسماء

و أشدت ذكرى فى البلاد فلى بهاطول الثّناء و إن أطلت ثوائى

و لقومى الفخر المشيد بنيته‌يا حسن تشييد و حسن بناء

فليهن هانيهم يد بيضاء ماإن مثلها لك من يد بيضاء

حلّيت أبياتا لهم لخميّة‌تجلى على مضريّة غرّاء

فليشمخوا أنفا بما أوليتهم‌يا محرز الآلاء بالإيلاء

هذا ، بنىّ، وصل اللّه سبحانه لك ولى بك علوّ المقدار، و أجرى وفق أو فوق إرادتك أو إرادتى لك جاريات الأقدار! ما سمح به الذهن الكليل، و اللسان الفليل، فى مراجعة قصيدتك الغرّاء، الجالية السّراء ، الآخذة بمجامع القلوب، الآتية بجوامع المطلوب، الحسنة المهيع و الأسلوب، المتحلّية بالحلى السّنيّة ، العريقة المنتسب فى العلى الحسنيّة، الجالية صدأ قلوب ران عليها الكسل، و خانها المسعدان السّؤل و الأمل، فمتى حامت المعانى حولها، و لو أقامت حولها، شكت ويلها و عولها، و حرمت من فريضة الفضيلة عولها، و عهدى بها و الزمان زمان، و أحكامه الماضية أمانىّ مقضيّة و أمان، تتوارد ألّافها، و يجمع إجماعها و خلافها، و يساعدها من الألفاظ كلّ سهل ممتع، مفترق مجمع ، مستأنس غريب، بعيد الغور قريب، فاضح الحلا، واضح العلا، وضّاح الغرّة و الجبين، رافع عمود الصبح المبين، أيّد من الفصاحة بأياد، فلم يحفل بصاحبى طىّ و إياد، و كسى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١١٤

بضاعة البلاغة، فلم يعبأ بهمّام و ابن المراغة . شفاء المحزون، و علم السّرّ المخزون، ما بين منثوره و الموزون. و الآن لا ملهج و لا مبهج، و لا مرشد و لا منهج، عكست القضايا فلم تنتج، فتبلّد القلب الذّكى، و لم يرشح القليب البكى ، و عمّ الإفحام، و غمّ الإحجام، و تمكّن الإكداء و الإجبال، و كوّرت الشّمس و سيّرت الجبال، و علت سآمة، و غلبت ندامة، و ارتفعت ملامة، و قامت لنوعى الأدب قيامة. حتى إذا ورد ذلك المهرق، و فرّع غصنه المورق، تغنّى به الحمام الأورق، و أحاط بعداد عداته الغصص و الشّرق، و أمن من الغصب و السّرق، و أقبل الأمن و ذهب بإقباله الفرق، نفخ فى صور أهل المنظوم و المنثور، و بعثر ما فى القبور، و حصّل ما فى الصدور، و تراءت للأدب صور، و عمرت للبلاغة كور، و همت لليراعة درر، و نظمت للبراعة درر، و عندها يتبيّن أنك واحد حلبة البيان، و السّابق فى ذلك الميدان، يوم الرّهان، فكان لك القدم، و أقرّ لك مع التأخر السّابق الأقدم، فوحقّ نصاعة ألفاظ أجدتها، حين أوردتها، و أسلتها حين أرسلتها، و أزنتها حين وزنتها، و براعة معان سلكتها حين ملكتها، و أرويتها حين روّأتها و أرويتها، و أصلتها حين فصّلتها و وصلتها ، و نظام جعلته لجسد البيان قلبا، و لمعصمه قلبا ، و هصرت حدائقه غلبا، و ارتكبت رويّه صعبا، و نثار أتبعته له خديما، و صيّرته لمدير كأسه نديما، و لحفظ ذمامه المدامىّ أو مدامه الذّمامىّ مديما، لقد فتنتنى حين أتتنى، و سبتنى حين نصبتنى ، فذهبت خفّتها بوقارى، و لم يرعها بعد شيب عذارى، بل دعت للتّصابى فقلت مرحبا، و حللت لفتنتها الحبا، و لم أحفل بشيب، و ألفيت ما ردّ نصابى نصيب ، و إن كنّا فرسى رهان، و سابقى حلبة ميدان، غير أنّ الجلدة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١١٥

بيضاء، و المرجوّ الإغضاء، بل الإرضاء. بنىّ، كيف رأيت للبيان هذا الطّوع، و الخروج فيه من نوع إلى نوع؟ أين صفوان بن إدريس، و محلّ دعواه بين رحلة و تعريس ؟ كم بين ثغاء بقر هذا الفلا، و بين زئير ليث العريس؟ كما أنى أقطع علما، و أعلم قطعا، و أحكم مضاء و أمضى حكما، أنه لو نظر إلى قصيدتك الرّائقة، و فريدتك الحالية الفائقة، المعارضة بها قصيدته، المنتسخة بها فريدته، لذهب عرضا و طولا، ثم اعتقد لك اليد الطّولى، و أقرّ بارتفاع النّزاع، و ذهبت له تلك العلالات و الأطماع، و نسى كلمته اللّؤلؤية، و رجع عن دعواه الأدبيّة، و استغفر اللّه ربّه من تلك الإلهية . بنىّ، و هذا من ذلك، من الجرى فى تلك المسالك، و التّبسّط فى تلك المآخذ و المتارك، أ ينزع غيرى هذا المنزع؟ أم المرء بشعره و ابنه مولع؟ حيّا اللّه الأدب و بنيه، و أعاد علينا من أيّامه و سنيه! ما أعلى منازعه، و أكبا منازعه، و أجلّ مآخذه، و أجهل تاركه و أعلم آخذه، و أرقّ طباعه، و أحقّ أشياعه و أتباعه، و أبعد طريقه، و أسعد فريقه، و أقوم نهجه، و أوثق نسجه، و أسمح ألفاظه، و أفصح عكاظه، و أصدق معانيه و ألفاظه، و أحمد نظامه و نثاره، و أغنى شعاره و دثاره، فعائله مطرود، و عاتبه مصفود، و جاهله محصود، و عالمه محسود، غير أن الإحسان فيه قليل، و لطريق الإصابة فيه علم و دليل، من ظفر بهما وصل، و على الغاية القصوى منهما حصل، و من نكب عن الطريق، لم يعدّ من ذلك الفريق، فليهنك أيها الابن الذّكىّ، البرّ الزّكىّ، الحبيب الحفىّ ، الصّفىّ الوفىّ، أنك حامل رايته، و واصل غايته، ليس أوّلوه و آخروه لذلك بمنكرين، و لا تجد أكثرهم شاكرين. و لو لا أن يطول الكتاب، و ينحرف الشّعراء و الكتّاب، لفاضت ينابيع هذا الفصل فيضا، و خرجت إلى نوع آخر من البلاغة أيضا، قرّت عيون أودّائك ، و ملئت غيظا صدور أعدائك، و رقيت درج الآمال، و وقيت عين الكمال، و حفظ منصبك العالى، بفضل ربّك الكبير المتعالى. و السلام

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١١٦

الأتم الأكمل الأعمّ، يخصّك به من طال فى مدحه إرقالك و إغذاذك ، و راد روض حمده طلّك و رذاذك، و غدت مصالح سعيه فى سعى مصالحك، و سينفعك بحول اللّه و قوته و فضله و منّته معاذك، و وسمت نفسك بتلميذه فسمت نفسه بأنه أستاذك، ابن هانىء، و رحمة اللّه و بركاته.

دخوله غرناطة: دخل غرناطة مع الوفد من أهل بلده عند تصيّرها إلى الإيالة النّصرية، حسبما ثبت فى موضعه.

وفاته: توفى بجبل الفتح، و العدوّ يحاصره، أصابه حجر المنجنيق فى رأسه، فذهب به، تقبّل اللّه شهادته و نفعه، فى أواخر ذى قعدة،

من عام ثلاثة و ثلاثين و سبعمائة .

و ممّن رثاه قاضى الجماعة شيخنا القاضى أبو القاسم الحسنى، و هى القصيدة التى أولها : [الطويل]

سقى اللّه بالخضراء أشلاء سؤددتضمّنهنّ التّرب صوب الغمائم

و قد ثبت فى «جهد المقل» فى اسم المذكور، فلينظر هنالك.

و ممّن رثاه شيخنا القاضى أبو بكر بن شبرين، رحمه اللّه بقوله : [مجزوء الكامل]

قد كان ما قال اليزيد فاصبر فحزنك لا يفيد

أودى ابن هانىء الوضافاعتادنى للثّكل عيد

بحر العلوم و صدرهاو عميدها إذ لا عميد

قد كان زينا للوجود ففيه قد فجع الوجود

العلم و التّحقيق و التوفيق و الحسب التّليد

تندى خلائقه فقل‌فيها: هى الرّوض المجود

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۱۷ مغض عن الإخوان لاجهم اللقاء و لا كنود

أودى شهيدا باذلامجهوده نعم الشّهيد

لم أنسه حين المعارف باسمه فينا تشيد

و له صبوب فى طلاب العلم يتلوه صعود

للّه وقت كان ينظمنا كما نظم الفريد

أيام نغدو أو نروح و سعينا السّعى الحميد

و إذا المشيخة جثّم‌هضبات حلم لا تبيد

و مرادنا جمّ النّبات و عيشنا خضر برود

لهفى على الإخوان و الأتراب كلّهم فقيد

لو جئت أوطانى لأنكرنى التّهائم و النّجود

و لراع نفسى شيب من‌غادرته و هو الوليد

و لطفت ما بين اللّحود و قد تكاثرت اللّحود

سرعان ما عاث الحمام و نحن أيقاظ هجود

كم رمت إعمال المسير فقيّدت عزمى قيود

و الآن أخلفت الوعود و أخلقت تلك البرود

ما للفتى ما يبتغى‌و اللّه يفعل ما يريد

أعلى القديم الملك ياويلاه يعترض العبيد

يا بين، قد طال المدى‌أرعد و أبرق يا يزيد

و لكل شىء غايةو لربما لان الحديد

إيه أبا عبد الإله و دوننا مرمى بعيد

أين الرسائل منك تأتينا كما نظم العقود؟

أين الرّسوم الصالحات؟ تصرّمت، أين العهود؟

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۱۸ أنعم مساء لا تخطّتك البشائر و السّعود

و أقدم على دار الرّضاحيث الإقامة و الخلود

و الق الأحبّة حيث دار الملك و القصر المشيد

حتى الشّهادة لم تفتك فنجمك النّجم السّعيد

لا تبعدن وعدا لو أنن الميت فى الدنيا يعود

و لئن بليت فإنّ ذكرك فى الدّنا غضّ جديد

تاللّه لا تنساك أندية العلى ما اخضرّ عود

و إذا تسومح فى الحقوق فحقّك الحقّ الأكيد

جادت صداك غمامةيروى بها ذاك الصّعيد

و تعهّدتك من المهيمن رحمة أبدا وجود

محمد بن يحيى العبدرى

من أهل فاس، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بالصّدفى.

حاله: قال الأستاذ فى «صلته» : إمام فى العربية، ذاكر للّغات و الآداب، متكلم، أصولى مفيد، متفنّن، حافظ، ماهر، عالم، زاهد، ورع، فاضل. أخذ علم العربية و الآداب عن النّحوى أبى الحسن بن خروف، و عن النّحوى الأديب الضّابط أبى ذرّ الخشنى، و أكثر عنهما، و أكمل الكتاب على ابن خروف، تفقّها و تقييدا و ضبطا. و كان حسن الإقراء، جيّد العبارة، متين المعارف و الدّين، شديد الورع، متواضعا جليلا، عالما عاملا، من أجلّ من لقيته، و أجمعهم لفنون المعارف، و ضروب الأعمال، و كان الحفظ أغلب عليه، و كان سريع القلم إذا كتب أو قيّد، و سمعته يقول: ما سمعت شيئا من أحد من أشياخى، من نكت العلم، و تفسير مشكل، و ما يرجع إلى ذلك، إلّا و قيّدته، و لا قيّدت بخطّى شيئا إلّا حفظته، و لا حفظت شيئا فنسيته. هذا ما سمعت منه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۱۹

مشيخته: أخذ العربيّة عن الأستاذ أبى الحسن بن خروف، و عن النّحوى الأديب الضّابط أبى ذرّ الخشنى، و أكثر عنه، و أخذ معهما عن أبى محمد بن زيدان، و لازم ثلاثتهم، و سمع و قرأ على الفقيه الصالح أبى محمد صالح، و أخذ عن غير من ذكر.

دخوله غرناطة: قال: دخل الأندلس مرارا بيسير بضاعة كانت لديه، يتّجر فيها، و دخل إشبيلية، و تردّد آخر عمره إلى غرناطة و مالقة إلى حين وفاته.

وفاته: توفى، رحمه اللّه، شهيدا بمرسى جبل الفتح. دخل عليهم العدوّ فيه، فقاتل حين قتل، و ذلك سنة إحدى و خمسين و ستمائة. و سمعته يتوسل إلى اللّه، و يسأله الشهادة.

المحدّثون و الفقهاء و الطلبة النجباء و أولا الأصليون

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزّبير

من أهل غرناطة، ولد الأستاذ الكبير أبى جعفر بن الزبير، يكنى أبا عمرو.

حاله: هذا الشيخ سكّيت حلبة، ولد أبيه فى علوّ النّباهة، إلّا أنه لوذعى فكه، حسن الحديث، رافض للتّصنّع، ركض طرف الشّبيبة فى ميدان الراحة، منكبا عن سنن أبيه و قومه، مع شغوف إدراك، و جودة حفظ، كانا يطمعان والده فى نجابته، فلم يعدم قادحا. و رحل

إلى العدوة، و شرّق و نال حظوة، و جرت عليه خطوب. ثم عاد إلى الأندلس على معروف رسمه يتكوّر بها، و هو الآن قد نال منه الكبر، يزجى الوقت بمالقة، متعلّلا بوقف من بعض الخدم المخزنيّة ، لطف اللّه به.

مشيخته: استجاز له والده الطّم و الرّم، من أهل المغرب و المشرق، و وقف عليه منهم فى الصّغر وقفا لم يغتبط به عمره، و ادّكره الآن بعد أمّة، عندما نقر عنه لديه، فأثرت به يده من علوّ رواية، و توفّر سبب مبرّة، و داعية إلى إقالة عثرة، و ستر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٢٠

هيبة شيبة. فمن ذلك الشيخ الإمام أبو على ناصر الدين منصور بن أحمد المشدالى، إجازة ثم لقاء و سماعا، و الشيخ الخطيب الرّاوية أبو عبد اللّه بن غريون. و أجازه الأستاذ أبو إسحاق الغافقى، و أبو القاسم بن الشّاط، و الشّريف أبو العباس أحمد الحسنى، و الأستاذ الإمام أبو الحسين عبد اللّه بن أبى الربيع القرشى، نزيل سبتة.

و محمد بن صالح بن أحمد بن محمد الكتّانى الشّاطبى ببجاية، و الإمام أبو اليمن بن عساكر بالمسجد الحرام، و ابن دقيق العيد و غيرهم. و من أهل الأندلس أبو محمد بن أبى السّداد، و أبو جعفر بن الزيات، و أبو عبد اللّه بن الكمّاد، و أبو عبد اللّه بن ربيع الأشعرى، و أبو عبد اللّه بن برطال، و أبو محمد عبد المنعم بن سماك، و العدل أبو الحسن بن مستقور. و أجازه من أهل المشرق و المغرب عالم كبير.

شعره: و بضاعته فيه مزجاة، فمن ذلك ما خاطبنى به عند إيابى من العدوة فى غرض الرسالة عن السلطان : [الوافر]

نوالى الشّكر للرحمن فرضاعلم نعم كست طولا و عرضا

و كم للّه من لطف خفىّ لنا منه الذى قد شا و أمضى

بمقدمك السّعيد أتت سعودننال بها نعيم الدّهر محضا

فيا بشرى لأندلس بما قدبه والاك بارينا و أرضى

و يا للّه من سفر سعيدقد أقرضت المهيمن فيه قرضا

نهضت بنيّة أخلصت فيهافأبت بكل ما يبغى و يرضى

و ثبت لنصرة الإسلام لمّاعلمت بأنّ الأمر إليك أفضى

لقد أحييت بالتّقوى رسوماكما أرضيت بالتّمهيد أرضا

و قمت بسنّة المختار فيناتمهّد سنّة و تقيم فرضا

و رضت من العلوم الصّعب حتىجنيت ثمارها رطبا و غضّا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٢١ فرأيك ناجح فيما تراهو عزمك من مواضى الهند أمضى

تدبّر أمر مولانا فيلقى المسىء لديك إشفاقا و إغضا

فأعقبنا شفاء و انبساطاو قد كانت قلوب الناس مرضى

و من أضحى على ظمإ و أمسىيرد إن شاء من نعماك حوضا

أبا عبد الإله إليك أشكوزمانى حين زاد الفقر عضّا

و من نعماك أستجدى لباسايفيض به علىّ الجاه فيضا

بقيت مؤمّلا ترجى و تخشىو مثلك من إذا ما جاد أرضى

وفاته: توفى فى التاسع لمحرم من عام خمسة و ستين و سبعمائة.

محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك ابن غالب الغسّانى

من أهل غرناطة، يكنى أبا أبكر، و يعرف بالقليعى ،

أوليته: قد جرى من ذكره و ذكر بيته فى الطبقات ما فيه كفاية .

حاله: كان نبيه البيت، رفيع القدر، عالى الصيت، من أهل العلم و الفضل و الحسب و الدّين، و أجمع على استقضائه أهل بلده بعد أبى محمد بن سمحون سنة ثمان و خمسمائة.

وفاته: توفى بغرناطة أوائل صفر عشرة و خمسمائة، و دفن فى روضة أبيه. ذكره ابن الصّيرفى و أطنب.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۲۲

محمد بن أحمد بن محمد الدّوسى

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد اللّه و يعرف بابن قطبة.

حاله: من «عائد الصلة»: كان، رحمه اللّه، شيخ الفقهاء و الموثّقين، صدر أرباب الشورى، نسيج وحده فى الفضل و التّخلّق و العدالة، طرفا فى الخير، محبّبا إلى الكافة، مجبولا على المشاركة، مطبوعا على الفضيلة، كهفا للغرباء و القادمين، مألفا للمتعلمين، ثمالا للأسرى و العانين، تخلّص منهم على يديه أمم؛ لقصد الناس إيّاه بالصّدقة، مقصودا فى الشّفاعات، معتمدا بالأمانات، لا يسدل دونه ستر، و لا تحجب عنه حرمة، فقيها حافظا، أخباريا محدّثا ممتعا، متقدما فى صناعة التوثيق، حسن المشاركة فى غيرها، كثير الحضّ على الصدقة فى المحول و الأزمات، يقوم فى ذلك مقامات حميدة، ينفع اللّه بها الضعفاء، و ينقاد الناس لموعظته، و يؤثّر فى القلوب بصدقة. فقد بفقدانه رسم من رسوم البرّ و الصّدقة.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الكبير أبى جعفر بن الزّبير، و الخطيب وليّ اللّه أبى الحسن بن فضيلة، و روى عن الشيخ الوزير المسنّ المحدّث أبى محمد عبد المنعم بن سماك، و أبى القاسم بن السّكوت المالقى، و الخطيب أبى عبد اللّه بن رشيد، و القاضى أبى يحيى بن مسعود، و العدل أبى على البجلى، و أبى محمد عبد المؤمن الخولانى. و أجازه جماعة من أهل المشرق و المغرب، و ناب عن بعض القضاة بغرناطة. ولد عام تسعة و ستين و ستمائة، و توفى فى الثالث لربيع الأول من عام ثمانية و ثلاثين و سبعمائة. و كانت جنازته مشهودة.

محمد بن إبراهيم بن عبد اللّه بن أحمد بن محمد بن يوسف بن رويبل الأنصارى

من أهل غرناطة، و يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بابن السّراج. طليطلى الأصل، طبيب الدار السلطانية.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه اللّه، من أهل التّفنّن و المعرفة، متناهى الأبّهة و الحظوة، جميل الصورة، مليح المجالسة، كثير الدّعابة و المؤانسة، ذاكرا للأخبار و الطّرف، صاحب حظّ من العربية و الأدب و التفسير، قارضا للشّعر، حسن الخط،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۲۳

ظريف الوراقة، طرفا فى المعرفة بالعشب، و تمييز أعيان النّبات، ستيّا، محافظا، محبّا فى الصالحين، ملازما لهم، معتنيا بأخبارهم، متلمذا لهم. انحاش إلى الولى أبى عبد اللّه التّونسى، و انقطع إليه مدة حياته، و دوّن أحواله و كراماته. و عيّن ريع ما يستفيده فى الطّبّ صدقة على يديه، أجرى ذلك بعد موته لبنيه. و نال حظا عريضا من جاه السلطان، فاطّرح حظّ نفسه مع المساكين و المحتاجين، فكان على بأوه على أهل الدنيا، يؤثر ذوى الحاجة، و يخفّ إلى زيارتهم، و يرفدهم، و يعينهم على معالجة عللهم.

مشيخته: قرأ الطّبّ على الشيخ الطبيب، نسج وحده أبى جعفر الكزنى، رئيس الصناعة فى وقته، و لقى فيه الأستاذ إمام التّعاليم و المعارف أبا عبد اللّه الرّقوطى المرسى و غيره. و قرأ القرآن على المقرئ الشهير أبى جعفر الطبّاع بالروايات السّبع، و العربية على الأستاذ أبى الحسن بن الصائغ الإشبيلى، و أكثر القراءة على شيخ الجماعة العلّامة أبى جعفر بن الزّبير.

تواليفه: ألّف كتبا كثيرة، منها فى النّبات و الرؤيا، و منها كتاب سمّاه، «السّرّ المذاع، فى تفضيل غرناطة على كثير من البقاع».

شعره: من ذلك قوله ملغّزا فى المطر: [الطويل]

و ما زائر مهما أتى ابتهجت بهنفوس و عمّ الخلق جودا و إحسانا

يقيم فيشكو الخلق منه مقامهو يكربهم طرّا إذا عنهم بانا

يسرّ إذا وافى و يكرب إن نأىو يكره منه الوصل إن زار أحيانا

و أعجب شىء هجر حبّ مواصلبه لم يطل هواه إن لم يطل خانا

محنته: ذكر أنه لما توفى السلطان ثانى الملوك من بنى نصر فجأة، و هو يصلّى المغرب، و باكر الطبيب بابه غداة ليلة موته، سأل عن الطعام القريب عهد موته بتناوله، فأخبر أنّه تناول كعكا وصله من وليّ عهده، فقال كلاما أوجب نكبته، فامتحن بالسّجن الطويل، و التمست الأسباب الموصلة إلى هلاكه، ثم أجلى إلى العدوة. ثم دالت الأيام، فعاد إلى وطنه مستأنفا ما عهده من البرّ و فقده من التّجلّة.

ميلاده: بغرناطة عام أربعة و خمسين و ستمائة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۲۴

وفاته: ليلة الخميس التاسع من شهر ربيع الأول من عام ثلاثين و سبعمائة.

محمد بن إبراهيم بن عبد اللّه بن أبى زمنين المرّى

يكنى أبا عبد اللّه ، و بيته معلوم.

حاله: كان من أهل المعرفة و النّبل و الذكاء.

مشيخته: قرأ القرآن على أبى بكر بن النّفيس، و أبى عبد اللّه بن شهيد المرّى المقرئ بطخشارش من غرناطة. و درس الفقه عند المشاور أبى عبد اللّه بن مالك المقرئ، و أبى الحسن على بن عمر بن أضحى، و على غيرهما من شيوخ غرناطة.

وفاته: توفى سنة أربعين و خمسمائة.

قلت: و إنما ذكرت هذا المترجم به مع كونى اشترطت صدر خطبته ألّا أذكر هذا النمط لمكان مصاهرتى فى هذا البيت. و لعلّ حافد هذا المترجم به من ولدى يطّلع على تعدادهم و ذكرهم فى هذا التأليف و ترددهم، فيكون ذلك محرّضا له على النّجابة، محرّضا للإجابة، جعلنا اللّه ممّن انتمى للعلم و أهله، و اقتفى من سننه واضح سبله.

محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم ابن حسّان القيسى

الوادآشى الأصل و المعرفة، التّونسى الاستيطان، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بابن جابر.

حاله: من «عائد الصلة»: نشأ بتونس، و جال فى البلاد المشرقية و المغربية، و استكثر من الرّواية و نقّب عن المشايخ، و قيّد الكثير، حتى أصبح جمّاعة المغرب، و راوية الوقت. ثم قدم الأندلس ظريف النّزعة، عظيم الوقار، قويم السّمت، يأوى فى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۲۵

فضل التّعيش إلى فضل ما كان بيده، يصرفه فى مصارف التجارة. و قعد للإسماع و الرّواية، و انتقل إلى بلّش، فقرأ بها القرآن العظيم و الروايات السّبع، على الخطيب أبى جعفر بن الزيات. ثم رحل إلى المغرب، ثم أعاد الرّحلة الحجازية، و أعرق، فلقى أمّة من العلماء و المحدّثين، و أصبح بهم شيخ وحده، انفساح رواية، و علوّ إسناد.

مشيخته: من شيوخه قاضى الجماعة بتونس أبو العباس بن الغمّاز الخزرجى البلنسى، و قاضى الجماعة بها أبو إسحاق بن عبد الرفيع، و قاضى قضاة الدّيار المصرية بدر الدين بن إبراهيم بن سعد اللّه بن جماعة بن على بن جماعة بن صخر الكنانى. و قاضى الجماعة

ببجاية أبو العباس الغبرينى، و سراج الدين أبو جعفر عمر بن الخضر بن طاهر بن طرّاد بن إبراهيم بن محمد بن منصور الأصبحى، و أبو محمد عبد الغفار بن محمد السّعدى المصرى، و رضىّ الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الخليلى الجعفرى، و شرف الدين أبو عبد اللّه بن الحسن بن عبد اللّه بن الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد بن سرور المقدسى، و أبو الفضل أبو القاسم بن حمّاد بن أبى بكر بن عبد الواحد الحضرمى اللبيد، و عبد اللّه بن يوسف بن موسى الخلاسى، و عبد اللّه بن محمد بن هارون، و إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن الحاج التّجيبى، و أحمد بن يوسف بن يعقوب بن على الفهرى اللّبلى ، و ولده جابر بن محمد بن قاسم معين الدين، و عزّ الدين أبو القاسم بن محمد بن الخطيب، و جمال الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبد الباقى بن الصّيقّار، و أبو بكر بن عبد الكريم بن صدقة العزفى، و محمد بن إبراهيم بن أحمد التجيبى، و أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن على بن إبراهيم بن عقاب الجذامى الشاطبى، و عبد الرحمن بن محمد بن على بن عبد اللّه الأنصارى الأسدى القيروانى، و أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتورى ، و على بن محمد بن أبى القاسم بن رزين التّجيبى، و أحمد بن موسى بن عيسى البطرنى ، و غرّ القضاة فخر الدين أبو محمد عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير، و تقى الدين محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصرى، و صدر النحاة أبو حيّان، و ظهير الدين أبو محمد بن عبد الخالق المخزومى المقدسى الدّلاصى، و رضىّ

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۲۶

الدين بن إبراهيم بن أبى بكر الطّبرى، و المعمّر بهاء الدين أبو محمد القاسم بن مظفر بن محمود بن هبة اللّه بن عساكر الدمشقى. و أما من كتب إليه فنحو مائة و ثمانين من أهل المشرق و المغرب.

قدم غرناطة فى أول عام ستة و عشرين و سبعمائة، فهو باعتبار أصله أصلى، و باعتبار قدومه طارىء و غريب.

تواليفه: له تواليف حديثيّة جملة، منها أربعون حديثا، أغرب فيها بما دلّ على سعة خطوه و انفساح رحله.

وفاته: كان حيّا سنة أربعين و سبعمائة، و بلغنى أنه توفى عام سبعة بعدها.

محمد بن خلف بن موسى الأنصارى الأوسى

من أهل إلبيرة، يكنى أبا عبد اللّه.

حاله: كان متكلّما، واقفا على مذاهب المتكلّمين، متحققا برأى الأشعرية، ذاكرا لكتب الأصول و الاعتقادات، مشاركا فى الأدب، مقدّما فى الطّبّ.

مشيخته: روى عن أبى جعفر بن محمد بن حكم بن باق، و أبى جعفر بن خلف بن الهيثم، و أبوى الحسن بن خلف العنسى، و ابن محمد بن عبد العزيز بن أحمد بن حمدين، و أبوى عبد اللّه بن عبد العزيز الموري، و ابن فرج مولى الطلّاع، و أبى العباس بن محمد الجذامى، و أبى على الغسانى، و أبى عمرو زياد بن الصّيقّار، و أبى القاسم أحمد بن عمر. و أخذ علم الكلام عن أبى بكر بن الحسن المرادى، و أبى جعفر بن محمد بن باق، و أبى الحجاج بن موسى الكلبى.

و تأدّب فى بعض مسائل النحو بأبى القاسم بن خلف بن يوسف بن فرتون بن الأبرش.

من روى عنه: روى عنه أبو إسحاق بن قرقول، و أبو خالد المروانى، و أبو زيد بن نزار، و أبو عبد اللّه بن الصّيقل المرسى، و أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد اللّه بن سمعان، و أبو الوليد بن خيرة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۲۷

تواليفه: من تواليفه: «النّكت و الأمالى، فى الرّد على الغزالى»، و «الإيضاح و البيان، فى الكلام على القرآن»، و «الأصول ، إلى معرفة اللّه و نبوة الرسول» و رسالة «الاقتصار ، على مذاهب الأئمّة الأخيار»، و رسالة «البيان، فى حقيقة الإيمان»، و الرّد على أبى الوليد بن رشد فى مسألة الاستواء الواقعة له فى الجزء الأول من مقدّماته، و «شرح مشكل ما وقع فى الموطّإ و صحيح البخارى»، و قد كان شرع

فى تصنيفه عام ثمانية عشر و خمسمائة فى شوال منه، و بلغ فى الكلام فيه إلى النّكتة الرابعة و الخمسين، و قطعت به قواطع المرض، و شرع فى معالجة العين لرؤيا رآها، يقال له: ألّفت فى نور البصيرة، فألّف فى نور البصر تنفع و تنتفع، فأقبل على تأليفه فى مداواة العين، و هو كتاب جمّ الإفادة، ثم أكمل النّكت.

شعره: و كان له حظّ من قرض الشعر، فمن ذلك ما مدح به إمام الحرمين أبا المعالى الجوينى : [الخفيف]

حبّ حبر يكنى أبا للمعالى هو دينى ففيه لا تعذلونى

أنا و اللّه مغرم فى هواه علّلونى بذكره علّلونى

مولده: ولد يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة سبع و خمسين و خمسمائة .

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد اللّه الخولانى

غرناطى، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بالشّريشى . الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج۳ ؛ ص۱۲۷

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۲۸

حاله: من أهل التّصاون و الحشمة و الوقار، معرق فى بيت الخيريّة و العفّة، و كان والده صاحبنا، رحمه اللّه، آية فى الدّؤوب و الصّبر على انتساخ الدّواوين العلمية و الأجزاء، بحيث لا مظنّة معرفة أو حجرة طلب تخلو عن شىء من خطّه إلّا ما يقلّ، على سكون و عدالة و انقباض و صبر و قناعة. و أكتب للصّبيان فى بعض أطواره، و نشأ ابنه المذكور ظاهر النّبل و الخصوصيّة، مشاركا فى فنون؛ من عربية و أدب و حساب و فريضة. و تصرّف فى الشهادة المخزنيّة برهة، ثم نزع عنها انقيادا لداعى النّزاهة، و هو الآن بحاله الموصوفة.

شعره: و شعره من نمط الإجادة، فمن ذلك قوله : [السريع]

بى شادن أهيف مهما انثنىيحكى تثنّيه القضيب الرّطيب

ذو غرّة كالبدر قد أطلعتفوق قضيب نابت فى كثيب

خضت حشا الظّلماء من حبّهأختلس الوصل حذار الرّقيب

فبتّ و الوصل لنا ثالثيضمّنا ثوب عفاف قشيب

حتى إذا ما الليل ولّى و قدمالت نجوم الأفق نحو الغروب

ودّعته و القلب ذو لوعةأسبل من ماء جفونى غروب

فلست أدرى حين ودّعته قلب بأضلاعى غدا أم قليب؟

و من ذلك فى النسيب : [السريع]

يا أجمل الناس و يا من غدتغرّته تمحو سنا الشمس

أنعم على عبدك يا مالكىدون اشتراء و منى نفسى

بأن ترى وسطى لعقدى و أنتعيد ربعى كامل الأنس

فإن تفضّلت بما أرتجىأبقيتنى فى عالم الإنس

و إن تكن ترجعنى خائبافإننى أدرج فى رمسى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۲۹

و قال فى فضل العلم : [السريع]

يا طالب العلم اجتهد إنهخير من التّالد و الطّارف

فالعلم يذكو قدر إنفاقهو المال إن أنفقته تالف

و ترقّى إلى هذا العهد بإشارتى إلى التى لا فوقها من تعليم ولد السلطان، و الرّئاسة القرآنية بباب الإمارة، و الإمامة بالمسجد الجامع من القلعة ، حميد الطريقة فى ذلك كله، معروف الحق، تولّاه اللّه.

مولده: عام ثمانية عشر و سبعمائة.

محمد بن محمد بن على بن سودة المرّى

يكنى أبا القاسم.

أوليته: من نبهاء بيوتات الأندلس و أعيانها، سكن سلفه البشارّة ، بشارّة بنى حسّان، و ولى جدّه الأشغال، حميد السيرة، معروف الإدانة.

حاله: هذا الفتى من أهل الخصوصيّة و السكون و الحياء، المانع عن كثير من الأغراض. مال إلى العلوم العقلية، فاستظهر على المماسّة فى بعض أغراضها بالدؤوب و العكوف، المورّين تأثير حبل الرّكية فى جحرها، فتصدّر للعلاج، و عانى الشّعر، و أرسم فى الكتابة، و عدّ من الفضلاء، و ظهرت على عباراته اصطلاحات الحكماء، و تشوّف إلى العهد للرّحلة الحجازية، و اللّه ييسّر قصده.

مشيخته: قرأ الطبّ و التّعديل على الحبر طبيب الدّار السّلطانية، فارس ذينك الفنّين، إبراهيم بن زرزار اليهودى، و رحل إلى العدوة، فقرأ على الشّريف العالم الشهير، رحلة الوقت فى المغرب، أبى عبد اللّه العلوى، و بلقائه نجح.

شعره: أنشد السلطان قوله: [الكامل]

جاد الحمى صوب الغمام هتونه‌تزجى البروق سحابه فتعينه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٣٠ و سقى ديار العامرية بعد ماوافى بجرعاء الكثيب معينه

يندى بأفنان الأراك كأنه‌عقد تناثر بالعقيق ثمينه

و محى الكثيب سكوبه فكأنه‌خطّ تطلّس ميمه أو نونه

حتى إذا الأرواح هبّت بالضّحى‌مسحت عليه بالجناح تبينه

و كأنّه و الرعد يحدو خلفه‌صبّ يطول إلى اللقاء حنينه

أو سحّ دمعى فوق أكناف اللّوى‌جادت بلؤلؤة النفيس عيونه

و البرق فى حلل السّحاب كأنه‌مكنون سرّ لم يذع مضمونه

أو ثوب ضافية الملابس كاعب‌عمدت بحاشية النّضار تزينه

هنّ الديار برامة لا دهرهاسلس القياد و لا العتاب يلينه

و لقد وقفت برسمها فكأنّنى‌من ناحل الأطلال فيه أكونه

قلبى بذاك اللّوى خلّفته‌ألوى بمزدلف الرّفاق ظعينه

لا تسأل العذّال عنى فالهوى‌هذا يخامر بالضّلوع دفينه

إن يخف عن شرحى حديث زميرتى‌فعلى الفنون فريضة تبينه

عجبا لدمعى لا يكفّ كأنماجدوى أبى عبد الإله هتونه

محيى المكارم بعد ما أودى بهازمن تقلّب بالكرام خؤونه

مولى الملوك عميد كلّ فضيلةعلق الزمان ثمينه و مكينه

يضفى إلى داعى النّدى فيهزّه‌و بملتقى الجمعين طال سكونه

من ذا يسابق فضله لوجوده‌و يلجّ فيض البحر فاض يمينه

إن تلقه تلق الجمال و قاره‌و الحلم طبع و السّماحة دينه

غمر الأنام نواله و محا الضلال رشاده و جلا الظّلام جبينه

أحيا رسوم الدين و هى دوارسو لطالما صدع الشكوك يقينه

شمس الهدى حتف العدا محيى النّدابحر الجدا طول المدى تمكينه

ليث الشّرى غوث الورى قمر السّرىسنّ القرى عمّ القرى تأمينه

فلبأسه يوم الوغى و لعزمهجاش الهزبر إذا الهزبر يخونه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۳۱ لا تسأل الهيجاء عنه إنهيصل المراد كما تحبّ ظنونه

لو كان يشغله المنام عن العلاهجر المنام و باعدته جفونه

و إذا تطاولت الملوك بماجدبمحمد دون الأنام يكونه

يا ابن الألى نصروا الرسول و من بهمنطق الكتاب فصيحه و مبينه

خصّوا ببيعته و حاموا دونهنهج الرّضا حتى تقاوم دينه

أ معاضد الإسلام أنت عميدهو خليفة الرحمن أنت أمينه

لم يبق إلّا من بسيفك طائفألفنش فى أقصى البلاد رهينه

و بجيشك المنصور لو لاقيتهأدرى بمشتجر الرّماح طعينه

و لو اصطنعت إلى العدوّ إدالةطاعت إليك بلاده و حصونه

خذها إليك قصيدة من شاعرحلو الكلام مهذّب تبيينه

جعل القوافى للمعالى سلّمافجنى القريض كما اقتضته فنونه

غطّى هواه عقله و اقتادهيحصى النجوم جهالة تزيينه

و لو أخذته أيدى التحرير و النّقد، لرجى أن يكون شاعرا، و بالجملة فالرجل معدود من السّراة بيتا و تخصّصا.

محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسى

منكّبى ، الأصل، يكنى أبا عبد اللّه، طبيب الدّار السلطانية.

حاله: من «عائد الصلة»: كان، رحمه اللّه، فذّا فى الانطباع و اللّوذعية، حسن المشاركة فى الطّب، مليح المحاضرة، حفظة، طلعة، مستحضرا للأدب، ذاكرا لصناعة الطب، أخذها عن إمام وقته أبى جعفر الكزنى، و انتصب للعلاج، ثم انتقل إلى الخدمة بصناعته بالباب السلطانى، و ولّى الحسبة، و من شعره يخاطب السلطان على ألسنة أصحابنا الأطباء الذين جمعتهم الخدمة ببابه يومئذ، و هم أبو الأصبغ بن سعادة، و أبو تمام غالب الشّقورى: [الخفيف]

قد جمعنا ببابكم سطر علمللبلوغ المنى و نيل الإرادة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۳۲ و من أسمائنا لكم حسن فالغالب ثم سالم و سعاده

وفاته: توفى فى شهر رجب من عام سبعة عشر و سبعمائة.

محمد بن عبد اللّه بن أبى زمنين

من أهل إلبيرة، يكنى أبا عبد اللّه.

حاله: من الملاحى ، قال: ولّى الأحكام، و كان فقيها نبيها.

وفاته: توفى بغرناطة فى عشر الستين و أربعمائة.

قلت: قد تقدم اعتذارى عن إثبات مثله فى هذا المختصر، فلينظر هناك إن شاء اللّه.

محمد بن عبد اللّه بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبى زمنين عدنان بن بشير بن كثير المرّى

حاله: كان من كبار المحدّثين و العلماء الراسخين، و أجلّ وقته قدرا فى العلم و الرّواية و الحفظ للرّأى و التمييز للحديث، و المعرفة باختلاف العلماء، متفنّنا فى العلم، مضطلعا بالأدب، قارضا للشّعر، متصرفا فى حفظ المعانى و الأخبار، مع النّسك و الزّهد، و الأخذ بسنن الصالحين، و التخلّق بأخلاقهم. لم يزل أمّة فى الخير، قانتا للّه، منيبا له، عالما زاهدا صالحا خيّرا متقشّفا، كثير التّبتّل و التّزلّف بالخيرات، مسارعا إلى الصالحات، دائم الصلاة و البكاء، واعظا، مذكرا بالله، داعيا إليه، و رعا، ملبّى الصدقة، معينا على النّائبة، مواسيا بجاهه و ماله، ذا لسان و بيان، تصغى إليه الأفئدة فصيحا، بهيّا، عربيّا، شريفا، أبىّ النفس، عالى الهمّة، طيّب المجالسة، أنيس المشاهدة، ذكيّا، راسخا فى كل جمّ من العلوم، صيرفيا جهبذا، ما رؤى، قبله و لا بعده، مثله.

مشيخته: سكن قرطبة، و سمع بها من أحمد بن مطرّف، و وهب بن مسرّة الحجارى، و عن أبان بن عيسى بن محمد بن دنيّر، و عن والده عبيد اللّه بن عيسى.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۳۳

من روى عنه: روى عنه الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيرى و غيره.

تواليفه: ألف كتاب المغرب فى اختصار «المدوّنة» ثلاثين جزءا، ليس فى المختصرات مثله بإجماع، و المهذّب فى تفسير «الموطّإ»، و المشتمل فى أصول الوثائق، و حياة القلوب، و أنس الفريد، و منتخب الأحكام، و النصائح المنظومة، و تفسير القرآن.

مولده: فى المحرم سنة أربع و عشرين و ثلاثمائة.

وفاته: توفى فى شهر ربيع الثانى عام ثمانية و تسعين و ثلاثمائة بحاضرة إلبيرة، رحمه اللّه و نفع به.

محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم بن مشرّف ابن قاسم بن محمد بن هانى اللخمى القائصى

يكنى أبا الحسن.

حاله: كان وزيرا جليلا، فقيها رفيعا، جوادا، أديبا، جيّد الشعر، عارفا بصناعة النّحو و العروض، و اللغة و الأدب و الطب، من أهل الرّواية و الدّراية.

مشيخته: روى عن الحافظ أبى بكر بن عطيّة، و أبى محمد بن عتّاب، و أبى الوليد بن رشد القاضى الإمام، و القاضى أبى محمد عبد اللّه بن على بن سمجون.

شعره: من شعره قوله : [السريع]

يا حرقة البين كويت الحشاحتى أذبت القلب فى أضلعه

أذكيت فيه النّار حتى غداينساب ذاك الذّوب من مدمعه

يا سؤل هذا القلب حتى متىيؤسى برشف الرّيق من منبعه؟

فإنّ فى الشّهد شفاء الورى لا سيما إن مصّ من مكرعه

و اللّه يدنى منكم عاجلاو يبلغ القلب إلى مطمعه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۳۴

مولده: ولد فى الثلث الأخير من ليلة الجمعة لثلاث بقين لذى حجة سنة ثمان و تسعين و أربعمائة.

وفاته: توفى فى آخر جمادى الأخرى سنة ست و تسعين و خمسمائة.

محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد ابن يوسف بن أحمد الغسانى

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد اللّه.

حاله: كان محدّثا نبيلا حاذقا ذكيا، و له شرح جليل على كتاب «الشّهاب» ، و اختصار حسن فى «اقتباس الأنوار» للرّشاطى. و كان كاتبا وافر الحظّ من الأدب، يقرض شعرا لا بأس به.

من شعره فى ذكر أنساب طبقات العرب : [الكامل]

الشّعب ثمّ قبيلة و عمارةبطن و فخذ و الفصيلة تابعه

فالشّعب يجمع للقبائل كلّهاثم القبيلة للعمارة جامعه

و البطن تجمعه العمائر فاعلمنو الفخذ تجمعه البطون الواسعه

و الفخذ يجمع للفصائل كلها جاءت على نسق لها متتابعه

فخزيمة شعب و إنّ كنانةلقبيلة عنها الفصائل شائعه

و قريشها تسمى العمارة يا فتىو قصىّ بطن للأعادى قامعه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۳۵ ذا هاشم فخذ و ذا عبّاسهاإلّا الفصيلة لا تناط بسابعه

مولده: ولد بغرناطة سنة ثمان و ستين و خمسمائة.

وفاته: بمرسية فى رمضان تسع عشرة و ستمائة .

محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مفرّج بن أحمد ابن عبد الواحد بن حريث بن جعفر بن سعيد بن محمد ابن حقل الغافقى

من ولد مروان بن حقل النازل بقرية الملّاحة من قنب قيس من عمل إلبيرة، يكنى أبا القاسم و يعرف بالملّاحى. و قد نقلنا عنه الكثير، و هو من المفاخر الغرناطية.

حاله: كان محدّثا راوية معتنيا، أديبا، مؤرخا، فاضلا جليلا. قال الأستاذ فى «الصلة»: كان من أفضل الناس، و أحسنهم عشرة، و ألينهم كلمة، و أكثرهم مروءة، و أحسنهم خلقا و خلقا، ما رأيت مثله، قدّس اللّه تربته. و ذكره صاحب «الذيل» الأستاذ أبو عبد اللّه بن عبد الملك، و أطنب فيه، و ذكره المحدّث أبو عبد اللّه الطنجالى، و ذكره ابن عساكر فى تاريخه.

مشيخته: روى عن أبيه أبى محمد، و أبى القاسم بن بشكوال، و أبى العبّاس بن اليتيم، و عالم كثير من غير بلده، و من أهل بلده سوى أبيه، و عن أبى سليمان داود بن يزيد بن عبد اللّه السّعدى القلعى ، لازمه مدة. و عن أبى خالد بن رفاعة اللخمى، و أبى محمد عبد الحق بن يزيد العبدرى، و أبى جعفر عبد الرحمن بن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۳۶

الحسن بن القصير، و أبى بكر بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن عطية المحاربى، و أبى محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم، و أبى جعفر بن حكم الحصّار، و أبى عبد اللّه بن عروس، و أبى الحسن بن كوثر، و أبى بكر الكتندى، و أبى إسحاق بن الجلّا، و أبى بكر بن أبى زمنين، و أبى القاسم بن سمجون، و أبى محمد عبد الصمد بن محمد بن يعيش الغسانى. و كان من المكثرين فى باب الرّواية، أهل الضبط و التقييد و الإتقان، بارع الخطّ، حسن الوراقة، أديبا بارعا ذاكرا للتاريخ و الرجال، عارفا بالأنساب، نقّادا حافظا للأسانيد، ثقة عدلا، مشاركا فى فنون، سياسيا. و روى عنه الأستاذ، و اعتنى بالرواية عنه. و قال الأستاذ: حدّثنى عنه من شيوخى جماعة، منهم القاضى العدل أبو بكر بن المرابط.

تواليفه: ألّف كتابه فى «تاريخ علماء إلبيرة»، و احتفل فيه. و ألّف كتاب «الشجرة فى الأنساب»، و «كتاب الأربعين حديثا»، و «كتاب فضائل القرآن،» و «برنامج روايته» و غير ذلك.

مولده: سنة تسع و أربعين و خمسمائة.

وفاته: توفى فى شعبان سنة تسع عشرة و ستمائة ببلده .

محمد بن على بن عبد اللّه اللخمى

يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بالشّقورى، منسوبا إلى مدينة شقورة و منها أهله، صاحبنا طبيب دار الإمارة، حفظه اللّه.

حاله: هذا الرجل طرف فى الخير و الأمانة، فذّ فى حسن المشاركة، نقىّ فى حب الصّالحين، كثير الهوى إلى أهل التقوى، حذر من التفريط، حريص على التّعلّق بجناب اللّه، نشأ سابغ رداء العفّة، كثيف جلباب الصّيانة، متصدّرا للعلاج فى زمن المراهقة، معمّا، مخوّلا فى الصّناعة، بادى الوقار فى سنّ الحشمة. ثم نظر و اجتهد، فأحرز الشهرة بدينه، و يمن نقيبته، و كثرة حيطته، و لطيف علاجه، و نجح تجربته. ثم كلف بصحبة الصالحين، و خاض فى السلوك، و أخذ نفسه بالارتياض و المجاهدة، حتى ظهرت عليه آثار ذلك. و استدعاه السلطان لعلاج نفسه، فاغتبط به، و شدّ اليد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۳۷

عليه، و ظهر له فضله، و هو لهذا العهد ببابه، حميد السيرة، قويم الطريقة، صحيح العقد، حسن التدبير، عظيم المشاركة للناس، أشدّ الخلق حرصا على سعادة من صحبه، و أكثرهم ثناء عليه، و أصرحهم نصيحة له، نبيل الأغراض، فطن المقاصد، قائم على الصنعة، مبين العبارة، معتدل فى البحث و المذاكرة، متكلّم فى طريقة الصّوفية، عديم النظير فى الفضل، و كرم النّفس.

شيوخه: قرأ على جدّه للأب، و على الحكيم الوزير خالد بن خالد من شيوخ غرناطة، و على شيخنا الحكيم الفاضل أبى زكريا بن هذيل، و لازمه، و انتفع به، و سلك بالشيخ الصّوفى أبى مهذّب عيسى الزيات ثم بأخيه الصالح الفاضل أبى جعفر الزيات، و التزم طريقته، و ظهرت عليه بركته.

تواليفه: ألّف كتبا نبيلة، منها «تحفة المتوصل فى صنعة الطب» و كتابا أسماه «الجهاد الأكبر»، و آخر سمّاه «قمع اليهودى عن تعدّى الحدود» أحسن فيه ما شاء.

شعره: أنشدنى بعد ممانعة و اعتذار، إذ هذا الغرض ليس من شأنه: [الطويل]

سألت ركاب العز أين ركابىفأبدى عنادا ثم ردّ جوابى

ركابك مع سيرى يسير بسيرهبغير حلول مذ حللت جنابى

فلا تلتفت سيرا لذاتك إنماتسير بها سيرا لغير ذهاب

و هى متعددة.

مولده: ولد فى عام سبعة و عشرين و سبعمائة.

محمد بن على بن فرج القربليانى

يكنى أبا عبد اللّه و يعرف بالشفرة.

حاله: كان رجلا ساذجا، مشتغلا بصناعة الطب، عاكفا عليها عمره، محققا لكثير من أعيان النّبات، كلفا به، متعيّشا من عشبه أول أمره، و ارتاد المنابت، و سرح بالجبال، ثم تصدّر للعلاج، و رأس به، و حفظ الكثير من أقوال أهله، و نسخ جملة من كنانيشه على ركاكة خطّه، و عالج السلطان نصر المستقرّ بوادى آش، و قد طرق من بها مرض وافد حمل علاجه المشاقحة لأجله، و عظم الهلاك فيمن

اختصّ بتدبيره، فطوّف

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۳۸

القلب المبارك بمبراه. ثم رحل إلى العدوة، و أقام بمرّاكش سنين عدّة، ثم كرّ إلى غرناطة فى عام أحد و ستين، و بها هلك على أثر وصوله.

مشيخته: زعم أنه قرأ على أبيه ببلده من قربليان بلد الدّجن ، و أخذ الجراحة عن فوج من محسنى صناعة عمل اليد من الرّوح. و قرأ على الطبيب عبد اللّه بن سراج و غيره.

تواليفه: ألّف كتابا فى النّبات.

وفاته: فى السابع عشر لربيع الأول عام أحد و ستين و سبعمائة.

محمد بن على بن يوسف بن محمد السّكونى

يكنى أبا عبد اللّه و يعرف بابن اللؤلؤة، أصله من جهة قمارش .

حاله: رحل فى فتائه، بعد أن شدا شيئا من الطلب، و كلف بالرواية و التقييد فلقى مشيخة، و أخذ عن جلّة، و قدم على بلده حسن الحالة، مستقيم الطريقة، ظاهر الانقباض و العفّة، و أدخل الأندلس فوائد و قصائد، و كان ممن ينتفع به لو أمهلته المنية.

شعره: مما نسبه إلى نفسه من الشعر قوله : [المجتث]

يا من عليه اعتمادىفى قلّ أمرى و كثره

سهّل علىّ ارتحالىإلى النّبىّ و قبره

فذاك أقصى مرادىمن الوجود بأسره

و ليس ذا بعزيزعليك فامنن بيسره

و من ذلك : [الطويل]

أمن بعد ما لاح المشيب بمفرقىأميل لزور بالغرور مصاغ

و أرتاح للّذّات و الشّيب منذربما ليس عنه للأنام مراغ

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۳۹ و من لم يمت قبل المشيب فإنهيراع بهول بعده و يراغ

فيا ربّ وفّقنى إلى ما يكون لىبه للذى أرجوه منك بلاغ

وفاته: توفى معتبطا فى وقيعة الطاعون عام خمسين و سبعمائة، خطيبا بحصن قمارش.

محمد بن سودة بن إبراهيم بن سودة المرّى

أصله من بشرّة عرناطة، يكنى أبا عبد اللّه.

حاله: من بعض التواريخ المتأخّرة: كان شيخا جليلا، كاتبا مجيدا، بارع الأدب، رائق الشعر، سيّال القريحة، سريع البديهة، عارفا بالنّحو و اللغة و التاريخ، ذاكرا لأيام السّلف، طيّب المحاضرة، مليح الشّيبة، حسن الهيئة، مع الدّين و الفضل، و الطّهارة و الوقار و الصّمت.

مشيخته: قرأ بغرناطة على الحافظ أبى محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن الفرس، و غيره من شيوخ غرناطة. و بمالقة على الأستاذ أبى القاسم السّهيلى، و بجيّان على ابن يربوع، و بإشبيلية على الحسن بن زرقون و غيره من نظرائه.

أدبه: قال الغافقى: كانت بينه و بين الشيخ الفقيه واحد عصره أبى الحسن سهل بن مالك، مكاتبات و مراجعات، ظهرت فيها براعته، و شهدت له بالتقدم يراعته.

محنته: أصابته فى آخر عمره نكبة ثقيلة، أسر هو و أولاده، فكانت وفاته أسفا لما جرى عليهم، نفعه اللّه. توفى فى حدود سبعة و ثلاثين و ستمائة.

محمد بن يزيد بن رفاعة الأموى البيرى

أصله من قرية طرّش .

حاله: طلب العلم و عنى بسمعه، و نسخ أكثر كتبه بخطّه، و كان لغويّا شاعرا، من الفقهاء المشاورين الموثّقين، و ولّى الصلاة بالحاضرة، و عزل، و سرد الصّوم عن نذر لزمه عمره.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٤٠

مشيخته: سمع من شيوخ إلبيرة؛ محمد بن فطيس، و ابن عمريل، و هاشم بن خالد، و عثمان بن جهير، و حفص بن نجيح، و بقرطبة من عبيد اللّه بن يحيى بن يحيى و غيره.

من حكاياته: قال المؤرخ: من غريب ما جرى لأبى على البغدادى، فى مقدمه إلى قرطبة، أن الخليفة الحكم أمر ابن الرّماحس عامله على كورتى إلبيرة و بجّانة، أن يجيء مع أبى على فى وفد من وجوه رعيّته، و كانوا يتذاكرون الأدب فى طريقهم، إلى أن تجاروا يوما، و هم سائرون، أدب عبد الملك بن مروان، و مساءلته جلساءه عن أفضل المناديل، و إنشاده بيت عبدة بن الطبيب : [البسيط]

ثمّت قمنا إلى جرد مسوّمةأعرافهنّ لأيدينا مناديل

و كان الذّاكر للحكاية أبو على، فأنشد الكلمة فى البيت: أعرافها ، فلوى ابن رفاعة عنانه منصرفا، و قال: مع هذا يوفد على أمير المؤمنين، و تتجشّم الرّحلة العظيمة، و هو لا يقيم وزن بيت مشهور فى النّاس، لا يغلط فيه الصّبيان، و اللّه لا تبعته خطوة، و انصرف عن الجماعة، و ندبه أميره ابن الرّماحس، و رامه بأن لا يفعل، فلم يجد فيه حيلة، فكتب إلى الخليفة يعرّفه بابن رفاعة، و يصف ما جرى معه، فأجابه الحكم على ظهر كتابه: الحمد للّه الذى جعل فى باديه من بوادينا من يخطّئ وفد أهل العراق، و ابن رفاعة بالرّضا أولى منه بالسّخط، فدعه لشأنه، و أقدم بالرّجل غير منتقص من تكريمه، فسوف يعليه الاختبار أو يحطّه.

وفاته: توفى سنة ثلاث أو أربع و أربعمائة.

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن محمد بن على ابن أبى بكر بن خميس الأنصارى

من أهل الجزيرة الخضراء.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٤١

حاله: كان فاضلا و قورا، مشاركا، خطيبا، فقيها، مجوّدا للقرآن، قديم الطّلب، شهير البيت، معروف النّعيّن، نبيه السّلف فى القضاء، و الخطابة و الإقراء، مضى عمره خطيبا بمسجد بلده الجزيرة الخضراء، إلى أن تغلّب العدوّ عليها، و باشر الحصار بها عشرين شهرا، نفعه اللّه. ثم انتقل إلى مدينة سبتة، فاستقرّ خطيبا بها إلى حين وفاته.

مشيخته: قرأ على والده، رحمه اللّه، و على شيخه، و شيخ أبيه أبى عمر، و عباس بن الطّفيل، الشهير بابن عظيمة، و على الأستاذ أبى جعفر بن الزّبير، و الخطيب أبى عبد اللّه بن رشيد بغرناطة عند قدومه عليها، و القاضى أبى المجد بن أبى الأحوص، قاضى بلده، و كتب له بالإجازة الوزير أبو عبد اللّه بن أبى عامر بن ربيع، و أجازه الخطباء الثلاثة أبو عبد اللّه الطّنجالى، و أبو محمد الباهلى، و أبو عثمان بن سعيد. و أخذ عن القاضى بسبتة أبى عبد اللّه الحضرمى، و الإمام الصالح أبى عبد اللّه بن حريث، و المحدّث أبى القاسم التّجيبى، و الأستاذ أبى عبد اللّه بن عبد المنعم، و الأخوين أبى عبد اللّه و أبى إبراهيم، ابنى يربوع. قال: و كلّهم لقيته و سمعت منه. و أجاز لى إجازة عامة ما عدا الإمام ابن حريث فإنه أجاز لى، و لقيته و لم أسمع عليه شيئا، و أجاز لى غيرهم كناصر الدين المشدالى، و

الخطيب ابن عزمون و غيرهما، ممن تضمنه برنامجه.

تواليفه: قال: و كان أحد بلغاء عصره، و له مصنّفات منها: «النّفحة الأرجيّة، فى الغزوة المرجيّة»، و دخل غرناطة مع مثله من مشيخة بلده فى البيعات، أظن ذلك.

وفاته: توفى فى الطّاعون بسبتة آخر جمادى الآخرة من عام خمسين و سبعمائة.

محمد بن أحمد بن عبد اللّه العطار

من أهل ألمريّة.

حاله: من بعض التّقييدات، كان فتى و سيما، و قورا، صيّبا، متعفّفا، نجيبا، ذكيّا. كتب عن شيخنا أبى البركات بن الحاج، و ناب عنه فى القضاء، و انتقل بانتقاله إلى غرناطة، فكتب بها. و كان ينظم نظما مترفّعا عن الوسط. و جرى ذكره فى «الإكليل» بما نصّه: ممّن نبغ و نجب، و خلق له البرّ بذاته و وجب، تحلّى بوقار، و شعشع للأدب كأس عقار، إلّا أنه اخترم فى اقتبال، و أصيب الأجل بنبال.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۴۲

و من شعره قوله من قصيدة: [الطويل]

دعانى على طول البعاد هواهاو قد سدّ أبواب اللّقاء نواها

و قد شمت برقا للّقاء مبشّراو قد نفحت ريح الصّبا بشذاها

و جنّ دجى ليل بخيل بصبحه‌كما بخلت ليلى بطيف سراها

و قاد زمانى قائد الحبّ قاصداربوعا ثوت ليلى بطول قناها

و ناديت و الأشواق بالوجد برّحتو دمعى أجرى سابغا للقاها

أيا كعبة الحسن التى النفس ترتجى‌رضاها و حاشى أن يخيب رجاها

أحبك يا ليلى على البعد و النوى‌و بى منك أشواق تشبّ لظاها

لئن حجبت ليلى عن العين إننى‌بعين فؤادى لا أزال أراها

إلى أن بدا الصبح المشتّت شملناو ما بلغت نفس المشوق مناها

فمدّت يمينا للوداع و دمعهايكفكفه خوف الرقيب سراها

و قالت: وداعا لا وداع تفرّق‌لعلّ الليالى أن تديل نواها

تذكّرنا ليلى معاهد باللّوى‌رعى اللّه ليلات اللّوى و رعاها

وفاته: توفى فى الطاعون الأعظم عام خمسين و سبعمائة.

محمد بن أحمد بن المراكشى

من أهل ألمريّة، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بالمرّاكشى.

حاله: كان فتى جميل الرؤيا، سكوتا، مطبوعا على المغافصة و الغمز، مهتديا إلى خفىّ الحيلة، قادرا على المباحثة، ذكيّا، متسوّرا على الكلام فى الصّنائع و الألقاب، من غير تدرّب و لا حنكة، دمث الأخلاق، ليّن العريكة، انتحل الطب، و تصدّر للعلاج و المداواة، و اضطبن أغلوطة صارت له بها شهرة، و هى رقّ يشتمل على أعداد و خطوط و زايرجة، و جداول غريبة الأشكال، تحتها علامات فيها اصطلاحات الصّنائع و العلوم، و يتصل بها قصيدة رويّها لام الألف أولها، و هى منسوبة لأبى العباس السبتى: [الطويل]

يقول لسبتىّ و يحمد ربّه‌مصلّ على هاد إلى الناس أرسلا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۴۳

و أنها مدخل للزّيرجة، ذكر أنه عثر عليها فى مظنّة غريبة، و ظفر برسالة العمل بها، و تحرى بالإعلام بالكنايات، و الإخبار بالخفىّ و تقدمة المعرفة، و الإنذار بالوقائع، حتى استهوى بذلك جماعة من المشيخة، ممن كان يركن إلى رجحان نظره، و سلامة فطرته، و استغلّت الشهادة له بالإصابة سجيّة النفوس فى حرصها على إثبات دعاوى المتحرّفين. أخبرنى بعضهم أنه خبّأ له عظما صغيرا، يكون فى أطراف أجنحة الطّير، أخذه من جناح ديك، و زعم أرباب الخواصّ أنه يزيل الإعياء إذا علّق، فتصرّف على عاداته من الدخول فى تلك الجداول، و أخذ الأعداد الكثيرة، يضربها آونة، و يقسمها أخرى، و يستخرج من تلك الجداول جيوبا و سهاما، و يأخذ جذورا، و ينتج له العمل آخرا حروفا مقطعة، يبقيها الطرح، يؤلف منها كلاما تقتنص منه الفائدة، فكان فى ذلك بيت شعر: [الطويل]

و فى يدكم عظم صغير مدوّريزيل به الإعياء من كان فى السّفر

و أخبرنى آخرون أنه سئل فى نازلة فقهية لم يلق فيها نص، فأخبر أن النص فيها موجود بمالقة، فكان كذلك. و عارض ذلك كله جلّة من أشياخنا، فذكّرنى الشيخ نسيج وحده أبو الحسن بن الجياب أن سامره يخرج خبيئته سواد ليلة، فتأمّل ما يصنعه، فلم يأت بشىء، و لا ذهب إلى عمل يتعقّل، و ظاهر الأمر أن تلك الحال كانت مبتيّة على تخيّل و تخمين، تختلف فيه الإصابة و ضدها، بحسب الحالة و القائل، لتصرّف الحيلة فيه، فاقتضى ذلك تأميل طائفة من أهل الدول إياه، و انتسخوا نظائر من تلك الزيرجة المموّهة، ممطولين منه بطريق التصرّف فيها إلى اليوم، و اتصل بالسلطان، فأرسم ببابه، و تعدّى الإنس إلى طبّ الجن، فافتضح أمره، و همّ به، فنجا مفلتا. و لم تزل حاله مضطربة، إلى أن دعى من العدوة و سلطانها، منازل مدينة تلمسان، و وصلت الكتب عنه، فتوجّه فى جفن هيّئ له، و لم ينشب أن توفى بالمحلّة فى أوائل عام سبعة و ثلاثين و سبعمائة.

محمد بن بكرون بن حزب اللّه

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد اللّه.

حاله: من أهل الخصوصيّة و الفضل، ظاهر الاقتصاد، كثير التخلّق، حسن اللقاء، دائم الطريقة، مختصر الملبس و المأكل، على سنن الفضلاء و أخلاق الجلّة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۴۴

انتظم لهذا العهد فى نمط من يستجاز و يجيز. و كان غفلا فأقام رسما محمودا، و لم يقصّر عن غاية الاستعداد.

مشيخته: منهم الأستاذ، مولى النعمة على أهل بلده، أبو محمد عبد الواحد بن أبى السّداد الباهلى، قرأ عليه القرآن العظيم أربع عشرة ختمة قراءة تجويد و إتقان بالأحرف السّبعة، و سمع عليه كتبا كثيرة، و قال عند ذكره فى بعض الاستدعاءات: و لازمته، رضى اللّه عنه و أرضاه، إلى حين وفاته، و نلت من عظيم بركاته و خالص دعواته ما هو عندى من أجلّ الوسائل، و أعظم الذخيرة، و أفضل ما أعددته لهذه الدّار و الدار الآخرة. و كان فى صدر هذا الشيخ الفاضل كثير من علم اليقين. و هو علم يجعله اللّه فى قلب العبد إذا أحبّه؛ لأنه يؤول بأهله إلى احتمال المكروه، و التزام الصّبر، و مجاهدة الهوى، و محاسبة النّفس، و مراعاة خواطر القلب، و المراقبة للّه، و الحياء من اللّه، و صحّة المعاملة له، و دوام الإقبال عليه، و صحّة النّيّة، و استشعار الخشية. قال اللّه تعالى: إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ فكفى بخشية اللّه علما، و بالإقبال عليه عزّا. قلت: و إنما نقلت هذا؛ لأنّ مثله لا يصدر إلّا عن ذى حركة، و مضطبن بركة، و منهم الشيخ الخطيب الفاضل ولى اللّه أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن يوسف الطّنجالى.

دخل غرناطة راويا، و فى غير ذلك فى شؤونه، و هو الآن ببلده مالقة يخطب ببعض المساجد الجامعة بها على الحال الموصوفة.

محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصارى الخزرجى

الميورقى الأصل، سكن غرناطة.

حاله: كان محدّثا، عالى الرّواية، عارفا بالحديث و علله، و أسماء رجاله، مشهورا بالإتقان و الضبط، ثقة فيما نقل و روى، ديّنا، زكيا، متحاملا، فاضلا، خيّرا، متقلّلا من الدّنيا، ظاهرىّ المذهب داوديّة ، يغلب عليه الزهد و الفضل.

مشيخته: روى بالأندلس عن أبى بكر بن عبد الباقى بن محمد الحجارى، و أبى على الصدفى الغسانى، و أبى مروان الباجى، و رحل إلى المشرق و حجّ، و أخذ

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١۴۵

بمكة، كرّمها اللّه، عن أبى ثابت و أبى الفتح عبد اللّه بن محمد البيضاوى و أبى نصر عبد الملك بن أبى مسلم العمرانى. قلت: و غيرهم اختصرتهم لطولهم، و قفل إلى الأندلس فحدّث بغير بلده منها؛ لتجواله فيها.

من روى عنه: روى عنه أبو بكر بن رزق، و أبو جعفر بن الغاسل، و غيرهما .

محنته: امتحن من قبل على بن يوسف بن تاشفين، فحمل إليه صحبة أبى الحكم بن يوجان، و أبى العباس بن العريف، و ضرب بالسّوط عن أمره، و سجنه وقتا، ثم سرّحه و عاد إلى الأندلس، و أقام بها يسيرا، ثم انصرف إلى المشرق، فتوقف بالجزائر، و توفى بها فى شهر رمضان سنة سبع و ثلاثين و خمسمائة.

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصارى الساحلى

يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف ببلده مالقة بالمعمّم.

حاله: كان طبقة من طبقات الكفاة، ظرفا و رواء و عارضة و ترتيبا، تجلّل بفضل شهرة أبيه، و جعل بعض المترفين من وزراء الدّول بالمغرب أيام وجّهته إليه صحبة الشيخ الصالح أبيه فى غرض السفارة، مالا عريضا لينفقه فى سبيل البرّ، فبنى المدرسة غربى المسجد الأعظم، و وقف عليها الرّباع، و ابتنى غيرها من المساجد، فحصلت الشهرة، و نبه الذّكر و تطوّر، و رام العروج فى مدارج السّلوك، و انقطع إلى الخلوة، فنصلت الصّبغة، و غلبت الطّبيعة، و تأثّل له مال جمّ اختلف فى سبب اقتنائه، و أظهر التجر المرهف الجوانب بالجاه العريض، و الحرص الشّديد، و المسامحة فى باب الورع، فتبنّك به نعيما من ملبس و مطعم و طيب و ترفّه، طارد به اللّذة ما شاء فى باب النّكاح استمتاعا و ذواقا يتبع رائد الطّرف، و يقلّد شاهد السّمع، حتى نعى عليه، و ولّى الخطابة بالمسجد الأعظم بعد أبيه، فأقام الرسم، و أوسع المنبر ما شاء من جهوريّة و عارضة، و تسوّر على أعراض، و ألفاظ فى أسلوب ناب عن الخشوع، عريق فى نسب القحة. ثم رحل إلى المشرق مرة ثانية، و كرّ إلى بلده، مليح الشّيبة، بادى الوقار، نبيه الرّتبة، فتولّى الخطابة إلى حين وفاته.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١۴۶

مشيخته: حسبما قيّدته من خطّ ولده أبى الحسن، وارثه فى كثير من خلاله، و أغلبها الكفاية. فمنهم والده، رحمه اللّه، قرأ عليه و تأدّب به، و دوّن فى طريقه، حسبما يتقرر ذلك، و منهم الأستاذ أبو محمد بن أبى السداد الباهلى، و منهم الشيخ الرّاوية أبو عبد اللّه بن عيّاش، و الخطيب الصالح أبو عبد اللّه الطّنجالى، و الخطيب الصالح أبو جعفر بن الزيات، و الأستاذ ابن الفخار الأركشى، و القاضى أبو عمرو بن منظور، و الأستاذ ابن الزبير و غيرهم، كابن رشيد، و ابن خميس، و ابن برطال، و ابن مسعدة، و ابن ربيع، و بالمشرق جماعة اختصرتهم لطولهم.

تواليفه: و تسوّر على التأليف، بفرط كفايته، فمما ينسب إليه كتاب: «التجر الرّبيح، فى شرح الجامع الصحيح». قال: منه ما جرّده من المبيّضة، و منه ما لم يسمح الدهر بإتمامه، و كتاب «بهجة الأنوار»، و كتاب «الأسرار»، و كتاب «إرشاد السّائل، لنهج الوسائل»، و كتاب «بغية السّالك، فى أشرف المسالك» فى التّصوف، و كتاب «أشعة الأنوار، فى الكشف عن ثمرات الأذكار». و كتاب «النّفحة القدسيّة»، و كتاب «غنية الخطيب، بالاختصار و التّقريب» فى خطب الجمع و الأعياد، و كتاب «غرائب النّجب، فى رغايب الشّعب»، شعب

الإيمان، و كتاب «فى مناسك الحج»، و كتاب «نظم سلك الجواهر، فى جيّد معارف الصّدور و الأكابر»، فهرسة تحتوى على فوائد من العلم و ما يتعلق بالرواية، و تسمية الشيوخ و تحرير الأسانيد.

دخوله غرناطة: دخلها مرات تشذّ عن الإحصاء. ولد عام ثمانية و سبعين و ستمائة، و توفى بمالقة فى صبيحة ليلة النصف من شعبان عام أربعة و خمسين و سبعمائة.

محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمى

يكنى أبا بكر، و يعرف بالطّنجالى، ولد الشيخ الولى أبى عبد اللّه.

حاله: من ذيل تاريخ مالقة للقاضى أبى الحسن بن الحسن، قال: كان هذا العالم الفاضل ممن جمع بين الدّراية و الرّواية و التراث و الاكتساب، و علو الانتساب، و هو من القوم الذين وصلوا الأصالة بالصّول، و طول الألسنة بالطّول، و هدوا إلى الطّيّب من القول، أثر الشّموخ يبرق من أنفه، و نسيم الرّسوخ يعبق من عرفه، و زاجر الصّلاح يومى بطرفه، فتخاله من خوف اللّه ذا لمم، و فى خلقه دماثة و فى عرنينه شمم. و وصفه بكثير من هذا النّمط.

و من «العائد»: كان من أهل العلم و التّفنّن فى المعارف و التّهمّم بطلبها، جمع بين الرّواية و الدّراية و الصلاح. و كانت فيه خفّة، لفرط صحّة و سذاجة و فضل رجولة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٤٧

به، بارع الخطّ، حسن التّقييد، مهيبا جزلا، مع ما كان عليه من التّواضع، يحبّه الناس و يعظمونه، خطب بالمسجد الأعظم من مالقة، و أقرأ به العلم.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبى محمد الباهلى، و أبيه الولى الخطيب، رحمه اللّه. و روى عن جدّه أبى جعفر، و عن الرّاوية الأستاذ الكبير أبى جعفر بن الزبير، و الرّاوية أبى عبد اللّه بن عيّاش، و القاضى أبى القاسم بن السّكوت، و غيرهم ممن يطول ذكره، من أهل المشرق و المغرب.

وفاته: توفى بمالقة فى أول صفر من عام ثلاثة و ثلاثين و سبعمائة، و كان عمره نحوا من تسع و خمسين سنة.

محمد بن محمد بن ميمون الخزرجى

يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بلا أسلم؛ لكثرة صدور هذه اللفظة عنه، مرسى الأصل، و سكن غرناطة و وادى آش و ألمريّة.

حاله: من كتاب «المؤتمن» : كان دمث الأخلاق قبل أن يحرجه شىء من مضيّقات الصّدور، يشارك فى العربية، و الشعر النازل عن الدرجة الوسطى لا يخلو بعضه عن لحن. و كان يتعيش من صناعة الطّب. و جرت له شهرة بالمعرفة نرفع به بتلك الصّناعة على حدّ شهرة ترك النّصيحة فيها، فكانت شهرته بالمعرفة ترفع به. و شهرته بترك النصيحة تنزله، فيمرّ بين الحالتين بشظف العيش، و مقت الكافّة إيّاه.

قلت: كان لا أسلم، طرفا فى المعرفة بطرق العلاج، فسيح التّجربة، يشارك فى فنون، على حال غريبة من قلّة الظّرف، و جفاء الآلات، و خشن الظاهر، و الإزراء بنفسه و بالناس، متقدّم فى المعرفة بالخصوم، يقصد فى ذلك. و له فى الحرب و الحيل حكايات، قال صاحبنا أبو الحسن بن الحسن: كانت للحكيم لا أسلم خمر مخبّأة، فى كرم كان له بألمريّة، عثر عليها بعض الدّعرة، فسرقها له. قال: فعمد إلى جرّة و ملأها بخمر أخرى، و دفنها بالجهة، و جعل فيها شيئا من العقاقير المسهّلات، و أشاع أن الخمر العتيقة التى كانت له لم تسرق، و إنما باقية بموضع كذا، فعمد إليها أولئك الدّعرة، و أخذوا فى استعمالها، فعادت عليهم بالاستطلاق القبيح المهلك، فقصدوا الحكيم المذكور، و عرضوا عليه ما أصابهم، فقال لهم: إيه، أدّوا إلىّ ثمن الشّريبة،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١۴٨

و حينئذ أشرع لكم فى الدواء، و يقع الشّفاء بحول اللّه، فجمعوا له أضعاف ما كان يساويه خمره، و عالجهم حتى شفوا بعد مشقّة. و أخباره كثيرة.

وفاته: توفى عقب إقلاع الطّاغية ملك برجلونة عن ألمريّة عام تسعة و سبعمائة . و خلفه ابن كان له يسمى إبراهيم، و يعرف بالحكيم، و جرى له من الشّهرة ما جرى لأبيه، مرّت عليه ببخت و قبول، و توفى بعد عام خمسين و سبعمائة.

محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصارى

جيّانى الأصل مالقيه، يكنى أبا عبد اللّه و يعرف بالشّديد على بنية التصغير، و هو كثير التردّد و المقام بحضرة غرناطة.

حاله: من أهل الطّلب و الذكاء و الظّرف و الخصوصيّة، مجموع خلال من خطّ حسن و اضطلاع بحمل كتاب اللّه. بلبل دوح السّبع المثانى، و ماشطة عروس أبى الفرج الجوزى، و آية صقعه فى الصّوت، و طيب النّغمة، اقتحم لذلك دسوت الملوك، و توصّل إلى صحبة الأشراف، و جرّ أذيال الشهرة. قرأ القرآن و العشر بين يدى السلطان، أمير المسلمين بالعدوة، و دنا منه محلّه، لو لا إيثار مسقط رأسه. و تقرّب بمثل ذلك إلى ملوك وطنه، و صلّى التّراويح بمسجد قصر الحمراء، غريب المنزع، عذب الفكاهة، ظريف المجالسة، قادر على الحكايات، متسوّر حمى الوقار، ملبّ داعى الانبساط، على استرجاع و استقامة، مبرور الوفادة، منوّه الإنزال، قلّد شهادة الدّيوان بمالقة، معوّلا عليه فى ذلك، فكان مغار حبل الأمانة، صليب العود، شامخا ، صادق النّزاهة، لوحا للألقاب، محرزا للعمل.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١۴٩

و ولّى الحسبة بمالقة، حرسها اللّه تعالى، فخاطبته فى ذلك أداعبه، و أشير إلى قوم من أجداده، و أولى الحمل عليه بما نصّه: [السريع]

يا أيها المحتسب الجزلو من لديه الجدّ و الهزل

تهنيك و الشكر لمولى الورىولاية ليس لها عزل

كتبت أيها المحتسب، المنتمى إلى النزاهة المنتسب، أهنّيك ببلوغ تمنّيك، و أحذّرك من طمع نفس بالغرور تمنّيك، فكأنى و قد طافت بركابك الباعة ، و لزم لأمرك السّمع و الطّاعة، و ارتفعت فى مصانعتك الطّماعة، و أخذت أهل الرّيب بغتة كما تقوم الساعة، و نهضت تقعد و تقيم، و سكوتك الريح العقيم، و بين يديك القسطاس المستقيم، و لا بدّ من شرك ينصب، و جماعة على ذى جاه تعصب ، و حالة كيت بها الجناب الأخصب، فإن غضضت طرفك، أمنت عن الولاية صرفك، و إن ملأت ظرفك ، رحّلت عنها حرفك، و إن كففت فيها كفّك، حفّك العزّ فيمن حفّك. فكن لقالى المجبّنة قاليا ، و لحوت السّلّة ساليا. و أبد لدقيق الحوّارى زهد حوارىّ ، و ازهد فيما بأيدى الناس من العوارى، و سر فى اجتناب الحلواء ، على السبيل السّواء، و ارفض فى الشّواء، دواعى الأهواء، و كن على الهرّاس ، و صاحب ثريد الرّاس، شديد المراس، و ثب على بائع طبيخ الأعراس، ليثا مرهوب الافتراس، و أدّب أطفال الفسوق ، فى السوق، سيّما من

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١۵٠

كان قبل البلوغ و السّبوق ، و صمّم فى استخراج الحقوق، و الناس أصناف، فمنهم خسيس يطمع منك فى أكلة، و مستعد عليك بوكزة أو ركلة. و حاسد فى مطيّة تركب، و عطيّة تسكب، فاخفض للحاسد جناحك، و سدّد إلى حربه رماحك، و أشبع الخسيس منهم مرقة دسمة فإنه حنق، و دسّ له فيها عظما لعلّه يختنق، و احفر لشرّيرهم حفرة عميقة، فإنه العدوّ حقيقة، حتى إذا حصل، و علمت أنّ وقت الانتصار قد وصل ، فأوقع و أوجع، و لا ترجع، و أولياء من حزب الشيطان فأفجع، و الحقّ أقوى، و إن تعفو أقرب للتقوى. سدّدك اللّه تعالى إلى غرض التّوفيق، و أعلقك من الحقّ بالسّبب الوثيق، و جعل قدومك مقرونا برخص اللّحم و الزّيت و الدّقيق، بمنّه و فضله .

مشيخته: قرأ القرآن على والده المكتّب النّصوح، رحمه اللّه، و حفظ كتبا كرسالة أبى محمد بن أبى زيد، و شهاب القضاعى، و فصيح ثعلب، و عرض الرّسالة على ولى اللّه أبى عبد اللّه الطّنجالى، و أجازه. ثم على ولده الخطيب أبى بكر، و قرأ عليه من القرآن، و جوّد بحرف نافع على شيخنا أبى البركات. و تلا على شيخنا أبى القاسم بن جزى. ثم رحل إلى المغرب، فلقى الشيخ الأستاذ الأوحد فى التّلاوة، أبا جعفر الدرّاج، و أخذ عن الشّريف المقرئ أبى العباس الحسنى بسبتة، و أدرك أبا القاسم التّجيبى، و تلا على الأستاذ أبى عبد اللّه بن عبد المنعم و لازمه، و اختصّ بالأستاذ ابن هانى السّبتى، و لقى بفاس جماعة كالفقيه أبى زيد الجزولى، و خلف اللّه المجاصى، و الشيخ أبا العباس المكناسى، و الشيخ البقية أبا عبد اللّه بن عبد الرازق، و قرأ على المقرئ الفذّ الشهير فى التّرنّم بألحان القرآن أبى العباس الزّواوى سبع ختمات، و جمع عليه السّبع، و المقرئ أبى العباس بن حزب اللّه، و اختصّ بالشيخ الرئيس أبى محمد عبد المهيمن الحضرمى.

شعره: من شعره ما كتب به إلى وزير الدولة المغربيّة فى غرض الاستلطاف:

[الكامل]

يا من به أبدا عرفت و من أنالولاه لى دامت علاه و داما

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٥١ لا تأخذنّك فى الشّديد لومةفشخيص نشأته بفضلك قاما

ربّيته علّمته أدّبتهقدّمته للفرض منك إماما

فجزاك ربّ الخلق خير جزايةعنّى و بوّأك الجنان مقاما

و هو الآن بالحالة الموصوفة، مستوطنا حضرة غرناطة، و تاليا الأعشار القرآنية، بين يدى السلطان، أعزّه اللّه، مرفّع الجانب، معزّز الجراية بولايته أحباس المدرسة، أطروفة عصره، لو لا طرش نقص الأنس به، نفعه اللّه.

مولده: ولد بمالقة فى عاشر ربيع الأول من عام عشرة و سبعمائة.

و من الغرباء فى هذا الاسم

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التّلمسانى الأنصارى

السّبتى الدّار، الغرناطى الاستيطان، يكنى أبا الحسين، و يعرف بالتّلمسانى.

حاله: طرف فى الخير و السلامة، معرق فى بيت الصّون و الفضيلة، معمّ تخوّل فى العدالة، قديم الطّلب و الاستعمال، معروف الحقّ، مليح البسط، حلو الفكاهة، خفيف إلى هيعة الدّعابة، على سمت و وقار، غزل، لوذعى، مع استرجاع و امتساك، مترف، عريق فى الحضارة، مؤثر للراحة، قليل التّجلّد، نافر عن الكدّ، متّصل الاستعمال، عريض السعادة فى باب الولاية، محمول على كتد المبرّة، جار على سنن شيوخ الطّلبة و المقتاتين من الأرزاق المقدّرة، أولى الخصوصيّة و الضّبط من التّظاهر بالجاه على الكفاية. قدم على الأندلس ثمانية عشر و سبعمائة، فمهد كنف القبول و الاستعمال، فولّى الحسبة بغرناطة، ثم قلّد تنفيذ الأرزاق و هى الخطّة الشرعية و الولاية المجدية، فاتّصلت بها ولايته. و ناب عنّى فى العرض و الجواب بمجلس السلطان، حميد المنأى فى ذلك كله، يقوم على كتاب اللّه حفظا و تجويدا، طيّب النّغمة، راويا محدّثا، أخباريا، مرتاحا للأدب، ضاربا فيه بسهم يقوم على كتب السّيرة النّبوية، فذّا فى ذلك. قرأه بالمسجد الجامع للجمهور، عند لحاقه بغرناطة، معربا به عن نفسه، منبّها على مكانه، فزعموا أن رجلا فاضت نفسه و جدا لشجو نغمته، و حسن إلقائه. و قرأ التّراويح بمسجد قصر السلطان إماما به، و اتّسم بمجلسه بالسّلامة و الخير، فلم تؤثر عنه فى أحد وقيعة، و لا بدرت له فى الحمل على أحد بنت شفه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٥٢

مشيخته: منهم الشّريف أبو على الحسن بن الشريف أبى التّقى طاهر بن أبى الشّرف ربيع بن على بن أحمد بن على بن أبى الطاهر بن حسن بن موهوب بن أحمد بن محمد بن طاهر بن أبى الشرف الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسن بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب. و منهم والده المترجم به، و منهم أبوه و جدّه، و منهم الأمير الصالح أبو حاتم أحمد بن الأمير أبى القاسم محمد بن أبى العباس أحمد بن محمد العزفى، و المقرئ أبو القاسم بن الطيب، و إمام الفريضة أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن حريث، و الأستاذ ملحق الأبناء بالآباء أبو إسحاق الغافقى، و الكاتب النّاسك أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتورى، و الأستاذ المعمر أبو عبد اللّه بن الخضّار، و الخطيب المحدّث أبو عبد اللّه بن رشيد، و الخطيب الأديب أبو عبد اللّه الغمارى، و الأستاذ أبو البركات الفضل بن أحمد القنطرى، و الوزير العابد أبو القاسم محمد بن محمد بن سهل بن مالك، و الولى الصالح أبو عبد اللّه الطّنجالى، و الخطيب الصالح أبو جعفر بن الزيات، و القاضى الأعدل أبو عبد اللّه بن برطال، و الشيخ الوزير المعمر أبو عبد اللّه بن ربيع، و الصّوفى الفاضل أبو عبد اللّه بن قطرال، و الأستاذ الحسابى أبو إسحاق البرغواطى، هؤلاء لقيهم و قرأ و سمع عليهم. و ممن كتب له بالإجازة، و هم خلق كثير، كخال أبيه، الشيخ الأديب أبى الحكم مالك بن المرحّل، و الخطيب أبى الحسن فضل ابن فضيلة، و الأستاذ الخاتمة أبى جعفر بن الزبير، و العدل أبى الحسن بن مستقور، و الوزير المعمر أبى محمد بن سماك، و الخطيب أبى محمد مولى الرئيس أبى عثمان بن حكم، و الشيخ الصالح أبى محمد الحلاسى، و القاضى أبى العباس بن الغمّاز، و الشيخ أبى القاسم الحضرمى اللّبيدى، و العدل المعمر الراوية أبى عبد اللّه بن هارون، و المحدث الراوية أبى الحسن القرافى، و أبى إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن بن هبة اللّه بن أبى المنصور، و الإمام شرف الدين أبى محمد الدّمياطى، و بهاء الدين بن النّحاس، و قاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد، و ضياء الدين أبى مهدى عيسى بن يحيى بن أحمد، و كتب فى الإجازة له: [الطويل]

ولدت لعام من ثلاث و عشرةو ستّ مئين هجرة لمحمد

تطوّفت قدما بالحجاز و إننىبمصر هو المربى و سبتة مولدى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٥٣

إلى عالم كثير من أهل المشرق، يشقّ إحصاؤهم، قد ثبت معظمهم فى اسم صاحبه أبى محمد عبد المهيمن الحضرمى، رحمه اللّه.

محنته: نالته محنة بجرى الأمور الاشتغالية و تبعاتها، قال اللّه فيها لعثرته لغا، فاستقلّ من النّكبة، و عاد إلى الرّتبة. ثم عفّت عليه بآخرة، فهلك تحت بركها بعد مناهزة التسعين سنة، نفعه اللّه.

مولده: ولد عام ستة و سبعين و ستمائة، و توفى فى شهر محرم من أربعة و ستين و سبعمائة.

محمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن يوسف ابن قطرال الأنصارى

من أهل مرّاكش، يكنى أبا عبد اللّه و يعرف بابن قطرال.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه اللّه، فاضلا صوفيا، عارفا، متحدّثا، فقيها، زاهدا، تجرّد عن ثروة معروفة، و اقتصر على الزّهد و التّخلّى، و ملازمة العبادة، و الغروب عن الدنيا. و له نظم رائق، و خطّ بارع، و نثر بليغ، و كلام على طريقة القوم، رفيع الدّرجة، عالى القدر. شرح قصيدة الإسرائيلى بما يشهد برسوخ قدمه، و تجوّل فى لقاء الأكابر على حال جميلة من إيثار الصّمت و الانقباض و الحشمة. ثم رحل إلى المشرق حاجا صدر سنة ثلاث و سبعمائة.

مشيخته: من شيوخه القاضى العالم أبو عبد اللّه محمد بن على، و الحافظ أبو بكر بن محمد المرادى، و الفقيه أبو فارس الجروى، و العلّامة أبو الحسين بن أبى الربيع، و العدل أبو محمد بن عبيد اللّه، و الحاج أبو عبد اللّه بن الخضّار، و أبو إسحاق التّلمسانى، و أبو عبد اللّه بن خميس، و أبو القاسم بن السّكوت، و أبو عبد اللّه بن عيّاش، و أبو الحسن بن فضيلة، و أبو جعفر بن الزبير، و أبو القاسم بن

خير. هؤلاء كلهم لقيهم، و أخذ عنهم. و كتب له بالإجازة جملة، كالقاضى أبى على بن الأحوص، و أبى القاسم العزفى، و أبى جعفر الطّنجالى، و صالح بن شريف، و أبى عمرو الدّارى، و أبى محمد بن الحجّام، و أبى بكر بن حبيش، و أبى يعقوب بن عقاب، و عز الدين الجداى، و فخر الدين بن البخارى، و ابن طرخان، و ابن البوّاب، و أمين الدين بن عساكر، و قطب الدين بن القسطلانىّ، و غيرهم.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۵۴

شعره: و أما شعره فكثير بديع. قال شيخنا القاضى أبو بكر بن شبرين: كتبت إليه: [المنسرح]

يا معمل السّير أىّ إعمالسلّم على الفاضل ابن قطرال

من أبيات راجعنى عنها بأبيات منها: [المنسرح]

زارت فأزرت بمسك دارين‌تفتنّ للحسن فى أفانين

و مثلها فى شتّى محاسنهاليست ببدع من ابن شبرين

وفاته: توفى بحرم اللّه عاكفا على الخير و صالح الأعمال، معرضا عن زهرة الحياة الدنيا، إلى أن اتصل خبر وفاته، و فيه حكاية، عام تسعة و سبعمائة.

و دخل غرناطة برسم لقاء الخطيب الصالح أبى الحسن بن فضيلة. و غير ذلك.

العمال فى هذا الاسم و أولا الأصليون

محمد بن أحمد بن محمد بن الأكحل

يكنى أبا يحيى.

حاله: شيخ حسن الشّيبة، شامل البياض، بعيد مدى الذّقن، خدوع الظاهر، خلوب اللفظ، شديد الهوى إلى الصّوفية، و الكلف بإطراء الخيريّة ، سيما عند فقدان شكر الولاية، و جماح الحظوة، من بيت صون و حشمة، مبين عن نفسه فى الأغراض، متقدّم فى معرفة الأمور العملية، خائض مع الخائضين فى غمار طريق التصوّف، و انتحال كيمياء السّعادة، راكب متن دعوى عريضة فى مقام التّوحيد، تكذّبها أحواله الرّاهنة جملة، و لا تسلم له منها نبذة، لمعاصاة خلقه على الرياضة و استيلاء الشّره، و غلب سلطان الشّهوة، فلم يجن من جعجاعه المبرم فيها إلّا استغراق الوقت فى القواطع عن الحق، و الأسف على ما رزته الأيام من متاع الزّور، و قنية الغرور، و المشاحة أيام الولاية، و الشّباب الشاهد بالشّره، و الحلف المتصل بياض اليوم، فى ثمن الخردلة باليمين التى تجرّ فساد الأنكحة، و الغضب الذى يقلب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۵۵

العين، و البذا الذى يصاحب الشّين، مغلوب عليه فى ذلك، ناله بسببه ضيق و اعتقال، و تقويت جدة، و إطباق روع، و قيد للعذاب، فألقيت عليه ردائى، و نفّس اللّه عنه بسببى، محوا للسّيئة بالحسنة، و توسّلا إلى اللّه بترك الحظوظ، و المنّة للّه جلّ جلاله على ذلك.

شعره: خاطبنى بين يدى نكبته أو خلفها بما نصّه، و لم أكن أظنّ الشّعر مما تلوكه جحفلته ، و لكن الرجل من أهل الكفاية : [الطويل]

رجوتك بعد اللّه يا خير منجدو أكرم مأمول و أعظم مرفد

و أفضل من أملت للحادث الذىفقدت به صبرى و ما ملكت يدى

و حاشا و كلّا أن يخيب مؤمّلى و قد علقت بابن الخطيب محمد

و ما أنا إلّا عبد أنعمه التىعهدت بها يمنى و إنجاح مقصدى

و أشرف من حضّ الملوك على التّقىو أبدى لهم نصحا وصيّة مرشد

و ساس الرّعايا الآن خير سياسةمباركة فى كل غيب و مشهد

و أعرض عن دنياه زهدا و إنهالمظهرة طوعا له عن تودّد

و ما هو إلّا اللّيث و الغيث إن أتىله خائف أو جاء مغناه مجتدى

و بحر علوم درّه كلماتهإذا ردّدت فى الحفل أىّ تردّد

صقيل مرائى الفكر ربّ لطائفمحاسنها تجلى بحسن تعبّد

بديع عروج النفس للملإ الذىتجلّت به الأسرار فى كلّ مصعد

شفيق رقيق دائم الحلم راحمو أىّ جميل للجميل معوّد

صفوح عن الجانى على حين قدرةيواصل تقوى اللّه فى اليوم و الغد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۵۶ أيا سيدى يا عمدتى عند شدّتىو يا مشربى متى ظمئت و موردى

حنانيك و ألطف بى و كن لى راحماو رفقا على شيخ ضعيف منكّد

رجاك رجاء للذى أنت أهلهو وافاك يهدى للثّناء المجدّد

و أمّك مضطرّا لرحماك شاكيابحال كحرّ الجمر حين توقّد

و عندى افتقار لا يزال مواصلاًلأكرم مولى حاز أجرا و سيّد

ترفّق بأولاد صغار بكاؤهميزيد لوقع الحادث المتزيّد

و ليس لهم إلّا إليك تطلّعإذا مسّهم ضرّ أليم التّعهّد

أنلهم أيا مولاى نظرة مشفقوجد بالرّضا و انظر لشمل مبدّد

و قابل أخا الكره الشّديد برحمةو أسعف بغفران الذّنوب و أبعد

و لا تنظرن إلّا لفضلك، لا إلىجريمة شيخ عن محلّك مبعد

و إن كنت قد أذنبت إنى تائبفعاود لى الفعل الجميل و جدّد

بقيت بخير لا يزال و عزّةو عيش هنىء كيف شئت و أسعد

و سخّرك الرحمن للعبد، إنّهلمثن وداع للمحل المجدّد

و قد ولّى خططا نبيهة، منها خطة الاشتغال على عهد الغادر المكايد للدّولة، إذ كان من أولياء شيطانه و ممدّيه فى غيّه، و سماسير شعوذته، فلم يزل من مسيطرى ديوان الأعمال، على تهوّر و اقتحام كبرة، و خطّ لا غاية وراءه فى الرّكاكة، كما قال المعرّى : [الوافر]

تمشّت فوقه حمر المناياو لكن بعد ما مسخت نمالا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۵۷

استحضرته يوما بين يدى السلطان، و هو غفل لفكّ ما أشكل من معمّياته فى الأعمال عند المطالعة، فوصل بحال سيئة، و لما أعتب بسببه و نعيت عليه هجنته، أحسن الصّدر عن ذلك الورد، و نذر فى نفسه و قال: حيّا اللّه رداءة الخطّ إذا كانت ذريعة إلى دخول هذا المجلس الكريم، فاستحسن ذلك، لطف اللّه بنا أجمعين.

وفاته: توفى عام سبعة و ستين و سبعمائة.

محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقى

يكنى أبا الوليد.

أوليته: أصله من طليطلة، انتقل منها جدّ أبيه، و سكنوا غرناطة، و عدّوا فى أهلها.

حاله: كان أبو الوليد طالبا نبيلا، نبيها، سريّا، ذكيّا، ذا خطّ بارع، و معرفة بالأدب و الحساب، و نزع إلى العمل فكان محمود السّيرة، مشكور الفعل. و ولّى الإشراف فى غير ما موضع. قلت: و آثاره فى الأملاك المنسوبة إليه، التى من جملة المستخلص السلطانى بغرناطة و غيرها، مما يدل على قدم و تعمّة أصيلة.

وفاته: توفى بمدينة إشبيلية سنة ثمان و ثمانين و خمسمائة، و سنّه دون الخمسين.

محمد بن محمد بن حسّان الغافقى

إشبيلى الأصل، غرناطى المنشأ، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بابن حسان.

حاله: من «العائد»: كان من أهل السّرو و الظّرف و المروءة، و حسن الخلق، تولّى الإشراف بغرناطة، و خطّة الأشغال، فحسن الثناء عليه. و له أدب و مشاركة.

حدّثنى بعض أشياخنا، قال: كنت على مائدة الوزير ابن الحكيم، و قد تحدّث بصرف ابن حسّان عن عمل كان بيده، و إذا رقعة قد انتهت إليه أحفظ منها: [مخلع البسيط]

لكم أياد لكم أيادكرّرتها إنها كثيرة

فإن عزمتم على انتقالىريّة أبغى أو الجزيره

و إن أبيتم إلى مقامىفنعمة منكم كبيرة

و قال لى بعضهم: جرى بين ابن حسّان هذا، و بين أحد بنى علّاق، و هم أعيان، كلام و ملاحة، فقال ابن حسان: إنما كان جدّكم مولى بنى أضحى، و جدّ بنى مشرف، فاستعدى عليه، و رفعه إلى الوزير ابن الحكيم فيما أظن، فلما استفهمه عن قوله، قال: أعزّك اللّه، كنت بالكتبيين، و عرض علىّ كتاب قديم فى ظهره أبيات حفظتها و هى: [البسيط]

أضحى الزمان بأضحى و هو مبتسملنوره فى سماء المجد إشراق

فلم يزل ينتمى للمجد كل فتىتطيب منه مواليد و أعراق

فإن ترد شرفا يمّم مشرّفهو إن ترد علق مجد فهو علّاق

فعلم الوزير أن ذلك من نظمه، و نتيجة بديهته، فعجب من كفايته، و ترضّى خصمه، و صرفهما بخير. و توفى فى شهر رجب ثلاثة عشر و سبعمائة.

محمد بن عبد اللّه بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أحمد ابن أسد بن قاسم النّميرى، المدعو بابن الحاج

يكنى أبا عمرو، و قد مرّ ذكر أخيه.

حاله: تولّى خطّة الإشراف بلوشة و أندرش و مالقة. و ولّى النظر فى مختص ألمريّة، و الأعشار الرومية بغرناطة. و كان له خط حسن، و جودة كاملة، و حسن خلق، و وطأة أكناف تشهد له بجلالة قدره، و رفيع خطره. و ضاهر فى أعيان كالوزير أبى عبد اللّه بن أبى الحسن، فاضل، سرىّ، متخلّق، حسن الضريبة، متميّز بخصال متعددة، من خطّ بديع، و نظم، و مشاركة فى فنون، من طبّ و تعديل، و ارتياض سماع، و ذكر التاريخ. حجّ و جال فى البلاد، و لقى جلّة. و تولّى بالمغرب خططا نبيهة علية. ثم كرّ إلى الأندلس عام ستين و سبعمائة، فأجرى من الاستعمال على رسمه.

ثم اقتضت له العناية السلطانية بإشارتى، أن يوجه فى غرض الرسالة إلى تونس و صاحب مصر، لما تقدّم من مرانه على تلك البلاد، و جولاته فى أقطارها، و تعرّفه بملوكها و الجلّة من أهلها، فآب بعد أعوام، مشكور التصرّفات، جاريا على سنن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۵۹

الفضلاء، مضطلعا بالأحوال التى أسندت إليه من ذلك. فلم يزل معتنى به، مرشّحا إلى الخطط التى تطمح إليها نفس مثله، مسندا النّظر فى زمام العسكر الغربى إلى ولده الذى يخلفه عند رحلته نائبا عنه، معزّزا ذلك بالمرتبات و الإحسان، تولّاه اللّه و أعانه.

شعره: مدح السلطان، و أنشد له فى المواليد النبوية. و رفع إلى السلطان بحضرتى هذه الأبيات: [البسيط]

مولاى، يا خير أعلام السلاطينو من له الفضل فى الدنيا و فى الدّين

و من له سير ناهيك من سيروافت بأكرم تحسين و تحصين

شرّفت عبدك تشريفا له رتبفوق النجوم التى للأفق تعلينى

و كان لى موعد مولاى أنجزهو زاد فى العزّ بعد الرّتبة الدّون

و اللّه ما الشّكر منى قاضيا و طرىو لو أتيت به حينا على حين

و لا الثّناء موفّ حقّ أنعمهو لو ملأت به كل الدّواوين

لكن دعائى و حبّى قد رضيتهماكفاء أفعاله الغرّ الميامين

و عند عبدك إخلاص يواصلهفى خدمة لم يزل للخير تدنينى

و سوف أنصح كل النصح مغتنمارضى إمام له فضل يرجّينى

جوزيت عنى أمير المسلمين بماترضاه للملك من نصر و تمكين

و أنت أكرم من ساس الأنام و منعمّ البلاد بتسكين و تهدين

و من كمثل أبى عبد الإله إذاأضحى الفخار لنا رحب الميادين

محمد بن أبى الحجّاج خيرة منأهدى له مدحا بالسّعد يحظينى

وجه جميل و أفعال تناسبهو دولة دولة المأمون تنسينى

لا زال فى السّعد و الإسعاد ما سجعتورق الحمام على قضب البساتين

محمد بن عبد الرحمن الكاتب

يكنى أبا عبد اللّه، من أهل غرناطة، أصله من وادى آش. الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج۳ ؛ ص۱۵۹

حاله: كان طالبا نبيها كاتبا جليلا، جيّد الكتابة. كتب عن بعض أبناء الخليفة أبى يعقوب، و اختصّ بالسيد أبى زيد بغرناطة، و بشرق الأندلس، و كان أثيرا عنده

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۶۰

مكرّما. و كان، رحمه اللّه، شاعرا، مطبوعا، ذا معرفة جيدة بالعدد و المساحة، ثم نزع عن الكتابة، و اشتغل بالعمل، فراش فيه، و ولّى إشراف بنيات غرناطة. ثم ولّى إشراف غرناطة، فكفّ يده، و ظهرت نصيحته. ثم نقل إلى حضرة مرّاكش، فولى إشرافها مدة، ثم صرف عنها إلى غرناطة، و قدّم على النظر فى المستخلص إلى أن توفى.

مناقبه: أشهد لما قربت وفاته، أنه كان قد أخرج فى صحّته و جوازه، أربعة آلاف دنير من صميم ماله لتتميم القنطرة التى بنيت على وادى شنجيل بخارج غرناطة. و كان قبل ذلك قد بنى مسجد دار القضاء من ماله، و تأنّق فى بنائه، و أصلح مساجد عدة، و فعل خيرا، نفعه اللّه.

شعره: و من شعره ما كتب به إلى الشيخ أبى يحيى بن أبى عمران، وزير الخلافة، و هو بحال شكاية أصابته: [الطويل]

شكوت فأضنى المجد برح شكاتهو فارق وجه الشمس حسن آياته

و عادت ببعديك الزّمان زمانةتعدّت إلى عوّاده و أساته

و غيّض ما للبشر لمّا تبسّطتيد السّقم فى ساحات كافى كفاته

فكيف بمقصوص وصلت جناحهو أدهم قد سربلته بشاته؟

و ممتحن لولاك أذعن خبرةو هان على الأيام غمز قناته

أ معلق أمالى و مطمح همّتىو واهب نفسى فى عداد مباته

سأستقبل النّعمى ببرّك غضّةو يصغر ذنب الدهر فى حسناته

و تسطو عين الحقّ منك بمرهفتراع الخطوب الجور من فتكاته

و تطلع فى أفق الخلافة نيّراتطالعنا الأقمار من قسماته

حرام على الشكوى اعتياد مطهّرحياة الدّنا و الدين طيّ حياته

فما عرضت فى قصده بمساءةو لكن ترجّت أن ترى فى عفاته

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١۶١

مشيخته: قال الغافقى: قرأ بمالقة على الأستاذ أبى زيد السّهيلى، رحمه اللّه.

وفاته: و توفى بغرناطة سنة سبع و ستمائة، و دفن بداره بجهة قنطرة القاضى منها على ضفة الوادى.

محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد ابن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد ابن عمار بن ياسر

أوليّته: قد وقع التّنبيه عليها و يقع بحول اللّه.

حاله: كان وزيرا جليلا بعيد الصّيت، عالى الذكر، رفيع الهمّة، كثير الأمل .

نباهته: ذكره ابن صاحب الصلاة فى تاريخه فى الموحدين، فنبّه على مكانة محمد بن عبد الملك منهم فى الرأى و الحظوة، و الأخذ عنه فى أمور الأندلس ، و أثنى عليه. و ذكره أبو زيد السّهيلى فى «شرح السّيرة الكريمة» ، حتى انتهى إلى حديث كتاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، الموجه إلى هرقل، و أن محمد بن عبد الملك عاينه عند أذفونش، مكرّما، مفتخرا به. و القضية مشهورة. و أما محلّه من أمداح الشعراء، فهو الذى مدحه الأديب أبو عبد اللّه الرّصافى بقوله : [الكامل]

أيدا تفيض و خاطرا متوقّداًدعها تبت قبسا على علم الندى

و فيه يقول أبو عبد اللّه بن شرف من قصيدة: [البسيط]

يا رحمة اللّه للرّاجى و نقمتهلكل باغ طغى عن خيرة الرّسل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١۶٢ لم تبق منهم كفورا دون مرقبةمطالعا منك حتفا غير منفصل

كما بزاتك لم تترك بأرضهمو حشا يفرّ و لا طيرا بلا وجل

و كان كثير الصّيد، و متردّد الغارات.

مناقبه فى الدين: قالوا: لما أنشده أبو عبد اللّه الرّصافى فى القصيدة التى مطلعها : [الكامل]

لمحلّك الترفيع و التّعظيمو لوجهك التّقديس و التّكريم

حلف ألّا يسمعها، و قال: علىّ جائزتك، لكنّ طباعى لا تحتمل مثل هذا، فقال الرّصافى: و من مثلك؟ و من يستحق ذلك فى الوقت غيرك؟ فقال له: دعنى من خداعك أنا و ما أعلمه عن نفسى.

شعره: أنشده صاحب «الطالع» ، و لا يذكر له غيره : [الطويل]

فلا تظهرن ما كان فى الصّدر كامناو لا تركبن بالغيظ فى مركب و عر

و لا تبحثن فى عذر من جاء تائبافليس كريما من يباحث فى عذر

و ولى من الأعمال للموحدين كثيرا، كمختص حضرة مراكش، و دار السلاح، و سلا، و إشبيلية، و غرناطة، و اتصلت ولايته على أعمال غرناطة، و كان من شيوخها و أعيانها.

محنته: و عمل فيه عقد بأن بداره من أصناف الحلى، ما لا يكون إلا عند الملوك، و أنه إذا ركب فى صلاة الصبح، من دار الرّخام التى يجرى الماء فيها، فى اثنى عشر مكانا، شوّش الناس فى الصلاة، دوىّ الجلاجل بالبزاة، و مناداة الصيادين، و نباح الكلاب، فأمر المنصور بالقبض عليه، و على ابن عمّه، صاحب أعمال إفريقية، أبى الحسين، فى سنة ثلاث و سبعين و خمسمائة. ثم رضى عنهما، و أمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه كلّ ما أخذ له، فصرفه عليه، و لم ينقصه منه شىء، و غرم ما فات له.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۶۳

ولد سنة أربع عشرة و خمسمائة، و توفى بغرناطة سنة تسع و ثمانين و خمسمائة.

محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد اللّه ابن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد اللّه بن عمار ابن ياسر العنسى

يكنى أبا بكر، و قد تقدّم التّعريف بأوليته.

حاله: قال فى «الطالع»: ساد فى دولة الملثّمين ، و ولّوه بغرناطة الأعمال، و كانت له دار الرّخام المشهورة بإزاء الجامع الأعظم بغرناطة. قال الغافقى فيه: شيخ جليل، فقيه نبيه من أهل قلعة يحصب . كان فى عداد الفقهاء، ثم نزع إلى العمل، و ولّى إشراف غرناطة فى إمارة أبى سعيد الميمون بن بدر اللمتونى. و قال صاحب «المسهب» : و حسب القلعة كون هذا الفاضل الكامل منها، و قد رقم برد مجده بالأدب، و نال منه بالاجتهاد و السجيّة القابلة أعلى سبب، و له من المكارم ما يغيّر فى وجه كعب و حاتم، لذلك ما قصدته الأدباء، و تهافتت فى مدحه الشعراء، و فيه أقول:

[الطويل]

و كان أبو بكر من الكفر عصمةو ردّ به اللّه الغواة إلى الحقّ

و قام بأمر اللّه حافظ أهلهبلين و سبط فى المبرّة و الخلق

و هذا أبو بكر سليل ابن ياسربغرناطة ناغاه فى الرّأى و الصّدق

فهذا لنا بالغرب يجنى معالماتباهى الذى أحيا الدّيانة بالشّرق

و قد جرى من ذكره عند ذكر أبى بكر بن قزمان، و يجرى عند ذكر نزهون بنت القلاعى ما فيه كفاية، إذ كان مفتونا بها، و بحمدة و زينب، بنتى زياد المؤدّب من أهل وادى آش، و فيهما يقول: [المجتث]

ما بين زينب عمرىأحثّ كأسى و حمده

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۶۴ و كل نظم و نثرو حكمة مستجدّة

و ليس إلّا عفافيبلّغ المرء قصده

و لذلك ما سعى به المخزومى الأعمى، و قد سها عن رسم تفقّده، فكتب إلى علىّ بن يوسف فى شأنه بما كان سبب عزله و نكبته: [الطويل]

إليك، أمير المؤمنين، نصيحةيجوز بها البحر المجعجع شاعر

بغرناطة ولّيت فى الناس عاملاو لكن بما تحويه منه المآزر

و أنت أما تخفى عليك خفيّة؟فسل أهلها فالأمر للناس ظاهر

و ما لإلاه العرش تفنيه حمدةو زينب و الكأس الذى هو دائر

شعره: من ذلك قوله : [المجتث]

يا هذه، لا ترومى‌خداع من ضاق ذرعه

تبكى و قد قتلتنى‌كالسّيف يقطر دمعه

و قال عفى اللّه عنه : [الطويل]

لقد صدعت قلبى حمامة أيكة أثارت غراما ما أجلّ و أكرما

و رقّ نسيم الرّيح من نحو أرضكمو لطّف حتى كاد أن يتكلّما

و قال فى مذهب الفخر : [الخفيف]

فخرنا بالحديث بعد القديممن معال توارثت كالنجوم

نحن فى الحرب أجبل راسياتو لنا فى النّدى لطف النّسيم

ولادته: ولد فى سنة ثلاث و ثمانين و أربعمائة، و توفى سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة.

و من الطارئين فى هذا الاسم من العمال

محمد بن أحمد بن المتأهّل العبدرى

من أهل وادى آش، يكنى أبا عبد اللّه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۶۵

حاله: كان رجلا شديد الأدمة، أعين، كثّ اللحية، طرفا فى الأمانة، شديد الاسترابة بجليسه، مخينا لرفيقه، سيىء الظنّ بصديقه، قليل المداخلة، كثير الانقباض، مختصر الملبس و المطعم، عظيم المحافظة على النّفير و القطمير، مستوعب للحصر و التّقييد، أسير محيى و عابد زمام، و جنيب أمانة، و حلس سقيفة، و رقيب مشرف، لا يقبل هوادة، و لا يلابس رشوة، كثير الالتفات، متفقّدا للآلة، متمما للعمل.

جرى ذكره فى بعض الموضوعات الأدبية بسبب شعر خامل نسب إليه بما نصه : رجل غليظ الحاشية، معدود فى جنس السائمة و الماشية، تليت على العمال به سورة الغاشية، ولى الأشغال السلطانية، فذعرت الجباة لولايته، و أيقنوا بقيام قيامتهم لطلوع آيته، و قنطوا كلّ القنوط، و قالوا: جاءت الدّابّة تكلّمنا و هى إحدى الشروط، من رجل صائم الحسوة ، بعيد عن المصانعة و الرّشوة، يتجنّب الناس، و يقول عند المخالطة لهم: لا مساس، عهدى به فى الأعمال يخبط و يتبر ، و هو يهلّل و يكبر، و يحسّن و يقبّح، و هو يسبّح، انتهى.

قلت: و ولّى الأشغال السلطانية، فضمّ النّشر، و أوصد باب الحيلة، و بتّ أسباب الضّياع، و ترصّد ليلا و أصيب بجراحة أخطأته، ثم عاجلته الوفاة، فنفّس عن أقتاله المخنّق.

شعره: قال يخاطب بعض أثراء الدّولة قبل نباهته : [الطويل]

عمادى، ملاذى، موئلى، و مؤمّلىألا أنعم بما ترضاه للمتأهّل

و حقّق بنيل القصد منك رجاءهعلى نحو ما يرضيك يا ذا التّفضّل

فأنت الذى فى العلم يعرف قدرهبخير زمان فيه لا زلت تعتلى

فهنّيت يا مغنى الكمال برتبةتقرّ لكم بالسّبق فى كلّ محفل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۶۶

وفاته: توفى عام ثلاثة و أربعين بغرناطة أو قبل ذلك بيسير، و له خط حسن، و ممارسة فى الطب، و قد توسّط المعترك.

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوى

من أهل ألمريّة، يكنى أبا بكر.

أوليته: من كتاب «المؤتمن» قال: يشهر بنسبه و أصل سلفه من جهة بيرة، إما من بجّانة ، و إما من البريج ، و استوعب سبب انتقالهم.

حاله: من «عائد الصلة»: كان أحد الشيوخ من طبقته، و صدر الوزراء من نمطه ببلده، سراوة و سماحة، و مبرّة و أدبا و لوذعيّة و دعابة، رافع راية الانطباع، و حائز قصب السبق فى ميدان التّخلّق، مبذول البرّ، شائع المشاركة.

و قال فى «المؤتمن»: كان رجلا عاقلا، عارفا بأقوال الناس، حافظا لمراتبهم، منزلا لهم منازلهم، ساعيا فى حوائجهم، لا يصدرون عنه إلّا عن رضى بجميل مداراته. التفت إلى نفسه، فلم ينس نصيبه من الذّلّ، و لا أغفل من كان يألفه فى المنزل الخشن، واصلا لرحمه، حاملا لوطأة من يجفوه منهم، فى ماله حظّ للمساكين، و فى جاهه رفد للمضطرّين، شيخا ذكىّ المجالسة، تستطيب معاملته، على يقين أنه يخفى خلاف ما يظهر، من الرجال الذين يصلحون الدّنيا، و لا يعلق بهم أهل الآخرة، لعروه عن النّخوة و البطر، رحمه اللّه. تكرّرت له الولاية بالديوان غير ما مرّة، و ورد على غرناطة، وافدا و مادحا و معزّيا.

مشيخته و ما صدر عنه: قرأ على ابن عبد النّور، و تأدّب به، و تلا على القاضى أبى على بن أبى الأحوص أيام قضائه ببسطة، و نظم رجزا فى الفرائض.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١۶٧

شعره: قال الشيخ فى «المؤتمن»: كانت له مشاركة فى نظم الشعر الوسط، و كان شعر تلك الحلبة الآخذة عن ابن عبد النور، كأنه مصوغ من شعر شيخهم المذكور، و محذوّ عليه، فى ضعف المعانى، و مهنة الألفاظ. تنظر إلى شعره، و شعر عبد اللّه بن الصّائغ، و شعر ابن شعبة، و ابن رشيد، و ابن عبيد، فتقول: ذرّية بعضها من بعض.

فمن ذلك ما نظمه فى ليلة سماع و اجتماع بسبب قدوم أخيه أبى الحسن من الحجاز: [الطويل]

إلهى، أجرنى إننى لك تائبو إنّى من ذنبى إليك لهارب

عصيتك جهلا ثم جئتك نادمامقرّا و قد سدّت علىّ المذاهب

مضى زمن بى فى البطالة لاهياشبابى قد ولّى و عمرى ذاهب

فخذ بيدى و اقبل بفضلك توبتىو حقّق رجائى فى الذى أنا راغب

أخاف على نفسى ذنوبا جنيتهاو حاشاك أن أشقى و أنت المحاسب

و إنى لأخشى فى القيامة موقفاو يوما عظيما أنت فيه المطالب

و قد وضع الميزان بالقسط حاكماو جاء شهيد عند ذاك و كاتب

و طاشت عقول الخلق و اشتدّ خوفهمو فرّ عن الإنسان خلّ و صاحب

فما ثمّ من يرجى سواك تفضّلاو إن الذى يرجو سواك لخائب

و من ذا الذى يعطى إذا أنت لم تجد؟و من هو ذو منع إذا أنت واهب؟

عبيدك، يا مولاى، يدعوك رغبةو ما زلت غفّارا لمن هو تائب

دعوتك مضطرا و عفوك واسعفأنت المجازى لى و أنت المعاقب

فهب لى من رحماك ما قد رجوتهو بالجود يا مولاى ترجى المواهب

توسّلت بالمختار من آل هاشمو من نحوه قصدا تحثّ الرّكائب

شفيع الورى يوم القيامة جاههو منقذ من فى النار و الحقّ واجب

و مما بلغ فيه أقصى مبالغ الإجادة، قوله من قصيدة هنّأ فيها سلطاننا أبا الحجاج بن نصر ، لما وفد هو و جملة أعيان البلاد أولها:

[الكامل]

يهنى الخلافة فتّحت لك بابهافادخل على اسم اللّه يمنا غابها

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١۶٨

منها، و هو بديع، استظرف يومئذ:

يا يوسفيّا باسمه و بوجههاصعد لمنبرها و صن محرابها

فى الأرض مكّنك الإله كيوسفو لتملكنّ بربها أربابها

بلغت بكم آرابها من بعد ماقالت لذلك نسوة ما رابها

كانت تراود كفوها حتى إذاظفرت بيوسف غلّقت أبوابها

قلت : ما ذكره المؤلف ابن الخطيب، رحمه اللّه، فى هذا المترجم به، من أنه ينظم الشعر الوسط، ظهر خلافه، لذا أثبت له هذه المقطوعة الأخيرة. و لقد أبدع فيها و أتى بأقصى مبالغ الإجادة كما قال، و حاز بها نمطا أعلى مما وصفه به. و أما القصيدة الأولى، فلا خفاء أنها سهل المأخذ، قريبة المنزع، بعيدة من الجزالة، و لعلّ ذلك كان مقصودا من ناظمها رحمه اللّه.

وفاته: توفى ببلده عن سنّ عالية فى شهر ربيع الآخر عام ثمانية و ثلاثين و سبعمائة.

و رثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين، رحمه اللّه، بقوله: [البسيط]

يا عين، سحّى بدمع و اكف سربلحامل الفضل و الأخلاق و الأدب

بكيت، إذ ذكر الموتى، على رجلإلى بلىّ من الأحياء منتسب

على الفقيه أبى بكر تضمّنهرمس و أعمل سيرا ثم لم يؤب

قد كان بى منه ودّ طاب مشرعهما كان عن رغب كلّا و لا رهب

لكن ولاء على الرحمن محتسبافى طاعة اللّه لم يمذق و لم يشب

فاليوم أصبح فى الأجداث مرتهناما ضرّت الريح أملودا من الغضب

إنّا إلى اللّه من فقد الأحبّة ماأشدّ لذعا لقلب الثّاكل الوصب

من للفضائل يسديها و يلحمها؟من للعلى بين موروث و مكتسب؟

قل فيه ما تصف ركنا لمنتبذروض، لمنتجع أنس، لمغترب؟

باق على العهد لا تثنيه ثانيةعن المكارم فى ورد و لا قرب

سهل الخليقة بادى البشر منبسطيلقى الغريب بوجه الوالد الحدب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١۶٩ كم غيّر الدهر من حال فقلّبهاو حال إخلاصه ممتدّة الطّنب

سامى المكانة معروف تقدّمهو قدره فى ذوى الأقدار و الرّتب

أكرم به من سجايا كان يحملهاو كلّها حسن تنبيك عن حسب

ما كان إلّا من الناس الألى درجواعقلا و حلما و جودا هامى السّحب

أمسى ضجيع الثّرى فى جنب بلقعةلكن محامده تبقى على الحقب

ليست صبابة نفسى بعده عجباو إنما صبرها من أعجب العجب

أجاب دمعى إذ نادى النعىّ بهلو غير منعاه نادى الدمع لم يجب

ما أغفل المرء عمّا قد أريد بهفى كل يوم تناديه الرّدى اقترب

يا ويح نفسى أنفاس مضت هدرابين البطالة و التّسويف و اللّعب

ظننت أنّى بالأيام ذو هزءغلطت بل كانت الأيام تهزأ بى

أشكو إلى اللّه فقرى من معاملةللّه أنجو بها فى موقف العطب

ما المال إلّا من اللّه فأفلح من جاء القيامة ذا مال و ذا نشب

اسمع أبا بكر الأرضى نداء أخباك عليك مدى الأيام مكتئب

أهلا بقدمتك الميمون ظاهرهاعلى محل الرّضى و السّهل و الرّحب

نم فى الكرامة فالأسباب وافرةو ربما نيلت الحسنى بلا سبب

للّه للّه و الآجال قاطعةما بيننا من خطابات و من خطب

و من فرائد آداب يحبّرهافيودع الشّهب أفلاكا من الكتب

أما الحياة فقد ملّيت مدّتهافعوّض اللّه منها خير منقلب

لو لا قواطع لى أشراكها نصبتلزرت قبرك لا أشكو من النّصب

و قلّ ما شفيت نفس بزورة منحلّ البقيع و لكن جهد ذى أرب

يا نخبة ضمّها ترب و لا عجبإن التراب قديما مدفن النّخب

كيف السبيل إلى اللّقيا و قد ضربوابينى و بينك ما بقى من الحجب؟

عليك منى سلام اللّه يتبعهحسن الثّناء و ما حيّيت من كثب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٧٠

محمد بن محمد بن شعبة الغسّانى

من أهل ألمريّة، يكنى أبا عبد اللّه.

حاله: قال شيخنا أبو البركات فى الكتاب «المؤتمن»: من أهل ألمريّة و وجوهها، لا حظّ له فى الأدب، و بضاعته فى الطلب مزجاة. قطع عمره فى الأشغال المخزنيّة، و هو على ذلك حتى الآن. قلت: هذا الرجل أحد فرسان الطريقة العمليّة، ماض على لين، متحرك فى سكون، كاسد سوق المروءة، ضان بما يملك من جدة، منحطّ فى هوّة اللّذة، غير معرج على ربع الهمّة، لطيف التّأنّى، متنزّل فى المعاملة، دمث الأخلاق، مليح العمل، صحيح الحساب، منجب الولد.

مشيخته: قرأ على ابن عبد النّور، و القدر الذى يحسّ به عنه أخذه.

شعره: من شعره يخاطب أبا الحسن بن كماشة: [البسيط]

وافى البشير فوافى الأنس و الجذلو أقبل السّعد و التوفيق و الأمل

و راقت الأرض حسنا زاهرا و سنىو اخضرّ منها الرّبى و السّهل و الجبل

و لاح وجه علىّ بعد ذا فغداله شعاع كضوء الشّمس متّصل

مذ غاب أظلمت الدنيا لنا وغدتأحشاؤنا بلهيب الشّوق تشتعل

و حين أشرقت الدّنيا بغرّتهعاد الظّلام ضياء و انتفى الخبل

إيه أبا حسن أنت الرجاء لنامهما اعترت شدّة أو ضاقت الحيل

و أنت كهف منيع من نحاك فقدنال المنى و بدا عيش له خضل

يا سيدا قد غدا فى المجد ذا رتبمشيدة قد بنتها السّادة الأول

بنو كماشة أهل الفضل قد شهروا باهت بهم فى قديم الأعصر الدّول

السّالكون هدى السابقون مدىو الباذلون ندى و الناس قد بخلوا

أنت الأخير زمانا و القديم علاو السّيّد المرتجى و الفارس البطل

إن كنت جئت أخيرا فارسا فلقدأضحى بجود يديك يضرب المثل

حزت المآثر لا تحصى لكثرتهامن رام إحصاءها سدّت له السّبل

جزت البدور سنى و الفرقدين علاو أنت تجر النّدى و الوابل الهطل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۷۱ من جاء يطلب منك السّلم قابلهوجه طليق و لفظ كلّه عسل

و من يرد غير ذا تبّا له وردىلقد ترفّع فى برج له زحل

هنّاك ربّك ما أولاك من نعمو عشت فى عزّة تترى و تتّصل

و لا عدمت مدى الأيام منزلةمن دونها رفعة فى الأبرج الحمل

و خذه بعد سلاما عاطرا أرجايدوم ما دامت الأسحار و الأصل

من خادم لعلاكم مخلص لكممن حبّكم لا يرى ما عاش ينتقل

تقبيل كفّك أعلى ما يؤمّلهفجد به فشفا الهائم القبل

وفاته: فى أول عام أربعة و ستين و سبعمائة.

محمد بن محمد بن العراقى

وادى آشى، يكنى أبا عبد اللّه.

حاله: فاضل الأبوة، معروف الصّون و العفّة، بادى الاستقامة، دمث الأخلاق، حسن الأدوات، ينظم و ينثر، و يجيد الخطّ، تولّى أعمالا نبيهة، ثم علقت به الحرفة، فلقى ضغطا و فقد نشبا، و اضطرّ إلى التحول عن وطنه إلى برّ العدوة عام ستة و خمسين و سبعمائة، و تعرّف لهذا العهد أنه تولّى الأشغال بقسنطينة الهواء من عمل إفريقية.

شعره: كتب إلىّ و قد أبى عملا عرض عليه : [الطويل]

أ أصمت ألفا ثم أنطق بالخلفو أفقد إلفا ثم آنس بالجلف؟

و أمسك دهرى ثم أنطق علقماو يمحق بدرى ثم ألحق بالخسف؟

و عزّكم لا كنت بالذّلّ عاملاو لو أنّ ضعفى ينتمى بى إلى حتف

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۷۲ فإن تعملونى فى تصرّف عزّةو عدل و إلّا فاحسموا علّة الصّرف

بقيت و سحب العطف منكم تظلّنىو عطف ثنائى دائما ثانى العطف

محمد بن عبد اللّه بن محمد بن على بن عبد اللّه ابن محمد بن عبد اللّه بن فرتون الأنصارى

من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم، و يعرف بالهنا.

أوليته: ينسب إلى القاضى ببطليوس، قاضى القضاة، رحمه اللّه. و بمالقة دور تنسب إلى سلفه تدلّ على نباهة، و قد قيل غير ذلك. و النّص الجلى أولى من القياس.

حاله: من «عائد الصلة»: الشيخ الحاج المحدّث صاحب الأشغال بالدار السلطانية. صدر نمطه، و فريد فنّه رجولة و جزالة و اضطلاعا و إدراكا و تجلّدا و صبرا.

نشأ بمالقة معدودا فى أهل الطّلب و الخصوصيّة، و رحل إلى الحجاز الشّريف فى فتائه، فاستكثر من الرّواية، و أخذ عن أكابر من أهل المشرق و المغرب، حسبما يشهد بذلك برنامجه.

و كان على سنن من السّرو و الحشمة، فذّا فى الكفاية، جريّا، مقداما، مهيبا، ظريف الشّارة، فاره المركب، مليح الشّيبة، حسن الحديث، وقّاد الذهن، صابرا على الوظائف، يخلط الخوض فى الأمور الدّنيوية بعبادة باهظة، و أوراد ثقيلة، و يجمع ضحك الفاتك و بكاء النّاسك فى حالة واحدة، هشّا، مفرط الحدّة، يشرد عليه مجل لسانه فى المجالس السلطانية بما تعروه المندمة بسببه، قائما على حفظ القرآن و تجويده و تلاوته، ذا خصال حميدة، صنّاع اليد، مقتدرا على العمليات من نسخ و مقابلة و حساب، معدودا من صدور الوقت و أعلام القطر و رجال الكمال.

مشيخته: أخذ عن الجلّة من أهل بلده كالأستاذ أبى محمد بن أبى السّداد الباهلى؛ لازمه و انتفع به، و الخطيب أبى عثمان بن عيسى؛ أخذ عنه، و الولى أبى عبد اللّه الطّنجالى، و غيرهم مما يطول ذكرهم من العدوة و الأندلس و المشارقة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۷۳

محنته: لقى نصبا فى الخدمة السلطانية، و غضّا من الدهر لبأوه، بتعنّته و عدم مبالاته مرّات، ضيّق لها سجنه، و عرض عليه النّكال، و نيل منه بالإهانة كلّ منال، و أغرم مالا أجحف بمحتجنه، و عرّض للأيدى نفائس كتبه، و على ذلك فلم يذعر سربه، و لا أضعفت النكبة جأشه.

ولادته: ولد عام ثلاثة و سبعين و ستمائة. و مات ميتة حسنة. صلّى الجمعة ظهرا، و قد لزم الفراش. و نفث دم الطاعون، و مات مستقبل القبلة، على أتمّ وجوه التأهب، سابع شوال من عام خمسين و سبعمائة.

محمد بن عبد اللّه بن محمد بن مقاتل

من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم، أزدى النسب، إشبيلى الأصل، من بيت نزاهة و نباهة.

حاله: كان فاضلا وقورا سمحا، مليح الدّعابة، عذب الفكاهة، حلو النادرة، يكتب و يشعر، طرفا فى الانطباع و اللّوذعيّة، آية فى خلط الجدّ بالهزل. ولّى الإشراف بمدينة مالقة، و تقلّب فى الشهادة المخزنية عمره.

شعره: من شعره يخاطب ذا الوزارتين أبا عبد اللّه بن الحكيم، رحمه اللّه:

[الطويل]

فؤادى من خطب الزمان سقيمو فيه لسهم الحادثات كلوم

و لم أشك دائى فى البريّة لامرىءأ أشكو به و ابن الحكيم حكيم؟

وفاته: توفى بمالقة يوم الخميس عاشر شهر رمضان من عام تسعة و ثلاثين و سبعمائة.

محمد بن على بن عبد ربه التجيبى

من أهل مالقة، يكنى أبا عمرو.

حاله: كان راوية ثقة، بارع الأدب، بليغ الكتابة، طيّب النفس، كامل المروءة، حسن الخلق، جميل العشرة، تلبّس بالأعمال السلطانية دهرا، و ولّى إشراف غرناطة و غيرها، إلى أن قعد لشكاية منعته من القيام و التّصرّف فعكف على النّظر، فانتفع به.

مشيخته: كانت له رحلة سمع فيها بالإسكندرية على أبى عبد اللّه بن منصور و غيره، و روى عنه الأخوان سالم و عبد الرحمن، ابنا صالح بن سالم.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۷۴

تواليفه: له اختصار حسن فى «أغانى الأصبهانى»، و ردّ جيّد على ابن غرسيّة فى رسالته الشّعوبية ، لم يقصر فيها عن إجادة.

وفاته: و توفى لسبع خلون من محرم من عام اثنين و ستمائة.

الزّهاد و الصّلحاء و الصّوفية و الفقراء و أولا الأصليون

محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصارى

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بالصّنّاع.

حاله: من «عائد الصلة»: الشيخ الصّوفى، الكثير الأتباع، الفذّ الطريقة، المحبّب إلى أهل الثغور من البادية. كان، رحمه اللّه، شيخا حسن السّمت، كثير الذّكر و المداومة، يقود من المخشوشنين عدد ربيعة و مضر، يعمل الرّحلة إلى حصونهم، فيتألّفون عليه تألّف النّحل على أمرائها و يعاسيبها، معلنين بالذّكر، مهرولين، يغشون مثواه بأقواتهم على حالها، و يتناغون فى التماس القرب منه، و يباشرون العمل فى فلاحة كانت له بما يعود عليه بوفر و إعانة. و كان من الصالحين، و على سنن الخيار الفضلاء من المسلمين، و له حظّ من الطّلب و مشاركة، يقوم على ما يحتاج إليه من وظائف دينه، و يتكلم فى طريق المتصوّفة على مذهب أبى عبد اللّه السّاحلى شيخه، كلاما جهوريا، قريب الغمر. و كان له طمع فى صناعة الكيمياء تهافت على دفاتيرها و أهل منتحليها؛ ليستعين بها بزعم على آماله الخيريّة، فلم يحل بطائل.

مشيخته: قرأ على أستاذ الجماعة أبى جعفر بن الزبير، و كانت له فى حاله فراسة. حدّثنى بذلك شيخنا أبو عبد اللّه بن عبد الولى، رحمه اللّه. و سلك على الشيخ الصالح أبى عبد اللّه السّاحلى.

وفاته: و توفى ليلة الاثنين السابع من شهر شوال عام تسعة و أربعين و سبعمائة، و كانت جنازته آخذة فى الاحتفال، قدم لها العهد، و نفر لها الناس من كل أوب، و جىء بسريره، تلوح عليه العناية، و تحفّه الأتباع المقتاتون من حلّ أموالهم و أيديهم من شيوخ البادية، فتولّوا مواراته، تعلو الأصوات حوله، ببعض أذكاره.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٧٥

محمد بن أحمد الأنصارى

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بالموّاق.

حاله: كان معلما لكتاب اللّه تعالى، خطيبا بمسجد ربض الفخّارين، طرفا فى الخير و لين العريكة و السذاجة المشفوعة بالاختصار و إيثار الخمول، مستقيما فى طريقته، خافتا فى خطبته، عاكفا على وظيفته، مقصودا بالتماس الدعاء، مظنّة الصلاح و البركة.

وفاته: توفى بغرناطة قبل سنة خمسين و سبعمائة بيسير، و كلف الناس بقبره بعد موته، فأولوا حجارته من التعظيم و جلب أوانى المياه للمداواة، ما لم يولوه معشاره أيام حياته.

محمد بن حسنون الحميرى

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد اللّه.

حاله: كان فاضلا صالحا، مشهور الولاية و الكرامة، يقصده الناس فى الشّدائد، فيسألون بركة دعائه. و من إملاء الشيخ أبى بكر بن عتيق بن مقدّم، قال: أصله من بيّاسة ، و كان عمّه من المقرئين المحدّثين بها، و سكن هو مرسية، و نشأ بها، و قرأ على أشياخها، و حفظ «كتاب التحبير» فى علم أسماء اللّه الحسنى للإمام أبى القاسم القشيرى، ثم انتقل إلى غرناطة، فسكن فيها بالقصبة القديمة، و أمّ الناس فى المسجد المنسوب إليه الآن. و كان يعمل بيده فى الحلفا، و يتقوت من ذلك.

وفاته: توفى عام خمسة و سبعمائة بغرناطة، و هو من عدد الزّهّاد.

و من مناقبه: ذكروا أنه سمع يوما بعض الصّبيان يقول لصبى آخر: مرّ للحبس، فقال: أنا المخاطب بهذا، فانصرف إلى السّجن، فدخله،

و قعد مع أهله، و بلغ ذلك السلطان، فوجّه وزيره، فأخرجه، و أخرج معه أهل السجن كلّهم، و كانت من كراماته.

محمد بن محمد البكرى

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بابن الحاج.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٧٦

كان، رحمه اللّه، شيخا صالحا، جهوريّا، بعيدا عن المصانعة، متساوى الظاهر و الباطن، مغلظا لأهل الدّنيا، شديدا عليهم، غير مبال فى اللّه بغيره، يلبس خرقة الصّوفية من غير التزام لاصطلاح، و لا منقاد لرقو، و لا مؤثر لسماع، مشاركا للناس، ناصحا لهم، ساعيا فى حوائجهم. خدم الصالح الكبير أبا العباس بن مكنون، و سلك به، و كان من بيت القيادة و التّجنّد، فرفض زيّه، و لبس المسوح و الأسمال. و كان ذا حظّ من المعرفة، يتكلم للناس. قال شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب: سمعته ينشد فى بعض مجالسه: [الرجز]

يا غاديا فى غفلة و رائحاإلى متى تستحسن القبائحا؟

و كم إلى كم لا تخاف موقفايستنطق اللّه به الجوارحا؟

يا عجبا منك و أنت مبصركيف تجنّب الطريق الواضحا؟

كيف تكون حين تقرا فى غدصحيفة قد ملئت فضائحا؟

أم كيف ترضى أن تكون خاسرايوم يفوز من يكون رابحا؟

و لمّا حاصر الطّاغية مدينة ألمريّة و أشرفت على التلف، تبرّع بالخروج منها و لحاقه بباب السلطان؛ لبثّ حالها، و استنفار المسلمين إلى نصرها، فيسّر له من ستر غرضه، و تسهيل قصده، ما يشهد بولايته.

وفاته: توفى بألمريّة محلّ سكناه، فى حدود عام خمسة عشر و سبعمائة.

محمد بن محمد بن أحمد الأنصارى

غرناطى، قيجاطى الأصل، يعرف بالسّواس.

قال فى «المؤتمن» فى حاله: رجل متطبّب، سهل الخلق، حسن اللقاء، رحل من بلده، و حجّ، و فاوض بالمشرق الأطباء فى طريقته، و عاد فتصدّر للطب، ثم عاد إلى بلاد المشرق. قلت: و عظم صيته، و شهر فضله، و قدّم أمينا على أحباس

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٧٧

مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، بالمدينة الطّاهرة و صدقاته، و ذكر عنه أنه اضطرّه أمر إلى أن خصى نفسه، و سقطت لذلك لحيته.

قال شيخنا أبو البركات: أنشدنا بدكّانه برحبة المسجد الأعظم، من حضرة غرناطة، قال: أنشدنا أبو عبد اللّه المرّاكشى بالإسكندرية، قال: أنشدنا مالك بن المرحّل لنفسه:

أرى الكلاب بشتم الناس قد ظلمتو الكلب أحفظ مخلوق لإحسان

فإن غضبت على شخص لتشتمهفقل له: أنت إنسان ابن إنسان

وفاته: كان حيّا عام خمسين و سبعمائة فيما أظن.

و من الطّارئين عليها فى هذا الاسم

محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد بن جعفر ابن محمد بن أحمد بن مروان بن الحسن بن نصر بن نزار ابن عمرو بن زيد بن عامر

بن نصر بن حقاف السلمى

يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بابن جعفر، و يشهر فى الأخير بالقونجى، منسوبا إلى قرية بالإقليم، و كان من أهل غرناطة.

حاله: من خطّ شيخنا أبى البركات بن الحاج: كان هذا الرجل رجلا صالحا فاضلا متخلّقا، سمحا، جميل اللقاء على قدم الإيثار على رقة حاله، ممّن وضع اللّه له القبول فى قلوب عباده، فكانت الخاصّة تبرّه و لا تنتقده، و العامة تودّه و تعتقده، و تترادف على زيارته، فئة بعد فئة، فلا تنقلب عنه إلّا راضية، و كان جاريا على طريقة الشيخ أبى الحسن الشّاذلى، إذ كان قد لقى بالمشرق الشيخ الإمام تاج الدين بن عطاء اللّه، و لازمه و انتفع به، كما لقى و لازم تاج الدين أبا العباس المرسى، كما لازم أبو العباس أبا الحسن الشاذلى. قال: و لقيه بعد هذا الشيخ أبى عبد اللّه جماعات فى أقطار شتّى، ينتسبون إليه، و يجرون من ملازمته الأذكار فى أوقات معينة على طريقته، و له رسائل منه إليهم طوال و قصار، يوصيهم فيها بمكارم الأخلاق، و ملازمة الوظائف، و خرج عنه إليهم على طريقة التّدوين كتاب سمّاه ب «الأنوار فى المخاطبات و الأسرار» مضمنه جملة من كلام شيخهم تاج الدين،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۷۸

و كلام أبى الحسن الشاذلى، و مخاطبات خوطب بها فى سرّه، و كلام صاحبه أبى بكر الرّندى، و حقائق الطريق، و بعض كرامات غير من ذكر من الأولياء، و ذكر الموت، و بعض فضائل القرآن.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبى الحسن البلّوطى و أجازه، و على أبى الحسن بن فضيلة و أجازه كذلك، و على أبى جعفر بن الزبير و أجازه، ثم رحل فحجّ و دخل الشام، و عاش مدّة من حراسة البساتين، و اعتنى بلقاء المعروفين بالزّهد و العبادة، و كان مليّا بأخبار من لقى منهم، فمنهم الشيخ أبو الفضل تاج الدين بن عطاء اللّه، و صاحبه أبو بكر بن محمد الرندى.

مناقبه: قال: دخلت معه إلى من خفّ على قلبى الوصول إلى منزله لمّا قدم ألمريّة، و هو رجل يعرف بالحاج رحيب، كان من أهل العافية، و رقّت حاله، و لم يكن ذلك يظهر عليه؛ لمحافظته على ستر ذلك لعلوّ همّته، و لم يكن أيضا أثر ذلك يظهر على منزله، بل أثاث العافية باق فيه من فرش و ماعون. فساعة وصول هذا الشيخ، قال: اللّه يجبر حالك، فحسبتها فراسة من هذا الشيخ. قال: و خاطبته عند لقائى إياه بهذه الأبيات: [البسيط]

أشكو إليك بقلب لست أملكهما لم يرد من سبيل فهو يسلكه

له تعاقب أهواء فيقلقههذا و يأخذه هذا و يتركه

طورا يؤمّنه طورا يخوّفهطورا يقيّنه طورا يشكّكه

حينا يوحّشه حينا يؤنّسهحينا يسكّنه حينا يحرّكه

عسى الذى يمسك السّبع الطّباق علىيديك يا مطلع الأنوار يمسكه

فيه سقام من الدنيا و زخرفهامهما أبيّضه بالذكر تشركه

عسى الذى شأنه السّتر الجميل كماغطّى عليه زمانا ليس يهتكه

فلما قرأ منها: «فيه سقام من الدنيا و زخرفها»، قال: هذه علّتى.

مولده: سألته عنه، فقال لى: عام ثمانية و ستين بقرية الجيط من قرى الإقليم.

وفاته: بقرية قنجة خطيبا بها، يوم الاثنين عشرين من شهر شعبان المكرم عام خمسين و سبعمائة، فى الوباء العام، و دفن بقرية قنجة، رحمة اللّه عليه و رضوانه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۷۹

محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى بن الحسين ابن محمد بن أحمد بن صفوان القيسى

و بيته شهير بمالقة، يكنى أبا الطاهر، و يعرف بابن صفوان.

حاله: كان مفتوحا عليه فى طريق القوم، ملهما لرموزهم، مصنوعا له فى ذلك، مع المحافظة على السّنة و العمل بها آخر الرّعيل، و كوكب السّحر، و فذلكة الحساب ببلده، اقتداء و تخلّقا و خشوعا و صلاحا و عبادة و نصحا. رحل فحجّ، و قفل إلى بلده، مؤثرا الاقتصار على ما لديه، فإذا تكلّم فى شىء من تلك النّحلة، يأتى بالعجائب، و يفكّ كل غامض من الإشارات. و عنى بالجزء المنسوب إلى شيخ الإسلام أبى إسماعيل الروبى المسمّى ب «منازل السّارى إلى اللّه» فقام على تدريسه، و اضطلع بأعبائه، و قيّد عليه ما لا يدركه إلّا أولو العناية، و لازمه الجملة من أولى الفضل و الصلاح، فانتفعوا به، و كانوا فى الناس قدوة. و ولى الخطابة بالمسجد الجامع من الرّبض الشّرقى، و به كان يقعد، فيقصده الناس، و يتبركون به، و كان له مشاركة فى الفقه، و قيام على كتاب اللّه.

تواليفه: ألّف بإشارة السلطان على عهده، أمير المسلمين أبى الحجاج ، رحمه اللّه، كتابا فى التّصوّف و الكلام على اصطلاح القوم، كتب عليه شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب بظهره، لما وقع عليه، هذه الأبيات: [الكامل]

أيام مولاى الخليفة يوسف‌جاءت بهذا العالم المتصوّف

فكفى بما أسدى من الحكم التى‌أبدين من سرّ الطريقة ما خفى

و حقائق رفع الحجاب بهنّ عن‌نور الجمال فلاح غير مكيّف

كالشمس لكن هذه أبدى سناللحسن و المعنى لعين المنصف

فيه حياة قلوبنا و دواؤهافمن استغاث بجرعة منها شفى

إن ابن صفوان إمام هدايةصافى فصوفى فهو صوفىّ صفى

و إن اختبرت فإنه صفو ابن صفو ظاهر فى طيّه صفو خفى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۸۰ علم توارثه و حال قد خلت‌ذوقا فنعم المقتدى و المقتفى

فليهنك المولى سعود إيالةفيها سراج نوره لا ينطفى

جلّى وجوه شريعة و حقيقةصبحا سناه باهر لا يختفى

لا زلت تسلك كل نهج واضح‌منها و تحيى كل سعى مزلف

و من تواليفه: «جرّ الحرّ» فى التوحيد، و علّق على الجزء المنسوب لأبى إسماعيل الهروى.

من أخذ عنه: أخذ عنه ببلده و تبرّك به جلّة، و كان يحضر مجلسه عالم، منهم شيخ الشيوخ الأعلام أبو القاسم الكسكلان، و أبو الحسين الكوّاب، و الأستاذ الصالح أبو عبد اللّه القطان، و صهره الأستاذ أبو عبد اللّه بن قرال، و العاقد الناسك أبو الحسين الأحمر و غيرهم.

شعره: رأيت من الشعر المنسوب إليه، و قد رواه عنه جماعة من أصحابنا، يذيّل قول أبى زيد ، رضى اللّه عنه : [الطويل]

رأيتك يدنينى إليك تباعدى فأبعدت نفسى لابتغاء التقرّب

فقال: [الطويل]

هربت به منى إليه فلم يكن‌بى البعد فى بعدى فصحّ به قربى

فكان به سمعى كما بصرى به‌و كان به لا بى لسانى مع القلب

فقربى به قرب بغير تباعدو قربى فى بعدى فلا شىء من قربى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۸۱

وفاته: سافر من بلده إلى غرناطة فى بعض وجهاته إليها، و ذهب سحرا يرتاد ماء لوضوئه، فتردى فى حفرة تردّيا أوهن قواه، و ذلك بخارج بلّش ، فردّ إلى مالقة، فكانت بها وفاته قبل الفجر من ليلة يوم الجمعة الرابع عشر لشعبان عام تسعة و أربعين و سبعمائة.

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصارى

يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بالسّاحلى.

حاله: من «عائد الصلة»: المثل السائر فى عمران أوقاته كلها بالعبادة، و صبره على المجاهدة. قطع عمره فى التّبتّل و التّهجّد، لا يفتر لسانه عن ذكر اللّه و الصلاة على نبيّه، صلى اللّه عليه و سلم. خرج عن متروك والده، و اقتصر على التّعيّش من حرفة الخياطة. ثم تعدّاها إلى النّسخ و التّعليم، و سلك على الشيخ أبى القاسم المريد، نفع اللّه به، حتى ظهرت عليه سيما الصالحين، و أقام عمره مستوعبا ضروب الخير، و أنواع القرب من صوم و أذان و ذكر و نسخ و قراءة و ملازمة خلوة، ذا حظّ من الفصاحة، و جرأة على الوعظ فى صوت جهير و عارضة صليبة. اقتدى به طوائف من أصناف الناس على تباعد الدّيار، و ألزمهم الأذكار، و حوّلهم للسلوك، فأصبح كثير الأتباع، بعيد الصّيت.

و ولّى الخطابة بالمسجد الجامع من بلده، و نقل إلى الخطابة بجامع غرناطة فى نبوة عرضت له بسبب ذنابى ذرّية طرقوا الكدر إلى سربه، ثم عاد إلى بلده متين ظهر الحظوة، وثيق أساس المبرّة.

مشيخته: قرأ ببلده مالقة على الخطيب أبى محمد بن عبد العظيم بن الشيخ، و أبى عبد اللّه بن لب، و أبى جعفر الحرّار، و أبى عبد اللّه بن الحلو، و الخطيب أبى عبد اللّه بن الأعور.

محنته: ابتلى بعد السبعين من عمره بفقد بصره، فظهر منه من الصبر و الشكر و الرّضا بقضاء اللّه ما يظهر من مثله. و أخبرنى بعض أصحابه أنه كان يقول: سألت اللّه أن يكفّ بصرى خوفا من الفتنة. و فى هذا الخبر نظر لمكان المعارضة فى أمره، صلى اللّه عليه و سلم، بسؤال العافية و الإمتاع بالإسماع و الإبصار.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۸۲

شهرته: و جعل اللّه له فى قلوب كثير من الخلق، الملوك فمن دونهم، من تعظيمه ما لا شىء فوقه، حتى أن الشيخ المعمر الحجّة الرّحلة أبا على ناصر الدين المشدالى كتب إليه من بجاية بما نصه: يا أيها العزيز، مسّنا و أهلنا الضّر، و جئنا ببضاعة مزجاة، فأوف لنا الكيل، و تصدّق علينا، إن اللّه يجزى المتصدّقين. و بعده:

من العبد الأصغر و المحبّ الأكبر فلان، إلى سيّد العارفين، و إمام المحققين، فى ألفاظ تناسب هذا المعنى.

حدّثنى شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب، و كان من أعلام تلاميذه، و صدور السالكين على يديه، قال: قصدت منه خلوة، فقلت: يا سيدى، أصحابنا يزعمون أنك ترى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فأخبرنى و اشف صدرى، هل هذه الرؤيا عينيّة أو قلبية؟

قال: فأفكر ساعة، ثم قال: عندى شك فى رؤية ابن الجيّاب الساعة و محادثته، فقلت: لا، فقال: كذلك الحال، قلت: و هذا أمر غريب، و لا يصح إلّا رؤية القلب، و لكن غلبت عليه حتى تخيّل فى الحسّ الصورة الكريمة، إذ وجود جوهر واحد فى محلّين اثنين محال.

شعره: نظم الكثير من شعر منحطّ لا يصلح للكتب و لا للرّواية، ابتلى به، رحمه اللّه، فمن لبابه قوله، و هو من الوسط : [الكامل]

إن كنت تأمل أن تنال وصالهمفامح الهوى فى القيل و الأفعال

و اصبر على مرّ الدواء فإنهيأتيك بعد بخالص السّلسال

تواليفه: ألّف كتابا سمّاه «إعلان الحجّة، فى بيان رسوم المحجّة».

وفاته: توفى يوم الجمعة الرابع و العشرين لشوال عام خمسة و ثلاثين و سبعمائة، و كانت جنازته مشهودة، تزاحم الناس على نعشه، و تناولوه تمزيقا على عادتهم من ارتكاب القحة الباردة فى مسلاخ حسن الظّن.

محمد بن أحمد بن قاسم الأمى

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بالقطّان، الفقيه الأوّاب المتكلم المجتهد.

حاله: من «العائد»: كان هذا الرجل غريب المنزع، عجيب التّصوّف. قرأ و عقد الشروط، و تصدّر للعدالة، ثم تجرّد، و صدق فى معاملته للّه، و عوّل عليه،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۸۳

و اضطلع بشروط التّوبة، فتحلّل من أهل بلده، و استفاد و استرحم، و استغفر، و نفض يديه من الدّنيا، و التزم عبادة كبيرة، فأصبح يشار إليه فى الزّهد و الورع، لا ترا ه إلّا متبسّما، ملازما لذكر اللّه، متواضعا لأصاغر عباده، محبّا فى الضّعفاء و المساكين، جميل التّخلّق، مغضيا عن الهنات، صابرا على الإفادة. و جلس للجمهور بمجلس مالقة، يتكلم فى فنون من العلم، يعظ الناس، و يرشدهم، و يزهّدهم، و يحملهم على الإيثار، فى أسلوب من الاستنفار و الاسترسال و الدلالة و الفصاحة و الحفظ، كثير التأثير فى القلوب، يخبر بإلهام و إعانة، فمال الخلق إليه، و تزاحموا على مجلسه، و أعلنوا بالتّوبة، و بادر مترفوهم إلى الإقلاع عن إجابة الشهوات، و الاستقالة من الزّلّات، و دهم الوباء، فبذلوا من الأموال فى أبواب البرّ و الصّدقة، ما لا يأخذه الحصر و لا يدركه الإحصاء، و لو لا أن الأجل طرقه، لعظم صيته، و انتشر نفعه.

وفاته: توفى شهيد الطّاعون عصر يوم الأربعاء الرابع لصفر من عام خمسين و سبعمائة، و دفن بجبانة جبل فاره ، ضحى يوم الخميس الثانى من يوم وفاته، و صلّى عليه خارج باب قنتالة، و ألحده فى قبره الخطيب القاضى الصالح أبو عبد اللّه الطّنجالى، رحم اللّه جميعهم.

و ممّن رثاه الشيخ الأديب أبو الحسن الورّاد فقال: [الطويل]

أبعد ولىّ اللّه دمعى يسجمو غمار قلبى من كلوم تترجم؟

فؤادى مكلوم بحزنى لفقدهلذاك جفونى دمعها كلّه دم

و ما ذا عسى يغنى التفجّع و البكاو ما ذا عسى يجدى الأسى و التبرّم؟

سأصبر للبلوى و إن جلّ خطبهافصبر الفتى عند الشّدائد يعلم

كذا العلم بالسيف الصّقيل لدى الوغىفويق الذى من حسنه لا يوسّم

على قدر صبر المرء تصغر عندهخطوب من الدنيا على الناس تعظم

ألا إنها الدّنيا تعلّة باطلو محمض أحلام لمن بات يحلم

تجنّبها أهل العقول فأقصرواو أغرق فيها الجاهلون و أشأموا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۸۴ أعد نظرا فيها تجبك براحةو إنس بما تقضى عليك و تحكم

أعدّ لها درياق صبرك إنهامن البؤس و التّلوين و اللّه أرقم

تلفّت إلى تعذيبها لمحبّهاو ما ذا بها يلقى كئيب و مغرم

يظنّ بها ريحانة و هى سدرةو لا منتهى إلّا الرّدى و التّندم

عجبت لها تخفى علينا عيوبهاو ذاك لأنّا فى الحقيقة نوّم

أليس عجيبا أن يعوّل عاقلعلى عاجل من وصلها يتصرّم؟

و ما وصلها معشار عشر صدورهاو لكنه صرف و للدّهر أدوم

إذا ابتسمت يوما ترقّب عبوسهافما إن لنا منها يدوم التّبسّم

ضحى كان وجه الدّهر سبر بشرّهفلم يمس حتى بان منه التّجهّم

ذرينا بعقد من ولىّ مكانهمكين لدى العلياء سام معظّم

هوى مثل ما هوى من الأفق كوكب‌فجلّلنا ليل من الخطب مظلم

تساوى لديه صيدها و عبيدهاو عالمها النّحرير و المتعلّم

هو الموت لا ينفكّ للخلق طالبايروح و يغدو كلّ حين عليهم

و ما هو إلّا الدّاء عزّ دواؤه‌فليس لشيء فى البسيطة يحسم

دها كل مخلوق فما منه سيّدله الجاه عند اللّه ينجو و يسلم

و لو كان ذا كان النّبيّ محمدتجنّبه، صلّوا عليه و سلّموا

تعنّى به موسى و يوسف قبلهو نوح و إدريس و شيث و آدم

به باد بهرام و تبّر بهرمو كسّر من كسرى سوار و معصم

و كم من عظيم الشّأن حلّ بربعه‌فإن تختبره فهو ربّ و أعظم

و لكنّنا ننسى و نأبى حديثه‌و ننجد فى الإعراض عنه و نتهم

فحتّى إذا حلّ ساحة ماجدنطلّ بها من حسرة نتكلّم

نسينا حديث الموت جهلا بغدره‌فألهمنا إذ هزّنا منه ملهم

وفاة و رميّ فى التّراب موسّدو آثاره فوق السّماك تخيّم

خبا ضوء نادىّ فأقفر ربعه‌من العلم و التّعليم ربع و معلم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٨٥ تردّى فأردى فقده أهل ريّة فما منهم إلّا كئيب و مغرم

غدا أهلها من فجعة بمصابه‌و عيشهم صاب قطيع و علقم

و هل كان إلّا والد مات عنهم؟فيا من لقوم يتّموا حين أيّموا

قضى نحبه الأستاذ واحد عصره‌فكاد الأسى يقضى إلى الكلّ منهم

قضى نحبه القطّان فالحزن قاطن‌مقيم بأحناء الضّلوع محكّم

و هل كان إلّا روضة رفّ ظلّهاأتيح له قيظ من الجون صيلم؟

و هل كان إلّا رحمة عاد فقدهاعلامة فقد العلم و اللّه أعلم؟

سل التّائبين العاكفين على الهدى‌لكم منّة أسدى و أهدى إليهم

أفادهم من كلّ علم لبابه‌و فهّمهم أسراره فتفهّموا

جزى اللّه ربّ الناس خير جزائه‌دليلا بهم نحو الهدى حيث يمّموا

أبان لهم طرق الرّشاد فأقدمواو حذّرهم عن كل غىّ فأحجموا

و جاء من التّعليم للخير كله‌بأبين من يأتى به من يعلّم

فصاحة ألفاظ و حسن عبارة‌مضىّ كما يمضى الحسام المصمّم

يصيب فلا يخطى إذا مقصداو من يجيب فلا يبطى و لا يتلعثم

يحدّث فى الآفاق شرقا و مغربافأخباره أضحت تخطّ و ترسم

سرى فى الورى ذكر له و مدائح‌يكاد بها طير العلى يترنّم

لعمرك ما يأتى الزمان بمثله‌و ما ضرّنى لو كنت بالله أقسم

فقيه نزيه زاهد متواضع‌رؤوف عطوف مشفق مترحّم

يودّ لو أنّ الناس أثرى جميعهم‌فلم يبق مسكين و لم يبق معدم

يودّ لو أنّ اللّه تاب على الورىفتابوا فما يبقى من الكلّ مجرم

عليه من الرّحمن أوسع رحمةفقد كان فينا الدّهر يحنو و يرحم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۸۶

محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن على ابن خالد بن عبد الرحمن بن حميد الهاشمى الطّنجالى

لوشى الأصل، مالقى النشأة و الاستيطان.

أوليته: بيتهم نبيه إلى هاشميّة النّبه، و هم ببلدنا لوشة أشراف، و كانت لهم فيها ثروة و ثورة اجتثّها الدهر ببعض طوارقه فى أبواب المغالبات. و يمتّ سلفنا إليهم بصحبة و مصاهرة فى حديث يستدعى طولا، و انتقل خلفهم إلى مالقة.

حاله: من «عائد الصلة»: كان هذا الولى الفاضل، المجمع على ولايته و فضله، سهل اللقاء، رفيقا بالخلق، عطوفا على الضعفاء، سالكا سنن الصّالح من السّلف سمتا و هديا، بصره مغضوض، و لسانه صامت إلّا من ذكر اللّه، و علمه نافع، و ثوبه خشن، و طعمته قد نفدها الورع الشّديد حتى اصطفاها مختارة، إذا أبصرت بها العين، سبقتها العبرة. بلغ من الخلق الملوك فمن دونهم الغاية، فكان يلجأ إليه المضطرّ، و تمدّ إلى عنايته الأيدى، و تحطّ بفنائه الوسائل، فلا يرتفع عن كلف الناس و لا حوائجهم، و لا ينقبض عن الشّفاعة لهم، و إصلاح ذات بينهم؛ له فى ذلك كلّه أخبار طريفة. و استعمل فى السّفارة بين ملكى العدوة و الأندلس فى أحوال المسلمين، فما فارق هيئته، و ركوب حماره و استصحاب زاده، و ليس الخشن من ثوبه. و كان له حظّ رغيب من فقه و حديث، و تفسير، و فريضة. ولّى الخطابة ببلده مالقة، و استسقى فى المحول، فسقى الناس.

حدّثنى بعض أشياخنا، قال: حضرت مقامه مستسقيا، و قد امتنع الغيث، و قحط الناس، فما زاد عند قيامنا أن قال: أستغفر اللّه، فضجّ الخلق بالبكاء و العجيج، و لم يبرحوا حتى سقوا. و كراماته كثيرة، ذائعة من غير خلاف و لا نزاع.

حدّث بعض أشياخنا عن الخطيب الصّالح أبى جعفر الزيات، قال: رأيت فى النّوم قائلا يقول: فقد اللّيلة من يعمر بيت الإخلاص بالأندلس، فما انتصف النهار من تلك الليلة حتى ورد الخبر بموته.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۸۷

مشيخته: من شيوخه الذين قرأ عليهم و أسند إليهم الرواية والده، رحمه اللّه، و أبو عمرو بن حوط اللّه، و الخطيب ابن أبى ريحانة المربلّى، و القاضى أبو على بن أبى الأحوص، و الراوية أبو الوليد بن العطار، و الراوية المحدّث أبو بكر بن مشليون، و المقرئ أبو عبد اللّه بن مستقور الطائى، و الأستاذ أبو جعفر الطبّاع، و أبو الحسين بن أبى الربيع، و المحدّث أبو عبد اللّه بن عيّاش، و الأستاذ أبو الحسن السّفّاج الرّندى، و الخطيب بألمريّة أبو الحسن الغزّال. و قرأ على الأستاذ أبى جعفر بن الزبير.

و أجازه من أهل المشرق جماعة منهم أبو عبد اللّه بن رزيق الشافعى، و العباس أحمد بن عبد اللّه بن محمد الطبرى، و أبو اليمن عبد الصمد بن أبى الحسن عبد الوهاب بن أبى البركات، المعروف بالنجام، و الحسن بن هبة اللّه بن عساكر، و إبراهيم بن محمد الطّبرى، إمام الخليل، و محمد بن محمد بن أحمد بن عبد ربه الطّبرى، و محمد بن على بن وهب بن مطيع القشيرى، و أبو الفتح تقىّ الدين بن أبى الحسن فخر الدين، و عبد اللّه بن محمد بن أبى بكر الطبرى المكىّ الشّافعى و غيرهم.

ميلاده: بمالقة فى رجب سنة أربعين و ستمائة.

وفاته: بمالقة فى يوم الخميس الثامن لجمادى الأولى من عام أربعة و عشرين و سبعمائة، و قد ناهز الثمانين سنة، لم ينتقص شىء من أعماله المقرّبة إلى اللّه، من الصوم و الصلاة، و حضور الجماعات، و ملازمة الإقراء و الرّواية، و الصبر على الإفادة.

حدّث من يوثق به أنّ ولده الفقيه أبا بكر دخل عليه، و هو فى حال النّزع، و المنيّة تحشرج فى صدره، فقال: يا والدى، أوصنى، فقال: و عيناه تدمعان: يا ولدى، اتّق اللّه حيث كنت و اتبع السّيئة بالحسنة تمحها، و خالق الناس بخلق حسن.

محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البلفيقى ابن الحاج

والد شيخنا أبى البركات. و قد مرّ فى ذكر النّسب المتّصل بعباس بن مرداس، و الأوّليّة النّبيهة ما يغنى عن الإعادة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۸۸

حاله: من خطّ ولده شيخنا على الاختصار، قال يخاطبنى فى بعض ما كتب به إلىّ: ذكر أبى، و هو ممن طلبتم ذكره إلى فى أخباره جزءا من نحو سبعين ورقة فى المقسوم، لخّصت لك من مبيّضته ما يذكر:

نشأ، رحمه اللّه، بسبتة على طهارة تامة، و عفّة بالغة و صون ظاهر، كان بذلك علما لشبّان مكتبه. قرأ القرآن بالقراءات السّبع، و حفظ ما يذكر من المبادىء، و اتّسم بالطلب. ثم تاقت نفسه إلى الاعتلاق بالعروة الوثقى التى اعتلق بها سلفه، فنبذ الدّنيا، و أقبل على الآخرة، و جرى على سنن المتّقين، آخذا بالأشدّ من ذلك و الأقوى، طامحا بهمّته إلى أقصى ما يؤمّله السّالكون، فرفض زى الطّلبة، و لبس الخشنية، و ترك ملابسة الخلق بالجملة، و بالغ فى الانقباض عنهم، و انقطع إلى اللّه برباطات سبتة و جبالها، و خصوصا بمينائها، و عكف على ذلك سنين، ثم سافر إلى المغرب، سائحا فى الأرض، على زى الفقهاء للقاء العبّاد و أهل العلم، فأحرز من ذلك ما شاء. ثم أجاز البحر إلى جزيرة الأندلس، و ورد ألمريّة، مستقرّ سلفه، و أخذ فى إيثار بقايا أملاك بقيت لأسلافه بها، على ما كان عليه من التّبتّل و الإخبات. و كان على ما تلقينا من أصحابه و خدّانه، صوّاما، قوّاما، خاشعا، ذاكرا، تاليا، قوّالا للحق، و إن كان مرّا كبيرا فى إسقاط التّصنّع و المباهاة، لا يضاهى فى ذلك، و لا يشقّ غباره. و قدم على غرناطة، و دخل على أمير المسلمين، و قال له الوزير: يقول لك السلطان ما حاجتك؟ فقال: بهذا الرسم رحلت، ثم ظهر لى أن أنزل حاجتى بالله، فعار على من انتسب إليه أن يقصد غيره. ثم أجاز البحر و قد اشتدّت أحوال أهل الأندلس بسبب عدوّهم، و قدم على ملكه، و وعظه موعظة أعنف عليه فيها، فانفعل لموعظته، و أجاز البحر بسببه إلى جزيرة الأندلس، و غزا بها، و أقام بها ما شاء اللّه، و تأدب الروم لو تمّ المراد، قال: و أخبره السلطان أبو يوسف ملك المغرب، قال: كل رجل صالح دخل علىّ كانت يده ترعد فى يدى، إلّا هذا الرجل، فإن يدى كانت ترعد فى يده عند مصافحته. كراماته: و جلب له كرامات عدّة، فقال فى بعضها: و من ذلك ما حدّثنى الشيخ المعلم الثّقة أبو محمد قاسم الحصّار، و كان من الملازمين له، المنقطعين إلى خدمته، و السّفر معه إلى البادية، فقال: إنى لأحفظ لأبيك أشياء من الأحوال العظيمة، منها ما أذكره، و منها ما لا أستطيع ذكره. ثم قال: حدّثنى أهل وادى الزّرجون، و هو حشّ من أعمال سبتة، قالوا: انصرف السيد أبو عبد اللّه من هنا، هذا لفظه، فلما استقرّ فى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۸۹

رأس العقبة المشرفة على الوادى، صاح عليه أهل القرى، إذ كانوا قد رأوا أسدا كبيرا جدا قد تعرّض فى الطريق، ما نجا قط من صادفه مثله، فلما سمع الصياح قال: ما هذا؟ فقيل له: أهل القرى يصيحون عليه خيفة من السّبع، قال: فأعرض عنهم بيده، و رفع حاجبه كالمتكبّر على ذلك، و أسكتهم، و أخذ فى الطّريق حتى وصل إلى الأسد، فأشار عليه بالقضيب، و قال له: من ههنا، من ههنا، اخرج عن الطريق، فخرج بإذن اللّه عن الطريق، و لم يوجد هنالك بعد. و أمثال ذلك كثيرة.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبى الحسين بن أبى الربيع القرشى، و أجازه والده أبو إسحاق إجازة عامة. و من شيوخه القاضى المسنّ أبو عبد اللّه الأزدى، و المحدّث أبو بكر بن مشليون، و أبو عبد اللّه بن جوهر، و أبو الحسين بن السراج، و أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه الخزرجى، و أبو عبد اللّه بن الأبار، و أبو الوليد بن العطار، و أبو العباس بن عبد الملك، و أبو إسحاق بن عياش، و أبو محمد عبد اللّه بن أحمد بن عطيّة، و أبو بكر القرطبى حميد، و أبو إبراهيم الطّرسى، و القاضى أبو عبد اللّه بن عياض، و الكاتب أبو الحسن الرّعينى، و أبو الحسن الشّارى، و أبو يحيى بن الفرس، و أبو إسحاق بن عبيد اللّه، و أبو الحسن الغزّال، و جماعة من الأندلس غير هؤلاء.

و من أهل العدوة كأبى يعقوب المحاسبى، و ابن فرتون، و غيرهما .

محنته: نمى عنه إلى السلطان بالأندلس، أنه أغرى به ملك المغرب، و تخلّص بعد لأى فى خبر طويل، و انتهب السلطان ماله، و ألحق أملاكه بالمختص ، و استمرّ، و ذلك إلى دولة والده، و امتحن السّاعون به، فعجّل اللّه عقوبتهم.

مولده: قال شيخنا: نقلت من خطّ أبيه ما نصّه: ولد ابنى أبو بكر محمد، أسعده اللّه و وفّقه، فى النصف الأول من ليلة يوم الاثنين الحادى و العشرين لذى قعدة من سنة ست و أربعين و ستمائة.

وفاته: قال: ألفيت بخط القاضى الأديب الكاتب أبى بكر بن شبرين، و كان ممن حضر جنازته بسبتة، و كانت وفاة الفقيه النّاسك السّالك الصالح أبى بكر محمد بن الشيخ الفقيه المحدّث أبى إسحاق السلمى البلفيقى فى العشر الأواخر من رمضان أربعة و تسعين و ستمائة، بمحروسة سبتة، و دفن إثر صلاة العصر بجبّانة الخرّوبة من منارتها بمقربة من قبر ريحان الأسود العبد الصالح، نفع اللّه به. و صلّى عليه الإمام أبو عبد اللّه بن حريث. الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج۳ ؛ ص ۱۹۰

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۹۰

محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن مالك ابن إبراهيم بن يحيى بن عبّاد النّفزى

من أهل رندة، يكنى أبا عمرو، و يعرف بابن عبّاد، الحاجّ الصّوفى.

حاله: نشأ ببلده رندة، و هو من ذوى البيوتات الأصيلة بها، ثم رحل إلى المشرق، و لقى العلماء و الصّوفية، و حضر عند المشيخة، ثم كرّ إلى الأندلس، فتصوف، و جال فى النّواحى، و اطّرح السّموت، و فوّت ما كان بيده من متاع الدّنيا، و كان له مال له خطر، و ألقى التّصنّع لأهله رأسا. و كان فيه تولّه و حدّة، و له ذهن ثاقب، يتكلم فى المعقولات و المنقولات، على طريقة الحكماء و الصّوفية، و يأتى بكل عبارة غريبة، و آثاره هائلة من غير تمكّن علم، و لا وثاقة إدراك، غير أنك لا تسمع منه إلّا حسنا، و هو مع ذلك طوّاف على البلاد، زوّار للرّبط، صبّار على المجاهدة طوعا و ضرورة، و لا يسأل ثيابا البتّة إلّا بذلة من ثوب أو غيره، صدقة واحد فى وقته.

محنته و فضله و شعره: نمى عنه كلام بين يدى صاحب المغرب، أسف به مدبّر الدولة يومئذ، فأشخص عند إيابه إلى رندة و سجن بسجن أرباب الجرائم، فكتب إلى ولىّ الأمر: [الطويل]

تركت لكم عزّ الغنى فأبيتمو أن تتركونى للمذلّة و الفقر

و نازعتمونى فى الخمول و إنهلذى مهجتى أحلى من البنى و الأمر

ثم قال: يا من رمانى بسهمه الغرب، قد ردّ عليك مخضوبا بالدّم. قال: فو اللّه ما مرّت ثلاثة، حتى نفذ حكم اللّه فيمن عدا عليه.

و شعره حسن يدلّ على طبع معين، فمن ذلك: [الكامل]

سرى يسرّ إلىّ أنك تاركىنفسى الفداء للطفك المتدارك

يا مالكى ولى الفخار بأننىلك فى الهوى ملك و أنّك مالكى

التّرك هلك فاعفنى منه وعدبالوصل تحيى ذا محبّ هالك

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۹۱ و أعد جميلا فى الهوى عوّدتنىإن لم تعده إلىّ من للهالك؟

يا منية القلب الذى بجمالهفتن الورى من فاتك أو ناسك

آتيه دونك أو أحار و فى سنىذاك الجمال جلا الظلام الحالك؟

و لكم سلكت إليك لكن حين لمتكن الدّليل اختلّ قصد السّالك

و لقد عرفت بستر سرّى فى الهوىفهجرتنى فكسيت ثوب الهاتك

ما السّتر إلّا ما يحوك رضاك لاما حاكه للبتر كفّ الحائك

ما الفضل إلّا ما حكمت به فصنو اهتك و صل إن شئت أو كن تاركى

ما لى سوى حبّيك يا حبّى فدع‌تركى فهلك الملك ترك المالك

و قال أيضا : [الكامل]

هذا العقيق فسل معاطف بانه‌هل نسمة عادته من نعمانه؟

و اسأله إن زارته ما ذا أخبرت‌عن أجرع العلمين أو سكّانه

و أصخ لحسن حديثها و أعده للمضنى ففيه البرء من أشجانه

يا حبّذا ذاك الحديث و حبّذامن قد رواه و حبّذا ببيانه

و سقى الإله زمانه و مكانه‌و يعزّ قدر زمانه و مكانه

يا سعد، ساعد مستهاما فيه لاذقت الهوى و نجوت من عدوانه

و أصخ لما يتلو الوجود عليك من‌أنبائهم بلسان حال كيانه

و أبنه لى و اقبل ذمامى بشارة‌و يقلّ بذل ذماى فى تبيانه

و سل النّسيم يهبّ من واديهم‌بشذا خزاماه و طيب ليانه

ارحم بروح منه روحى تحيه‌و بسقمه سقمى فديتك عانه

و بنشره انشر نفس مشتاق قضت‌شوقا لنفحة نسمة من بانه

يا سعد، حدّثنى فكلّ مخبّرعن خسر من أهواه أو إحسانه

 يا سعد، حدّثنى حديثا عنهم‌و يجلّ قدر الحبّ عن نسيانه

يا سعد، طارحنيه و املأ مسمعى‌من سرّه إن شئت أو إعلانه

أنا فى الغرام أخوك حقا و الفتى‌لا يكتم الأسرار عن إخوانه

قل كيف وادى ودّ سكّان الحمى‌و منى أمانيه و روض لسانه؟

هل قلّصت أيدى النّوى من ظلّه؟أو ما جرى هل عاث فى جريانه؟

و هل الربوع أواهل بحمى لهم فسقى الربوع الودق من هتّانه؟

و هل التقى بان على عهد النّوى و هل اللّوى يلوى بعود زمانه؟

فبروض أنسهم عهدت نضارة‌نزّهت منها الطّرف فى بستانه

و أرى هجير الهجر أذبل يانعامنه و أذوى الغضّ من ريحانه

و أحال حال الأنس فيه وحشة‌و طوى بساط الأنس فى هجرانه

آها و والهفى و ويحى أن مضى‌عهد عرفت الأنس فى أزمانه

و بأجرع العلمين من شرقيّه‌حبّ غذانى حبّه بلبانه

حاز المحاسن كلّها فجمعن لى‌كلّ الهوى فحملت كلّ هوانه

و زها علىّ بعزّة فبواجب‌أزهو بذلّى فى يدى سلطانه

و قضى بأن أقضى و ليت بما قضى‌يرضى فطيب العيش فى رضوانه

و اختار لى أن لا أميل لسلوة‌عن حبّه فسلوت عن سلوانه

يا عاذلى أو ناصحى أو لائمى‌تبغى السّلوّ ولات حين أوانه

غلب الغرام و عزّ سلطان الهوى‌فالكلّ فيه علىّ من أعوانه

 فعلام تعتب مستهاما، كلّ ما فى الكون عاذره على هيمانه

دع عنك لومى إننى لك ناصحأبدى الجمال العذر عن هيمانه

و إذا الفتى قام الجمال بعذرهفى الحبّ فاتركه وثنى عنانه

من سام قلبى فى هواه سلوةقد سامه ما ليس فى إمكانه

و قال فى الغرض المذكور : [البسيط]

يا للرّجال، ألا حبّ يساعدنىفى ذا الغرام فأبكيه و يبكينى؟

غلبت فيه و ما أجدت مغالبتىو هنت و الصّبّ أولى الناس بالهون

ركبت لجّته وحدى فأدهشنىو متّ فى يده فردا فدلّونى

واضيعة العمر و البلوى مضاعفةما بين يأس و آمال ترجّينى

و الهف نفسى إن أودت و ما ظفرتفى ذا الهوى بتمنّ أو بتأمين

فليت شعرى و عمرى ينقضى طمعافى ذا الهوى بين مغلوب و مغبون

هل الألى ملكوا رقّى و قد علموابذلّتى و افتقارى أن يواسونى؟

فكم أكفكف دمعى بعدهم و أرىمجدّدا نار يأسى و هى تبلينى

و كم أمرّ على الأطلال أندبهاو بالمنازل من خيف و دارين

و فى الفؤاد لهم ما ليس يعلمهم، علمهم بالحال يكفينى

أهمى المدامع كى أروى فتعطشنىو ألزم الذّكر للسّلوى فيشجينى

و كلّ من لمحت عينى أسائلهعنهم فيغرى بهم قلبى و يغرينى

يا أهل نجد و فخرى أن أحبّكملا أطلب الوصل عزّ الحبّ يغنينى

هل للهوى من سبيل للمنى فلقدعزّت أمانيه فى الدّنيا و فى الدّين

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۹۴

محمد بن يوسف بن خلصون

يكنى أبا القاسم، روطىّ الأصل، لوشيّه ، سكن لوشة و غرناطة و مالقة.

حاله: كان من جلّة المشيخة و أعلام الحكمة، فاضلا، منقطع القرين فى المعرفة بالعلوم العقلية، متبحرا فى الإلهيات، إماما فى طريقة الصّوفية، من أهل المقامات و الأحوال، كاتبا بليغا، شاعرا مجيدا، كثير الحلاوة و الطّلاوة، قائما على القرآن، فقيها أصوليا، عظيم التخلّق، جميل العشرة. انتقل من حصن روطة إلى الخطابة و الإمامة بلوشة، كثير الدؤوب على النّظر و الخلوة، مقصودا من منتحلى ما لديه ضرورة. لم يتزوج، و تمالأت عليه طائفة ممن شانها الغضّ من مثله، فانزعج من لوشة إلى مالقة، فتحرّف بها بصناعة الطّب، إلى حين وفاته.

حدّثنى والدى، و كان خبيرا بأحواله، و هو من أصحاب أبيه، قال: أصابت الناس شدّة قحط، و كانت طائفة من أضداده تقول كلاما مسجّعا، معناه: إنكم إن أخرجتم ابن خلصون من بينكم، مطرتم. قال: فانزعج عنها، و لما كان على أميال نزل الغيث الرغد، قال: فسجد بموضعه ذلك، و هو معروف، و قال: سيدى، و أساوى عندك هذا المقدار، و أوجب شكرانا. و قدم غرناطة، و بها الأستاذ أبو عبد اللّه الرّقوطى، و له استيلاء على الحظوة السلطانية، و شأنه اختبار من يرد على الحضرة ممن يحمل فنّا، و للسلطان على ابن خلصون موجدة، لمدحه فى حداثته أحد الثوار عليه بقمارش ، بقصيدة شهيرة. فلمّا حضر، سأله الأستاذ: ما صناعتك، فقال:

التصوّف، فالتفت إلى السلطان و قال: هذا رجل ضعيف لا شىء لديه، بحيث لا يفرّق بين الصّناعة و غيرها، فصرفه رحمه اللّه.

تواليفه: و تواليفه كثيرة، تـدل على جلالـته و أصالـة معرفته، تنطق علمـا و حكمـة، و تروق أدبا و ظرفا. فمن ذلك كتابه فى «المحبـة»، وقفت عليه بخط جدّى الأقرب سعيد، و هو نهاية. و كتاب «وصف السلوك، إلى ملك الملوك»، عارض به معراج

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۹۵

الحاتمى، فبان له الفضل، و وجبت المزيّة، و رسالة «الفتق و الرّتق، فى أسرار حكمة الشرق».

شعره: من ذلك قوله: [الكامل]

هل تعلمون مصارع العشّاقعند الوداع بلوعة الأشواق؟

و البين يكتب من نجيع دمائهمإن الشّهيد لمن يمت بفراق

لو كنت شاهد حالهم يوم النّوىلرأيت ما يلقون غير مطاق

منهم كئيب لا يملّ بكاؤهقد أغرقته مدامع الآماق

و محرّق الأحشاء أشعل نارهطول الوجيب بقلبه الخفّاق

و مولّهٌ لا يستطيع كلامهمما يقاسى فى الهوى و يلاقى

خرس اللسان فما يطيق عبارةألم المرور و ما له من راق؟

ما للمحبّ من المنون وقايةإن لم يغثه حبيبه بتلاق

مولاى، عبدك ذاهب بغرامهفادركه بوصلك من دماه الباقى

إنى إليك بذلّتى متوسّلفاعطف بلطف منك أو إشفاق

و من شعره أيضا: [الكامل]

أعد الحديث إذا وصفت جمالهفبه تهيّج للمحبّ خياله

يا واصف المحبوب كرّر ذكرهو أدر على عشّاقه جرياله

فبذكر من أهوى و شرح صفاتهلذّ الحديث لمسمعى و خلاله

طاب السّماع بوصفه لمسامعىو قررت عينا مذ لمحت هلاله

قلبى يلذّ ملامهٌ فى حبّهو يرى رشادا فى هواه ضلاله

يا عاذلى أو ما ترقّ لسامرسمع الظّلام أنينه فرثا له؟

و من شعره أيضا: [الكامل]

إن كنت تزعم حبّنا و هوانافلتحملنّ مذلّهٌ و هوانا

فاسجر لنفسك إن أردت وصالناو اغضب عليها إن طلبت رضانا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۹۶ و اخلع فؤادك فى طلاب و دادناو اسمح بموتك إن هويت لقانا

فإذا فنيت عن الوجود حقيقةو عن الفناء فعند ذاك ترانا

أو ما علمت الحبّ فيه عبرةفاخلص لنا عن غيرنا و سوانا

و ابذل لبابك إن وقفت ببابناو اترك حماك إذا فقدت حمانا

ما لعلع ما حاجر ما رامهٌما ريم أنس يسحر الأذهانا

إنّ الجمال مخيّم بقبابناو ظباؤه محجوبهٌ بظبانا

نحن الأحبّهٌ من يلذ بفنائنانجمع له مع حسننا إحسانا

نحن الموالى فاخضعنّ لعزّنا إنّا لندفع فى الهوى من هانا

إنّ التّذلّل للتّدلّل سحرفاخلد إلينا عاشقا و مهانا

و اصبر على ذلّ المحبّة و الهوىو اسمع مقالة هائم قد لانا

نون الهوان من الهوى مسروقةفإذا هويت فقد لقيت هوانا

و من لطيف كلامه و رقيق شعره: [الرمل]

لو خيال من حبيبى طرقالم يدع دمعى بخدّى طرفا

و نسيم الريح منه لو سرىبشذاه لأزال الحرقا

و متى هبّت عليلات الصّباصحّ جسمى فهى لى نفث رقا

عجبا يشكو فؤادى فى الهوىلهب النار و جفنى الفرقا

يا أهيل الحىّ، لى فيكم رشالم يدع لى رمقا مذ رمقا

بدر تمّ طالع أثمرهغصن بان تحته دعص نقا

راق حسنا و جمالا مثلمارقّ قلبى فى هواه ورقا

أنّس الشمس ضياه ذهباو كسا البدر سناه ورقا

حلل الحسن عليه خلعتفارتداها و لها قد خلقا

و من شعره: [البسيط]

دعوت من شفتى رفقا على كبدىفقال لى: خلق الإنسان فى كبد

قلت الخيال و لو فى النّوم يقنعنىفقال: قد كحلت عيناك بالسّهد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ١٩٧ فقلت: حسبى بقلبى فى تذكّرهفقال: لى القلب و الأفكار ملك يدى

قلت الوصال حياتى منك يا أملىقال الوصال فراق الروح للجسد

فقلت: أهلا بما يرضى الحبيب بهفإنّ قلبى لا يلوى على أحد

و من أقواله الصّوفية، و كلها تشير إلى ذلك المعنى: [الطويل]

ركبنا مطايا شوقنا نبتغى السّرىو للنّجم قنديل يضىء لمن سرى

و عين الدّجى قد نام لم يدر ما بناو أجفاننا بالسّهد لم تطعم الكرى

إلى أن رأينا اللّيل شاب قذالهو لاح عمود الفجر غصنا منوّرا

لمحنا برأس البعد نارا منيرةفسرنا لها نبغى الكرامة و القرا

و أفضى بنا السير الحثيث بسحرةلحانة دير بالنواقس دورا

فلمّا حللنا حبوة السير عندهو أبصرنا القسّيس قام مكبّرا

و حرّك ناقوسا له أعجم الصّدافأفصح بالسّر الذى شاء مخبرا

و قال لنا: حطّوا حمدتم مسيركمو عند الصّباح يحمد القوم السرى

نعمتم صباحا ما الذى قد أتى بكمفقلنا له: إنا أتيناك زوّرا

و راحتنا فى الرّاح إن كنت بائعافإنّ لدينا فيه أربح مشترى

فقال لكم: عندى مدام عتيقةمخلّدة من قبل آدم أعصرا

مشعشعة كالشمس لكن تروحنتو جلّت عن التجسيم قدما فلا ترى

و حلّ لنا فى الحين ختم فدامهافأسدى لنا مسكا فتيقا و عنبرا

و قلنا: من السّاقى فلاح بوجههفأدهش ألباب الأنام و حيّرا

و أشغلنا عن خمره بجمالهو غيّبنا سكرا فلم ندر ما جرى

و من شعره فى المعنى: [البسيط]

يا نائما يطلب الأسرار إسرارافيك العيان و نبغى بعد آثارا

أرجع إليك ففيك الملك مجتمعو الفلك و الفلك العلوى قد دارا

أنت المثال و كرسى الصّفات فتهعلى العوالم إعلانا و إسرارا

و الطّور و الدّرّ منثورا و قد كتبتأقلام قدرته فى اللّوح آثارا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۹۸ و البيت يعمره سرّ الملائك فىمشكاة قلبك قد أسرجن أنوارا

و رفع اللّه سقفا أنت تسكنهسماؤه أطلعت شهبا و أقمارا

و بحر فكرك مسجور بجوهرهفغص به مخرجا للدّرّ أسرارا

فإن رأيت بوادى القدس نار هدىفاثبت فنورك فيها مازج النّارا

و اخلع لسمع النّدا نعليك مفتقراإلى المنادى تنل عزّا و إكبارا

و غب عن الكون بالأسماء متّصفاو اطلب من الكلّ ربّ الدار لا الدّارا

و من ذلك فى هذا المعنى: [الطويل]

أطالب ما فى الرّوح من غامض السّرّو قارع باب العلم من عالم الأمر

عرضت لعلم أبهم الشّرع بابهلكلّ جهول للحقائق لا يدرى

و لكنّ خبيرا قد سألت محقّقافدونك فانظم ما نثرت من الدّرّ

و بين يدى نجواك قدّم وسيلةتقى اللّه و اكتم ما فهمت من السّرّ

و لا تلتفت جسما و لا ما يخصّهمن الحسّ و التخييل و الوهم و الفكر

و خذ صورة كلّية جوهريّةتجلّ عن التمييز بالعكس و السّبر

و لكن بمرآة اليقين تولّدتو ليست بذاتى إن سألت و لا غير

كذلك لم تحدث و ليست قديمةو ما وصفت يوما بشفع و لا وتر

و لكن بذات الذّات كان ظهورهاإذا ما تبدّت فى الدّجى غرّة الفجر

و من هذا الغرض قوله: [الطويل]

مشاهدتى مغناك، يا غايتى، وقتفما أشتكى بعدا و حبّك لى نعت

مقامى بقائى عاكفا بجمالكمفكلّ مقام فى الحقيقة لى تحت

لئن حالت الأحوال دون لقائكمفإنّى على حكم المحبّة ما حلت

و إن كان غيرى فى الهوى خان عهدهفإنى و أيم اللّه عهدى ما خنت

و ما لى رجاء غير نيل وصالكمو لا خوف إلّا أن يكون له فوت

نعم إن بدا من جانب الأنس بارقيحرّكنى بسط به نحوكم طرت

و مهما تذكّرت العتاب يهزّنىلهيبتكم قبض يغيب به النّعت

تواجدت حتى صار لى الوجد مشرباو لاح وجود للحقيقة إذ غبت

فها أنا بين الصّحو و المحو دائرأقول: فلا حرف هناك و لا صوت

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۱۹۹ قصودی إلیکم و الورود علیکمو منکم سهودی و الوجود إذا عدت

و فی غیبتی عنّی حضوری لدیکمو عند امتحان الرّسم و المحو أثبتّ

و فی فرقتی البانی بحقّ جمعتنیو فی جمع جمعی فی الحقیقة فرّقت

تجلّیت لی حتی دهشت مهابةو لما رددت اللّحظ بالسّرّ لی عشت

موارد حقّ بل مواهب غایةإذا ما بدت تلک البداءة لی تهت

لوائح أنوار تلوح و تختفیو لکن و میض البرق لیس له ثبت

و مهما بدت تلک الطّوالع أدهشتو إن غیّبت تلک اللّوامع أظلمت

و هیهات هیبات الجلال تردّنیو عند التجلّی لا محالة دکدکت

نسفن جبالی فهی قاع و صفصف و لیس یری فیهنّ زیغ و لا أمت

ولی أدمع أجّجن نار جوانحیولی نفس لولاه من حبّکم ذبت

ألا فانظروا قلب العیان حقیقةفنائی وجودی و الحیاة إذا متّ

مراتب فی التّلوین نلت جمیعهاو فی عالم التّمکین عن کلّها بنت

و عند قیامی عن فنائی وجدتکمفلا رتبة علویّة فوق ما نلت

ورود و شرب ثم لا ریّ بعدهلئن کنت أروی من شرابک لا کنت

شربت کئاس الوجود مدامةفلست أجلّی عن ورود متی شئت

و کیف و أقداح العوالم کلّهاو لکننی من صاحب الدّیر أسکرت

تعلّق قوم بالأوانی و إنّنیجمال المعانی لا المغانی علّمت

و أرضعت کأسا لم تدنّس بمزجهاو قد نلتها صرفا لعمری ما ضعت

شراب بها الأبرار طاب مزاجهمو أرضعتها صرفا لأنّی قرّبت

بها آدم نال الخلافة عندماتبدّت له شمسا لها نحوه سمت

و نجت لنوح حین فرّ لفلکهو من بان عن أسرارها لی عمد الموت

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۰۰ و قد أخمدت نار الخلیل بنورهاو کان لموسی عن أشعّتها بهت

و هبّت لروح اللّه روح نسیمهافأبصره الأعمی و کلّمه المیت

و سار بها المختار سیری لربّهإلی حیث لا فوق هناک و لا تحت

هنیئا لمن قد أسکرته بعرفهالقد نال ما یبغی و ساعده البخت

و من نثر الأستاذ الجلیل أبی القاسم بن خلصون المترجم به، قوله من رسالة:

وصلنی أیها الابن النّجیب، المخلص الحبیب، کتابک الناطق بخلوص ودّک، و رسوخ عهدک، و تلک سجیّة لائقة بمجدک، و شنشنة تعرف من والدک و جدّک، وصل اللّه أسباب سعدک، و أنهض عزم جدّک، بتوفیق جدّک، و بلّغک من مأمولک أقصی قصدک. فلتعلم أیها الحبیب أن جنانی، ینطوی لکم أکثر مما ینشره لسانی، فإنی مغری بشکرکم و إن أعجمت، و مفصح بجمیل ذکرکم و إن جمجمت، لا- جرم أنّ الوقت حکم بما حکم، و استولی الهرج فاستحکم، حتی انقطعت المسالک، و عدم الوارد و السّالک، و ذلک تمحیص من اللّه جار علی قضیّة قسطه، و تقلیب لقلوب عباده بین إصبعی قبضه و بسطه، حین مدّ علی الخلیقة ظلّ التّلوین، و لو شاء لجعله ساکنا، ثم جعل شمس المعرفة لأهل التّمکین، علیه دلیلا باطنا، ثم قبض کل الفرق عن خاصیته قبضا یسیرا، حتی أطلع علیهم من الأنس بدرا منیرا. و إلی ذلک یا بنیّ، فإنی أحمد اللّه تعالی إلیک علی تشویقه إیّاک إلی مطالعة کتب

المعارف، و تعطّشك للورود على بحر اللّطائف. و إنّ الإمام أبا حامد ، رحمه اللّه، لممن أحرز خصلها، و أحكم فرعها و أصلها، لا ينكر ذلك إلّا حاسد، و لا يأباه إلّا متعسّف جاحد. هذا وصفه، رحمه اللّه، فيما يخصّه فى ذاته. و أما تعليمه فى تواليفه، و طريقه التى سلكها فى كافّة تصانيفه؛ فمن علمائنا، رضى اللّه عنهم، من قال: إنه خلط النّهاية بالبداية، فصارت كتبه أقرب إلى التّضليل منها إلى الهداية، و إن كان لم يقصد فيها إلّا النّفع فيما أمّه من الغرض، فوجد فى كتبه الضّرر بالعرض، و ممن قال بهذا الفقيه الحكيم أبو بكر بن الطّفيل ، قال: و أما أبو حامد، فإنه مضطرب التأليف، يربط فى موضع، و يحلّ فى آخر، و يتمذهب بأشياء، و يكفر بها، مثل أنه كفّر الفلاسفة باعتقادهم أن المعاد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۰۱

روحانى، و إنكار هم حشر الأجساد. و قد لوّح هو بأن ذلك مذهبه فى آخر كتاب «الجواهر و الأربعين»، و خرّج بأنه معتقد كبار الصّوفية، فى كتاب آخر، و قال: إن معتقده كمعتقدهم، و أنه وقع على ذلك بعد بحث طويل و عناء شديد. قال: و إنما كلامه فى كتبه على نحو تعليم الجمهور. و قد اعتذر أبو حامد نفسه عن ذلك فى آخر كتاب «ميزان العمل»، على أغلب ظنّى، فإن لى من مطالعة الكتب مدّة. قال: و لو لم يكن فى هذه الألفاظ إلّا ما يشكّك فى اعتقادك الموروث، يعنى التّقليد، فإنه من لم يشكّ لم ينظر، و من لم ينظر لم يبصر، و من لم يبصر ففى العمى و الحيرة. ثم تمثّل بقول الشاعر: [البسيط]

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت بهفى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

و ذلك أنه قسّم آراءه إلى ثلاثة: رأى يجاب به كلّ مسترشد سائل بحسب سؤاله و على مقدار فهمه. و رأى يجاب به الخاصّة و لا يصرّح به للعامّة. و رأى بين الإنسان و بين نفسه، لا يطّلع عليه إلّا من شريكه فى اعتقاده. و أما الفقيه الفاضل أبو الوليد بن رشد، رحمه اللّه، فإنّه بالغ فى ذلك مبالغ عظيمة، و ذلك فى كتابه الذى وصف فيه مناهج أدلّة المتكلّمين، فإنه لما تكلّم على طرق الأشعريّة و المعتزلة و الفلاسفة و الصّوفية و الحشويّة و ما أحدثه المتكلّمون من الضّرر فى الشّريعة بتواليفهم، انعطف فقال: و أما أبو حامد، فإنه طمّ الوادى على القرى، و لم يلتزم طريقة فى كتبه، فنراه مع الأشعرية أشعريّا، و مع المعتزلة معتزليّا، و مع الفلاسفة فيلسوفا، و مع الصّوفية صوفيّا، حتى كأنى به: [البسيط]

يوما يمان إذا لاقيت ذا يمنو إن لقيت معدّيا فعدنان

ثم قال: و الذى يجب على أهل العلم، أن ينهوا الجمهور عن كتبه، فإن الضّرر فيها بالذات، و المنفعة بالعرض. قال: و إنما ذلك لأنه صرّح فى كتبه بنتائج الحكمة دون مقدّماتها، و أفصح بالتّأويلات التى لا يطلع عليها إلا العلماء الرّاسخون فى العلم، و هى التى لا يجوز أن تؤوّل للجمهور، و لا أن تذكر فى غير كتب البرهان. و أنا أقول: إن كتبه فى الأصلين، أعنى أصول الدين و أصول الفقه، فى غاية النّبل و النّباهة، و بسط اللفظ، و حسن التّرتيب و التّقسيم، و قرب المسائل.

و كذلك كتبه الفقهية و الخلافية و المذهبيّة، التى ألّفها على مذهب الشّافعى، فإنه كان شافعىّ المذهب فى الفروع. و أما كتبه التى ذهب فيها مذهب التصوّف، فهى التى يوجد فيها ما ذكر من الضّرر بالعرض. و ذلك أنه بنى الأكثر من الاعتقادات فيها على ما تأدّى إلى فهمه من مذاهب الفلاسفة، و نسبها إلى المتصوّفة. و قد نبّه على

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۰۲

ذلك الفقيه الجليل أبو بكر الطّرطوشى فى كتابه الذى سماه ب «مراقى العارفين».

قال: و قد دخل على السّالكين ضرر عظيم من كتب هذا الرجل الطّوسى ، فإنه تشبّه بالصّوفية و لم يلحق بمذاهبهم، و خلط مذاهب الفلاسفة بمذاهبهم، حتى غلط الناس فيها. على أنّنى أقول: إنّ باعه فى الفلسفة كان قصيرا، و إنه حذا حذو الشيخ أبى على بن سينا فى فلسفته التى نقلها فى المقاصد، و منطقه الذى نقله فى معيار العلم، لكن قصر عنه. و تلك الاعتقادات، منها حقّ و منها باطل، و تلخيصه لا يتأتّى إلّا لصنفين من الناس، أعنى أهل البرهان و أهل المكاشفة، فبحسب ذلك تحتاج كتبه إلى تقدمة علوم البرهان، أو رياضة

أهل المكاشفة. و لذلك صنّف هو معيار العلم؛ ليكون الناظر فى كتبه يتقدّم، فيتعلّم منه أصناف البراهين، فيلحق بأهل البرهان. و قدّم أيضا تصنيف «ميزان العمل» ليكون المرتاض فيه، و به يلحق بأهل المكاشفة، و حينئذ ينظر فى سائر كتبه. و هذه الرسالة طويلة، تكلم فيها على كتب أبى حامد الغزالى، رحمه اللّه، بما يدل على تفنّنه، و على اضطلاعه، رحمه اللّه.

و من الغرباء فى هذا الاسم

محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن إبراهيم بن جميل ابن يوسف العراقى

ثم الخلاطى، ثم الأقشرى الفارسى، و ينعت من النّعوت المشرقية بجلال الدين، من بلاد فارس.

حاله: كان من الصّوفية المتجرّدين من المال و العيال، ذا وقار و تؤدة، و سكون و محافظة على ظاهره. أكثر فى بلاد المشرق من الأخذ عن الشّيوخ المحدّثين و المتصوّفين، ثم قدم المغرب، فاستوطن بعض بلاده، ثم أجاز البحر إلى الأندلس عام أربعة و سبعمائة، و أخذ عمّن بها من الشيوخ، و دخل غرناطة. و كان شافعىّ المذهب، يشارك فى قرض الشّعر.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٠٣

مشيخته: أخذ عن أبى مروان عبد الملك الشّريشى بفاس، و عن أبى بكر محمد بن محمد بن قسى المومياني، و لبس الخرقة الصّوفية من جماعة بالمشرق و بالمغرب، منهم الإمام أبو إبراهيم الماجرى، عن أبى محمد صالح، عن أبى مدين.

تواليفه: أخذ عنه تأليفه فى نحو اللغة الفارسية و شرح ألفاظها. قال شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم: كتب إلى والدى ببابه، و قد أحسّ بغضّ من الشيخ الإمام أبى عبد اللّه بن خميس، عميد مجلس الوزارة الحكيمية: [المتقارب]

عبيد بباب العلى واقفأ يقبله المجد أم ينصرف؟

فإن قبل المجد نلت المنىو إلّا فقدرى ما أعرف

ثم كتب على لفظه: ما من، و صحّحه، قال: فأذن له، و استظرف منزعه.

محمد بن أحمد بن شاطر الجمحى المرّاكشى

يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بابن شاطر.

حاله: فقير متجرّد، يلبس أحسن أطوار الخرقة، و يؤثر الاصطلاح، مليح الشّيبة، جميل الصورة، مستظرف الشّكل، ملازم للمسجد، مساكن بالمدارس، محبّب إلى الخواص، كثير الذّكر، متردّد التأوّه، شارد اللّسان، كثير الفلتات، مطّرح فى أكثر الأحايين للسّمت، ينزع إلى هدف تائه، تشم عليه القحة و المجانة، مقتحم حمى الحشمة فى باب إيهام التّلبيس، يزلق سوء الاعتقاد عن صفاته، و إن قارب الانهماك، و غير مبال بناقد، و لا حافل بذام، و لا حامد. كلما اتّبع انفرد، و مهمى استقام شرد، تطيب النّفس به على غرّة، و يحسن الظّن بباطنه على سوء ظاهره، مليح الحديث، كثير الاعتبار، دائم الاسترجاع و الاستغفار، فعّال الموعظة، عجيب الانتزاع من الحديث و القرآن، مع عدم الحفظ، مستشهد بالأبيات الغريبة على الأحوال. قال شيخنا القاضى أبو عبد اللّه بن المقرى: لقيت فيمن لقيت بتلمسان رجلين، أحدهما عالم الدّنيا، و الآخر نادرتها. أما العالم، فشيخنا أبو عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدرى الآبلى، و أما النّادرة، فأبو عبد اللّه بن شاطر. ثم قال: صحب أبا زيد الهزميرى كثيرا، و أبا عبد اللّه بن تجلّات، و أبا العباس بن البنّاء و إخوانهم من

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٠٤

المرّاكشيين و من جاورهم، و اختصّ بأبى زيد الهزميرى، و آثره و تبنّاه، و كان يقول له:

و ألقيت عليك محبّة منّى، فيظهر أثر ذلك عليه، من ستر الهنات، و وضع القبول، فلا تجد من يستثقله من راض عنه أو ساخط. دخل

الأندلس، و قدم على غرناطة، و تلوّم بها أياما.

نبذ من أقواله: فمن ذلك أنه إذا سئل عن نفسه يقول: أنا وليّ مفسود، و فى هذا من النّصفة، و خفّة الرّوح ما لا خفاء به. قال بعض شيوخنا : قلت له يوما:

كيف أنت؟ فقال : كيف أنا محبوس فى الدّم. و من حكمه: الليل و النهار حرسيّان ، أحدهما أسود، و الآخر أبيض، و قد أخذ بمجامع الخلق إلى يوم القيامة، و إنّ مردّنا إلى اللّه. و مرّ يوما بأبى العباس بن شعيب الكاتب و هو جالس فى جامع الجزيرة، و قد ذهبت به الفكرة، فصاح به، فلمّا رفع رأسه، قال، و له نعش خاطر: انظر إلى مركب عزرائيل، قد رفع شراعه، و النّدا عليه، اركبوا يا عزا. قال شيخنا أبو عبد اللّه المقرى: وجدته يوما فى المسجد ذاكرا، فقلت له: كيف أنت؟ فقال: مهيم فى روضة يجبرون، فهممت بالانصراف، فقال:

أين تذهب من روضة من رياض الجنة، يقام فيها على رأسك بهذا التّاج؟ و أشار إلى المنار، مملوءا بالله أكبر. قال: و أنشدنى أبو العباس بن البنّاء، و كتبهما عنه :

[الوافر]

قصدت إلى الوجازة فى كلامىلعلمى بالصّواب فى الاختصار

و لم أحذر فهم ما دون فهمىو لكن خفت إزراء الكبار

فشأن فحولة العلماء شأنىو شأن البسط تعليم الصّغار

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۰۵

قال: و أخبار ابن شاطر تحتمل كرّاسة، قلت: رأيته بفاس فى أخريات عام خمسة و خمسين، و هو الآن بحاله الموصوفة، قد أربى على السّبعين.

محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمى ابن الحلفاوى

من أهل تونس، يكنى أبا عبد اللّه، نزيل غرناطة، و يعرف بالتّونسى و بابن المؤذن ببلده.

حاله: من «العائد»: قال: وليّ اللّه المجاب الدعوة، الظاهر الكرامة، المشهود له بالولاية. ورد الأندلس فى جملة من تجّار بلده، و بيده مال كبير بذله فى معاملة ربّه، إلى أن استأصله بالصّدقة، و أنفقه فى سبيل اللّه ابتغاء مرضاته، و تجرّد عن الدنيا، و أخذ نفسه بالصّلاة و الصّوم و التّلاوة و كثرة السّجود و التّطارح على ذلك، محفوظا فى ذلك كله حفظة الأولياء، مذكّرا بمن سلفه من الزّهاد، عازبا عن الدنيا، أخذ نفسه بسلوك الإيتاب عنها، رحمة للخلق، و تمالأ للمساكين، يقصده الناس بصدقاتهم، فيبثّها فى ذوى الحاجات، فيتألّف فى باب مسجده آلاف من رجالهم و نسائهم و صبيانهم، حتى يعمّهم الرّفد، و تسعهم الصّدقة. و كان غريب الأحوال؛ إذا وصل وقت الصلاة يظهر عليه البشر و السّرور، و يدخل مسجده الذى ابتناه و احتفل فيه، فيخلو بنفسه آخذا فى تعبّدات كثيرة غريبة شاملة لجميع أركان المسجد، و يزدحم الناس حول المسجد، و أكثرهم أهل الفاقة، فإذا تمكّن الوقت أذّن أذانا مؤثّرا فى القلوب، جدى و صدقا و وقارا، كان صدره ينصدع عند قول: لا إله إلّا اللّه. ثم يعبد التّعبّد و السّجود فى الصّومعة و أدراجها، حتى يفتح باب المسجد، و ينتقل إلى صدر المحراب، فيصلى ركعات خفيفة، فإذا أقام الصلاة، و وقف عند المحراب، ظهر عليه من الخوف و الكآبة و الحزن و الانكسار و التّضرّع و التّملّق و الرّغبة، ما لا تفى العبارة بوصفه، كأن موقفه موقف أهل الجرائم بين أيدى الملوك الجبابرة. فإذا أتمّ الصلاة على أتمّ هيئاتها، ترى كأن الغبار على وجهه، أو كأنه حشر من قبر، فإذا شرع فى الدّعاء بأثر الصلاة، يتلوه بترداد الصلاة على النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم، فى كل دعوة، و يتوسّل به، و تظهر عليه أحوال من الحضور و المراقبة، و ينجلى عن وجهه ما كان به. و كان يختم القرآن فى شهر رمضان مائة ختمة، فما من ليلة إلّا و يحيى اللّيل كلّه فيها بمسجده. هذا ترتيبه، و لو تتبعنا ما شوهد من

كراماته و أحواله، لخرجنا عن الغرض.

ولادته: ولد بتونس فى حدود الأربعين و ستمائة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۰۶

وفاته: توفى شهر ربيع الثانى عام خمسة عشر و سبعمائة. و كان الحفل فى جنازته عظيما، استوعب الناس كافّة، و حضر السلطان فمن دونه، و كانت تنمّ، زعموا، على نعشه و قبره رائحة المسك. و تبرّك الناس بجنازته، و قصد قبره المرضى و أهل الحاجات، و بقى القرّاء يقرءون القرآن عليه مدة طويلة، و تصدّق على قبره بجملة من مال، ففدى به طائفة من الأسرى. و قبره بباب إلبيرة عن يمين الخارج إلى مقبرة العسّال، معروف هنالك.

محمد بن عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن يوسف اللّواتى

من أهل طنجة، يكنى أبا عبد اللّه، و يعرف بابن بطّوطة .

حاله: من خطّ شيخنا أبى البركات، قال: هذا رجل لديه مشاركة يسيرة فى الطّلب، رحل من بلاده إلى بلاد المشرق يوم الخميس الثانى من رجب عام خمسة و عشرين و سبعمائة، فدخل بلاد مصر و الشام و العراق، و عراق العجم، و بلاد الهند و السّند، و الصين، و صين الصّين، و بلاد اليمن. و حج عام ستة و عشرين و سبعمائة. و لقى من الملوك و المشايخ عالما، و جاور بمكّة. و استقرّ عند ملك الهند، فحظى لديه، و ولّاه القضاء، و أفاده مالا جسيما. و كانت رحلته على رسم الصّوفية زيّا و سجيّة، ثم قفل إلى بلاد المغرب، و دخل جزيرة الأندلس، فحكى بها أحوال المشرق، و ما استفاد من أهله، فكذّب. و قال: لقيته بغرناطة، و بتنا معه ببستان أبى القاسم ابن عاصم بقرية نبلة، و حدّثنا فى تلك الليلة، و فى اليوم قبلها عن البلاد المشرقيّة و غيرها، فأخبر أنّه دخل الكنيسة العظمى بالقسطنطينية العظمى، و هى على قدر مدينة مسقّفة كلها، و فيها اثنا عشر ألف أسقف. قلت: و أحاديثه فى الغرابة أبعد من هذا. و انتقل إلى العدوة، فدخل بلاد السّودان. ثم تعرّف أن ملك المغرب استدعاه، فلحق ببابه، و أمر بتدوين رحلته.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۰۷

سائر الأسماء فى حرف الميم الملوك و الأمراء و ما منهم إلّا طارىء علينا أو غريب

مزدلى بن تيولتكان بن حمنى بن محمد بن ترقوت بن وربابطن ابن منصور بن نصاله بن أميهٔ بن واباتن الصّنهاجى اللّتمونى

حاله: كان الأمير مزدلى عضد القائم بالدولة اللّمتونية يوسف بن تاشفين، و قريبه لالتقائهما فى ترقوت، راش به و برى، و جزّ و فرى، فهو شيخ الدولة اللّمتونية، و كبير العصابة الصّنهاجية، بطلا ثبتا، بهمة من البهم، بعيد الصّيت، عظيم الجلد، شهير الذّكر، أصيل الرّأى، مستحكم الحنكة. طال عمره، و حمدت مواقعه، و بعدت غاراته، و عظمت فى العدوّ وقائعه، و شكرت عن سلطانه نيابته.

من مناقبه: استرجاع مدينة بلنسية من أيدى الرّوم بسعيه، و ردّه إلى ملكة الإسلام بحميد غنائه فى منتصف رجب عام خمس و خمسمائة.

دخوله غرناطة: ولّى قرطبة و غرناطة و ما إليهما من قبل يوسف بن تاشفين سنة خمس و خمسمائة.

قال ابن الصّيرفى: توفى ليلة الثلاثاء السابع عشر من شوال عام ثمانية و خمسمائة، غازيا على مقربة من حصن قسطانية، طرق به إلى قرطبة، فوصل يوم الأربعاء ثانى يوم وفاته، و صلّى عليه إثر صلاة العصر الفقيه القاضى بقرطبة أبو القاسم بن حمدين، و دفنه قرب أبيه، و بنيت عليه روضة حسنة. و كان، نضّر اللّه وجهه، البقيّة الصالحة على نهج أمير المسلمين يوسف.

موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن على الهنتانى

السيد أبو عمران.

حاله: بيته معروف. و كان أديبا شاعرا، جوادا، و اختصّ بالعادل، فجلّ قدره فى دولته، و أمله الناس بإشبيلية فى حوائجهم لمحلّه منهم. و لمّا انصرف عنها العادل إلى طلب الخلافة، قدّمه عليها، فبلغ الغاية.

و فى شوال من عام اثنين و عشرين و ستمائة، كانت على جيشه الوقيعة، أوقعها به السيد أبو محمد البيّاسى، و أخباره شهيرة.

وفاته: و توفى تغريقا فى البحر بعد أن ولّى بجاية، رحمه اللّه و عفا عنه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۰۸

شعره: قال: و كان أبو المطرّف بن عميرة، ينشد له، يخاطب الفقيه الأديب أبا الحسن بن حريق يستحثّه على نظم الشعر فى عروض الخبب: [المتدارك]

خذ فى الأشعار على الخببفقصورك عنه من العجب

هذا و بنو الآداب قضوابعلوّ مجدّك فى الرّتب

فنظم له أبو الحسن القصيدة المشهورة، منها: [المتدارك أو الخبب]

أ بعيد الشّيب هوى و صبا؟كلّا لا لهوا و لا لعبا

ذرّت السّنون برادتهافى مسكك عذارك فاشتهبا

و منها:

يا نفس أحيى أحيى تصلى أملاعيشى روحيا تروى عجبا

و خذى فى شكر الكبرة مالاح الإصباح و ما ذهبا

فيها أحرزت معارف ماأبليت بجدّته الحقبا

و الخمر إذا أعتقت وصفتأعلى ثمنا منها عنبا

و بقيّة عمر المرء لهإن كان بها طبّا دربا

هبنى فيها بإنابتهما هدّمه أيام صبا

دخل غرناطة، فوجب ذكره مع مثله.

منديل بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو الأمير أبو زيّان

حاله: كان فاضلا عاقلا جوادا، عيّنه أبوه أمير المسلمين أبو يوسف بن عبد الحقّ، للضّرب على أحواز مالقة عند الفتنة، فاضطرب المحلة تجاه سهيل ، و ضيّق على تلك الأحواز، و برز إليه الجيش لنظر موسى بن رحّو من قرابته النّازعين عن إيالة المغرب من بنى رحّو. و كان اللقاء، فوقعت به الدّبرة، و انهزم جيشه، و قبض عليه، و سيق إلى السلطان، فتلقّاه بالبرّ، و رعى ما لبيته الكبير من الحقّ، و أسكنه مجاورا لقصره بحمرائه ، مرفّها عليه، محجوزا عن التصرّف، إلى أن كان

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۰۹

ما تلاحق بهذه الحال من وفاة أبيه السلطان أبى يوسف بالجزيرة الخضراء، و تصيّر الأمر إلى ولده السلطان أمير المسلمين أبى يعقوب يوسف. و تجدّدت الألفة و تأكّدت المودّة، و ارتفعت الإحنة، فكان ما هو معروف من التقائهما على تعبئة إجازة ملك المغرب أبى يعقوب البحر على ظاهر مربلّة ، و صرف الأمير أبو زيان محبوّا بما يليق به.

حدّثنى شيخنا أبو زكريا بن هذيل، رحمه اللّه، قال: نصب للسلطان أبى يعقوب خباء احتفل فى اتخاذه له أمير سبتة، فبلغ الغاية التى تستطيعها الملوك، سموّ عماد، و امتداد ظلّ، و انفساح ساحة، إلى إحكام الصّنعة، و الإعياء فى الزّخرف. و قعد فيه السلطان ملك

المغرب، و أجلس السلطان أمير المسلمين أبا عبد اللّه بن الغالب باللّه، عن يمينه، و أخاه الأمير أبا زيّان عن يساره، و قرأ عشاره المعروف بالوقّاد، آية اللّه فى حسن الصّوت، و بعد مدى السّمع، و طيب النّغمة، قوله عزّ و جلّ: يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنا وَ أَهْلَنَا الضُّرُّ وَ جِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَ تَصَدَّقْ عَلَيْنا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِى الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قالَ هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ (٨٩) قالُوا أَ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قالَ أَنَا يُوسُفُ وَ هذا أَخِى قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا وَ إِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ (٩١) قالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) . فكان مقاما مبهتا. كان السلطان، رحمه اللّه، يقول: لشدّ ما جنى علىّ عدوّ اللّه بقحته، و اللّه لقد كان يشير بيده إلى السلطان و أخيه عند قوله: أنا يوسف و هذا أخى. ثم أجاز للعدوة، فطاح بها لعهد غير بعيد.

و كان الإيقاع بجيش الأمير أبى زيّان فى أخريات ذى الحجة عام أربعة و ثمانين و ستمائة، فاتصل بذلك موت والد أمير المسلمين أبى يوسف بالخضراء فى شهر محرم عام خمسة و ثمانين بعده، و كان لقاء السّلطانين بالخضراء فى شهر محرم عام خمسة و ثمانين هذه، و كان اللّقاء، كما ذكر، فى شهر ربيع الآخر من العام المذكور.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢١٠

و من الطارئين

المطرّف بن عبد اللّه بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

حاله: كان المطرّف، ولد الخليفة عبد اللّه أمير المسلمين بالأندلس، شجاعا مقداما، جريّا، صرفه والده الخليفة فى الغزوات وقود العساكر، و هو الذى بنى حصن لوشة، و وقم كثيرا من الخوارج على والده.

دخوله غرناطة: قال ابن حيّان : غزا المطرّف ببشتر بسبب ابن حفصون، إذ كان صالح الأمير عبد اللّه، و دفع رهينة ابنه، فلما امتحن الطّفل وجد غير ابنه، فنهض إليه المطرّف، و كان القائد على العسكر قبله عبد الملك بن أمية، فنهض صحبته، و نازل المطرّف ابن حفصون، فهتك حوزته، و تقدّم إلى بنية كان ابتناها بموضع يعرف باللّويّات ، فشرع فى خرابها، و خرج ابن حفصون و من معه من النّصرانية يدافع عنها، و عن كنيسة كانت بقربها، فغلب ابن حفصون، و هدمت الكنيسة، و قتل فى هذه الحرب حفص بن المرّة، قائده و وجوه رجاله، و عند الفراغ من ذلك انصرف المطرّف، فدخل كورة إلبيرة، و بنا لوشة، و تقدّم منها إلى إلبيرة و دخلها، ثم طاف بتلك الجهات و الحصون، ثم انصرف.

ذكر إيقاعه بعبد الملك بن أمية و سبب الإحنة بينه و بين أبيه.

قال : و فى هذه الحركة أوقع بعبد الملك بن أمية؛ لما كان فى نفسه لصرف والده عن عقد البيعة له و تمزيق العهد فى خبر يطول. و كان والده قد أخذ عليه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢١١

الميثاق عند خروجه إلى شذونة ألّا يعرض إليه بمكروه، و أقسم له بالأيمان، لئن نال منه شيئا ليعاقبنّه بمثله، فلمّا قتله، عقد الوثائق عليه، و أخذ الشّهادات فيها بالظّلم و الشّؤم خوفا من أبيه، و كتب إليه يعتذر له، و يحكّمه فى نفسه.

مقتل المطرّف: قال : و ظهرت عليه فعال قبيحة، من أذى جيرانه بما أكّد غائلة أبيه عليه، و أعان عليه معاوية بن هشام، لما ذكروا أنّ المطرّف كان قد خلا به، فذكروا أنه نزل يوما عنده بمنزله، و أخذوا فى حديث الأبناء، و كان المطرّف عقيما، فدعا معاوية بصبىّ يكلف به، فجات و برأسه ذؤابتان، فلمّا نظر إليه المطرّف حسده، و قال: يا معاوية، أ تتشبّه بأبناء الخلفاء فى بنيهم؟ و تناول السّيف فحزّ به الذّؤابة، و كان معاوية حيّة قريش دهاء و مكرا، فأظهر الاستحسان لصنعه و انبسط معه فى الأنس، و هو مضطغن، فلمّا خرج كتب إلى الخليفة يسأله اتّصاله إليه، فلما أوصله كاشفه فى أمر المطرّف بما أزعجه، و أقام على ذلك ليلا أحكم أمره عند الخليفة بلطف

حيلته، فأصاب مقتله سهم سعايته. قال ابن الفيّاض: بعث الأمير عبد اللّه إلى دار ولده المطرّف عسكرا للقبض عليه، مع ابن مضر، فقوتل فى داره حتى أخذ، و جيء به إليه، فتشاور الوزراء فى قتله، فأشار عليه بعضهم أن لا يقتله، و قال بعضهم: إن لم تقتله قتلك، فأمر ابن مضر بصرفه إلى داره، و قتله فيها، و أن يدفنه تحت الرّيحانة التى كان يشرب الخمر تحتها، و هو ابن سبع و عشرين و سنة، و ذلك فى يوم الأحد ضحى لعشر خلون من رمضان سنة اثنتين و ثمانين و مائتين.

منذر بن يحيى التّجيبى

أمير الثّغر، المنتزى بعد الجماعة بقاعدة سرقسطة، يكنى أبا الحكم، و يلقّب بالحاجب المنصور، و ذى الرّياستين.

حاله: قال أبو مروان : و كان أبو الحكم رجلا من عرض الجند، و ترقّى إلى القيادة آخر دولة ابن أبى عامر، و تناهى أمره فى الفتنة إلى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢١٢

الإمارة . و كان أبوه من الفرسان غير النّبهاء. فأمّا ابنه منذر، فكان فارسا نقيّ الفروسة ، خارجا عن مدى الجهل، يتمسك بطرف من الكتابة السّاذجة. و كان على غدره، كريما، و هب قصّاده مالا عظيما، فوفدوا عليه، و عمرت لذلك حضرته سرقسطة، فحسنت أيامه، و هتف المدّاح بذكره.

و فيه يقول أبو عمرو بن درّاج القسطلّى قصيدته المشهورة، حين صرف إليه وجهه، و قدم عليه فى سنة ثمان و عشرين و أربعمائة : [الكامل]

بشراك من طول التّرحّل و السّرىصبح بروح السّفر لاح فأسفرا

من حاجب الشمس الذى حجب الدّجىفجرا بأنهار الذّرى متفجّرا

نادى بحىّ على الندى ثم اعتلىسبل العفاة مهلّلا و مكبّرا

لبّيك أسمعنا نداك و دوننانوء الكواكب مخويا أو ممطرا

من كلّ طارق ليل همّ ينتحىوجهى بوجه من لقائك أزهرا

سار ليعدل عن سمائك أنجمىو قد ازدهاها عن سناك محيّرا

فكأنما أعدته أسباب النّوىقدرا لبعدى عن يديك مقدّرا

أو غار من هممى فأنحى شأوهافلك البروج مغرّبا و مغوّرا

حتى علقت النّيّرين فأعلقامثنى يدى ملك الملوك النّيّرا

فسريت فى حرم الأهلّة مظلماو رفلت فى خلع السّموم مهجّرا

و شعبت أفلاذ الفؤاد و لم أكدفحذوت من حذو الثّريّا منظرا

ستّ تسرّاها الجلاء مغرّباو حدا بها حادى النّجاء مشمّرا

لا يستفيق الصّبح منها ما بدافلقا و لا جدى الفراقد ما سرى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢١٣ ظعن ألفن القفر فى غول الدّجىو تركن مألوف المعاهد مقفرا

يطلبن لجّ البحر حيث تقاذفتأمواجه و البرّ حيث تنكّرا

هيم و ما يبغين دونك مورداأبدا و لا عن بحر جودك مصدرا

من كلّ نضو الآل محبوك المنىيزجيه نحوك كلّ محبوك القرا

بدن فدت منّا دماء نحورهابيغائها فى كلّ أفق منحرا

نحرت بنا صدر الدّبور فأنبطتفلق المضاجع تحت جوّ أكدرا

و صبت إلى نحو الصّبا فاستخلصتسكن الليالى و النّهار المبصرا

خوص نفخن بنا البرى حتى انثنتأشلاؤهن كمثل أنصاف البرا

ندرت لنا أن لا تلاقى راحةمما تلاقى أو تلاقى منذرا

و تقاسمت أن لا تسيغ حياتهادون ابن يحيى أو تموت فتعذرا

للّه أىّ أهلّة بلغت بنايمناك يا بدر السماء المقمرا

بل أىّ غصن فى ذراك هصرتهفجرى فأورق فى يديك و أثمرا

فلئن صفا ماء الحياة لديك لىفبما شرقت إليك بالماء الصّرى

و لئن خلعت علىّ بردا أخضرافلقد لبست إليك عيشا أغبرا

و لئن مددت علىّ ظلّا باردافلكم صليت إليك جوّا مسعرا

و كفى لمن جعل الحياة بضاعةو رأى رضاك بها رخيصا فاشترى

فمن المبلّغ عن غريب نازحقلبا يكاد علىّ أن يتفطّرا

لهفان لا يرتدّ طرف جفونه إلّا تذكّر عبرتى فاستعبرا

أ بنىّ، لا تذهب بنفسك حسرةعن غول رحلى منجدا أو مغورا

فلئن تركت الليل فوقى داجيافلقد لقيت الصّبح بعدك أزهرا

و لقد وردت مياه مأرب حفّلاو أسمت خيلى وسط جنّة عبقرا

و نظمت للغيد الحسان قلائدامن تاج كسرى ذى البهاء و قيصرا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢١۴ و حللت أرضا بدّلت حصباؤهاذهبا يرفّ لناظرىّ و جوهرا

و ليعلم الأملاك أنّى بعدهمألفيت كلّ الصّيد فى جوف الفرا

و رمى علىّ رداءه من دونهمملك تخيّر للعلا فتخيّرا

ضربوا قداحهم علىّ ففاز بىمن كان بالقدح المعلّى أجدرا

من فكّ طرفى من تكاليف الفلاو أجار طرفى من تباريح السّرى

و كفى عتابى من ألام معذّراو تذمّمى ممّن تجمّل معذرا

و مسائل عنّى الرفاق و ودّهلو تنبذ الساحات رحلى بالعرا

و بقيت فى لجج الأسى متضلّلاو عدلت عن سبل الهدى متحيّرا

كلّا و قد آنست من هود هدىو لقيت يعرب فى القيول و حميرا

و أصبت فى سبإ مورّث ملكهيسبى الملوك و لا يدبّ لها الضّرا

فكأنما تابعت تبّع رافعاأعلامه ملكا يدين له الورى

و الحارث الجفنىّ ممنوع الحمىبالخيل و الآساد مبذول القرى

و حططت رحلى بين نارى حاتمأيام يقرى موسرا أو معسرا

و لقيت زيد الخيل تحت عجاجةتكسو غلائلها الجياد الضّمّرا

و عقدت فى يمن مواثق ذمّةمشدودة الأسباب موثقة العرى

و أتيت بحدل و هو يرفع منبراللدّين و الدّنيا و يخفض منبرا

و حططت بين جفانها و جفونهاحرما أبت حرماته أن تخفرا

تلك البحور تتابعت و خلفتهاسعيا فكنت الجوهر المتخيّرا

و لقد نموك ولادة و سيادةو كسوك عزّا و ابتنوا لك مفخرا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۱۵ فممرت بالآمال أكرم أكرمملكا ورثت علاه أكبر أكبرا

و شمائل عبقت بها سبل الهدىو ذرت على الآفاق مسكا أذفرا

أهدى إلى شغف القلوب من الهوىو ألذّ فى الأجفان من طعم الكرى

و مشاهد لك لم تكن أيّامهاظنّا يريب و لا حديثا يفترى

لاقيت فيها الموت أسود أدهمافذعرته بالسّيف أبيض أحمرا

و لو اجتلى فى زىّ قرنك معلمالتركته تحت العجاج معفّرا

يا من تكبّر بالتّكرّم قدرهحتى تكرّم أن يرى متكبّرا

و المنذر الأعداء بالبشرى لناصدقت صفاتك منذرا و مبشّرا

ما صوّر الإيمان فى قلب امرئحتى يراك اللّه فيه مصوّرا

فارفع لها علم الهدى فلمثلهارفعتك أعلام السيادة فى الذّرى

و انصر نصرت من السماء فإنماناسبت أنصار النبىّ لتنصرا

و اسلم و لا وجدوا لجوّك منفسافى النائبات و لا لبحرك معبرا

سيرته: قال : و ساس لأول ولايته عظيم الفرنحة ، فحفظت أطرافه، و بلغ من استمالته طوائف النّصرانية، أن جرى على يديه بحضرته عقد مصاهرة بعضهم ، فقرفته الألسنة لسعيه فى نظام سلك النصارى. و عمر به الثّغر إلى أن ألوت به المنيّة.

و قد اعترف له الناس بالرّأى و السّياسة.

كتّابه: و استكتب عدّة كتّاب كابن مدوّر، و ابن أزرق، و ابن واجب، و غيرهم.

وصوله إلى غرناطة: وصل غرناطة صحبة الأمير المرتضى الآتى ذكره، و كان ممن انهزم بانهزامه. و ذكروا أنه مرّ بسليمان بن هود، و هو مثبت للإفرنج الذين كانوا فى المحلّة لا يريم موقفه ، فصاح به النّجاة: يا ابن الفاعلة، فلست أقف عليك، فقال له سليمان: جئت و اللّه بها صلعا، و فضحت أهل الأندلس، ثم انقلع وراءه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۱۶

وفاته: و كانت على يدى رجل من أبناء عمّه يدعى عبد اللّه بن حكم، كان مقدّما فى قوّاده، أضمر غدره، فدخل عليه، و هو غافل فى غلالة، ليس عنده إلّا نفر من خواصّ خدمه الصّقلب، قد أكبّ على كتاب يقرؤه، فعلاه بسكّين أجهز به عليه.

و أجفل الخدم إلّا شهم منهم أكبّ عليه فمات معه. و ملك سرقسطة، و تمسّك بها أياما، ثم فرّ عنها، و ملكها ابن هود. و كان الإيقاع به غرة ذى حجة سنة ثلاثين و أربعمائة، رحمة اللّه عليه.

موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى ابن يغمراسن بن زيّان

الأمير بتلمسان، يكنى أبا حمّو.

أوليته: أوّليته معروفة تنظر فيما سلف من الأسماء.

حاله: هذا السلطان مجمع على حزمه، و ضمّه لأطراف ملكه، و اضطلاعه بأعباء ملك وطنه، و صبره لدولة قومه، و طلوعه بسعادة قبيله. عاقل، حازم، حصيف، ثابت الجأش، و قور مهيب، جمّاعة للمال، مباشر للأمور، هاجر للّذات، يقظ، متشمّر. قام بالأمر غرّة ربيع الأول

فى عام ستين ، مرتاش الجناح بالأحلاف من عرب القبلة، معوّلا عليهم عند قصد عدوّه، و حلب ضرع الجباية، فأثرى بيت ماله، و نبهت دولته، و اتّقته جيرته، فهو اليوم ممن يشار إليه بالسّداد.

أدبه و شعره: و وجّه لهذا العهد فى جملة هدايا ودّية، و مقاصد سنيّة، نسخة من كتابه المسمى ب «واسطة السّلوك، فى سياسة الملوك» ، افتتحه بقوله:

«الحمد للّه الذى جعل نعمته على الخلق، بما ألّفهم عليه من الحقّ، شاملة شائعة، و يسّر طوائف من عباده لليسرى فأتت إليها مساعدة مسارعة، و حضّهم على الأخذ بالحسنى و لا أحسن من نفوس أرشدت فأقبلت لإرثها طالبة و لربّها طائعة، و لا أسمى من همم نظرت بحسن السّياسة فى تدبير الرّياسة التى هى لأشتات الملك

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۱۷

جامعة، و لأسباب الملك مانعة، و أظهرت من معادنها درر الحكم و غرر الكلم لائحة لامعة، فاجتلت أقمارها طالعة، و اجتنت أزهارها يانعة. و صلى اللّه على سيدنا محمد الكريم المبعوث بالآيات البيّنات ساطية ساطعة، و المعجزات المعجمات قاصمة لظهور الجاحدين قاطعة، الذى زويت له الأرض فتدانت أفكارها و هى نابية شاسعة، و اشتاقت له المياه فبرزت بين أصابعه يانعة، و امتثل السّحاب أمره فسحّ باستسقائه دررا هامية هامعة، و حنّ الجذع له و كان حنينه لهذه الآيات الثّلاث آية رابعة، إلى ما لا يحصى مما أتت به متواترات الأخبار و صيحات الآثار ناصرة لنبوّته ساطعة، صلّى اللّه عليه و على آله و صحبه و عترته التى أجابت داعى اللّه خاشية خاشعة، و أذعنت لأوامر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فكانت من الاستبداد خالية و للأنداد خالعة، صلاة ديمتها دائمة متتابعة، و سلّم كثيرا».

جمع فيه الكثير من أخبار الملوك و سيرهم، و خصّ به ولده و وليّ عهده، فجاء مجموعا يستظرف من مثله، و يدلّ على مكانه من الأدب و محلّه.

و ثبت فيه الكثير من شعره، فمن ذلك قصيدة أجاب فيها أحد رؤوس القبائل، و قد طلب منه الرجوع إلى طاعته، و الانتظام فى سلك جماعته، و هى:

[الطويل] الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج۳ ؛ ص۲۱۷

تذكّرت أطلال الرّبوع الطّواسمو ما قد مضى من عهدها المتقادم

وقفت بها من بعد بعد أنيسها بصبر مناف أو بشوق ملازم

تهيم بمغناهم و تندب ربعهمو أىّ فؤاد بعدهم غير هائم؟

تحنّ إلى سلمى و من سكن الحمىو ما حبّ سلمى للفتى بمسالم

فلا تندب الأطلال و اسل عن الهوىو لا تقل فى تذكار تلك المعالم

فإن الهوى لا يستفزّ ذوى النّهىو لا يستبى إلّا الضّعيف العزائم

صبور على البلوى طهور من الهوىقريب من التّقوى بعيد المآثم

و من يبغ درك المعلوات و نيلهايساق بخلق الشّهد مرّ العلاقم

و لائمة لمّا ركبنا إلى العلابحار الردى فى لجّها المتلاحم

تقول بإشفاق: أتنسى هوى الدّماو تنثر درّا من دموع سواجم؟

إليك فإنّا لا يردّ اعتزامنامقالة باك أو ملامة لائم

أ لم تدر أنّ اللوم لوم و أنانلجتنب اللّوم اجتناب المحارم؟

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۱۸ فما بسوى العلياء همنا جلالةإذا هام قوم بالحسان النّواعم

بروق السّيوف المشرفيّات و القنالأحبّ إلينا من بروق المباسم

و أمّا صميل السّابحات لذى الوغى‌فأشجى لدينا من غناء الحمائم

و أحسن من قدّ الفتاة و خدّهاقدود العوالى أو خدود الصوارم

إذا نحن جرّدنا الصوارم لم تعدإلى غمدها إلّا بجرّ الغلاصم

نواصل بين الهندوانى الطّلاء بتفريق ما بين الطّلى و الجماجم

فيرغب منّا السّلم كلّ محاربو يرهب منّا الحرب كلّ مسالم

نقود إلى الهيجاء كلّ مضمّرو نقدم إقدام الأسود الضّراغم

و ما كلّ من قاد الجيوش إلى العدايعود إلى أوطانه بالغنائم

و ننصر مظلوما و نمنع ظالماإذا شيك مظلوم بشوكة ظالم

و يأوى إلينا المستجير و يلتجيو يحميه منّا كلّ ليت ضبارم

أ لم تر إذ جاء السّبيعىّ قاصداإلى بابنا يبغى التماس المكارم؟

و ذلك لمّا أن جفاه صحابهو كلّ خليل ودّه غير دائم

و أزمع إرسالا إلينا رسالةبإخلاص ودّ واجب غير واجم

و كان رأى أنّ المهامه بيننافخلّى لذات الخفّ ذات المناسم

و قال ألا سل من عليم مجرّب‌أبثّ له ما تحت طىّ الحيازم

فيبلغ عنه الآن خير رسالةتؤدّى إلى خير الملوك الأعاظم

على ناقة و جناء كالحرف ضامرتخيّرها بين القلاص الرّواسم

من اللائى يظلمن الظليم إذا عدىو يشبهه فى جيده و القوائم

إذا أتلعت فوق السّحاب جوابهاتخيّلتها بعض السحاب الرّواكم

و إن هملجت بالسّير فى وسط مهمه‌نزلت كمثل البرق لاح لشائم

و لم يأمن الخلّان بعد اختلالهم‌فأمسى و فى أكبادها أىّ جاحم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢١٩ فقالوا فحمّلها الحمائم قال لالبعد المدى أو خوف صيد الحمائم

و ما القصد إلّا فى الوصول بسرعةفقالوا: فحمّلها أكفّ النواسم

فقال: لنعم المرسلات و إنّمالها ألسن مشهورة بالنّمائم

فلم يلف فيها للأمانة موضعاو كلّ امرئ للسّرّ ليس بكاتم

فحينئذ وافى إلينا بنفسه‌فكان لدينا خير واف و قادم

يجوب إلى البيداء قصدا و بشرنايضىء له الظّلماء فى كلّ عاتم

طلاب العلا تسرى مع الوحش فى الفلاو يصحب منها كلّ باغ و باغم

على سلهب ذى صورتين مطعّم من المغربات الصّافنات الصّلادم

إذا شاء أىّ الوحش أدركه به‌فتحسبه فى البيد بعض النّعائم

و يقدمه طوعا إلينا رجاؤه‌حمايتنا إيّاه من كلّ ظالم

ألا أيها الآتى لظلّ حنانانزلت برحب فى عراص المكارم

و قوبلت منّا بالذى أنت أهلهو فاض عليك الجود فيض الغمائم

كذا دأبنا للقادمين محلّناحمى و ندى ينسى به جود حاتم

و هذا جواب عن نظامك إنّنابعثنا به كاللؤلؤ المتناظم

و نحن ذوو التيجان من آل حميرلعمرك من التّيجان غير العمائم

بهمّتنا العليا سمونا إلى العلاو كم دون إدراك العلا من ملاحم

شددنا لها أزرا و شدنا بناءهاو كم مكثت دهرا بغير دعائم

نظمنا شتيت المجد بعد افتراقهو كم بات نهبا شمله دون ناظم

و رضنا جياد الملك بعد جماحهافذلّت و قد كانت صعاب الشّكائم

مناقب زيّانيّة موسويّةيذلّ لها عزّ الملوك القماقم

يقصّر عن إدراكها كلّ مبتغو يعجز عن إحصائها كلّ ناظم

فللّه منّا الحمد و الشّكر دائماو صلّى على المختار من آل هاشم

و نختصّكم منّا السّلام الأثير ماتضاحك روض عن بكاء الغمائم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٢٠

قلت: و لمّا تعرّفت كلفه بالأدب و الإلمام بمجاورته، عزمت على لقائه، و تشوّقت عند العزم على الرّحلة الحجازية، إلى زيارته، و لذلك كنت أخاطبه بكلمة منها: [الطويل]

على قدر قد جئت قومك يا موسىفجلّت بك النّعمى و زالت بك البوسى

فحالت دون ذلك الأحوال، و هو بحاله الموصوفة إلى هذا العهد، وفّقه اللّه، و سائر من تولّى أمرا من أمور المسلمين.

و جرى ذكره فى رجز الدول من نظمى: [الرجز]

بادرها المفدى الهمام موسىفأذهب الرحمن عنها البوسى

جدّد فيها الملك لمّا أخلقاو بعث السّعد و قد كان لقا

و رتّب الرّتب و الرّسوماو أطلع الشّموس و النّجوما

و احتجن المال بها و العدّهو هو بها باق لهذى المدّة

ولادته: ولد بمدينة غرناطة حسبما وقعت عليه بخط الثّقة من ناسه، فى أول عام ثلاثة و عشرين و سبعمائة .

مبارك و مظفّر الأميران موليا المنصور بن أبى عامر

حالهما: قال أبو مروان : ترقّيا إلى تملّك بلنسية من وكالة السّاقية، و ظهر من سياستهما و تعاوضهما صحّة الألفة طول حياتهما، ما فاتا به فى معناهما أشقّاء الأخوّة و عشّاق الأحبّة، إذ نزلا معا بقصر الإمارة مختلطين، تجمعهما مائدة واحدة من غير تميّز فى شىء، إلّا الحرم خاصّة. و كان التّقدّم لمبارك فى المخاطبة، و حفظ رسوم الإمارة، أفضل صرامة و ذكرا، قصر عنهما مظفّر، لدماثة خلقه، و انحطاطه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٢١

لصاحبه فى سائر أمره، على نحلته بكتابة ساذجة و فروسة ، فبلغا الغاية من اقتناء الأسلحة و الآلات الملوكية، و الخيل المغربات، و نفيس الحلى و الحلل، و إشادة البناء للقصور. و اشتمل هذا الرأى على جميع أصحابهما، و من تعلّق بهما من وزرائهما و كتّابهما، و لم يعرض لهما عارض إنفاق بتلك الآفاق، فانغمسا فى النّعيم إلى قمم رؤوسهما حتى انقضى أمرهما.

قال : و كان موت مبارك أنه ركب يوما من قصر بلنسية، و قد تعرّض أهلها مستغيثين من مال افترضه عليهم، فقال لهم: إن كنت لا أريد إنفاقه فيما يعمّ المسلمين نفعه فلا تؤخّر عقوبتى يومى هذا. و ركب إثر ذلك، فلما أتى القنطرة، و كانت من خشب، خرجت

رجل فرسه من حدّها فرمى به أسفلها، و اعترضته خشبة ناتئة شرخت وجهه، و سقط الفرس عليه، ففاضت نفسه، و كفاهم اللّه أمره يومئذ.

و فى مبارك و مظفّر يقول أبو عمرو بن درّاج القسطلّى، رحمه اللّه : [الطويل]

أنورك أم أوقدت بالليل نارك‌لباغ قراك أو لباغ جوارك؟

و ريّاك أم عرف المجامر أشعلت‌بعود الكباء و الألوّة نارك؟

و مبسمك الوضّاح أم ضوء بارق‌حداه دعائى أن يجود ديارك؟

و خلخالك استنضيت أم قمر بدا؟و شمس تبدّت أم ألحت سوارك؟

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۲۲ و طرّة صبح أم جبينك سافراأعرت الصباح نوره أم أعارك؟

و أنت هجرت الليل إذ هزم الضّحى‌كتائبه و الصّبح لمّا استجارك

فللصّبح فيما بين قرطيك مطلع‌و قد سكن الليل البهيم خمارك

فيا لنهار لا يغيض ظلامه‌و يا لظلام لا يغيض نهارك

و نجم الثّريّا أم لآل تقسّمت‌يمينك إذ ضمّختها أم يسارك؟

لسلطان حسن فى بديع محاسن‌يصيد القلوب النّافرات نفارك

و جند غرام فى دروع صبابة‌تقلّدن أقدار الهوى و اقتدارك

هو الملك لا بلقيس أدرك شأوهامداك و لا الزّبّاء شقّت غبارك

و قادحة الجوزاء راعيت موهنابحرّ هواك أم ترسّمت دارك؟

و طيفك أسرى فاستثار تشوّقى‌إلى العهد أم شوقى إليك استثارك؟

و موقد أنفاسى إليك استطارنى‌أم الرّوح لمّا ردّ فىّ استطارك؟

فكم جزت من بحر إلىّ و مهمه‌يكاد ينسّى المستهام ادّكارك

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۲۳ أذو الحظّ من علم الكتاب حداك لى؟أم الفلك الدّوّار نحوى أدارك ؟

و كيف كتمت الليل وجهك مظلماأشعرك أعشيت السّنا أم شعارك؟

و كيف اعتسفت البيد لا فى ظعائن‌و لا شجر الخطّىّ حفّ شجارك ؟

و لا أذّن الحىّ الجميع برحلة‌أراح لها راعى المخاض عشارك

و لا أرزمت خوص المهارى مجيبة‌صهيل جياد يكتنفن قطارك

و لا أذكت الرّكبان عنك عيونها حذار عيون لا ينمن حذارك

و كيف رضيت الليل ملبس طارق‌و ما ذرّ قرن الشمس إلّا استنارك؟

و كم دون رحلى من بروج مشيدة‌تحرّم من قرب المزار مزارك

و قد زأرت حولى أسود تهامست‌لها الأسد أن كفّى عن السّمع زارك

و أرضى سيول من خيول مظفّر و ليلى نجوم من سماء مبارك

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۲۴ بحيث وجدت الأمن يهتف بالمنى‌هلمّى إلى عينين جادا سرارك

هلمّى إلى بحرين قد مرج النّدى‌عبابيهما لا يسأمان انتظارك

هلمّى إلى سيفين و الحدّ واحديجيران من صرف الحوادث جارك

هلمّى إلى طرفى رهان تقدّماإلى الأمد الجالى عليك اختيارك

هلمّى إلى قطبى نجوم كتائب‌تنادى نجوم النّعس غورى مغارك

و حيّى على دوحين جاد نداهماظلالك و استدنى إليك ثمارك

و بشراك قد فازت قداحك بالعلا و أعطيت من هذا الأنام خيارك

شريكان فى صدق المنى و كلاهماإذا قارن الأقران غير مشارك

هما سمعا دعواك يا دعوة الهدىو قد أوثق الدهر الخؤون إسارك

و سلّا سيوفا لم تزل تلتظى أسّى بثأرك حتى أدركا لك ثارك

و يهنيك يا دار الخلافة منهماهلالان لاحا يرفعان منارك

كلا القمرين بين عينيه غرّةأنارت كسوفيك و جلّت سرارك

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۲۵ فقاد إليك الخيل شعثا شوازيايلبّين بالنّصر العزيز انتصارك

سوابق هيجاء كأنّ صهيلهايجاوب تحت الخافقات شعارك

بكلّ سرىّ العتق سرّى عن الهدىو كل حمىّ الأنف أحمى ذمارك

تحلّوا من المنصور نصرا و عزّةفأبلوك فى يوم البلاء اختيارك

إذا انتسبوا يوم الطّعان لعامرفعمرك يا هام العدى لا عمارك!

يقودهم منهم سراجا كتائب‌يقولان للدّنيا: أجدّى افتخارك

إذا افترّت الرايات عن غرّتيهمافيا للعدى أضللت منهم فرارك

و إن أشرق النّادى بنور سناهمافبشرى الأمانى: عينك لا ضمارك

و كم كشفا من كربة بعد كربةتقول لها النيران: كفّى أوارك

و كم لبّيا من دعوة و تداركاشفى رمق ما كان بالمتدارك

و يا نفس غاو، كم أقرّا نفاركو يا رجل هاو، كم أقالا عثارك

و لست ببدع حين قلت لهمّتى‌أقلّى لإعتاب الزّمان انتظارك

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۲۶ فلله صدق العزم أيّة غرّةإذا لم تطيعى فى «لعلّ» اغترارك

فإن غالت البيد اصطبارك و السّرىفما غال ضيم الكاشحين اصطبارك

و يا خلّة التّسويف، قومى فأغدفى قناعك من دونى و شدّى إزارك

و حسبك بى يا خلّة النّاى خاطرى‌بنفسى إلى الحظّ النّفيس حطارك

فقد آن إعطاء النّوى صفقة الهوىو قولك للأيّام: جورى مجارك

و يا ستر البيض النّواعم، أعلنى إلى اليغملات و الرّحال بدارك

نواجى و استودعتهنّ نواجياحفاظك يا هذى بذى و ازدهارك

و دونك أفلاذ الفؤاد فشمّرىو دونك يا عين اللّبيب اعتبارك

صرفت الكرى عنها بمغتبق السّرىو قلت: أديرى و النجوم عقارك

فإن وجبت للمغربين جنوبها فداوى برقراق السّراب خمارك

فأورى بزندى سدفة و دجنّةإذا كانتا لى مرخك و عفارك

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۲۷ و إن خلع الليل الأصائل فاخلعىإلى الملكين الأكرمين عذارك

بلنسية مثوى الأمانىّ فاطلبى كنوزك فى أقطارها و ادّخارك

سينبيك زجرى عن بلاء نسيتهإذا أصبحت تلك القصور قصاركَ

و أظفر سعى بالرّضا من مظفّرو بوركَ لى فى حسن رأى مباركَ

قصىّ المنى قد شام بارقة الحياو أنشقت يا ظئر الرّجاء حواركَ

و حمدا يمينى قد تملّأت بالمنىو شكرا يسارى قد حويت يسارَكَ

و قل لسماء المزن: إن شئت أقلعىو يا أرضها إن شئت غيضى بحاركِ

و لا توحشى يا دولة العزّ و المنى مساءكِ من نوريهما و ابتكاركِ

وصولهما إلى غرناطة: و صلا مع أمثالهما من أمراء الشّرق صحبة المرتضى، و كان من انهزام الجميع بظاهرها، و إيقاع الصناهجة بهم ما هو معلوم حسبما مرّ و يأتى بحول اللّه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۲۸

و من ترجمة الأعيان و الوزراء بل و من ترجمة الطارئين و الغرباء منها

منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو

يكنى أبا على.

أوليّته: معروفة، قد مرّت عند ذكر إخوته و قومه.

حاله: كان، رحمه اللّه، فتى القوم، لسنا، مفوّها، مدركا، متعاطيا للأدب و التاريخ، مخالطا للنّبلاء، متسوّرا خلق العلماء، غزلا، كلفا بالدّعابة، طرفة من طرف أهل بيته، قوىّ الشّكيمة، جوادا بما فى وسعه، متناهيا فى البدانة. دخل غرناطة فى الجملة من إخوانه و بنى عمّه، مغرّبين عن مقرّ الملوك بالمغرب، و أقام بها إلى شهر ربيع الأول من عام ثلاثة و ستين و سبعمائة. و ركب البحر فى الخامس و العشرين منه، عندما لحق أخوه عبد الحكيم بالمغرب. و بايعه الناس، و لاحت له بارقة لم تكد تقد حتى خبت، فبادر إلى مظاهرته فى جفن غزوى من أسطول الأندلس، و صحبه قوم ممن يخطب الخطط، و يبتدر رمق الدول، و هال عليهم البحر، فطرح الجفن بأحواز غسّاسة، و قد عادتها ملكة عدوّهم، فتقبّض عليه، و أدخل مدينة فاس فى الثانى لربيع الآخر من العام، مشهور المركب على الظّهر، يضرب بين يديه طبل للشّهرة، و ناقور المثلة، و أجلس بين يدى السلطان، فأبلى بما راق الحاضرين من بيانه من العذر للخروج بالاستمالة حتى لرجى خلاصه، و استقرّ مثقّفا تتعلّق به الأراجيف، و يحوم حول مطرحة الاختبار إلى حين وفاته.

شعره: أنشدنى الفقيه الأديب أبو بكر بن أبى القاسم بن قطبة من شعره، و كان صاحبه فى الرّحلة، و مزامله فى أسطول المنحسة، و ذلك قوله: [مخلع البسيط]

سوف ننال المنى و نرقىمراقى العزّ و المعالى

إذا حططنا بأرض فاسو حكّمت فى العدى العوالى

فأنت عندى بها حقيقيا حائز الفضل و الكمال

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۲۹

وفاته: فى وسط جمادى الأولى من العام ، دخل عليه فى بيت معتقله فقتل، و دفن ببعض مدافنهم، رحمة اللّه عليه.

مقاتل بن عطية البرزالى

يكنى أبا حرب، و قال فيه أبو القاسم الغافقى: من أهل غرناطة، و يلقّب بذى الوزارتين، و يعرف بالرّيّه لحمرة كانت فى وجهه.

حاله: كان من الفرسان الشجعان، لا يصطلى بناره، و كان معه من قومه نحو من ثلاث مائة فارس من بنى برزال. و ولّاه الأمير عبد اللّه بن بلقّين بن باديس مدينة أليسّانة ، و التقى به ابن عباد و أخذ بمخنّقها، و كان عبد اللّه يحذره. و عندما تحقّق حركة اللّمتونيين إليه، صرفه عن جهته، فقلّ لذلك ناصره، و أسرع ذهاب أمره.

شجاعته: قال: و حضر مقاتل مع عبد اللّه بن بلقين، أمير غرناطة، وقيعة النّيبل فى صدر سنة ثمان و سبعين و أربعمائة، فأبلى فيها بلاء عظيما، و جرح وجهه، و مزّق درعه بالطّعن و الضّرب. و ذكر من حضرها و نجا منها، قال: كنت قد سقط الرمح من يدى و لم أشعر، و حملت التّرس و لم أعلم به، و حملنى اللّه إلى طريق منجاة فركبتها، مرّة أقع و مرّة أقوم، فأدركت فارسا على فرس أدهم و رمحه على عاتقه، و درقته على فخذه، و درعه مهتّكة بالطّعن، و به جرح فى وجهه يثعب دما تحت مغفره، و هو مع ذلك ينهض على رسله، فرجعت إلى نفسى فوجدت ثقلا، فتذكرت التّرس، فأخرجت حمالته عن عاتقى، و ألقيته عنى، فوجدت خفّة، و عدت إلى العدوّ، فصاح ذلك الفارس: خذ التّرس، قلت: لا حاجة لى به، فقال: خذه، فتركته و ولّيت مسرعا، فهمز فرسه و وضع سنان رمحه بين كتفىّ، و قال: خذ الترس، و إلّا أخرجته بين كتفيك فى صدرك، فرأيت الموت الذى فررت منه، و رجعت إلى التّرس فأخذته، و أنا أدعو عليه، و أسرعت عدوا، فقال لى: «على ما كنت فليكن عدوّك»، فاستعذت

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۳۰

و قلت: ما بعثه اللّه إلّا لهلاكى، و إذا قطعة من خيل الروم قد بصرت به، فوقع فى نفسه أنه يسرع الجرى فيسلم و أقتل، فلمّا ضاق الطّلق ما بينه و بين أقربهم منه، عطف عليه كالعقاب، و طعنه ففطره، و تخلّص الرمح منه، ثم حمل على آخر فطعنه، و مال على الثالث فانهزم منه، فرجع إلىّ، و قد بهتّ من فعله، و رشاش دم الجرح يتطاير من قناع المغفر لشدّة نفسه، و قال لى: يا فاعل، يا صانع، أ تلقى الرّمح و معك مقاتل الرّيّه؟

انتهى اختصار السفر الثامن و الحمد للّه رب العالمين يتلوه فى اختصار التاسع بعده و من ترجمة القضاة مؤمل بن رجا بن عكرمة بن رجا العقيلى من إلبيرة*** و من السّفر التاسع من ترجمة القضاة

مومّل بن رجاء بن عكرمة بن رجاء العقيلى

من إلبيرة.

حاله: كان شيخا مضعوفا يغلب عليه البله، من أهل التّعيّن و الحسب و الأصالة، عريقا فى القضاء، قاض ابن قاض ابن قاض. ولّى قضاء إلبيرة للأمير محمد.

من حكاياته: رفعت إليه امرأة كتاب صداقها، فقال: الصّداق مفسوخ، و أنتما على حرام، فافترقا، فرّق اللّه بينكما. ثم رمى بالصّداق إلى من حوله، و قال: عجبا لمن يدّعى فقها و لا يعلمه، أو يزعم أنه يوثّق و لا يتقنه، مثل أبى فلان و هو فى المجلس يكتب هذا الصّداق، و هو مفسوخ، ما أحقّه أن يغرّم ما فيه. فدار الصّداق على يدى كل من حضر، و كل يقول: ما أرى موضع فسخ، فقال: أنتم أجهل من كاتبه، لكنى أعذركم؛ لأن كل واحد منكم يستر على صاحبه خطأه، انظروا و أمنحكم اليوم، فنظروا فلم يجدوا شيئا يوجب فسخا. فدنا منه محمد بن فطيس الفقيه، فقال: أصلح اللّه القاضى، إن اللّه منحك من العلم و الفهم ما نحن مقرّون بالعجز عنه، فأفدنا هذه الفائدة، فقال: ادن، فدنا منه، فقال: أو ليس فى الصداق:

«و لا يمنعها زيارة ذوى محارمها، و لا يمنعهم زيارتها بالمعروف»؟ و لو لا معرفتى بمحبّتك ما أعلمتك. فشكره الشيخ، و أخذ بطرف لحيته يجرّه إليه حتى قبّلها، و كان عظيم اللحية طويلها، شيمة أهل هذه الطّبقة. قال ابن فطيس: أنا المخصوص بالفائدة، و لا أعرّف بها إلّا من تأذن بتعريفه إياها، فتبسّم القاضى معجبا بما رأى،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۳۱

و شفعوا إليه أن لا يفسخ الصّداق، و قيل للزوجين: لا تطلبا به عنده شيئا. و ولّى قضاء جيّان.

و من الطارئين و الغرباء

المهلب بن أحمد بن أبى صفرة الأسدى

من أهل ألمريّة، يكنى أبا القاسم.

حاله: كان من أدهى الناس و أفصحهم، و من أهل التّعيّن و العناية التامة، و استقضى بألمريّة.

مشيخته: سمع من أبى محمد الأصبهانى، و رحل و روى عن أبى ذرّ الهروى.

تواليفه: ألّف كتابا فى «شرح البخارى»، أخذه الناس عنه.

وفاته: توفى سنة ست و ثلاثين و أربعمائة، و قيل سنة ... .

و من ترجمة الكتاب و الشعراء و هم الأصليّون

مالك بن عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن الفرج ابن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرج

المنزل بوادى الحجارة بمدينة الفرج المنسوبة إليه الآن.

قال ابن عبد الملك: كذا كتب لى بخطّه بسبتة، و هو مصمودى ثم شصّادى مولى بنى مخزوم، مالقى، سكن سبتة طويلا ثم مدينة فاس، ثم عاد إلى سبتة مرة أخرى، و بآخرة فاس، يكنى أبا الحكم و أبا المجد، و الأولى أشهر، و يعرف بابن المرحّل، وصف جرى على جدّه على بن عبد الرحمن لمّا رحل من شنتمريّة ، حين إسلامها للروم عام خمسة و ستين و خمسمائة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۳۲

حاله: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: شاعر رقيق مطبوع، متقدّم، سريع البديهة، رشيق الأغراض، ذاكر للأدب و اللغة. تحرّف مدّة بصناعة التّوثيق ببلده، و ولّى القضاء مرات بجهات غرناطة و غيرها. و كان حسن الكتابة إذا كتب، و الشّعر أغلب عليه. و ذكره ابن خلاد، و ابن عبد الملك، فأما ابن عبد الملك، فلم يستوف له ما استوفى لغيره، و أما ابن خلّاد، فقصر به، إذ قال: كانت نشأته بمالقة بلده، و قرارة مولده فى ناسها و وسط أجناسها، لم يتميّز بحسب، و لم يتقدّم فى ميدان نسب، و إنما أنهضه أدبه و شعره، و عوّضه بالظّهور من الخمول نظمه و نثره، فطلع فى جبين زمانه غرّة منيرة، و نصع فى سلك فصحاء أوانه درّة خطيرة، و حاز من جيله رتبة التقديم، و امتاز فى رعيله بإدراك كلّ معنى و سيم. و الإنصاف فيه ما ثبت لى فى بعض التقييدات، و هو الشيخ المسنّ المعمّر الفقيه، شاعر المغرب، و أديب صقعه، و حامل الرّاية، المعلّم بالشّهرة، المثل فى الإكثار، الجامع بين سهولة اللفظ، و سلاسة المعنى، و إفادة التّوليد، و إحكام الاختراع، و انقياد القريحة، و استرسال الطّبع، و النّفاذ فى الأغراض. استعان على ذلك بالعلم، بالمقاصد اللّسانية لغة و بيانا و عربيّة و عروضا، و حفظا و اضطلاعا، إلى نفوذ الذّهن، و شدّة الإدراك، و قوّة العارضة، و التّبريز فى ميدان اللّوذعية، و القحة و المجانة، المؤيّد ذلك بخفّة الرّوح، و ذكاء الطّبع، و حرارة النّادرة، و حلاوة الدّعابة، يقوم على الأغربة و الأخبار، و يشارك فى الفقه، و يتقدّم فى حفظ اللغة، و يقوم على الفرائض. و تولّى القضاء.

و كتب عن الأمراء، و خدم و استرفد، و كان مقصودا من رواة العلم و الشّعر، و طلّاب الملح، و ملتمسى الفوائد، لسعة الذّرع و انفساح المعرفة، و علوّ السّن، و طيب المجالسة، مهيبا مخطوب السّلامة، مرهوبا على الأعراض، فى شدقه شفرته و ناره، فلا يتعرّض إليه أحد بنقد، أو أشار إلى قناته بغمز، إلّا وناط به آبدة، تركته فى المثلات، و لذلك بخس وزنه، و اقتحم حماه، و ساءت بمحاسنه القالة، رحمه اللّه و تجاوز عنه.

مشيخته: تلا بالسّبع على أبى جعفر بن على الفخّار ، و أخذ عنه بمالقة و عن غيره. و صحب و جالس من أهلها أبا بكر عبد الرحمن بن على بن دحمان، و أبا عبد اللّه الإستجى، و ابن عسكر، و أبا عمرو بن سالم، و أبا النعيم رضوان بن خالد ، و انتفع بهم فى الطريقة، و بفاس أبا زيد اليرناسنى الفقيه. و لقى بإشبيلية أبا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۳۳

الحسن بن الدّباغ، و أبا على الشّلوبين، و أبا القاسم بن بقى، و أجازوا له. و روى عنه أبو جعفر بن الزبير، و القاضى أبو عبد اللّه بن عبد الملك، و جماعة.

دخوله غرناطة: قال ابن الزبير : تكرّر قدومه علينا بغرناطة، و آخر انفصالاته عنها آخر سنة أربع و سبعين و ستمائة. و قال لى حفيده أبو الحسين التّلمسانى من شيوخنا: أنشد السلطان الغالب بالله، بمجلسه للنّاس من المقصورة بإزاء الحمراء، قبل بناء الحمراء. و قال غيره: أقام بغرناطة، و عقد بها الشروط مدة. و قال لى شيخنا أبو الحسن الجيّاب: ولى القضاء بجهات من البشارات ، و شكى للسّلطان بضعف الولاية، فأضاف إليه حصن أشكر ، يا متشو ، و أمر أن يهمل هذا الاسم و لا يشكّل، فقال أبو الحكم، رحمه اللّه، عند وقوفه عليه: قال لى السلطان فى تصحيف هذا الاسم، «أشكر يا تيس» و هى من المقاصد النبيلة.

تواليفه: و هى كثيرة متعدّدة، منها شعره، و الذى دوّن منه أنواع، فمنه مختاره، و سمّاه بالجولات، و منه الصدور و المطالع. و له العشريات و النّبويّات على حروف المعجم، و التزام افتتاح بيوتها بحرف الرّوى، و سمّاها، «الوسيلة الكبرى المرجو نفعها فى الدّنيا و الأخرى». و عشرياته الزّهديّة، و أرجوزته المسماة «سلك المنخّل، لمالك بن المرحّل» نظم فيها منخل أبى القاسم بن المغربى، و القصيدة الطويلة المسماة بالواضحة، و الأرجوزة المسماة «اللّؤلؤ و المرجان» و الموطّأة لمالك.

و الأرجوزة فى العروض. و كتابه فى كان ما ذا، المسمّى «بالرّمى بالحصا»، إلى ما يشقّ إحصاره، من الأغراض النّبيلة، و المقاصد الأدبية.

شعره: قال القاضى أبو عبد اللّه بن عبد الملك: كان مكثرا من النّظم، مجيدا، سريع البديهة، مستغرق الفكرة فى قرضه، لا يفتر عنه حينا من ليل أو نهار. شاهدت ذلك، و أخبرنى أنّه دأبه، و أنه لا يقدر على صرفه من خاطره، و إخلاء باله من الخوض فيه، حتى كان من كلامه فى ذلك، أنه مرض من الأمراض المزمنة. و اشتهر نظمه، و ذاع شعره، فكلفت به ألسنة الخاصّة و العامّة، و صار رأس مال المستمعين

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۳۴

و المغنّين، و هجير الصّادرين و الواردين، و وسيلة المكدّين، و طراز أوراد المؤذّنين و بطائقة البطالين، و نحن نجتزئ منه بنبذ من بعض الأغراض تدل على ما وراءها، إن شاء اللّه. فمن ذلك فى غرض النّسيب: [الكامل]

دنف تستّر بالغرام طويلاحتى تغيّر رقّة و نحولا

بسط الوصال فما تمكّن جالساحتى أقيم على البساط دليلا

يا سادتى، ما ذا الجزاء فديتكمالفضل لو غير الفتى ما قيلا

قالوا تعاطى الصّبر عن أحبابهلو كان يصبر للصّدود قليلا

ما ذاق إلّا شربة من هجرناو كأنّه شرب الفرات شمولا

أ يقول: عشت و قد تملّكه الهوى؟لو قال متّ لكان أقوم قيلا

حلف الغرام بحبّنا و جمالناإن لم يدعه ميّتا فعليلا

إنّ الجفون هى السّيوف و إنماقطعت فلم تسمع لهنّ صليلا

قل للحبيب و لا أصرّح باسمهما ذا الملال و ما عهدت ملولا

بینی و بینک ذمّة مرعیّةأتراک تقطع حبلها الموصولا؟

و لکم شربت صفاء ودّک خالصاو لبست ظلّا من رضاک ظلیلا

یا غصن بان بان عنّی ظلّهعند الهجیر فما وجدت مقیلا

اعطف علی المضنی الذی أحرقتهفی نار هجرک لوعة و غلیلا

فارقته فتقطّعت أفلاذهشوقا و ما ألفی إلیک سبیلا

لو لم یکن منک التّغیّر لم یسلبالناس لو حشروا إلیه قبیلا

یا راحلا عنی بقلب مغضبأ یطیق قلبی غضبة و رحیلا؟

قل للصّبا: هیّجت أشجان الصّبافوجدت یا ریح القبول قبولا

هل لی رسول فی الریاح؟ فإذا منفارقته بعث النسیم رسولا؟

یا لیت شعری، أین قرّ قراره؟یا قلب، ویک أما وجدت دلیلا؟

إن لم یعد ذاک الوصال کعهدنانکّلت عینی بالبکا تنکیلا

و قال نسیبا و مدحا: [الکامل]

أعدی علیّ هواه خصم جفونهما لی به قبل و لا بفنونه

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۳۵ إن لم تجرنی منه رحمة قلبهمن ذا یجیر علیه ملک یمینه؟

صاب من الأتراک أصبی مهجتیفعبدت نور الحسن فوق جبینه

متمکّن فی الحسن نون صدغهفتبیّن التّمکین فی تنوینه

تنساب عقرب صدغه فی جنّةلم یجن منها الصّبّ غیر منونه

و لوی ضفیرته فولّی مدبرافعل الکلیم ارتاع من تبیینه

قد أطمعتنی فیه رقّة خدّهلو أمکنتنی فیه رقّة دینه

و رجوت لین قوامه لو لم یکنکالرّمح شدّة طعنه فی لینه

شاکی السّلاح و ما الذی فی جفنهأعدی علیّ من الذی بجفونه

ناديته لمّا ندت لی سینهو شعرت من لفظ السلام بسینه

رحماک فی دنف غدا و حیاتهمماته و حراکه کسکونه

إن لم تمنّ علیّ منّة راحمفمناه أن یلقاه ریب منونه

و لذا أبیت سوی سمات عدوّهفأمانه من ذاک ظهر أمونه

سننیخها فی باب أروع ماجدفیری محلّ الفصل حقّ یقینه

حیث المعارف و العوارف و العلافی حدّ مجد جامع لفنونه

بدر و فی الحسن بن أحمد التقتنجب مررن علی العطا برکوبه

تبغی مناها فی مناها عندهو تطوف بالحاجات عند حجونه

فرع من الأصل الیمانی طیّبورث البیان و زاد فی تبیینه

یبدی البشاشة فی أسرّة وجههطورا و یحمی العزّ فی عرنینه

بسطت شمائله الزمان کمثل مابسط الغناء نفوسنا بلحونه

یثنی علیه کلّ فعل سائرکالمسک إذ یثنی علی دارینه

و من النّسيب قوله: [البسيط]

هو الحبيب قضى بالجور أم عدلالبى الخيار و أمّا فى هواه فلا

تاللّه ما قصّر العذّال فى عذلىلكن أبت أذنى أن تسمع العذلا

أمّا السّلوّ فشىء لست أعرفه كفى بخلّك غدرا أن يقال سلا

جفون غيرى أصحت بعدما قطرتو قلب غيرى صحا من بعد ما ثملا

و غصن بان تثنّى من معاطفهسقيته الدّمع حتى أثمر العذلا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٣۶ آثرته و نسيم الشّعر آونةفكلّما مال من أعطافه اعتدلا

أملت و الهمّة العلياء طامحةو ليس فى الناس إلّا آمل أملا

و قال: إيها طفيليّ و مقترحأ لست عبدى و مملوكى؟ فقلت: بلى

يا من تحدّث عن حسنى و عن كلفىبحسنه و بحبّى فاضرب المثلا

نيّطت خدّى خوف القبض من ملكهإذا أشار بأدنى لحظه قتلا

تقبّل الأرض أعضائى و تخدمهإذا تجلّى بظهر الغيب و اتّصلا

يا من له دولة فى الحسن باهرةمثلى و مثل فؤادى يخدم الدّولا

و من نظمه فى عروض يخرج من دوبيتى مجزوّا، مقصرا قوله و ملحه فى اختراع الأعاريض كثيرة:

الصّبّ إلى الجمال مائلو الحبّ لصدقه دلائل

و الدّمع لسائلى جوابإن روجع سائل بسائل

و الحسن على القلوب والو القلب إلى الحبيب وابل

لو ساعد من أحبّ سعدما حال من الحبيب حائل

يا عاذلى، إليك عنّى لاتقرّب ساحتى العواذل

ما نازلنى كمثل ظبىيشفى بلحظة المنازل

ما بين دفونه حسامخارقه له حمائل

و السيف يبتّ ثم ينبوو اللحظ يطبق المفاصل

و السهم يصيب ثم يخطىو اللحظ يمرّ فى المقاتل

مهلا فدمى له حلالما أقبل فيه قول قائل

إن صدّنى فذاك قصدىأو جدّلنى فلا أجادل

يا حسن طلوعه علىناو السّكر بمعطفيه مائل

ظمآن مخفّف الأعالىريّان مثقّل الأسافل

قد نمّ به شذا الغوالىإذ هبّ و نمّت الغلائل

و الطّيب متبّه عليهمن كان عن العيان غافل

و الغنج محرّك إليهمن كان مسكّن البلابل

و السّحر رسول مقلتيهما أقرب عهده ببابل!

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٣٧ و الروض يعير و جنتيهوردا كهواى غير حائل

و اللين يهزّ معطفيه كالغصن تهزّه الشّمائل

و الکأس تلوح فی یدیه کالنّجم بأسعد المنازل

یسقیک بریقه مداماما أملح ساقیا مواصل

یسبیک برقّهٔ الحواشی عشقا و لکافّهٔ الشمائل

ما أحسن ما وجدت خدّاإذ نجم صبای غیر آفل

و من مستحسن نزعاته: [البسیط]

یا راحلین و بی من قربهم أمل لو أغنت الحلیتان القول و العمل

سرتم و سار اشتیاقی بعدکم مثلامن دونه السّامران الشّعر و المثل

و ظلّ یعذلنی فی حبّکم نفرلا کانت المحنتان الحبّ و العذل

عطفا علینا و لا تبغوا بنا بدلافما استوی التّابعان العطف و العمل

قد ذقت فضلکم دهرا فلا و أبی ما طاب لی الأحمران الخمر و العسل

و قد هرمت أسی من هجرکم و جوی و شبّ منی اثنتان الحرص و الأمل

غدرتم أو مللتم یا ذوی ثقتی لبّتکم الخصلتان الغدر و الملل

قالوا: کبرت و لم تبرح کذا غزلاأزری بک الفاضحان الشّیب و الغزل

لم أنس یوم تنادوا للرحیل ضحی و قرب المرکبان الطّرف و الجمل

و أشرقت بهوادیهم هوادجهم و لاحت الزّینتان الحلی و الحلل

و ودّعونی بأجفان ممرّضهٔ تغضّها الرّقبتان الخوف و الخجل

کم عفّروا بین أیدی العیس من بطل أصابه المضنیان الغنج و الکحل

دارت علیهم کؤوس الحبّ مترعهٔ و ما أبی المسکران الخمر و المقل

و آخرین اشتفوا منهم بضمّهم یا حبّذا الشافیان الضّم و القبل

کأنما الرّوض منهم روضهٔ أنف یزهی بها المثبتان السّهل و الجبل

من مسترق الرّوابی و الوهاد بهم ما راقه المعجبان الخصر و الکفل

الإحاطهٔ فی أخبار غرناطهٔ، ج۳، ص: ۲۳۸ یا حادی العیس خذنی مأخذا حسنالا یستوی الضادیان الرّیث و العجل

لم یبق لی غیر ذکر أو بکا طلل لو ینفع الباقیان الذّکر و الطّلل

یا لیت شعری و لا أنس و لا جذل هل یرفع الطّیّبان الأنس و الجذل؟

و من قوله علی لسان ألثغ ینطق بالسّین ثاء و یقرأ بالرّویّین: [مخلع البسیط]

عمرت ربع الهوی بقلب لقوّهٔ الحبّ غیر ناکس ث

لبثت فیه أجر ذیل النّحول أحبب به للابس ث

إن متّ شوقا فلی غرام نباته بالسّقام وادس ث

أمّا حدیث الهوی فحقّ یصرف بلواه کلّ حادس ث

تعبت بالشّوق فی حبیب أنا به ما حییت یائس ث

یختال کالغصن ماس فیه طرف فأزری بکلّ مائس ث

دنیا تبدّت لکلّ و أی فهو لدنیاه أیّ حارس ث

یلعب بالعاشقین طرّاو الکلّ راضون و هو عابس ث

و من شعره فى الزهد يصف الدنيا بالغرور و الكذب و الزّور: [الكامل]

يا خاطب الدنيا، طلبت غروراو قبلت من تلك المحاسن زورا

دنياك إمّا فتنةٌ أو محنةٌو أراك فى كلتيهما مقهورا

و أرى السنين تمرّ عنك سريعةٌحتى لأحسبهنّ صرن شهورا

بينا تريك أهلّةً فى أفقهاأبصرتها فى إثر ذاك بدورا

كانت قسيّا ثم صرن دوائرالا بدّ أن ترمى الورى و تدورا

يأتى الظلام فما يسوّد رقعةًحتى ترى مسطورها منشورا

فإذا الصباح أتى و مدّ رداءهنفض المساء رداءه المنشورا

يتعاقبان عليك، هذا ناشرمسكا و هذا ناشر كافورا

ما المسك و الكافور إلّا أن تریمن فعلك الإمساك و التّكبيرا

أمسى على فوديك من لونيهماسمةٌ تسوم كآبةً و بسورا

حتى متى لا ترعوى و إلى متى؟أو ما لقيت من المشيب نذيرا؟

أخشى عليك من الذّنوب فربماتلفى الصّغير من الذنوب كبيرا

فانظر لنفسك إننى لك ناصحو استغفر المولى تجده غفورا

من قبل ضجعتك التى تلقى لهاخدّ الصّغار على التّراب حقيرا

و الهول ثم الهول فى اليوم الذىتجد الذى قدّمته مسطورا

و قال فى المعنى المذكور: [الوافر]

و أشفى الوجد ما أبكى العيوناو أشفى الدّمع ما نكأ الجفونا

فيا ابن الأربعين اركب سفينامن التّقوى فقد عمّرت حينا

و نح إن كنت من أصحاب نوحلكى تنجو نجاة الأربعينا

بدا للشّيب فى فوديك رقمفيا أهل الرّقيم، أ تسمعونا؟

لأنتم أهل كهف قد ضربناعلى آذانهم فيه سنينا

رأيت الشّيب يجرى فى سوادبياضا لا كعقل الكاتبينا

و قد يجرى السّواد على بياضفكان الحسن فيه مستبينا

فهذا العكس يؤذن بانعكاسو قد أشعرتم لو تشعرونا

نبات هاج ثم يرى حطاماو هذا اللّحظ قد شمل العيونا

نذير جاءكم عريان يعدوو أنتم تضحكون و تلعبونا

أخى، فإلى متى هذا التّصابى؟جننت بهذه الدنيا جنونا

هى الدنيا و إن وصلت و برّتفكم قطعت و كم تركت بنينا!

فلا تخدعك أيام تليهالليال و اخشها بيضا وجونا

فذاك إذا نظرت سلاح دنياتعيد حراك ساكنها سكونا

و بين يديك يوم أىّ يومیدينك فيه ربّ الناس دينا

فإمّا دار عزّ ليس يفنىو إمّا دار هون لن يهونا

فطوبى فى غد للمتّقيناو ويل فى غد للمجرمينا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۴۰ و آه ثم آه ثم آهعلى نفسى أكرّرها مئينا

أخىّ، سمعت هذا الوعظ أم لا؟ألا يا ليتنى فى السامعينا

إذا ما الوعظ لم يورد بصدقفلا خسر كخسر الواعظينا

و قال يتشوّق إلى بيت اللّه الحرام، و يمدح رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: [البسيط]

شوق كما رفعت نار على علمتشبّ بين فروع الضّال و السّلم

ألفّه بضلوعى و هو يحرقهاحتى يرانى بريا ليس بالقلم

من يشترينى بالبشرى و يملكنىعبدا إذا نظرت عينى إلى الحرم؟

دع للحبيب ذمامى و احتمل رمقىفليس ذا قدم من ليس ذا قدم

يا أهل طيبة، طاب العيش عندكمجاورتم خير مبعوث إلى الأمم

عاينتم جنّة الفردوس من كثبفى مهبط الوحى و الآيات و الحكم

لنتركنّ بها الأوطان خاليةو نسلكنّ لها البيداء فى الظّلم

ركابنا تحمل الأوزار مثقلةإلى محطّ خطايا العرب و العجم

ذنوبنا، يا رسول اللّه، قد كثرتو قد أتيناك فاستغفر لمجترم

ذنب يليه على تكراره ندمفقد مضى العمر فى ذنب و فى ندم

نبكى فتشغلنا الدنيا فتضحكناو لو صدقنا البكا شبنا دما بدم

يا ركب مصر، رويدا يلتحق بكمقوم مغاربة لحم على وضم

فيهم عبيد تسوق العيس زفرتهلم يلق مولاه قد ناداه فى النّسم

يبغى إليه شفيعا لا نظير لهفى الفضل و المجد و العلياء و الكرم

ذاك الحبيب الذى ترجى شفاعتهمحمد خير خلق اللّه كلّهم

صلّى عليه إله الخلق ما طلعتشمس و ما رفعت نار على علم

و من مقطوعاته العجيبة فى شتى الأغراض، و هى نقطة من قطر، و بلالة من بحر، قوله مما يكتب على حمالة سيف، و قد كلف بذلك غيره من الشعراء بسبتة، فلمّا رآها أخفى كل منظومه، و زعم أنه لم يأت بشىء، و هو المخترع المرقص:

[البسيط]

جماله كرياض جاورت نهرافأنبتت شجرا راقت أزاهرها

كحيّة الماء عامت فيه و انصرفتفغاب أوّلها فيه و آخرها

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۴۱

و قوله، و قد تناول الرئيس ابن خلاص بيده مقصّا فأدمى يده فأنشده:

[الوافر]

عداوة لا لكفّك من قد نمّ فلا تعجب لقرّاض لئيم

لئن أدماك فهو لها شبيهو قد يسطو اللّئيم على الكريم

و قوله فى الخضاب: [الطويل]

سترت مشيبى بالخضاب تعلّلافلم يحظ شيبى و راب خضابى

كأنّى و قد زوّرت لونا على الصّباأعنون طرسا ليس فيه كتابى

غراب خضاب لم يقف من حذارهو أغرب شىء فى الحذار غرابى

و قوله و هو من البديع المخترع: [الكامل]

لا بدّ من ميل إلى جهة فلاتنكر على الرجل الكريم مميلا

إنّ الفؤاد و إن توسّط فى الحشاليميل فى جهة الشّمال قليلا

و قوله و هو معنى قد قيل فيه: [الكامل]

لا تعجبوا للمرء يجهل قدرهأبدا و يعرف غيره فيصبر

فالعين تبصر غيرها مع بعدهلكنّ بؤبو نفسها لا تبصر

و قوله: [الوافر]

أرى المتعلّمين عليك أعدا إذا أعلمتهم من كلّ عاد

فما عند الصّغير سوى عقوقو لا عند الكبير سوى عناد

و قوله فى وصفه ذى الجاه: [الخفيف]

يضع الناس صاحب الجاه فيهم كل يوم فى كفّة الميزان

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۴۲ إن رأوه يوما ترجّح وزناضاعفوا البرّ فهو ذو رجحان

أو رأوا منه نقص حبّة وزنما كسوه فى حبّة الجلجلان

و أنشدنا عنه غير واحد من شيوخنا و قد بلغ الثمانين: [السريع]

يا أيها الشيخ الذى عمرهقد زاد عشرا بعد سبعينا

سكرت من أكؤس خمر الصّبافحدّك الدّهر ثمانينا

و قال: هيهات! ما أظنّه يكملها، و قال فى الكبرة: [الكامل]

يا من لشيخ قد أسنّ و قد عفامذ جاوز السّبعين أضحى مدنفا

خانته بعد وفائها أعضاؤهفغدا قعيدا لا يطيق تصرّفا

هرما غريبا ما لديه مؤانسإلّا حديث محمد و المصطفى

و كتب إلى القاضى أبى الحجاج الطّرسونى فى مراجعة: [السريع] الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج۳ ؛ ص۲۴۲

يا سيدى، شاكركم مالكقد صيّرت ميم اسمه هاء

و من يعش خمسا و تسعينقد أنهت التعمير إنهاء

و من نظمه فى عرس صنعها بسبتة على طريقه فى المجانة: [الكامل]

اللّه أكبر فى منار الجامعمن سبتة تأذين عبد خاشع

اللّه أكبر للصّلاة أقيمهابين الصّفوف من البلاط الواسع

اللّه أكبر محرما و موجّهادبرى إلى ربّى بقلب خاضع

الحمد للّه السلام عليكمآمين لا تفتح لكلّ مخادع

إن النّساء خدعننى و مكرن بىو ملأن من ذكر النساء مسامعى

حتى وقعت و ما وقعت بجانبلكن على رأس لأمر واقع

و اللّه ما كانت إليه ضرورةلكنّ أمر اللّه دون مدافع

فخطبن لى فى بيت حسن قلن لىو كذبن لى فى بنت قبح شانع

بكرا زعمن صغيرة فى سنّهاحسناء تسفر عن جمال بارع

خودا لها شعر أثيث حالككالليل تجلى عن صباح ساطع

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٤٣ حوراء يرتاع الغزال إذا رنتبجفون خشف فى الخمائل رافع

تتلو الكتاب بغنّة و فصاحةفيميل نحو الذّكر قلب السامع

بسّامة عن لؤلؤ متناسقفى ثغرها فى نظمه متتابع

أنفاسها كالرّاح فضّ ختامهامن بعد ما ختمت بمسك رائع

شمّاء دون تفاوت عربيّةببسالة و شجاعة و منازع

غيداء كالغصن الرّطيب إذا مشتناءت بردف للتعجّل مانع

تخطو على رجلى حمامة أيكةمخضوبة تسبى فؤاد السامع

و وصفن لى من حسنها و جمالهاما البعض منه يقيم عذر الخالع

فدنوت و استأمنت بعد توحّشىو أطاع قلب لم يكن بمطاوع

فحملننى نحو الولىّ و جئننىبالشّاهدين و جلد كبش واسع

و بعرفه من نافع لتعادلو اللّه عزّ و جلّ ليس بنافع

فشرطن أشراطا علىّ كثيرةما كنت فى حملى لها بمطاوع

ثم انفصلت و قد علمت بأننىأوثقت فى عنقى لها بجوامع

و تركننى يوما و عدن و قلن لىخذ فى البناء و لكن بمرافع

و اصنع لها عرسا و لا تحوج إلىقاض عليك و لا وكيل رافع

و قرعت سنّى عند ذاك ندامةما كنت لو لا أن خدعت بقارع

و لزمتنى حتى انفصلت بموعدبعد اليمين إلى النهار الرابع

فلو أننى طلّقت كنت موفّقاو نفضت من ذاك النكاح أصابعى

لكن طمعت بأن أرى الحسن الذىزوّرن لى فذممت سوء مطامعى

فنظرت فى أمر البناء معجّلاو صنعت عرسا يا لها من صانع!

و طمعت أن تجلى و يبصر وجههاو يقرّ عينى بالهلال الطّالع

و ظننت ذاك كما ذكرن و لم يكنو حصلت أيضا فى مقام الفازع

و حملننى ليلا إلى دار لهافى موضع عن كل خير سامع

دار خراب فى مكان توحّشما بين آثار هناك بلاقع

فقعدت فى بيت صغير مظلمو لا شىء فيه سوى حصير الجامع

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٤٤ فسمعت حسّا عن شمالى منكراو تنحنحا يحكى نقيق ضفادع

فأردت أن أنجو بنفسى هارباو وثبت عند الباب وثبة جازع

فلقيتهنّ و قد أتين بجذوةفرددننى و حبسننى بمجامع

و دخلن بى فى البيت و استجلسننىفجلست كالمضرور يوم زعازع

و أشرن لى نحو السّماء و قلن لىهذى زويبعة و بنت زوابع

هذى خليلتك التى زوّجتهافاجلس هنا معها ليوم سابع

بتنا من النّعمى التى خوّلتهافلقد حصلت على رياض يانع

فنظرت نحو خليلتى متأمّلافوجدتها محجوبة ببراقع

و أتيتها و أردت نزع خمارهافغدت تدافعنى بجدّ وازع

فوجلتها فى صدرها و حذوتهو كشفت هامتها بغيظ صارع

فوجدتها قرعاء تحسب أنّهامقروعة فى رأسها بمقارع

حولاء تنظر فوقها فى ساقهافتخالها مبهوتة فى الشارع

فطساء تحسب أنّ روثة أنفهاقطعت فلا شلّت يمين القاطع

صمّاء تدعى بالبريح و تارةبالطّبل أو يؤتى لها بمقامع

بكماء إن رامت كلاما صوّتتصويت معزى نحو جدى راضع

فقماء إن ما تلتقى أسنانهاتفسو إذا نطقت فساء الشابع

عرجاء إن قامت تعالج مشيهاأبصرت مشية ضالع أو خامع

فلقيتها و جعلت أبصق نحوهاو أفرّ نحو دجى و غيث هامع

حيران أغدو فى الزّقاق كأننىلصّ أحسّ بطالب أو تابع

حتى إذا لاح الصباح و فتّحواباب المدينة كنت أوّل كاسع

و اللّه ما لى بعد ذاك بأمرهاعلم و لا بأمور بيتى الضّائع

نثره: و فضّل الناس نظمه على نثره، و نحن نسلّم ذلك من باب الكثرة، لا من باب الإجادة. و هذه الرسالة معلمة بالشهادة بحول اللّه.

كتب إلى الشيخين الفقيهين الأديبين البليغين أبى بكر بن يوسف بن الفخّار، و أبى القاسم خلف بن عبد العزيز القبتورى:

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٤٥

«للّه درّكما حليفى صفاء، و أليفى وفاء، يتنازعان كأس المودّة تنازع الأكفاء، و يتهاديان ريحان التحية تهادى الظّرفاء. قسيمى نسب، و قريعى حسب، يتجاوزان بمطبوع من الأدب و مكتسب، و يتواردان على علم من الظّرف و نسب، رضيعى لبان، ذريعى لبان، يحرزان ميراث قسّ و سحبان، و يبرزان من الذّكاء ما بان على أبان، قسيمى مجال، فصيحى رويّة و ارتجال، يترعان فى أشطان البلاغة سجالا بعد سجال، و يصرعان فى ميدان الفصاحة رجالا على رجال. ما بالكما؟ لا حرمت حبالكما و لا قصمت نبالكما، لم تسمحا لى من عقودكما بدرّة، و لم ترشّحانى من نقودكما بدرة، و لم تفسحا لى بحلوة و لا مرّة. لقد ابتليت من أدبكما بنهر أقربه و لا أشربه، و ما أرده و لا أتبرّده. و لو كنت من أصحاب طالوت لا فسحت لى غرفة، و أتيحت لى ترفة. بل لو كنت من الإبل ذوات الأظماء، ما جليت بعد الظّمإ على الماء، و لا دخلت بالإشفاق مدخل العجماء. كيف و أنا و لا فخر فى صورة إنسان، ناطق بلسان، أفرّق بين الإساءة و الإحسان. و إن قلت إنّ باعى فى النّظم قصير، و ما لى على النّثر ولىّ و لا نصير، و صنعة النحو عنى بمعزل، و منزل الفقيه ليس لى بمنزل، و لم أقدم على العلم القديم، و لا استأثرت من أهله بنديم. فأنا و الحمد للّه غنىّ بصنعة الجفر، و أقتنى اليراع كأنها شبابيك النّير، و أبرى البريّة التى تنيف على الشّبر، و أزين خدود الأسطار المستوية، بعقارب اللّامات الملتوية، و لا أقول كأنها، فلا ينكر السيدان أعزّ هما اللّه أنها نعم بعود أزاعم، و بمثل شكسى تحضر الملاحم. فما هذا الازدراء و الاجتراء فى هذا الأمر مرّ المواقير. تاللّه لقد ظلمتمانى على علم، و استندتما إلى غير حلم، أما رهبتما شبابى، أما رغبتما فى حسابى، أما رفعتما بين نفح صبابى، و لفح صبابى. لعمرى لقد ركبتما خطرا، و هجتما الأسد بطرا، و أبحتما حمى محتضرا، و لم تمعنا فى هذا الأمر نظرا: [الطويل]

أعد نظرا يا عبد قيس لعلّماأضاءت لك النّار الحمار المقيّدا

و نفسی عین الحمار، فی هذا المضمار، لا أعرف قبیلا من دبیر، و لا أفرّق بحسّی بین صغیر و کبیر، و لا أعهد أنّ حصاة الرّمی أخفّ من ثبیر، أ لیس فی ذوی کبد رطبة أجر، و فی معاملة أهل التّقوی و المغفرة تجر؟ و إذا خوّلتمانی نعمة أو نفلتمانی نفلا، فالید العلیا خیر من الید السّفلی، و ما نقص مال من صدقة، و لا جمال من لمح حدقة، و العلم یزید بالإنفاق، و کتمه حرام باتفاق، فإن قلتما لی إنّ فهمک سقیم، و عوجک علی الرّیاضة لا یستقیم، فلعلّ الذی نصب قامتی، یمنّ

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۴۶

باستقامتی، و عسی الذی یشقّ سمعی و بصری، أن یزیل عیّ و حصری، فأعی ما تقصّان، و أجتلی ما تنصّان، و أجنی ثمار تلک الأغصان، فقد شاهدتما کثیرا من الحیوان، یناغی فیتعلّم، و یلقّن فیتکلّم. هذا و الجنس غیر الجنس، فکیف المشارک فی نوعیّة الإنس؟ فإن قلنا إن ذلک یشقّ، فأین الحقّ الذی یحقّ، و المشقّة أخت المروّة، و ینعکس مساق هذه الأخوّة، فیقال المروّة أخت المشقّة، و الحجیج یصبر علی بعد الشّقّة، و لو لا المشقّة کثر السّادة، و قلّت الحسادة، فما ضرّکما أیها السیّدان أن تحسبا تحویجی، و تکتسبا الأجر فی تدریجی؟ فإنکما إن فعلتما ذلک نسبت إلی و لائکما، کما حسبت علی علائکما، و أضفت إلی ندیّکما، کما عرّفت بمنتداکما.

أ لم تعلما أنّ المرء یعرف بخلیله، و یقاس به فی کثیرة و قلیله؟ و لعلّی أمتحن فی مرام، و یعجم عودی رام، فیقول هذا العود من تلک الأعواد، و ما فی الحلبة من جواد، فأکسوکما عارا، و أکون علیکما شعارا. علی أنی إذا دعیت باسمکما استریت من الادّعاء، فلا أستجیب لهذا الدّعاء، و لکن أقول کما قال ابن أبی سفیان حین عرف الإدارة، و أنکر الإمارة، نعم أخوّتی أصحّ، و أنّها بها أشحّ، إلا أنّ غیری نظم فی السّلک، و أسهم فی الملک، و أنا بینکما کالمحجوب بین طلّاب، یشارکهم فی البکا لا فی التّراب ، إن حضرت فکنتم فی الإقحام، أو لمقعد فی زحام، و إن غبت فیقضی الأمر، و قد سطر زید و عمرو. ناشدتکما اللّه فی الإنصاف أن تریعا بواد من أودیة الشّحر، فی ناد من أندیة الشّعر بل السّحر، حیث تندرج الأنهار، و تتأرّج الأزهار، و یتبرّج اللیل و النهار، و یقرأ الطیر صحفا منتشرة، و یجلو النور ثغورا مؤشّرة، و یغازل عیون النّرجس الوجل، خدود الورد الخجل، و تتمایل أعطاف البان، علی أرداف الکثبان، فیرقد النسیم العلیل، فی حجر الرّوض و هو بلیل، و تبرز هوادج الرّاح، علی الرّاح، و قد هدیت بأقمار، و حدیت بأزهار و مزمار، و رکبتها الصّبا و الکمیت فی ذلک المضمار، و لم تزالا فی طیب، و عیش رطیب، من قباب و خدور، و شموس و بدور، تصلان اللیالی و الأیام أعجازا بصدور، و أنا الطّرید منبوذ بالعراء، موقوذ فی جهة الوراء، لا یدنی محلّی، و لا یعتنی بعقدی و لا حلّی، و لا أدرج من الحرور إلی الظّل، و لا أخرج من الحرام إلی الحلّ، و لا یبعث إلیّ مع النّسیم هبّة، و لا یتاح لی من الآتی عبّة. قد هلکت لغوا، و لم تقیما لی صفوا، و متّ کمدا، و لم تبعثا لبغیتی أمدا. أ تراه خلفتمانی جرضا، و ألقیتمانی حرضا؟ کم أستسقی فلا أسقی، و أسترقی فلا أرقی، لا ماء أشربه، و لا عمل فی وصلکما

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۴۷

أدرّبه. لم یبق لی حیلة إلّا الدّعاء المجاب، فعسی الکرب أن ینجاب. اللهمّ کما أمددت هذین السّیّدین بالعلم الذی هو جمال، و سدّدتهما إلی العمل الذی هو کمال، و جمعت فیهما الفضائل و المکارم، و ختمت بهما الأفاضل و المکارم، و جعلت الأدب الصّریح أقلّ خصالهما، و النّظر الصحیح أقلّ نصالهما، فاجعل اللهمّ لی فی قلوبهما رحمة و حنانا، و ابسط لی منهما وجها و اشرح لی جنانا، و اجعلنی اللهمّ ممّن اقتدی بهما، و تعلّق بأهدابهما، و کان دأبه فی الصّالحات کدأبهما، حتی أکون بهما ثالث القمرین فی الآیات، و ثالث العمرین فی عمل البرّ و طول الحیاة، اللهمّ آمین، و صلّی اللّه علی محمد خاتم النبیّین. و کأنّی أنظر إلی سیدیّ عزّهما اللّه إذا وقفا علی هذا الخطاب، و نظرا إلی هذا الاحتطاب، کیف یدیران رمزا، و یسیران غمزا؟ و یقال: استتبّ الفصال، و تعاطی البیذق ما تفعل النّصال، و حنّ جذع لیس منها ، و خذ عجفاءک و سمّنها، فأقول و طرفی غضیض، و محلّی الحضیض، مثلی کمثل الفروج أو ثانی البروج، و ما تقاس الأکفّ بالسّروج، فأضربا عنی أیها الفاضلان، ما أنا ممّن تناضلان، و السلام».

مولده: قال شيخنا الفقيه أبو عبد اللّه ابن القاضى المتبحّر العالم أبى عبد اللّه بن عبد الملك: سألته عن مولده فأنشدنى: [الرجز]

يا سائلى عن مولدى كى أذكره‌ولدت يوم سبعة و عشره

من المحرّم افتتاح أربع‌من بعد ستمائة مفسّرة

وفاته: فى التاسع عشر لرجب عام تسعة و تسعين و ستمائة، و دفن بمقبرة فاس، و أمر أن يكتب على قبره: [مجزوء الخفيف]

زر غريبا بمقره‌نازحا ما له ولى

تركوه موسّدابين ترب و جندل

و لتقل عند قبره‌بلسان التّدلّل

يرحم اللّه عبده‌مالك بن المرحّل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۴۸

و من طارئى المقرئين و العلماء

منصور بن على بن عبد اللّه الزواوى

صاحبنا، يكنى أبا على.

حاله: هذا الرجل طرف فى الخير و السلامة، و حسن العهد، و الصّون و الطهارة و العفّة، قليل التصنّع، مؤثر للاقتصاد، منقبض عن الناس، مكفوف اللسان و اليد، مشتغل بشأنه، عاكف على ما يعنيه، مستقيم الظاهر، ساذج الباطن، منصف فى المذاكرة، موجب لحقّ الخصم، حريص على الإفادة و الاستفادة، مثابر على تعلّم العلم و تعليمه، غير أنف عن حمله عمّن دونه، جملة من جمل السّذاجة و الرّجولة و حسن المعاملة، صدر من صدور الطّلبة، له مشاركة حسنة فى كثير من العلوم العقلية و النّقلية، و اطّلاع و تقييد، و نظر فى الأصول و المنطق و علم الكلام، و دعوى فى الحساب و الهندسة و الآلات. يكتب الشّعر فلا يعدو الإجادة و السّداد.

قدم الأندلس فى عام ثلاثة و خمسين و سبعمائة، فلقى رحبا، و عرف قدره، فتقدم مقرئا بالمدرسة تحت جراية نبيهة، و حلّق للناس متكلّما على الفروع الفقهية و التفسير، و تصدّر للفتيا، و حضر بالدار السلطانية مع مثله. جرّبته و صحبته، فبلوت منه دينا و نصفة، و حسن عشرة.

محنته: امتحن فى هذا العهد الأخير بمطالبة شرعيّة، لمتوقّف صدر عنه لما جمع الفقهاء للنّظر فى ثبوت عقد على رجل نال من جانب اللّه و النّبوّة، و شكّ فى القول بتكفيره، فقال القوم بإشراكه فى التكفير و لطخه بالعاب الكبير، إذ كان كثير المشاحّة لجماعتهم، فأجلت الحال عن صرفه عن الأندلس فى أواخر شعبان عام خمسة و ستين و سبعمائة.

مشيخته: طلبت منه تقييد مشيخته، فكتب مما يدل على جودة القريحة ما نصه:

«يتفضّل سيدى الأعلى الذى أهتدى بمصباحه، و أعشو إلى غرره و أوضاحه، جامع أشتات العلوم، و فاتق رتق الفهوم، حامل راية البديع، و صاحب آيات التّورية فيه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۴۹

و التّرصيع، نخبة البلغاء، و فخر الجهابذة العلماء، قائد جياد البلاغة من نواصيها، و سائق شوارد الحكم من أقاصيها، أبو عبد اللّه بن الخطيب أبقاه اللّه للقريض يقطف زهره، و يجتنى غرره، و للبديع يطلع قمره، و ينظم دره، و للأدب يحوك حلله، و يجمع تفاصيله و جمله، و للمعانى يجوس بجيوش البراعة خلالها، و يفتتح بعوامل اليراعة أقفالها، و للأسجاع يقرّط الأسماع بفرائدها، و يحلّى النحور بقلائدها، و للنّظم يورد جياده أحلى الموارد، و يجيلها فى مضمار البلاغة من غير معاند، و للنّثر يفترع أبكاره، و يودعها أسراره، و

لسائر العلوم يصوغها فى مفرق الآداب تاجا، و يضعها فى أسطر الطّروس سراجا، و لا زال ذا القلم الأعلى، و بدر الوزارة الأوضح الأجلى، ببقاء هذه الدولة المولوية و الإمامة المحمدية كعبة لملوك الإسلام، و مقصدا للعلماء الأعلام، و رضى عنهم خلفا و سلفا، و بورك لنا فيهم وسطا و طرفا، و لا زالت آمالنا بعلائهم منوطة، و فى جاههم العريض مبسوطة، بقبول ما نبّه عليه، من كتب شيوخى المشاهير إليه، فها أنا أذكر ما تيسّر لى من ذلك بالاختصار، إذ لا تفى بذكرهم و حلاهم المجلّدات الكبار.

فمنهم مولاى الوالد على بن عبد اللّه لقاه اللّه الرّوح و الريحان، و أوسعه الرّضا و الغفران. قرأت عليه القرآن و بعض ما يتعلق به من الإعراب و الضبط. ثم بعثنى إلى شيخنا المجتهد الإمام علم العلماء، و قطب الفقهاء، قدوة النّظار، و إمام الأمصار، منصور بن أحمد المشدالى، رحمه اللّه و قدّس روحه، فوجدته قد بلغ السّنّ به غاية أوجبت جلوسه فى داره، إلّا أنه يفيد بفوائده بعض زوّاره، فقرأت من أوائل ابن الحاجب عليه لإشارة والدى بذلك إليه، و ذلك أول محرم عام سبعة و عشرين و سبعمائة. و اشتدّ الحصار ببجاية لسماعنا أنّ السلطان العبد الوادى ينزل علينا بنفسه، فأمرنى بالخروج، رحمه اللّه، فعاقنى عائق عن الرجوع إليه؛ لأتمم قراءة ابن الحاجب عليه. ثم مات، رحمه اللّه، عام أحد و ثلاثين و سبعمائة، فخصّ مصابه البلاد و عمّ، و لفّ سائر الطلبة و ضمّ، إلّا أنه ملأ بجاية و أنظارها بالعلوم النظرية و قساها، و أنظارها بالفهوم النقلية و العقلية فصار من طلبته شيخنا المعظم، و مفيدنا المقدّم، أبو عبد اللّه محمد بن يحيى الباهلى المعروف بالمفسّر، رحمه اللّه، بالطريقة الحاجبية، و الكتابة الشرعية و الأدبية، مع فضل السّنّ و تقرير حسن، إلى معارف تحلّاها،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۵۰

و محاسن اشتمل حلاها. و استمرّ فى ذكر شيوخه على هذه الوتيرة من التزام السّجع، و تقرير الحلى، فأجاد، و تجاوز المعتاد، فذكر منهم محمد بن يحيى الباهلى المذكور، و أنه أخذ عنه جملة من العلوم، فأفرده بقراءة الإرشاد؛ و الأستاذ أبا على بن حسن البجلى، و قرأ عليه جملة من الحاصل، و جملة من المعالم الدينية و الفقهية، و الكتب المنطقية، كالخونجى، و الآيات البيّنات؛ و القاضى أبا عبد اللّه محمد بن أبى يوسف، قاضى الجماعة ببجاية؛ و أبا العباس أحمد بن عمران الساوى اليانيولى. قال:

ثم ثنيت العنان بتوجّهى إلى تلمسان، راغبا فى علوم العربية، و الفهوم الهندسية و الحسابية، فأول من لقيت شيخنا الذى علمت فى الدنيا جلالته و إمامته، و عرفت فى أقاصى البلاد سيادته و زعامته، و ذكر رئيس الكتّاب العالم الفاضل أبا محمد عبد المهيمن الحضرمى، و المحدّث البقيّة أبا العباس بن يربوع، و القاضى أبا إسحاق بن أبى يحيى، و قرأ شيئا من مبادئ العربية على الأستاذ أبى عبد اللّه الرّندى. و لقى بالأندلس جلّة؛ فممّن قرأ عليه إمام الصنعة العربية شيخنا أبو عبد اللّه بن الفخّار الشهير بالبيرى، و لازمه إلى حين وفاته، و كتب له بالإجازة و الإذن له فى التّحليق بموضع قعوده من المدرسة بعده. و قاضى الجماعة الشريف أبو القاسم محمد بن أحمد الحسينى، نسيج وحده، و لازمه، و أخذ عنه تواليفه، و قرأ عليه تسهيل الفوائد لابن مالك، و قيّد عليه، و روى عن شيخنا إمام البقية أبى البركات ابن الحاج، و عن الخطيب المحدّث أبى جعفر الطّنجالى، و هو الآن بالحال الموصوفة.

أعانه اللّه و أمتع به.

شعره: زرنا معا و الشيخ القاضى المتفنّن أبو عبد اللّه المقرئ، عند قدومه إلى الأندلس، رباط العقاب . و استنشدت القاضى، و كتب لى يومئذ بخطّه: استنشدنى الفقيه الوجيه الكامل ذو الوزارتين أبو عبد اللّه بن الخطيب، أطال اللّه بقاه كما أطال ثناه، و حفظ مهجته، كما أحسن بهجته، فأنشدته لنفسى: [البسيط]

لمّا رأيناك بعد الشّيب يا رجلا تستقيم و أمر النفس تمتثل

زدنا يقينا بما كنّا نصدّقهعند المشيب يشبّ الحرص و الأمل

و كان ذلك بمسجد رابطة العقاب، عقب صلاة الظهر من يوم الأحد التاسع و العشرين لشهر ربيع الآخر من عام سبعة و خمسين و سبعمائة. و كتب الشيخ الأستاذ أبو على يقول: منصور بن على الزّواوى، فى رابطة العقاب فى كذا، أجزت صاحبنا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٥١

الفقيه المعظم، أبا عبد اللّه بن الخطيب و أولاده الثلاثة عبد اللّه، و محمدا، و عليّا، أسعدهم اللّه، جميع ما يجوز لى و عنّى روايته، و أنشدته قولى أخاطب بعض أصحابنا:

[الطويل]

يحيّيك عن بعض المنازل صاحب‌صديق غدت تهدى إليك رسائله

مقدّمة حفظ الوداد وسيلةو لا ودّ أن تصحّ وسائله

يسائل عنك الدارسين و لم يكن‌تغيب لبعد الدار عنك مسائله

و كتبت له قبل هذا مما أنشدته عند قدومى على غرناطة: [المجتث]

يا من وجدناه لفظاحقيقة فى المعالى

مقدّمات علاكم‌أنتجن كلّ كمال

و كل نظم قياس‌خلوت منه فخال

و هو من لدن أزعج عن الأندلس، كما تقدّم ذكره، مقيم بتلمسان، على ما كان عليه من الإقراء و التدريس.

مسلم بن سعيد التّنملّى

حاله: كان غير نبيه الأبوّة. ظهر فى دولة السلطان أمير المسلمين، ثانى الملوك من بنى نصر ، بمزيد كفاية، فقلّده خطّة الحفازة، و هى تعميم النظر فى المجابى، و ضمّ الأموال، و إيقاع النّكير فى محلّ التّقصير، و مظانّ الريب، فنمت حاله، و عظم جاهه، و رهبت سطوته، و خيف إيقاعه، و قربت من السلطان وسيلته، فتقدّم الخدّام، و استوعب أطراف الحظوة، و اكتسب العقار، و صاهر فى نبيه البيوتات، و أورث عنه أخبارا تشهد له بالجود و علوّ الهمة، و شرف النفس، إلى أن قضى على هذه الوتيرة.

ذكروا أن شخصا جلب سلعة نفيسة مما يطمع فى إخفائها، حيدة عن وظيفة المغرم الباهظة فى مثل جنسه، فبينما هو يروم المحاولة، إذ بصر بنبيه المركب و البزة،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٥٢

ينفضّ فى زوايا الفحص عن مثل مضطبنه، فظنّه رئيسا من رؤساء الجند، فقصده و رغب منه إجازة خبيئته بباب المدينة، و قرّر لتخوّفه من ظلم الحافز الكذا مسلم، فأخذها منه و خبّأها تحت ثيابه، و وكّل به. و لم يذهب المسكين إلّا يسيرا، حتى سأل عن الرجل، فأخبر أنّه الذى فرّ عنه، فسقط فى يده. ثم تحامل، فألفاه ينظره فى داخل السور، فدفع إليه أمانته، و قال: سر فى حفظ اللّه، فقد عصمها اللّه من ذلك الرجل الظالم. فخجل الرجل، و انصرف متعجّبا. و أخباره فى السّراوة و نجح الوسيلة كثيرة.

وفاته: توفى فى عام ثمانية و تسعين و ستمائة، و شهد أميره دفنه، و كان قد أسفّ ولى العهد بأمور صانعه فيها من باب خدمة والده، فكان يتلمّظ لنكبته، و نصب لثاته لأكله، فعاجله الحمام قبل إيقاع نقمته به. و لمّا تصيّر إليه الأمر، نبش قبره، و أخرج شلوه، فأحرق بالنار، إغراقا فى شهوة التّشفى، رحمه اللّه عليه.

و من العمال الأثراء

مؤمّل، مولى باديس بن حبّوس

حاله و محنته: قال ابن الصّيرفى: و قد ذكر عبد اللّه بن بلقّين، حفيد باديس، و استشارته عن أمره، لمّا بلغه حركة يوسف بن تاشفين

إلى خلعه. و كان فى الجملة من أحبابه، رجل من عبيد جدّه اسمه مؤمّل، و له سنّ، و عنده دهاء و فطنة، و رأى و نظر. و قال فى موضع آخر: و لم يكن فى وزراء مملكته و أحبار دولته، أصيل الرأى، جزل الكلمة، إلّا ابن أبى خيثمة من كتبته، و مؤمّل من عبيد جدّه، و جعفر من فتيانه. رجع، قال: فألطف له مؤمّل فى القول، و أعلمه برفق، و حسن أدب، أن ذلك غير صواب، و أشار إليه بالخروج إلى أمير المسلمين إذا قرب، و التّطارح عليه، فإنه لا تمكنه مدافعته، و لا تطاق حربه، و الاستجداء له أحمد عاقبة و أيمن مغبّة. و تابعه على ذلك نظراؤه من أهل السّن و الحنكة، و دافع فى صدّ رأيه الغلمة و الأغمار، فاستشاظ غيظا على مؤمّل و من نحا نحوه، و همّ بهم، فخرجوا،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۵۳

و قد سلّ بهم فرقا منه. فلمّا جنّهم الليل فرّوا إلى لوشة، و بها من أبناء عبيد باديس قائدها، فملكوها و ثاروا فيها، بدعوة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين. و بادر مؤمّل بالخطاب إلى أمير المسلمين المذكور و قد كان سفر إليه عن سلطانه، فأعجبه عقلا و نبلا، فاهتزّ إليه، و كان أقوى الأسباب على حركته. و بادر حفيد باديس الأمر، فأشخص الجيش لنظر صهره، فتغلّب عليهم، و سيق مؤمّل و من كان معه شرّ سوق فى الحديد، و أركبوا على دواب هجن، و كشفت رؤوسهم، و أردف وراء كلّ رجل من يصفعه. و تقدّم الأمر فى نصب الجذوع و إحضار الرّماة. و تلطّف جعفر فى أمرهم، و قال للأمير عبد اللّه: إن قتلتهم الآن، أطفأت غضبك، و أذهبت ملكك، فاستخرج المال، و أنت من وراء الانتقام، فثقّفهم، و أطمعوا فى أنفسهم ريثما شغله الأمر، و أنفذ إليه يوسف بن تاشفين فى حلّ اعتقالهم، فلم تسعه مخالفته و أطلقهم.

و لمّا ملك غرناطة على تفيئة تلك الحال، قدّم مؤمّلا على مستخلصه و جعل بيده مفاتيح قصره، فنال ما شاء من مال و حظوة، و اقتنى ما أراد من صامت و ذخيرة.

و نسبت إليه بغرناطة آثار، منها السّقاية بباب الفخّارين، و الحوز المعروف بحوز مؤمّل ، أدركتها و هى بحالها.

وفاته: قال ابن الصّيرفى: و فى ربيع الأول من هذا العام، و هو عام اثنين و تسعين و أربعمائة، توفى بغرناطة مؤمّل مولى باديس بن حبّوس، عبد أمير المسلمين، و جابى مستخلصه، و كان له دهاء و صبر، و لم يكن بقارئ و لا كاتب. رزقه اللّه عند أمير المسلمين، أيام حياته، منزلة لطيفة و درجة رفيعة. و لمّا أشرف على المنيّة، أحضر ما كان عنده من مال المستخلص، و أشهد الحاضرين على دفعه إلى من استوثقه على حمله، ثم أبرأ جميع عماله و كتّابه. و أنفذ رجلا من صنائعه إلى أمير المسلمين بجملة من مال نفسه، يريه أن ذلك جميع ما اكتسبه فى دولته، أيام خدمته، و أن بيت المال أولى به، و رغب فى ستر أهله و ولده، فلمّا وصل إليه، أظهر الأسف عليه، و أمضى تقديم صنيعته. ثم ذكر ما كشف البحث عنه من محتجنه، و شقاء من خلفه بسببه، و عدّد مالا و ذخيرة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۵۴

حرف النون الملوك و الأمراء

نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد ابن محمد بن خميس بن عقيل الخزرجى الأنصارى

أمير المسلمين بالأندلس، بعد أبيه و جدّه و أخيه، يكنى أبا الجيوش، و قد تقدم من أوليّة هؤلاء الملوك ما يغنى عن الإعادة.

حاله: من كتاب «طرفة العصر فى أخبار الملوك من بنى نصر» من تصنيفنا، قال: كان فتى يملأ العيون حسنا و تمام صورة، دمث الأخلاق، ليّن العريكة، عفيفا، مجبولا على طلب الهدنة و حبّ الخير، مغمد السّيف، قليل الشّر، نافرا للبطر و إراقة الدماء، محبّا فى العلم و أهله، آخذا من صناعة التّعديل بحظّ رغيب، يخطّ التقاويم الصّحيحة، و يصنع الآلات الطّريفة بيده، اختصّ فى ذلك الشيخ الإمام أبا عبد اللّه بن الرّقّام، و حيد عصره، فجاء واحد دهره ظرفا و إحكاما. و كان حسن العهد، كثير الوفاء. حمله الوفاء على اللّجاج فى أمر وزيره المطلوب بعزله، على الاستهداف للخلع.

تقدّم يوم خلع أخيه، و هو يوم عيد الفطر من عام ثمانية و سبعمائة، و سنّه ثلاث و عشرون سنة، فكان من تمام الخلق، و جمال الصّورة، و التّيأنق فى ملوكى اللّباس، آية من آيات اللّه خالقه. و اقتدى برسوم أبيه و أخيه، و أجرى الألقاب و العوائد لأول دولته. و كانت أيامه، كما شاء اللّه، أيام نحس مستمرّ، شملت المسلمين فيها الأزمة، و أحاط بهم الذّعر، و كلب العدوّ. و سيمرّ من ذلك ما فيه كفاية . و كان فتى أىّ فتى، لو ساعده الجدّ، و الأمر للّه من قبل و من بعد.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۵۵

وزراء دولته: وزر له مقيم أمره و محكم التّدبير على أخيه، أبو بكر عتيق بن محمد بن المول. و بيت بنى مول بقرطبة بيت له ذكر و أصالة. و لما تغلّب عليها ابن هود اختفى بها أبوه أياما عدة . و لما تملّكها السلطان الغالب بالله تلك البرهة، خرج إليه و صحبه إلى غرناطة، فاتّصلت قرباه بعقده على بنت للرئيس أبى جعفر المعروف بالعجلب ابن عمّ السلطان. و اشتدّ عضده، ثم تأكّدت القربى بعقد مول أخى هذا الوزير على بنت الرئيس أبى الوليد أخت الرئيس أبى سعيد، منجب هؤلاء الملوك الكرام، فقام بأمره، و اضطلع بأعباء سلطانه، إلى أن كان من تغلّب أهل الدولة عليه، و إخافة سلطانه منه، ما أوجب صرفه إلى المغرب فى غرض الرسالة، و أشير عليه فى طريقه بإقامته بالمغرب، فكان صرفا حسنا. و تولّى الوزارة محمد بن على بن عبد اللّه بن الحاج، المسيّر لخلعه، و اجتثاث أصله و فرعه، و كان خبّا داهية، أعلم الناس بأخبار الرّوم و سيرهم و آثارهم. فحدثت بين السلطان و بين أهل حضرته الوحشة بسببه.

قضاته: أقرّ على خطة القضاء بحضرته قاضى أخيه الشيخ الفقيه أبا جعفر القرشى المنبز بابن فركون، و قد تقدم التعريف به مستوفى بحول اللّه .

كتّابه: شيخنا الصدر الوجيه، نسيج وحده أبو الحسن على بن محمد بن سليمان بن الجيّاب إلى آخر مدته.

من كان على عهده من الملوك: بالمغرب ، السلطان أبو الربيع سليمان بن عبد اللّه بن أبى يعقوب يوسف بن أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق. تصيّر الأمر إليه بعد وفاة أخيه السلطان أبى ثابت عامر بأحواز طنجة، فى صفر عام ثمانية و سبعمائة.

و كان مشكورا، مبخت الولاية. و فى دولته عادت سبتة إلى الإيالة المرينيّة. ثم توفى بتازى فى مستهل رجب من عام عشرة و سبعمائة. و تولّى الملك بعده عمّ

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۵۶

أبيه السلطان الجليل الكبير، خدن العافية، و ولىّ السلامة، و ممهّد الدولة أبو سعيد عثمان بن أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق. و استمرّت ولايته إلى تمام أيام هذا الأمير، و كثيرا من أيام من بعده. و قد تقدّم من ذكر السلطان أبى يوسف فى اسم من تقدم من الملوك ما فيه كفاية.

و بتلمسان، الأمير أبو حمّو موسى بن عثمان بن يغمراسن، [سلطان بنى عبد الواد، مذلّل الصّقع] ، و المثل السّائر فى الحزم و التيقّظ، و صلابة الوجه، زعموا، و إحكام القحة، و الإغراب فى خبث السّيرة. و استمرّت ولايته إلى عام ثمانية عشر و سبعمائة، إلى أن سطا به ولده عبد الرحمن أبو تاشفين.

و بتونس، الأمير الخليفة أبو عبد اللّه محمد بن الواثق يحيى بن المستنصر محمد بن الأمير أبى زكريا بن أبى حفص . ثم توفى فى ربيع الآخر عام تسعة و سبعمائة. فولى الأمر قريبه الأمير أبو بكر عبد الرحمن بن الأمير أبى يحيى زكريا ابن الأمير [أبى إسحاق بن الأمير] أبى زكريا بن عبد الواحد بن أبى حفص. و نهض إليه من بجاية قريبة السلطان أبو البقاء خالد ابن الأمير أبى زكريا ابن الأمير أبى إسحاق ابن الأمير أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص، فالتقيا بأرض تونس، فهزم أبو بكر ، و نجا بنفسه، فدخل بستانا لبعض أهل الخدمة، مختفيا فيه، فسعى به إلى أبى البقاء، فجىء به إليه، فأمر بعض القرابة بقتله صبرا، نفعه اللّه . و تمّ الأمر لأبى البقاء فى رابع جمادى الأولى منه، إلى أن وفد الشيخ المعظم أبو يحيى زكريا الشهير

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۵۷

باللّحيانى، قافلا من بلاد المشرق، و هو كبير آل أبى حفص نسبا و قدرا، فأقام بإطرابلس، و أنفذ إلى تونس خاصّته الشيخ الفقيه أبا عبد اللّه المردورى محاربا لأبى البقاء، و طالبا للأمر. فتمّ الأمر ، و خلع أبو البقاء تاسع جمادى الأولى عام أحد عشر و سبعمائة. و تمّ الأمير للشيخ أبى يحيى. و اعتقل أبو البقاء، فلم يزل معتقلا إلى أن توفى فى شوال عام ثلاثة عشر و سبعمائة، و دفن بالجبّانة المعروفة لهم بالزلّاج، فضريحه فيما تعرّفنا بإزاء ضريح قتيله المظلوم أبى بكر، لا فاصل بينهما. و عند اللّه تجتمع الخصوم.

و اتّصلت أيام الأمير أبى يحيى، إلى أن انقرضت مدة الأمير أبى الجيوش. و قد تضمّن الإلماع بذلك الرّجز المسمّى ب «قطع السّلوك» من نظمى. فمن ذلك فيما يختصّ بملوك المغرب قولى فى ذكر السلطان أبى يعقوب: [الرجز]

ثم تقضّى معظم الزمانمواصلا حصر بنى زيّان

حتى أتى أهل تلمسان الفرجو نشقوا من جانب اللّطف الأرج

لما ترقّى درج السّعد درجفانفضّ ضيق الحصر عنها و انفرج

و ابن ابنه و هو المسمّى عامراأصبح بعد ناهيا و آمرا

و كان ليثا دامى المخالبتغلّب الأمر بجدّ غالب

أباح بالسّيف نفوسا عدّهفلم تطل فى الملك منه المدّة

و مات حتف أنفه و اخترماثم سليمان عليها قدّما

أبو الربيع دهره ربيعيثنى على سيرته الجميع

حتى إذا الملك سليمان قضىتصيّر الملك لعثمان الرّضا

فلاح نور السّعد فيها و أضاو نسى العهد الذى كان مضى

و فيما يختصّ ببنى زيّان، بعد ذكر أبى زيّان: [الرجز]

حتى إذا استوفى زمان سعدهقام أبو حمّو بها من بعده

و هو الذى سطا عليه ولدهحتى انتهى على يديه أمده

و فيما يختصّ بآل أبى حفص بعد ذكر جملة منهم: [الرجز]

ثم الشهيد و الأمير خالدهيهات ما فى الدهر حيّ خالد

و زكريّاء بها بعد ثوىثم نوى الرّحلة عنها و النوى

و حلّ بالشرق و بالشرق ثوىو ربما فاز امرؤ بما نوى

و من ملوك النصارى بقشتاله: هرانده بن شانجه بن ألهنشه بن هرانده بن شانجه. و نازل على عهده الجزيرة الخضراء، ثم أقلع عنها عن ضريبة و شروط، ثم نازل فى أخريات أمره حصن القبذاق، و أدركه ألم الموت بظاهره، فاحتمل من المحلّة إلى جيّان، و بقيت المحلّة منيخة على الحصن، إلى أن تملّك بعد موت الطّاغية بأيام ثلاثة، كتموا فيها موته. و لسبب هلاكه حكاية ظريفة، تضمنتها «طرفة العصر، فى تاريخ دولة بنى نصر». و قام بعده بأمر النصرانية ولده ألهنشه، و استمرّت أيامه إلى عام خمسين و سبعمائة.

بعض الأحداث فى أيامه: نازل على أول أمره طاغية قشتالة الجزيرة الخضراء فى الحادى و العشرين من عام تسعة و سبعمائة، و أقام عليها إلى أخريات شعبان من العام المذكور، و أقلع عنها بعد ظهوره على الجبل و فوز قداحه به. و نازل

صاحب برجلونة مدينة ألمريّة غرّة ربيع الأول من هذا العام، و أخذ بمخنّقها، و تفرّقت الظبا على الخراش ، و وقعت على جيش المسلمين الناهد إليه وقيعة كبيرة، و استمرّت المطاولة إلى أخريات شعبان، و نفّس اللّه الحصر، و فرّج الكرب. و ما كاد أهل الأندلس

يستنشقون ريح العافية، حتى نشأ نجم الفتنة ، و نشأت ريح الخلاف، و استفسد وزير الدولة ضمائر أهلها، و استهدف إلى رعيتها بإيثار النصارى و الصاغية إلى العدوّ، و أظهر الرّئيس ابن عم الأب صاحب مالقة أبو سعيد فرج بن إسماعيل، صنو الغالب بالله ابن نصر، الامتساك بما كان بيده، و الدعاء لنفسه، و قدّم ولده الدّائل إلى طلب الملك. و ثار أهل غرناطة، يوم الخامس و العشرين لرمضان من العام، و أعلن منهم من أعلن بالخلاف ثم خانهم التدبير، و خبطوا العشواء ، و نزل الحشم، فلاذ الناس منهم بديارهم، و برز السلطان إلى باب القلعة، متقدّما بالعفّة عن الناس، و فرّ الحاسرون عن القناع، فلحقوا بالسلطان أبى الوليد بمالقة، فاستنهضوه إلى الحركة، و قصد الحضرة، فأجابهم و تحرّك، فأطاعته الحصون بطريقه، و احتلّ خارج غرناطة صبيحة يوم الخميس السابع و العشرين لشوال منه ، فابتدره الناس من صائح و مشير بثوبه، و متطارح بنفسه، فدخل البلد من ناحية ربض البيّازين، و استقرّ بالقصبة ، كما تقدم فى اسمه. و فى ظهر يوم السبت التاسع و العشرين من الشهر، نزل الحمراء دار الملك، و انفصل السلطان المترجم به، موفّى له شرط عقده من انتقاله إلى وادى آش، مستبدّا بها، و تعيين مال مخصوص، و غير ذلك. و رحل ليلة الثلاثاء الثالث لذى قعدة من العام. و استمرّت الحال، بين حرب و مهادنة ، و جرت بسبب ذلك أمور صعبة إلى حين وفاته.

رحمه اللّه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۶۰

مولده: ولد فى رمضان عام ستة و ثمانين و ستمائة. و كانت سنّه ستا و ثلاثين سنة و ثلاثة أشهر، و دولته الجامعة خمس سنين و شهرا واحدا، و مقامه بوادى آش تسعة أعوام و ثلاثة أيام.

وفاته: توفى، رحمه اللّه، ليلة الأربعاء سادس ذى قعدة من عام اثنين و عشرين و سبعمائة بوادى آش، و دفن بجامع القصبة منها، ثم نقل فى أوائل ذى الحجة منه إلى الحضرة، فكان وصوله يوم الخميس السادس منه، و برز إليه السلطان، و الجمع الكثير من الناس، و وضع سريره بالمصلّى العيدى، و صلّى عليه إثر صلاة العصر، و دفن بمقبرة سلفه بالسّبيكة، و كان يوما من الأيام المشهودة، و على قبره مكتوب فى الرّخام:

«هذا قبر السلطان المرفّع المقدار، الكريم البيت العظيم النّجار، سلالة الملوك الأعلام الأخيار، الصّريح النّسب فى صميم الأنصار ، الملك الأوحد الذى له السّلف العالى المنار، فى الملك المنيع الذّمار، رابع ملوك بنى نصر أنصار دين المصطفى المختار، المجاهدين فى سبيل الملك الغفار، الباذلين فى رضاه كرائم الأموال و نفائس الأعمار، المعظّم المقدّس المرحوم أبى الجيوش نصر ابن السلطان الأعلى، الهمام الأسمى، المجاهد الأحمى، الملك العادل، الطّاهر الشّمائل، ناصر دين الإسلام، و مبيد عبدة الأصنام، المؤيد المنصور، المقدّس، المرحوم أمير المسلمين أبى عبد اللّه ابن السلطان الجليل ، الملك الشهير، مؤسّس قواعد الملك على التّقوى و الرّضوان، و حافظ كلمة الإسلام و ناصر دين الإيمان، الغالب بالله، المنصور بفضل اللّه، المقدّس المرحوم، أمير المسلمين أبى عبد اللّه بن نصر، تغمّده اللّه برحمته و غفرانه، و بوّأه منازل إحسانه، و كتبه فى أهل رضوانه، و كان مولده فى يوم الاثنين الرابع و العشرين لشهر رمضان المعظم عام ستة و ثمانين و ستمائة. و بويع يوم الجمعة غرّة شوال عام ثمانية و سبعمائة، و توفى، رحمه اللّه ، ليلة يوم الأربعاء

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۶۱

السادس لشهر ذى قعدة عام اثنين و عشرين و سبعمائة، فسبحان الملك الحقّ المبين، وارث الأرض و من عليها، و هو خير الوارثين. و فى جهة : [الكامل]

يا قبر، جاد ثراك صوب غمامٍيهمى عليك برحمة و سلام

بوركت لحدا فيه أىّ وديعةٍملك كريم من نجار كرام

ما شئت من حلم و من خلق رضىٍو زكاء أعراق و مجد سام

فاسعد بنصر رابع الأملاك من أبناء نصر ناصرى الإسلام

من خزرج الفخر الذين مقامهمفى نصر خير الخلق خير مقام

يا أيها المولى المؤسّس بيتهفى معدن الأحساب و الأحلام

ما للمنيّة و الشباب مساعدقد أقصدتك بصائبات سهام

عجلت على ذاك الجمال فغادرتربع المحاسن طامس الأعلام

فمحى الرّدى من حسن وجهك آيةنحو النهار لسدفة الإظلام

ما كنت إلّا بدر تمّ باهراأخنى الخسوف عليك عند تمام

فعلى ضريح أبى الجيوش تحيّةكالمسك عرفا عند فضّ ختام

و تغمّدته رحمة اللّه التىترضيه من عدن بدار مقام

و من الأعيان و الوزراء

نصر بن إبراهيم بن أبى الفتح الفهرى

يكنى أبا الفتح، أصلهم من حصن أريول من عمل مرسية، و لهم فى الدولة النّصرية مزية خصّوا لها بأعظم رتب القيادة، و استعمل بعضهم فى ولاية السلطان.

حاله: نقلت من خط شيخنا أبى بكر بن شبرين، قال: و فى السادس عشر لذى قعدة منه، يعنى عام عشرة و سبعمائة، توفى بغرناطة القائد المبارك أبو الفتح، أحد الولاة و الأعيان الذاكرين للّه تعالى، أولى النزاهة و الوفاء.

نصر بن إبراهيم بن أبى الفتح بن نصر بن إبراهيم ابن نصر الفهرى

يكنى أبا الفتح، حفيد المذكور معه فى هذا الباب.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٦٢

حاله: من كتاب «طرفة العصر»: نسيج وحده فى الخير و العفاف، و لين العريكة، و دماثة الأخلاق، إلى بعد الهمّة، و جمال الأبّهة، و ضخامة التّجنّد، و استجادة المركب و العدّة، و ارتباط العبادة. استعان على ذلك بالنّعمة العريضة بين منادية إليه بميراث، و مكتسب من جرّاء المتغلّب على الدولة صهره ابن المحروق معياشة لبنته. و نمت حال هذا الشهم النّجد، و شمخت رتبته حتى خطب للوزارة فى أخريات أيامه، و عاق عن تمام المراد به إلحاح السّقم على بدنه و ملازمة الضّنا لجثمانه، فمضى لسبيله، عزيز الفقد عند الخاصّة، ذائع الثّناء، نقى العرض، صدرا فى الولاة، و علما فى القوّاد الحماة.

وفاته: توفى بغرناطة ليلة الجمعة الثامن و العشرين لجمادى الآخرة عام خمسة و أربعين و سبعمائة. و كانت جنازته آخذة نهاية الاحتفال، ركب إليها السلطان، و وقف بإزاء لحده، إلى أن و ورى، تنويها بقدره، و إشادة ببقاء الحرمة على خلفه. و حمل سريره الجملة من فرسانه و أبناء نعمته.

و من الكتّاب و الشعراء

نزهون بنت القليعى

قال ابن الأبّار : و هو فيما أحسب أبو بكر محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغسّانى، غرناطية .

حالها: كانت أديبة شاعرة، سريعة الجواب، صاحبة فكاهة و دعابة. و قد جرى شيء من ذلك فى اسم أبى بكر بن قزمان ، و المخزومى الأعمى ، و أبى بكر بن سعيد .

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۶۳

شعرها: دخل الأديب أبو بكر الكتندى الشاعر، و هى تقرأ على المخزومى الأعمى، فلمّا نظر إليها، قال: أجز يا أستاذ: [الكامل]

لو كنت تبصر من تكلّمه .....

فأفحم المخزومى زامعا، فقالت: [الكامل]

....لغدوت أخرس من خلاخله

ثم زادت:

البدر يطلع من أزرّتهو الغصن يمرح فى غلائله

و لا خفاء ببراعة هذه الإجازة و رفاعة هذا الأدب.

و كتب إليها أبو بكر بن سعيد، و قد بلغه أنها تخالط غيره من الأدباء الأعيان :

[المجتث]

يا من له ألف خلّ من عاشق و عشيق

أراك خلّيت للنّاس سدّ ذاك الطريق

فأجابته بقولها: [الطويل]

حللت أبا بكر محلّا منعتهسواك، و هل غير الرفيع له صدرى؟

و إن كان لى كم من حبيب فإنمايقدّم أهل الحقّ فضل أبى بكر

و هذه غاية فى الحسن بعيدة. و محاسنها شهيرة، و كانت من غرر المفاخر الغرناطية.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۶۴

حرف الصاد

من الأعيان و الوزراء

الصّميل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شمر بن ذى الجوشن الضّبابى الكلبى

و هو من أشراف عرب الكوفة.

أوليته: قال صاحب الكتاب «الخزائنى»: جدّه أحد قتلة الحسين بن على و الذى قدم برأسه على يزيد بن معاوية، فلمّا قام المختار ثائرا بالحسين فرّ عنه شمر و لحق بالشام فأقام بها فى عزّ و منعة. و لمّا خرج كلثوم بن عياض غازيا إلى المغرب، كان الصّميل ممن ضرب عليه البعث فى أشراف أهل الشام. و دخل الأندلس فى طالعة بلج بن بشر القشيرى، فشرف ببدنه إلى شرف تقدّم له، و ردّ ابن حيّان هذا. و قال فى كتاب «بهجة الأنفس، و روضة الأنس»: كان الصّميل بن حاتم هذا جدّه شمر قاتل الحسين، رضى اللّه عنه، من أهل الكوفة، فلمّا قتله، تمكّن منه المختار فقتله، و هدم داره، فارتحل ولده من الكوفة، فرأس بالأندلس، وفاق أقرانه بالنجدة و السّخاء.

حاله: قال : كان شجاعا، نجدا، جوادا، كريما، إلّا أنه كان رجلا أمّيّا لا يقرأ و لا يكتب، و كان له فى قلب الدول و تدبير الحروب، أخبار مشهورة.

من أخباره: حكى ابن القوطيّة، قال : مرّ الصّميل بمعلّم يتلو: وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ ، فوقف يسمع، و نادى بالمعلّم: يا هناه،

كذا نزلت

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۶۵

هذه الآية؟ فقال: نعم، فقال: أرى و اللّه أن سيشركنا فى هذا الأمر العبيد و الأراذل و السّفلة.

خبره فى الجود: قال: كان أبو الأجرب الشاعر وقفا على أمداح الصّميل، و هو القائل: [الوافر]

بنى لك حاتم بيتا رفيعاأيناه على عمد طوال

و قد كان ابتنى شمر و عمروبيوتا غير ضاحية الظّلال

فأنت ابن الأكارم من معدّتعلج للأباطح و الرّمال

و قارضه بإجزاله لعطائه و انتمائه فى ثوابه، بأن أغلظ القسم على نفسه بأن لا يراه إلّا أعطاه ما حضره، فكان أبو الأجرب قد اعتمد اجتنابه فى اللقاء حياء منه و إبقاء على ماله، فكان لا يزوره إلّا فى العيدين قاضيا لحقّه. و قد لقيه يوما مواجهة ببعض الطريق، و الصّميل راكب، و معه ابناه، فلم يحضره ما يعطيه، فأرجل أحد ابنيه، و أعطاه دابّته، فضرب فى صنعه، و فيه يقول من قصيدة:

[الكامل]

دون الصّميل شريعة موروداًلا يستطيع لها العدوّ و رودا

فتّ الورى و جمعت أشتات العلاو حويت مجدا لا ينال وجودا

فإذا هلكت فلا تحمّل فارس‌سيفا و لا حمل النساء و ليدا

و كان صاحب أمره ولّاه الأندلس قبل الأمويين؛ لهم الأسماء و له معنى الإمرة، و كان مظفّر الحروب، سديد الرأى، شهير الموقف، عظيم الصبر. و أوقع باليمانيّة وقائع كثيرة، منها وقيعة شقندة، و لم يكن بالأندلس مثلها، أثخن فيها القتل باليمانية.

أنفته: قال: و كان أبيّا للضّيم، محاميا عن العشيرة، كلّم أبا الخطّار الأمير فى رجل من قومه انتصر به، فأفجمه، و ردّ عليه، فأمر به، فتعتع و مالت عمامته، فلمّا خرج قال له بعض من على باب الأمير: يا أبا الجوشن، ما باب عمامتك مائلة؟

فقال: إن كان لى قوم فسيقيمونها، و خرج من ليلته، فأفسد ملكه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۶۶

وفاؤه: و خبر وفائه مشهور، فيما كان من جوابه لرسولى عبد الرحمن بن معاوية إليه، بما قطع به رجاء الهوادة فى أمر أميره يوسف بن عبد الرحمن الفهرى، و التّستّر مع ذلك عليهما، فلينظر فى كتاب «المقتبس».

دخوله غرناطة: و لما صار الأمر إلى عبد الرحمن بن معاوية، صقر بنى أمية، و قهر الأمير يوسف الفهرى و وزيره الصّميل، إذ عزله الناس، و رجع معه يوسف الفهرى و الصميل إلى قرطبة، و لم يلبثا أن نكثا، و لحقا فحص غرناطة، و نازلهما الأمير عبد الرحمن بن معاوية فى خبر طويل، و استنزلهما عن عهد، و عاد الجميع إلى قرطبة، و كان يوسف و الصميل يركبان إلى القصر كل جمعة إلى أن مضيا لسبيلهما. و كان عبد الرحمن بن معاوية يسترجع و يقول: ما رأيت مثله رجلا. لقد صحبنى من إلبيرة إلى قرطبة، فما مسّت ركبتى ركبته، و لا خرجت دابّته عن دابّتى.

و من الكتّاب و الشعراء

صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى ابن إدريس التّجيبى

من أهل مرسية، يكنى أبا بجر .

حاله: كان أديبا، حسيبا جليلا، أصيلا، ممتعا من الظّرف، ريّان من الأدب، حافظا، حسن الخطّ، سريع البديهة، ترف النّشأة، على تصاون

و عفاف، جميلا سريّا، سمحا ذكيا، مليح العشرة، طيّب النفس، ممّن تساوى حظّه فى النظم و النثر، على تباين الناس فى ذلك.

مشيخته: روى عن أبيه و خاله، ابن عمّ أبيه القاضى أبى القاسم بن إدريس، و أبى بكر بن مغاور، و أبى الحسن بن القاسم، و أبى رجال بن غلبون، و أبى عبد اللّه بن حميد، و أبى العباس بن مضاء، و أبى القاسم بن حبيش، و أبى محمد الحجرى، و ابن حوط اللّه، و أبى الوليد بن رشد، و أجاز له أبو القاسم بن بشكوال.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۶۷

من روى عنه: أبو إسحاق اليابرى، و أبو الربيع بن سالم، و أبو عبد اللّه بن أبى البقاء، و أبو عمرو بن سالم، و محمد بن محمد بن عيشون.

تواليفه: له تواليف أدبيّة منها، «زاد المسافر»، و كتاب «الرحلة»، و كتاب «العجالة» سفران يتضمنان من نظمه و نثره أدبا لا كفاء له. و انفرد من تأبين الحسين، رضى اللّه عنه، و بكاء أهل البيت، بما ظهرت عليه بركته فى حكايات كثيرة.

شعره: ثبّت من ذلك فى العجالة قوله : [الكامل]

جاد الزمان بأنّة الجرعاءتوقان من دمعى و غيث سماء

فالدّمع يقضى عندها حقّ الهوىو الغيم حقّ البانة الغيناء

خلت الصّدور من القلوب كما خلتتلك المقاصر من مها و ظباء

و لقد أقول لصاحبىّ و إنماذخر الصّديق لأمجد الأشياء

يا صاحبىّ، و لا أقلّ إذا أنانا ديت من أن تصغيا لندائى

عوجا بحار الغيم فى سقى الحماحتى ترى كيف انسكاب الماء

و نسنّ فى سقى المنازل سنّةنمضى بها حكما على الظّرفاء

يا منزلا نشطت إليه عبرتىحتى تبسّم زهره لبكائى

ما كنت قبل مزار ربعك عالماأنّ المدامع أصدق الأنواء

يا ليت شعرى و الزّمان تنقّلو الدّهر ناسخ شدّة برخاء

هل نلتقى فى روضة موشيّةخفّاقة الأغصان و الأفياء؟

و ننال فيها من تألّفنا و لوما فيه سخمة أعين الرّقباء؟

فى حيث أتلعت الغصون سوالفاقد قلّدت بلآلئ الأنداء

و جرت ثغور الياسمين فقبّلتعنىّ عذار الآسة الميساء

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۶۸ و الورد فى شطّ الخليج كأنّهرمد ألمّ بمقلة زرقاء

و كأنّ غصن الزّهر فى خضر الرّبىزهر النجوم تلوح بالخضراء

و كأنما جاء النّسيم مبشّراللرّوض يخبره بطول بقاء

فكساه خلعة طيبه و رمى لهبدراهم الأزهار رمى سخاء

و كأنّما احتقر الصّنيع فبادرتبالعذر عنه نغمة الورقاء

و الغصن يرقص فى حلى أوراقه كالخود فى موشيّة خضراء

و افترّ ثغر الأقحوان بما رأىطربا و قهقه منه جرى الماء

أفديه من أنس تصرّم فانقضىفكأنّه قد كان فى الإغفاء

لم يبق منه غير ذكر أو منىو كلاهما سبب لطول عناء

أو رقعة من صاحب هى تحفةإنّ الرّقاع لتحفة النّبهاء

كبطاقة الوسميّ إذ حيّا بهاإنّ الكتاب تحيّة الظّرفاء

و هى طويلة . و قال مراجعا عن كتاب أيضا: [الوافر]

ألا سمح الزمان به كتاباذرى بوروده أنسى قبابا

فلا أدرى أكانا تحت وعددعا بهما لبرئى فاستجابا؟

و قد ظفرت يدى بالغنم منهفليت الدهر سنّى لى إيابا

فلو لم أستفد شيئا سواهقنعت بمثله علقا لبابا

إذا أحرزت هذا فى اغترابىفدعنى أقطع العمر اغترابا

رجمت بأنسه شيطان همّىفهل وجّهت طرسا أم شهابا؟

رشفت به رضاب الودّ عذبايذكّرنى شمائلك العذابا

و كدت أجرّ أذيالى نشاطاو لكن خلت قولهم تصابا

فضضت ختامه عنّى كأنىفتحت بفضّه للروض بابا

فكدت أبثّه فى جفن عينىلكى أستودع الزّهر السّحابا

و كنت أصونه فى القلب لكنخشيت عليه أن يفنى التهابا

و لو أنّ الليالى سامحتنىلكنت على كتابكم الجوابا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۶۹ فأبلى عندكم بالشّكر عذراو أجزل من ثنائكم الثّوابا

و لكنّ الليالى قيّدتنىو قيّد عدّتى إلّا الخطابا

فما تلقانى الأحباب إلّاسلاما أو مناما أو كتابا

لأمر ما يقصّ الدهر ريشىلأنّ السّهم مهما ريش صابا

و عاذلة تقول و لست أصغىو لو أصغيت لم أرفع جوابا

تخوّفنى الدّواهى و هى عندىأقل من أن أضيق بها جنابا

إذا طرقت أعدّ لها قراهاو قارا و احتسابا و اصطبارا

و ما مثلى يخوّف بالدواهىعرين اللّيث لا يخشى الذّبابا

تعاتبنى فلا يرتدّ طرفىو هل تسترقص الرّيح الهضابا؟

و لو أنّ العتاب يفيد شيئاملأت مسامع الدّنيا عتابا

و قد وصّيتها بالصّمت عنّىفما صمتت و لا قالت صوابا

تعنّفنى على تركى بلاداعهدت بها القرارة و الشّبابا

تقول: و هل يضرّ السّيف إلّاإذا ما فارق السيف القرابا

فقلت: و هل يضرّ السيف فلّإذا قطّ الجماجم و الرّقابا؟

بخوض الهول تكتسب المعالىيحلّ السّهل من ركب الصّعابا

فليث الغاب يفترس الأناسىو ليث البيت يفترس الذّبابا

و لو كان انقضاض الطّير سهلالكانت كلّ طائرة عقابا

دعينى و النهار أسير فيهأسير عزائم تفرى الصّلابا

أغازل من غزالته فتاةتبيّض فودها هرما و شابا

إذا شاءت مواصلتى تجلّتو إن ملّت توارت لى احتجابا

و أسرى اللّيل لا ألوى عناناو لو نيل الأمانى ما أصابا

أطارح من كواكبه كماماو أزجر من دجنّته غرابا

و أركب أشهبا غبرا كباعىو خضرا مثل خاطرى انسيابا

و آخذ من بنات الدّهر حقّىجهاز البيت استلب استلابا

و لست أذيل بالمدح القوافىو لا أرضى بخطّتها اكتسابا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۷۰ أ أمدح من به أهجو مديحىإذا طيّبت بالمسك الكلاما

سأخزنها عن الأسماع حتىأردّ الصّمت بينهما حجابا

فلست بمادح ما عشت إلّاسيوفا أو جيادا أو صحابا

أبا موسى، و إنّى ذو ودادأناجى لو سمعت إذا أجابا

و لكن دون ذلك مهمه لوطوته الريح لم ترج الإيابا

أخى، برّ المودّة كلّ برّإذا برّ الأشقّا الانتسابا

بعثت إليك من نظمى بدرّشققت عليه من فكرى عبابا

عدانى الدهر أن يلقاك شخصىفأغنى الشّعر عن شخصى و نابا

و قال فى الغرض الـذى نظم فيه الرّصافى من وصف بلده، و ذكر إخوانه و معاهده، مساجلا فى العروض و الرّوى، عقب رسالة سـماها «رسالة طراد الجياد فى الميدان، و تنازع اللّدان و الإخوان، فى تنفيق مرسية على غيرها من البلدان» :

[الطويل]

لعلّ رسول البرق يغتنم الأجرافينثر عنّى ماء عبرته نثرا!

معاملة أربو بها غير مذنبفأقضيه دمع العين من نقطة بحرا

ليسقى من تدمير قطرا محبّبايقرّ بعين القطر أن تشرب القطرا

و يقرضه ذوب اللّجين و إنماتوفّيه عينى من مدامعها تبرا

و ما ذاك تقصيرا بها غير أنهسجيّة ماء البحر أن يذوى الزّهرا

خليلىّ، قوما فاحبسا طرق الصّبامخافة أن تحمى بزفرتى الحرّى

فإنّ الصّبا ريح علىّ كريمةبآية ما تسرى من الجنّة الصّغرى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۷۱ خليلىّ، أعنى أرض مرسية المنىو لو لا توخّى الصّدق سمّيتها الكبرى

محلّى بل جوّى الذى عبقت بهنواسم آدابى معطّرة نشرا

و وكرى الذى منه درجت فليتنىفجعت بريش العزم كى ألزم الوكرا

و ما روضة الخضراء قد مثلت بهامجرّتها نهرا و أنجمها زهرا

بأبهج منها و الخليج مجرّةو قد فضحت أزهار ساحتها الزّهرا

و قد أسكرت أزهار أغصانها الصّباو ما كنت أعتدّ الصّبا قبلها خمرا

هنالك بين الغصن و القطر و الصّباو زهر الرّبى ولّدت آدابى الغرّا

إذا نظم الغصن الحيا قال خاطرىتعلّم نظام النّثر من ههنا شعرا

و إن نثرت ريح الصّبا زهر الرّبى‌تعلّمت حلّ الشّعر أسبكه نثرا

فوائد أسحار هناك اقتبستهاو لم أر روضا غيره يقرئ السّحرا

كأنّ هزيز الريح يمدح روضهافتملأ فاه من أزاهر ها درّا

أيا زنقات الحسن، هل فيك نظرةمن الجرف الأعلى إلى السّكّة الغرّا؟

فأنظر من هذى لتلك كأنماأغيّر إذ غازلتها أختها الأخرى

هى الكاعب الحسناء تمّم حسنهاو قدّت لها أوراقها حللا خضرا الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج٣ ؛ ص ٢٧١

إذا خطبت أعطت دراهم زهرهاو ما عادة الحسناء أن تنقد المهرا

و قامت بعرس الأنس قينة أيكة أغاريدها تسترقص الغصن النّضرا

فقل فى خليج يلبس الحوت درعهو لكنه لا يستطيع بها قصرا

إذا ما بدا فيها الهلال رأيته‌كصفحة سيف و سمها قبعة صفرا

و إن لاح فيها البدر شبّهت متنه‌بسطر لجين ضمّ من ذهب عشرا

و فى جرفى روض هناك تجافيالنهر يودّ الأفق لو زاره فجرا

كأنهما خلّا صفاء تعاتباو قد بكيا من رقّة ذلك النّهرا

و كم لى بالباب الجديد عشيّةمن الأنس ما فيه سوى أنّه مرّا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٧٢ عشايا كأنّ الدّهر غصّ بحسنهافأجلت سياط البرق أفراسها الشّقرا

عليهنّ أجرى خيل دمعى بوجنتىإذا ركبت حمرا ميادينها الصفرا

أعهدى بالغرس المنعّم دوحه‌سقتك دموعى إنها مزنة شكرى

فكم فيك من يوم أغرّ محجّل‌تقضّت أمانيه فخلّدتها ذكرا

على مذنّب كالنحر من فرط حسنه‌تودّ الثّريّا أن تكون له نحرا

سقت أدمعى و القطر أيهما انبرى‌نقا الرّملة البيضاء فالنّهر فالجسرا

و إخوان صدق لو قضيت حقوقهم‌لما فارقت عينى وجوههم الزّهرا

و لو كنت أقضى حقّ نفسى و لم أكن‌لما بتّ أستحلى فراقهم المرّا

و ما اخترت هذا البعد إلّا ضروةو هل تستجير العين أن تفقد الشّفرا ؟

قضى اللّه أن ينأى بى الدهر عنهم‌أراد بذاك اللّه أن أعتب الدهرا

و و اللّه لو نلت المنى ما حمدتهاو ما عادة المشغوف أن يحمد الهجرا

أ يأنس باللّذات قلبى و دونهم‌مرام يجدّ الرّكب فى طيّها شهرا؟

و يصحب هادى الليل راء و حرفةو صادا و نونا قد تقوّس و اصفرّا

فديتهم بانوا و ضنّوا بكتبهم‌فلا خبرا منهم لقيت و لا خبرا

و لو لا علا همّاتهم لعتبتهمو لكن عراب الخيل لا تحمل الزّجرا

ضربت غبار البيد فى مهرق السّرى‌بحيث جعلت الليل فى ضربه حبرا

و حقّقت ذاك الضّرب جمعا و عدّةو طرحا و تجميلا فأخرج لى صفرا

كأنّ زمانى حاسب متعسّف‌يطارحنى كسرا، أما يحسن الجبرا؟

فكم عارف بى و هو يحسب رتبتى‌فيمدحنى سرّا و يشتمنى جهرا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۷۳ لذلك ما أعطيت نفسى حقّهاو قلت لسرب الشّعر: لا ترم الفكرا

فما برحت فكرى عذارى قصائدىو من خلق العذراء أن تألف الخدرا

و لست و إن طاشت سهامى بآيسفإنّ مع العذر الذى يتّقى يسرا

و من مقطوعاته : [السريع]

يا قمرا مطلعه أضلعىله سواد القلب منها غسق

و ربّما استوقد نار الهوىفناب فيها لونها عن شفق

ملّكتنى فى دولة من صباو صدتنى فى شرك من حدق

عندى من حبّك ما لو سرتفى البحر منه شعلة لاحترق

و من مقطوعاته أيضا : [الكامل]

قد كان لى قلب فلمّا فارقواسوّى جناحا للغرام و طارا

و جرت سحاب بالدموع فأوقدتبين الجوانح لوعة و أوارا

و من العجائب أنّ فيض مدامعىماء و يثمر فى ضلوعى نارا

و شعره الرّمل و القطر كثرة، فلنختم له المقطوعات بقوله : [المنسرح]

قالوا و قد طال بى مدى خطئىو لم أزل فى تجرّمى ساهى

أ عددت شيئا ترجو النجاة به؟فقلت: أعددت رحمة اللّه

نثره: كتب يهنّئ قاضى الجماعة أبا القاسم بن بقىّ من رسالة : لأن قدره دام عمره، و امتثل نهيه الشرعى و أمره، أعلى رتبة و أكرم محلّا، من أن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۷۴

يتحلّى بخطّة هى به تتحلّى. كيف يهنأ بالقعود لسماع دعوة الباطل، و لمعاناة الإنصاف الممطول من الماطل، و التّعب فى المعادلة، بين ذوى المجادلة. أما لو علم المتشوّقون إلى خطّة الأحكام، المستشرفون إلى ما لها من التّبسّط و الاحتكام، ما يجب لها من اللّوازم، و الشروط الجوازم، كبسط الكنف، و رفع الجنف، و المساواة بين العدوّ و ذى الذّنب، و الصاحب بالجنب، و تقديم ابن السّبيل، على ذى الرّحم و القبيل، و إيثار الغريب، على القريب، و التوسّع فى الأخلاق، حتى لمن ليس له من خلاق، إلى غير ذلك ممّا علم قاضى الجماعة أحصاه، و استعمل لخلقه الفاضل أدناه و أقصاه، لجعلوا خمولهم مأمولهم، و أضربوا عن ظهورهم ، فنبذوه وراء ظهورهم ، اللهمّ إلّا من أوتى بسطة فى العلم، و رسا طودا فى ساحة الحلم، و تساوى ميزانه فى الحرب و السّلم، و كان كقاضى الجماعة ، فى المماثلة بين أجناس الناس، فقصاراه أن يتقلّد الأحكام للأجر، لا للتّعسف و الزّجر، و يتولّاها للثواب، لا للغلظة فى ردّ الجواب، و يأخذها لحسن الجزاء، لا لقبح الاستهزاء، و يلتزمها لجزيل الذّخر، لا للإزراء و السّخر. فإذا كان كذلك، و سلك المتولىّ هذا السّالك ، و كان كقاضى الجماعة و لا مثل له، و نفع الحقّ به علله، و نقع غلله، فيومئذ تهنأ به خطّة القضاء، و يعرف ما للّه عليه من اليد البيضاء.

و محاسنه فى النثر أيضا جمّة.

و من أخباره أنه رحل إلى مرّاكش متسبّبا فى جهاز بنت بلغت التّزويج، و قصد دار الإمارة مادحا، فما تيسّر له شىء من أمله، ففكّر فى خيبة قصده، و قال:

لو كنت تأمّلت جهة اللّه، و مدحت المصطفى صلى اللّه عليه و سلم، و آل بيته الطاهرين، لبلغت أملى بمحمود عملى. ثم استغفر اللّه فى توجّهه الأول، و علم أن ليس على غير

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٧٥

الثانى من معوّل، فلم يكن إلّا أن صوّب نحو هذا القصد سهمه، و أمضى فيه عزمه، و إذا به قد وجّه عنه، و أدخل على الخليفة، فسأله عن مقصده، فأخبره مفصحا به، فأنفذه و زاده عليه، و أخبره أنّ ذلك لرؤيا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فى النّوم يأمره بقضاء حاجته. فانفصل موفّى الأغراض، و استمرّ فى مدح أهل البيت حتى اشتهر فى ذلك .

وفاته: سنة ثمان و تسعين و خمسمائة، و سنّه دون الأربعين سنة، و صلّى عليه أبوه، فإنه كان بمكان من الدّين و الفضل، رحمة اللّه عليه، و تلقيت من جهات أنه دخل غرناطة، لما امتدح القائد أبا عبد اللّه بن صناديد بمدينة جيّان، حسبما يظهر من عجالته، من غير تحقيق لذلك.

صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبى القاسم ابن على بن شريف النّفزى

من أهل رندة، يكنى أبا الطّيّب.

حاله: قال ابن الزّبير: شاعر مجيد فى المدح و الغزل، و غير ذلك. و عنده مشاركة فى الحساب و الفرائض. نظم فى ذلك. و له تواليف أدبية، و قصائد زهدية، و جزء على حديث جبريل عليه السلام، و غير ذلك مما روى عنه. و كان فى الجملة معدودا فى أهل الخير، و ذوى الفضل و الدّين. تكرّر لقائى إياه، و قد أقام بمالقة أشهرا، أيام إقرائى. و كان لا يفارق مجالس إقرائى، و أنشدنى كثيرا من شعره. و قال ابن عبد الملك : كان خاتمة الأدباء بالأندلس، بارع التّصرّف فى منظوم الكلام و منثوره، فقيها حافظا، فرضيّا، متفنّنا فى معارف شتى ، نبيل المقاصد ، متواضعا، مقتصدا فى أحواله. و له مقامات بديعة فى أغراض شتّى، و كلامه، نظما و نثرا، مدوّن.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٧٦

مشيخته: روى عن آباء الحسن: أبيه، و الدبّاج، و ابن الفخّار الشّريشى، و ابن قطرال، و أبى الحسن بن زرقون، و أبى القاسم ابن الجدّ .

تواليفه: ألّف جزءا على حديث جبريل، و تصنيفا فى الفرائض و أعمالها، و آخر فى العروض، و آخر فى صنعة الشعر سماه «الوافى ، فى علم القوافى».

و له كتاب كبير سماه «روضة الأنس، و نزهة النّفس».

دخوله غرناطة: و كان كثير الوفادة على غرناطة، و التردّد إليها، يسترفد ملوكها، و ينشد أمراءها، و القصيدة التى أوّلها: «أواصلتى يوما و هاجرتى ألفا» ، أخبرنى شيخنا أبو عبد اللّه اللّوشى أنه نظمها باقتراح السلطان، رحمه اللّه، و قد أوعز إليه ألّا يخرج عن بعض بساتين الملك حتى يكملها فى معارضة محمد بن هانى الإلبيرى.

شعره: و هو كثير، سهل المأخذ، عذب اللفظ، رائق المعنى، غير مؤثر للجزالة. فمن ذلك قوله، رحمه اللّه، فى غرض المدح من السّلطانيات : [الوافر]

سرى و الحبّ أمر لا يرامو قد أغرى به الشّوق الغرام

و أغفى أهلها إلّا و شاؤإذا نام الحوادث لا تنام

و ما أخفاه بين القوم إلّاضنى و لربما نفع السّقام

فنال بها على قدر مناهو بين القبض و البسط القوام

و أشهى الوصل ما كان اختلاساو خير الحبّ ما فيه اختتام

و ما أحلى الوصال لو أنّ شيئامن الدّنيا للذّته دوام

بكيت من الفراق بغير أرضىو قد يبكى الغريب المستهام

أعاذلتى، و قد فارقت إلفىأمثلى فى صبابته يلام؟

أ أفقده فلا أبكى عليه؟يكون أرقّ من قلبى الحمام

أ أنساه فأحسبه كصبرىو هل ينسى لمحبوب ذمام؟

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٧٧ رويدا، إنّ بعض اللّوم لومو مثلى لا ينهنهه الملام

و يوم نوى وضعت الكفّ فيهعلى قلب يطير به الهيام

و لو لا أن سفحت به جفوناتفيض دما لأحرقها الضّرام

و ليل بتّه كالدّهر طولاتنكّر لى و عرّفه التّمام

كأنّ سماءه زهر تجلّىبزهر الزّهر و الشّرق الكمام

كأنّ البدر تحت الغيم وجههعليه من ملاحته لثام

كأنّ الكوكب الدّرّى كأسو قد رقّ الزّجاجة و المدام

كأنّ سطور أفلاك الدّرارىقسىّ و الرّجوم لها سهام

كأنّ مدار قطب بنات نعشندىّ و النجوم به ندام

كأنّ بناته الكبرى جوارجوار و السّهى فيها غلام

كأنّ بناته الصّغرى جمانعلى لبّاتها منها نظام

كواكب بتّ أرعاهنّ حتىكأنّى عاشق و هى الذّمام

إلى أن مزّقت كفّ الثّريّاجيوب الأفق و انجاب الظلام

فما خلت انصداع الفجر إلّاقرابا ينتضى منه حسام

و ما شبّهت وجه الشمس إلّالوجهك أيها الملك الهمام

و إن شبّهته بالبدر يومافللبدر الملاحة و التّمام

تهلّل منه حسن الدهر حتىكأنّك فى محيّاه ابتسام

و عرف ما تنكّر من معالكأنّك لاسمها ألف و لام

و ملء العين منك جلال مولىصنائعه كغرّته و سام

إذا ما قيل فى يده غمامفقد بخست و قد خدع الغمام

و حشو الدّرع أروع غالبىّيراع بذكره الجيش اللّهام

إذا ما سلّ سيف العزم يوماعلى أمر فسلّم يا سلام

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٧٨ تناهى مجده كرما و بأسافما يدرى أ محيا أم حمام

نمّته للمكارم و المعالىسراة من بنى نصر كرام

هم الأنصار هم نصروا و آوواو لو لا المسك ما طاب الختام

و هم قادوا الجيوش لكلّ فتحو لو لا الجدّ ما قطع الحسام

و هم منحوا الجزيرة من حماهمجوارا لا يذمّ و لا يضام

فمن حرب تشيب له النّواصىو سلم تحيّته سلام

بسعدك، يا محمد، عزّ دينله بعد الإله بك اعتصام

و باسمك تمّ للإسلام سلمو غبّ السّلم نصر مستدام

و كان مرامه صعبا و لكنبحمد اللّه قد سهل المرام

أدام اللّه أمرك من أميرففيه لكل مكرمة دوام

و أنت العروة الوثقى تماماو ما للعروة الوثقى انفصام

و روح أنت و الجسم المعالىو معنى أنت و اللّفظ الأنام

إذا ما ضاقت الدنيا بحرّ كفاه لثم كفّك و السلام

و من شعره أيضا: [الطويل]

أواصلتى يوما و هاجرتى ألفاوصالك ما أحلى و هجرك ما أجفا!

و من عجب للطّيف أن جاء و اهتدىفعاد عليلا عاد كالطّيف أم أخفى

فيا سائرا، لولا التخيّل ما سرىو يا شاهدا، لو لا التعلّل ما أغفى

ألمّ فأحيانى و ولّى فراعنىو لم أر أجفى منك طبعا و لا أشفى

بعينى شكواى للغرام و تيهه‌إلى أن تثنّى عطفه فانثنى عطفا

فعانقته شوقا و قبّلته هوىو لا قبلة تكفى و لا لوعة تطفا

و من نزعاته العجيبة قوله، و قد سبق إلى غرضه غيره: [البسيط]

يا طلعة الشمس إلّا أنه قمرأمّا هواك فلا يبقى و لا يذر

كيف التخلّص من عينيك لى و متىو فيهما القاتلان الغنج و الحور

و كيف يسلى فؤادى عن صبابتهو لو نهى النّاهيان الشّيب و الكبر

أنت المنى و المنايا فيك قد جمعتو عندك الحالتان النّفع و الضّرر

ولى من الشّوق ما لا دواء لهو منك لى الشّافيان القرب و النّظر

و فى وصالك ما أبقى به رمقى‌لو ساعد المسعدان الذّكر و القدر

و كان طيف خيال منك يقنعنى‌لو يذهب المانعان الدّمع و السّهر

يا نابيا، لم يكن إلّا ليملكنى‌من بعده المهلكان الغمّ و الغير

ما غبت إلّا و غاب الجنس أجمعهو استوحش المؤنسان السّمع و البصر

بما تكنّ ضلوعى فى هواك بمن‌يعنو له السّاجدان النّجم و الشجر

أدرك بقيّة نفس لست مدركهاإذا مضى الهاديان العين و الأثر

و دلّ حيرة مهجور بلا سبب‌يبكى له القاسيان الدّهر و الحجر

و إن أبيت فلى من ليس يسلمنى‌إذا نبا المذهبان الورد و الصّدر

مؤيّدا لملك بالآراء يحكمهافى ضمنها المبهجان اليمن و الظّفر

من كالأمير أبى عبد الإله إذا ماخانت القدمان البيض و السّمر

الواهب الخيل آلافا و فارسهاإذا استوى المهطعان الصّرّ و الصّبر

و المشبه اللّيث فى بأس و فى خطرو نعمت الحليتان البأس و الخفر

تأمّن الناس فى أيامه و مشواكما مشى الصّاحبان الشاة و النّمر

و زال ما كان من خوف و من حذرفما يرى الدّايلان الخوف و الحذر

رأيت منه الذى كنت أسمعهو حبّذا الطّيّبان الخبر و الخبر

ما شئت من شيم عليا و من شيم‌كأنها الرّائقان الظّلّ و الزّهر

و ما أردت من إحسان و من كرمينسى به الأجودان البحر و المطر

و غرّة يتلألأ من سماحتهاكأنها النّهران الشمس و القمر

إيه، فلو لا دواع من محبّتهلم يسهل الأصعبان البين و الخطر

نأيت عنه اضطرارا ثم عدت لهكما اقتضى المبرمان الحلّ و السّفر

فإن قضى اللّه أن يقضى به أملىفحسبى المحسبان الظّلّ و الثّمر

و لست أبعد إذ و الحال متّسع أن يبلغ الغائبان السّؤل و الوطر

و من شعره فى أغراض متعددة، قال فى الليل و السّهر: [مجزوء السريع]

أطال ليلى الكمدفالدهر عندى سرمد

و ما أظنّ أنهليلة الهجر غد

يا نائما عن لوعتىعوفيت ممّا أجد

ارقد هنيّا إنّنىلا أستطيع أرقد

لواعج ما تنطفىو أدمع تضطرد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٨٠ و كبدى كبد الهوىو أين منّى الكبد؟

و لا تسل عن جلدىو اللّه ما لى جلد

و من شعره أيضا فى المقطوعات: [السريع]

و ليلة قصّر من طولهابزورة من رشا نافر

استوفر الدهر بها غالطافأدغم الأوّل و الآخر

و قال من قصيدة مغربة فى الإحسان : [السريع]

و ليلة نبّهت أجفانهاو الفجر قد فجّر نهر النهار

و الليل كالمهزوم يوم الوغاو الشّهب مثل الشّهب عند الفرار

كأنما استخفى السّها خيفةو طولب النّجم بثأر فثار

لذاك ما شابت نواصى الدّجىو طارح النّسر أخاه فطار

و فى الثّريّا قمر سافرعن غرّة غيّر منها الشّفار

كأنّ عنقودا بها ماثل إذ صار كالعرجون عند السّرار

كأنها تسبك دينارهو كفّها تفتل منه سوار

كأنما الظّلماء مظلومةتحكّم الفجر عليها فجار

كأنما الصّبح لمشتاقهإقبال دنيا بعد ذلّ افتقار

كأنما الشمس و قد أشرقتوجه أبى عبد الإله استنار

و فى وصف البحر و الأنهار و ما فى معنى ذلك: [البسيط]

البحر أعظم مما أنت تحسبهمن لم ير البحر يوما ما رأى عجبا

طام له حبب طاف على زورقمثل السماء إذا ما ملئت شهبا

و قال فى وصف نهر: [الطويل]

و أزرق محفوف بزهر كأنّهنجوم بأكناف المجرّة تزهر

يسيل على مثل الجمان مسلسلاكما سلّ عن غمد حسام مجوهر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٨١ و قد صافح الأدواح من صفحاتهو حتى حباب بالنّسيم مكسّر

فما كان فى عطف الخليج قلامةو ما كان فى وجه الغدير فمغفر

و فى العقل و التّغرّب: [السريع]

ما أحسن العقل و آثارهلو لازم الإنسان إيثاره

يصون بالعقل الفتى نفسه كما يصوم الحرّ أسراره

لا سيما إن كان فى غربةيحتاج أن يعرف مقداره

و من وصفه الجيش و السلاح: [الكامل]

و كتيبة بالدّارعين كثيفةجرّت ديول الجحفل الجرّار

روض المنايا بينها القضب التىزفّت بها الرّايات كالأزهار

فيها الكماة بنو الكماة كأنهمأسد الشّرى بين القنا الخطّار

متهلّلين لدى اللّقاء كأنهمخلقت وجوههم من الأقمار

من كلّ ليث فوق برق خاطفبيمينه قدر من الأقدار

من كلّ ماض قد تقلّد مثلهفيصبّ آجالا على الأعمار

لبسوا القلوب على الدروع و أسرعوالأكفّهم نارا لأهل النار

و تقدّموا و لهم على أعدائهمحنق العدا و حميّة الأنصار

فارتاع ناقوس بخلع لسانهو بكى الصّليب لذلّة الكفّار

ثم انثنوا عنه و عن عبّاده وقد أصبحوا خبرا من الأخبار

و فى السّيف: [البسيط]

و أبيض صيغ من ماء و من لهبعلى اعتدال فلم يخمد و لم يسل

ماضى الغرار يهاب العمر صولته كأنما هو مطبوع من الأجل

أبهى من الوصل بعد الهجر منظرهحسنا و أقطع من دين على ملل

و أسمر ظنّ أن ما كل سابغةفخاض كالأيم يستشفى من النّهل

هام الكماة به حبّا و لا عجبمن لوعة بمليح القدّ معتدل

إذا الطّعين تلقّاه و أرعفهحسبته عاشقا يبكى على طلل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٨٢

و من ذلك قوله فى وصف قوس: [الوافر]

تنكّبها كحاجبه و سوّىبأهداب الجفون لها نبالا

فلم أر قبله بدرا منيراتحمّل فوق عاتقه هلالا

و من ذلك فى وصف قلم: [المتقارب]

و أصفر كالصّبّ فى رونقتظنّ به الحبّ ممن نحل

بديع الصّفات حديد السّباتيطول الرّماح و إن لم يطل

يعبّر عمّا وراء الضميرو يفعل فعل الظّبا و الذّبل

و من ذلك قوله فيما يظهر منها: [البسيط]

تفاخر السّيف فيما قيل و القلمو الفصل بينهما لا شكّ منفهم

كلاهما شرف للّه درّهماو حبّذ الخطّتان الحكم و الحكم

و من ذلك قوله فى سكّين الدواة: [الخفيف]

أنا صمصامة الكتابة ما لىمن شبيه فى المرهفات الرّقاق

فكأنّى فى الحسن يوم وصالو كأنّى فى القطع يوم فراق

و من ذلك قوله فى المقصّ: [الوافر]

و معتنقين ما اشتهرا بعشقو إن وصفا بضمّ و اعتناق

لعمر أبيك ما اعتنقا لمعنىسوى معنى القطيعة و الفراق

و من ذلك قوله فى الورد: [مخلع البسيط]

الورد سلطان كلّ زهرلو أنّه دائم الورود

بعد خدود الملاح شىءما أشبه الورد بالخدود

و من ذلك قوله فى الخيرىّ: [السريع]

و أزرق كمثل السماءفيه لمن ينظر سرّ عجيب

شحّ مع الصّبح بأنفاسه كأنما الصّبح عليه رقيب

و باح بالليل بأسرارهلمّا رأى اللّيل نهار الأريب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٨٣

و من ذلك قوله فى الرّيحان: [الوافر]

و أخضر فستقىّ اللون غضّيروق بحسن منظره العيونا

أغار على التّرنج و قد حكاهو زاد على اسمه ألفا و نونا

و قال من جملة قصائده المطوّلات التى تفنّن فيها، رحمه اللّه: [الطويل]

و غانية يغنى عن العود صوتهاو جارية تسقى و ساقية تجرى

بحيث يجرّ النهر ذيل مجرّةيرفّ على حافاتها الزّهر كالزّهر

و قد هزّت الأرواح خصر كتائبألوية بيض على أسل سمر

رمى قزح نبلا إليها فجرّدتسيوف سواقيها على دارع النّهر

و هبّت صبا نجد فجرّت غلائلاتجفّف دمع الطّلّ عن وجنة الزّهر

كأنّ بصفح الرّوض و شى صحيفةو كالألفات القضب و الطّرس كالتّبر

كأنّ به الأقحوان خواتمامفضّضة فيها فصوص من التّبر

كأنّ به النّرجس الغضّ أعياترقرق فى أجفانها أدمع القطر

كأنّ شذا الخيرىّ زورة عاشقيرى أنّ جنح اللّيل أكتم للسّرّ

و قال فى وصف الرّمان: [البسيط]

للّه رمّانة قد راق منظرهافمثلها ببديع الحسن منعوت

القشر حقّ لها قد ضمّ داخلهو الشّحم قطن لها و الحبّ ياقوت

و من ذلك قوله فى الجزر: [البسيط]

انظر إلى جزر فى اللون مختلفالبعض من سبج و البعض من ذهب

إن قلت: قصب فقل: قصب بلا زهرأو قلت: شمع فقل: شمع بلا لهب

و فى الاغتراب و ما يتعلّق به مما يقرب من المطولات: [الوافر]

غريب كلّما يلقى غريبفلا وطن لديه و لا حبيب

تذكّر أصله فبكى اشتياقاو ليس غريبا أن يبكى غريب

و مما هاج أشواقى حديثجرى فجرى له الدّمع السّكوب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۸۴ ذكرت به الشّباب فشقّ قلبىأ لم تر كيف تنشقّ القلوب؟

على زمن الصّبا فليبك مثلىفما زمن الصّبا إلّا عجيب

جهلت شبيبتى حتى تولّتو قدر الشىء يعرف إذ يغيب

ألا ذكر الإله بكل خيربلادا لا يضيع بها أديب

بلاد ماؤها عذب زلالو ريح هوائها مسك رطيب

بها قلبى الذى قلبى المعنّىيكاد من الحنين له يذوب

رزقت الصّبر بلين أبى و أمى كلانا بعد صاحبه كثيب

ألا فتوخّ بعدى من أؤاخىو دع ما لا يريب لما يريب

و لا تحكم بأول ما تراهفإنّ الفجر أوله كذوب

ألا إنا خلقنا فى زمانيشيب بهوله من لا يشيب

و قد لذّ الحمام و طاب عندىو عيشى لا يلذّ و لا يطيب

لحى اللّه الضّرورة فهى بلوىتهين الحرّ و البلوى ضروب

رأيت المال يستر كلّ عيبو لا تخفى مع الفقر العيوب

و فقد المال فى التّحقيق عندى كفقد الرّوح ذا من ذا قريب

و قد أجهدت نفسى فى اجتهادو ما أن كلّ مجتهد مصيب

و قد تجرى الأمور على قياسو لو تجرى لعاش بها اللّبيب

كأنّ العقل للدّنيا عدوّفما يقضى بها أربا أريب

إذا لم يرزق الإنسان بختافما حسناته إلّا ذنوب

و من نسيبه قوله فى بادرة من حمّام: [الكامل]

برزت من الحمّام تمسح وجههاعن مثل ماء الورد بالعنّاب

و الماء يقطر من ذوائب شعرهاكالطّل يسقط من جناح غراب

فكأنها الشمس المنيرة فى الضّحىطلعت علينا من خلال سحاب

و من مقطوعاته أيضا قوله: [الكامل]

و متيّم لو كان صوّر نفسهما زادها شيئا سوى الإشفاق

ما كان يرضى بالصّدود و إنّماكثرت عليه مسائل العشّاق

و قال: [مخلع البسيط]

وافى و قد زانه جمالفيه لعشّاقه اعتذار

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٨٥ ثلاثة ما لها مثال:الوجه و الخدّ و العذار

فمن رآه رأى رياضا:الورد و الآس و البهار

و من ذلك قوله فى ذمّ إخوة السوء: [الكامل]

ليس الأخوّة باللّسان أخوّةفإذا تراد أخوّتى لا تنفع

لا أنت فى الدّنيا تفرّج كربهعنّى و لا يوم القيامة تشفع

و قال كذلك: [الكامل]

و لقد عرفت الدّهر حين خبرتهو بلوت بالحاجات أهل زمان

فإذا الأخوّة باللسان كثيرةو إذا الدّراهم ميلق الإخوان

و من ذلك قوله فى ثقيل: [المتقارب]

تزلزلت الأرض زلزالهافقلت لسكانها: ما لها؟

فقالوا: أتانا أبو عامرفأخرجت الأرض أثقالها

و من ذلك قوله فى الصّبر: [السريع]

الدهر لا يبقى على حالةلكنه يقبل أو يدبر

فإن تلقّاك بمكروههفاصبر فإنّ الدّهر لا يصبر

و من ذلك قوله فى الموت: [السريع]

الموت سرّ اللّه فى خلقهو حكمة دلّت على قهره

ما أصعب الموت و ما بعدهلو فكّر الإنسان فى أمره

أيام طاعات الفتى وحدهاهى التى تحسب من عمره

لا تلهك الدنيا و لذّاتهاعن نهى مولاك و لا أمره

و انظر إلى من ملك الأرض هلصحّ له منها سوى قبره؟

نثره: قال فى كتاب «روضة الأنس» ما نصّه:

«و يتعلّق بهذا الباب ما خاطبنى به الفقيه الكاتب الجليل أبو بكر البرذعى، من أهل بلدنا، أعزّه اللّه: أخبرك بعجاب، إذ لا سرّ دونك و لا حجاب، بعد أن أتقدّم إليك أن لا تعجل باللوم إلىّ، قبل علم ما لدىّ، فإنّ الدهر أخدع من كفّة الحابل،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٨٦

و قلب الإنسان للآفات قابل. مشيت يوما إلى سوق الرّقيق، لأخذ حقّ فؤاد عتيق، فرأيت بها جارية عسجدية اللون، حديثة عهد بالصّون، متمايلة القدّ، قائمة النّهد، بلحظ قد أوتى من السّحر أوفر حظّ، و فم كشرطة رشحت بدم، داخله سمطان لولا هما ما عرف النّظم، و لا حكم على الدّر للعظم، فى صدغها لامان ما خطّ شكلهما قلم، و لا قصّ مثلهما حلم. لها جيد تتمنّاه الغيد، و خصر هو قبضة الكفّ فى الحصر، و ردف يظلمه من يشبه به بالحقف، و يدان خلقا للوشى، و قدمان أهلّتا للّثم لا للمشى، فتطاولت إليه الأعناق، و بذلت فيها الأعلاق، و المياسير عليها مغرم فى القوم، و تسوّم أهل السّوم، و كل فيها يزيد، ليبلغ ما يريد، إلى أن جاء فتى صادق فى حبّه، لا يبالى بفساد ماله فى صلاح قلبه، فعدّ المال عدّا، و لم يجد غيره من التسليم بدّا. فلمّا فاتتنى، تركت الأشواق و أتتنى، و انتقضت عزائم صبرى فما أتتنى، فاللّه اللّه، تدارك أخاك سريعا، قبل أن تلفيه من الوجد صريعا، و استنزله خادما، قبل أن تصبح عليه نادما، و لن أحتاج أن أصفها إليك، مع ما قصصته عليك، و قد أهديتها دررا، فخذها على جهة الفكاهة و الدّعابة: [الوافر]

و لا تطلع أخا جهل عليهافمن لم يدر قدر الشيء عابه

فأجبته: نعم نعم، أنعم اللّه بالك، و سنى آمالك، أنا بحول اللّه أرتاد لك من نحو هاتيك، ما يسليك و يؤاتيك، و إلّا فبيضا كاللّجين، هل القلب و العين، زهرة غصن فى روضة حسن، ذات ذوائب، كأنها الليل على نهار، أو بنفسج فى بهار.

لها وجه أبهى من الغنا، و أشهى من نيل المنى، فيه حاجبان كأنهما قوس صنعت من السّبح، و رصّعت بعاج من البلح، على عينين ساحرتين، بالعقل ساخرتين، بهما تصاب الكبود، و تشقّ القلوب قبل الجلود، إلى فم كأنّه ختام مسك، على نظام سلك، سقاه الحسن رحيقه، فأنبتت درره و عقيقه، و جيد فى الحسن وحيد على صدر كأنه من مرمر، فيه حقّتا عاج طوّقتا بعنبر، قد خلقتا للعضّ، فى جسم غضّ، له خصر مدمج، و ردفه يتموّج، و أطراف كالعنم، رقمت رقم القلم، من اللائى شهدن ابن المؤمّل، و قال فى مثلها الأول، إن هى تاهت فمثلها تاها، أو هى باهت فمثلها باها، من أين للغصن مثل قامتها أو أين للبدر مثل مرآها، ما فعلت فى العقول صابية ما فعلت فى العقول عيناها، تملكنى بالهوى و أملكها، فهأنا عبدها و مولاها، فأيّهما لست بذلت فيه الجهد، و أرقيت للمجد و الودّ إن شاء اللّه تعالى.

و أنا فيما عرض لسيدى، حفظه اللّه، على ما يحبّ، أعذره و لا أعذله، و أنصره و لا أخذله، لكنى أقول كما قال بعض الحكماء: لا ينبغى لمن قلبه رقيق، أن يدخل سوق الرّقيق، إلّا أن يكون قد جمع بين المال، و الجمال يتنافس فى العالى،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۸۷

و يسترخص بالثمن الغالى، و لا يبالى بما قال الأئمة، إذا وجد من يلائمه، كما قال الشاعر: [الخفيف]

ما انتفاع المحبّ بالمال إذ لم‌يتوصّل به لوصل الحبيب

إنما ينبغى بحكم الهوى أن‌ينفق المال فى صلاح القلوب

و السلام على سيدى، ما كانت الفكاهة من شأن الوفاء، و المداعبة من شيم الظّرفاء، و رحمة اللّه و بركاته.

مولده: ولد فى محرم سنة إحدى و ستمائة.

وفاته: توفى فى عام أربعة و ثمانين و ستمائة.

نقلت من خط صاحبنا الفقيه المؤرخ أبى الحسن بن الحسن، قال: أنشدنى الشيخ الرّاوية الأديب القاضى الفاضل أبو الحجاج يوسف بن موسى بن سليمان المنتشافرى، قال: أنشدنى القاضى الفاضل أبو القاسم ابن الوزير أبى الحجاج ابن الحقالة، قال: أنشدنى الأديب أبو الطيب صالح بن أبى خالد يزيد بن صالح بن شريف الرّندى لنفسه، ليكتب على قبره: [الطويل]

خليلىّ، بالودّ الذى بيننا اجعلاإذا متّ قبرى عرضة للتّرحّم

عسى مسلم يدنو فيدعو برحمةفإنى محتاج لدعوة مسلم

حرف العين من ترجمة الملوك و الأمراء

عبد اللّه بن إبراهيم بن على بن محمد التجيبى الرئيس أبو محمد بن إشقيلولة

أوليته: قد مرّ شيء من ذلك فى اسم الرئيس أبى إسحاق أبيه.

حاله: كان أميرا شهما، مضطلعا بالقضية، شهير المواقف، أبيّ النفس، عالى العمة. انتزى على خاله أمير المسلمين الغالب بالله ، و كان أملك لما بيده من مدينة وادى آش و ما إليها، معزّزا بأخيه الرئيس أبى الحسن مظاهره فى الأمر، و مشاركه فى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۸۸

السلطان. و استمرّت الحال مدة حياة خاله السلطان، و لمّا صار الأمر إلى مخيفه ولى العهد ، استشرى الداء، و أعضل الأمر، و عمّت الفتنة، و زاحمه السلطان بالمنكّب؛ انفجم، و اعتوره بالحيلة، حتى تحيّف أطرافه، و كان ما هو معلوم من إجازة أمير المسلمين أبى

يوسف يعقوب بن عبد الحق البحر إلى الجهاد، و مال الحال بينه و بين السلطان أمير المسلمين أبى عبد اللّه بن نصر إلى التّقاطع، و تصيّرت مالقة إلى الإيالة المغربية، ثم عادت إلى السلطان.

و فى أخريات هذه الأحوال، أحكم السلطان مع طاغية الرّوم السّلم، و صرف وجهه إلى مطالبة الرئيس أبى محمد، صاحب وادى آش، فألجأه الحال إلى أن صرف الدعوة بوادى آش إلى السلطان بالمغرب و رفع شعاره، فأقعد عنه. و وقعت مراسلات أجلت عن انتقال الرئيس أبى محمد إلى المغرب، معوّضا عن مدينة وادى آش بقصر كتامة ، و ذلك فى عام تسعة و ثمانين و ستمائة.

وفاته: دخلت قصر كتامة يوم الثلاثاء الثانى و العشرين من ذى قعدة عام خمسة و خمسين و سبعمائة فى غرض الرسالة، و زرت مقبرة الرؤساء بنى إشقيلولة بظاهرها، و فى قبّة ضخمة البناء رحيبة الفناء، نسيجة وحدها بذلك البلد بين منازل البلى و ديار الفناء، و بها قبر الرئيس أبى محمد هذا، عن يسار الداخل، بينه و بين جدار القبلة قبر، و سنامه رخام مكتوب عليه: [المجتث]

قبر عزيز علينالو أنّ من فيه يفدى

أسكنت قرّة عينىو قطعة القلب لحدا

ما زال حكما عليهو ما القضاء تعدّى

فالصّبر أحسن ثوببه العزيز تردّى

و عند رأس السّنام الرخامى، مهد مائل من الرخام فيه:

«أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم، بسم اللّه الرحمن الرحيم، صلّى اللّه على سيدنا محمد و آله، و سلّم تسليما. هذا قبر الرئيس الجليل، الأعلى الهمام، الأوحد،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۸۹

الأسعد، المبارك، الأسنى، الأسمى، الأحفل، الأكمل، المجاهد، المقدس، المرحوم، أبى محمد عبد اللّه، ابن الرئيس الجليل، الهمام، الأوحد، الأسعد، المبارك، الأمضى، الأسنى، الأسمى، المعظم، المرفّع، المجاهد، الأرضى، المقدس، المرحوم أبى إسحاق إبراهيم بن إشقيلولة، رحمه اللّه و عفا عنه و أسكنه جنّته. ظهر، عفا اللّه عنه، بوادى آش، أمّنها اللّه، قاعدة من قواعد الأندلس، و تسلطن، و نشرت علامات سلطنته، و ضربت الطبول. و جاهد منها العدو، قصمه اللّه، و ظهر على خاله سلطان الأندلس، و أقام فى سلطنته نحوا من ثلاث و عشرين سنة. ثم قام بدعوة الملك الأعلى، السلطان المؤيد المنصور، أمير المسلمين، المؤيد باللّه أبى يعقوب، أيّده اللّه بنصره، و أمدّه بمعونته و يسره، و أمره، أيّده اللّه، أن يتخلّى عن وادى آش المذكورة، و يصل للمغرب، فتنحّى عن الأندلس للمغرب، آنسه اللّه، فى جمادى الأولى من عام ستة و ثمانين و ستمائة، فأعطاه، أيّده اللّه، قصر عبد الكريم، أمّنه اللّه، و أنعم عليه، فأقام به مدة من ثمانية أعوام، و جاز منه إلى الأندلس، أمّنها اللّه، و جاهد بها مرّتين، ثم رجع إلى قصر عبد الكريم المذكور، و توفى، شرّف اللّه روحه الطّيبة المجاهدة، عشىّ يوم السبت العاشر من شهر محرم سنة خمس و تسعين و ستمائة».

عبد اللّه بن بلقّين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن ابن زيرى بن مناد الصّنهاجى

أمير غرناطة.

أوليته: قد مرّ من ذلك فى اسم جدّه ما فيه كفاية.

حاله: لقبه المظفّر باللّه، الناصر لدين اللّه. ولى بعد جدّه باديس فى شوال سنة خمس و ستين و أربعمائة، و صحبه سماجة الصّنهاجى تسع سنين. قال الغافقى: و كان قد حاز حظّا وافرا من البلاغة و المعرفة، شاعرا جيّد الشعر، مطبوعه، حسن الخطّ.

كانت بغرناطة ربعة مصحف بخطّه فى نهاية الصّنعة و الإتقان. و وصفه ابن الصّيرفى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۲۹۰

فقال : كان جبانا معمد السيف، قلقا، لا يثبت على الظّهر، عزهاة لا أرب له فى النساء ، هيّابة، مفرط الجزع، يخلد إلى الرّاحات، و يستوزر الأغمار.

خلعه: قال: و فى عام ثلاثة و ثمانين و أربعمائة، تحرّك أمير المسلمين، يوسف بن تاشفين، لخلع رؤساء الأندلس، فأجاز البحر، و يمّم قرطبة، و تواترت الأنباء عن حفيد باديس صاحب غرناطة، بما يغيظه و يحقده، حسبما تقدم فى اسم مؤمّل مولى باديس. و قدّم إلى غرناطة أربع محلّات، فنزلت بمقربة منها، و لم تمتدّ يد إلى شىء يوجد، فسرّ الناس و استبشروا، و أمنت البادية، و تمايل أهل الحاضرة إلى القوى. و أسرع حفيد باديس فى المال، و ألحق السّوقة و الحاكّة ، و استكثر من اللّفيف، و ألحّ بالكتب على أذفونش بما يطمعه. و تحقّق يوسف بن تاشفين استشراف الحضرة إلى مقدمه، فتحرّك. و فى ليلة الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب، اجتمع إلى حفيد باديس صنائعه، فخوّفوه من عاقبة التربّص، و حملوه على الخروج إليه، فركب و ركبت أمّه و تركا القصر على حاله، و لقى أمير المسلمين على فرسخين من المدينة، فترجّل، و سأله العفو، فعفا عنه، و وقف عليه، و أمره بالرّكوب، فركب، و أقبل حتى نزل ب «المشايخ» من خارج الحضرة. و اضطربت المحلّات، و أمر مؤمّلا بثقافه فى القصر، فتولّى ذلك، و خرج الجمّ من أهل المدينة، فبايعوا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فلقيهم، و أنسهم، و سكّن جأشهم، فاطمأنوا. و سهّل مؤمّل إليه دخول الأعيان، فأمر بكتب الصّكوك، و رفع أنواع القبالات و الخراج، إلّا زكاة العين، و صدقة الماشية، و عشر الزّرع. و استقصى ما كان بالقصر، فظهر على ما يحول الناظر، و يروع الخاطر، من الأعلاق و الذّخيرة، و الحلى، و نفيس الجوهر، و أحجار الياقوت، و قصب الزّمرد، و آنية الذّهب و الفضة، و أطباق البلّور المحكم، و الجرداذنات، و العراقيّات، و الثّياب الرّفيعة، و الأنماط، و الكلل، و السّتائر، و أوطية الدّيباج، مما كان فى ادّخار باديس و اكتسابه. و أقبلت دوابّ الظّهر من المنكّب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٩١

بأحمال السّبيك و المسبوك، و اختلفت أمّ عبد اللّه لاستخراج ما أودع بطن الأرض، حتى لم يبق إلّا الخرثى و الثّقل و السّقط. وزّع ذلك الأمير على قوّاده، و لم يستأثر منه بشىء. قال : و رغب إليه مؤمّل فى دخول القصر، فركب إليه، و كثر استحسانه إياه، و أمر بحفظه. و تفقّد أوضاعه و أفنيته. و نقل عبد اللّه إلى مرّاكش، و سنّه يوم خلع، خمس و ثلاثون سنة و سبعة أشهر، فاستقرّ بها هو و أخوه تميم، و حلّ اعتقالهما، و رفّه عنهما، و أجرى المرتّب و المساهمة عليهما. و أحسن عبد اللّه أداء الطاعة، مع لين الكلمة، فقضيت مآربه، و أسعفت رغباته، و خفّ على الدولة، و استراح و استريح منه، و رزق الولد فى الخمول، فعاش له ابنان و بنت، جمع لهم المال. فلمّا توفى ترك مالا جمّا.

مولده: ولد عبد اللّه سنة سبع و أربعين و أربعمائة.

عبد اللّه بن على بن محمد التّجيبى، الرئيس أبو محمد ابن إشقيلولة

حاله: كان رئيسا شجاعا، بهمة، حازما، أيّدا، جلدا. تولّى مدينة مالقة عقب وفاة الرئيس واليها أبى الوليد بن أبى الحجاج بن نصر، صنو أمير المسلمين، الغالب بالله، فى أوائل عام خمسة و خمسين و ستمائة. و كان صهر السلطان على إحدى بناته، و له منه محلّ كبير، و مكان قريب، و له من ملكه حظّ رغيب.

و استمرّت حاله إلى عام أربعة و ستين و ستمائة، و فسد ما بينه و بين وليّ العهد، الأمير أبى عبد اللّه محمد ابن أمير المسلمين أبى عبد اللّه الغالب بالله، إذ وغر له صدره، و لا بنى أخيه الرئيسين، أبى محمد و أبى الحسن، ابنى الرئيس أبى إسحاق بن إشقيلولة المتأمّرين بوادى آش، فضايقهم و أخافهم بما أدّاهم إلى الامتناع و الدّعاء لأنفسهم و الاستمساك بما بأيديهم. و عمّت المسلمين الفتنة المنسوبة إليهم، فانتزى هذا الرئيس بمدينة مالقة، و كان أملك لما بيده، و استعان بالنّصرى، و شمّر عن ساعد الجدّ، فأباد الكثير من أعيان البلدة فى باب توسّم التهم و تطرّق السعايات، و استولى على أموالهم. و استمرت الحال بين حرب أجلت فيها غلبة الأمير مخيفه، ولى

العهد، بجيش النّصرى، و نازل مالقة أربعين يوما، و شعّث الكثير بظاهرها، و تسمّى بعلم الأمير عند أهل مالقة، و ما بين سلم و مهادنة. و فى عام

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٩٢

ستين و ستمائة، نازله السلطان الغالب بالله صهره، و أعيا عليه أمر مالقة، لاضطلاع هذا الرئيس بأمره، و ضبط من لنظره، و استمساكه بعروة حزمه.

و فى بعض الأيام ركب السلطان فى ثلاثة من مماليكه، متخفّيا، كاتما غرضه، و قعد بباب المدينة، فلمّا بصر به الرجال القائمون به، هالهم الأمر، و أدهشتهم الهيبة، فأفرجوا له، موقّرين لجلاله، آنسين لقلّة أتباعه، فدخل، و قصد القصبة، و قد نذر به الرئيس أبو محمد، فبادر إليه راجلا متبذّلا، مهرولا، حافيا. و لمّا دنا منه ترامى على رجليه يقبّلهما، إظهارا لحقّ أبوّته، و تعظيما لقدره، و دخل معه إلى بنته و حفدته، فترامى الجميع على أطرافه يلثمونها، و يتعلّقون بأذياله و أدرانه، و هو يبكى إظهارا للشّفقة و المودّة و تكلّم الجميل. و أقام معهم بياض يومه، ثم انصرف إلى محلّته، و أتبعه الرئيس، فأمره بالاستمساك بقصبته و ملازمة محلّ إمرته، و ما لبث أن شرع فى الارتحال عن ألطاف و مهادات، و تقدير جرايات، و إحكام هديّة، و تقرير إمارة، إلى أن توفى السلطان، رحمه اللّه، فعادت الفتنة جزعة، و والى ولده أمير المسلمين بعده الضرب على مالقة، إلى أن هلك الرئيس أبو محمد، و استقرّ بالأمور ولده المذكور فى المحمّدين، و كان من الأمر ما ينظره فى مكانه من أراد استيفاءه، بحول اللّه.

عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن محمد العزفى

يكنى أبا طالب، الرئيس الفقيه، الكبير الشّهير، صاحب الأمر و الرّئاسة و الإمارة بسبتة، نيابة عن أخيه الرئيس الصّالح أبى حاتم، بحكم الاستقلال فى ذلك، و الاستبداد التّام، من غير مطالعة لأخيه و لا رجوع إليه فى شىء من الأمور، و لا تشوّف من أخيه إلى ذلك، لخروجه البتّة عنه، و إيثاره العزلة، و اشتغاله بنفسه.

حاله: قد تقدم من ذكر أوّليته ما فيه كفاية. و كان من أهل الجلالة و الصّيانة، و طهارة النّشأة، حافظا للحديث، ملازما لتلاوة كتاب اللّه، عارفا بالتاريخ، عظيم الهيبة، كبير القدر و الصّيت، عالى الهمّة، شديد البأو، معظّما عند الملوك، جميل الشّارة، ممتثل الإشارة لديهم، عجيب السّكينة و الوقار، بعيد المرمى، شديد الانقباض، مطاع السّلطان بموضعه، مرهوب الجانب، من غير إيقاع بأحد، و لا هتك حرمة، محافظا على إقامة الرّسوم الحسبيّة و الدّينية.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبى الحسين بن أبى الربيع و غيره.

نكبته: تغلّب على بلده أيام إمارته، و ثار أهله إليه فى السّلاح و العدّة؛ ليحيطوا بمن فى القصبة، فخرج إليهم، و شكر مساعيهم، و قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: كن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٩٣

عبد اللّه المقتول، و لا تكن عبد اللّه القاتل، فانصرفوا، و دخل منزله ملقيا بيده، و مسلّما لقضاء اللّه سبحانه فى كسره، إلى أن قبض عليه و على سائر بنيه و قومه، عند ارتفاع النهار و انتشار المتغلّبين على القصبة، فنقفوا متحرّجين من دماء المسلمين، و صرفوا إلى الأندلس، فى ضحو يوم الخميس الثانى عشر من ذى قعدة عام خمسة و سبعمائة، بعد انقضاء خمسة عشر يوما من تملّك بلدهم، فاستقرّ بغرناطة تحت ستر و احترام و جراية فيها كفاف. ثم لما خرجت سبتة عن طاعة أمير المسلمين، انصرف القوم إلى فاس، فتوفى بها.

وفاته: فى شعبان المكرم من عام ثلاثة عشر و سبعمائة.

عبد اللّه بن الجبير بن عثمان بن عيسى بن الجبير اليحصبى

من أهل لوشة، و هو محسوب من الغرناطيين. قال الأستاذ : من أعيانها ذوى الشرف و الجلالة. قلت: ينسب إليه بها معاهد تدلّ على قدم و أصالة.

حاله: قال أبو القاسم الملّاحى : كان أديبا بارع الأدب، كاتبا، بليغا، شاعرا مطبوعا، لسنا مفوّها، عارفا بالنحو و الأدب و اللغات، و قد مال فى عنفوان شبيبته إلى الجندية لشهامته و عزّة نفسه، فكان فى عسكر المأمون بن عبّاد ، و اشتمل عليه المأمون، و كان من أظرف الناس، و أملحهم شبيبة ، و أحسنهم شارة، و أتمّهم معرفة.

مشيخته: أخذ عن أشياخ بلده غرناطة، و أخذ بمالقة عن غانم الأديب، و بقرطبة عن ابن سراج.

شعره: و له فى إنشاده لدى المأمون مجال رحب، فمن ذلك قوله :

[البسيط]

يا هاجرين، أضلّ اللّه سعيكم‌كم تهجرون محبّيكم بلا سبب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٩۴ و يا مسرّين للإخوان غائلةو مظهرين وجوه البرّ و الرّحب

ما كان ضرّكم الإخلاص لو طبعت‌تلك النفوس على علياء أو أدب

أشبهتم الدّهر لمّا كان والدكم‌فأنتم شرّ أبناء لشرّ أب

عبد اللّه بن سعيد بن عبد اللّه بن سعيد بن أحمد ابن على السّلمانى

والد المؤلف، رضى اللّه عنه، يكنى أبا محمد، غرناطى الولادة و الاستيطان، لوشى الأصل، ثم طليطلّيه، ثم قرطبّيه.

أوليته: كان سلفه يعرفون بقرطبة ببنى وزير، و هم بها أهل نباهة، و بيتهم بيت فقه و خيريّة و ماليّة، و نجارهم نجار فرسان يمانيّة. و لمّا حدث على الحكم بن هشام الوقيعة الرّبضيّة، و كان له الفلج، و بأهل الرّبض الدّبرة، كان أعلام هذا البيت من الجالية أمام الحكم، حسبما امتحن به الكثير من أعلام المشيخة بها، كالفقيه طالوت، و يحيى بن يحيى، و غيرهما ، و لحقوا بطليطلة، فاستقرّوا بها، و نبا بهم وطنهم، ثم حوّموا على سكنى الموسّطة، و آب إلى قرطبة قبلهم بعد عهد متقادم، و منهم خلف و عبد الرحمن، و قد مرّ له ذكر فى هذا الكتاب. و ولّى القضاء بالكورة. و منهم قوم من قرابتهم تملّكوا منتفريد ، الحصن المعروف الآن بالمنعة و الخصب، و تمدّن فيهم، و بنيت به القلعة السّامية، و نسب إليه ذلك المجد، فهم يعرفون ببلدنا ببنى المنتفريدين. و استقرّ منهم جدّنا الأعلى بلوشة خطيبا و قاضيا بالصّقع و مشاورا ، و هو المضاف إلى اسمه التّسويد بلوشة عرفا كأنه اسم مركّب، فلا يقول أحد منهم فى القديم إلّا سيّدى سعيد. كذا تعرّفنا من المشيخة، و إليه النّسبة اليوم، و به يعرف خلفه ببنى الخطيب، و كان صالحا فاضلا، من أهل العلم و العمل. حدّثنى الشيخ المسنّ أبو الحكم المنتفريدى، و قد وقفنى على جدار برج ببعض أملاكنا بها، على الطّريق الآتية من غرناطة إلى لوشة، ثم إلى غيرها، كإشبيلية و سواها، فقال: كان جدّك يسكن بهذا البرج كذا من فصول العام، و يتلو القرآن ليلا، فلا يتمالك المارّون على الطّريق، أن يقربوا إصغاء لحسن تلاوته

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٩۵

و خشوعا. و كان ولده عبد اللّه بعده، على وتيرة حسنة من الخير و النّباهة و طيب الطّعمة، ثم جدّه الأقرب سعيد على سننه، مرب عليه بمزيد المعرفة، و حسن الخطّ.

و لما وقع بلوشة بلده، ما هو معروف من ثورة أصهارهم من بنى الطّنجالى، و كان بينهم ما يكون بين الفحول فى الهجمات من التّشاجر، فرّ عنهم خيفة على نفسه، و على ذلك فناله اعتقال طويل، عدا به عليه عن تلك الثورة. ثم بان عذره، و برّئت ساحته، و استظهر به السلطان، و أقام بغرناطة، مكرّما، مؤثرا، مؤتمنا، و صاهر فى أشراف بيوتاتها، فكانت عنده بنت الوزير أبى العلى أضحى بن

أضحى الهمدانى، و توفيت تحته، فأنجز له بسببها الحظّ فى الحمّام الأعظم المنسوب إلى جدّها اليوم.

ثم تزوج بنت القائد أبى جعفر أحمد بن محمد الجعدالة السّلمى، أم الأب المترجم به، و لها إلى السلطان ثانى ملوك بنى نصر و عظيمهم متات ببنوّة الخؤولة من جهة القوّاد الأصلاء القرطبيين بنى دحون، فوضح القصد، و تأكدت الحظوة. و قد وقعت الإشارة إلى ذلك كله فى محلّه. ثم رسخت لولده أبى، القدم فى الخدمة و العناية، حسبما يتقرّر فى موضعه.

حاله: كان، رحمه اللّه، فذّا فى حسن الشكل و الأبّهة، و طلاقة اللسان، و نصاعة الظّرف، و حضور الجواب، و طيب المجالسة، و ثقوب الفهم، مشارا إليه فى الحلاوة و عذوبة الفكاهة، و استرسال الانبساط، مغيبا فى ميدان الدّعابة، جزلا، مهيبا، صارما، متجنّدا، رائق الخصل ركضا و ثقافة، و عدوا و سباحة و شطرنجا، حافظا للمثل و اللّغة، أخباريا، مضطلعا بالتاريخ، ناظما نائرا، جميل البزّة، فاره المركب، مليح الشّيبة. نشأ بغرناطة تحت ترف و نعمة، من جهة أمّه و أبيه، و قرأ على أبى إسحاق بن زرقال، و أبى الحسن البلّوطى، ثم على أستاذ الجماعة أبى جعفر بن الزّبير، ظاهرة عليه مخيّلة النّجابة و الإدراك. ثم أقصر لعدم الحامل على الدّؤوب، و انتقل إلى بلد سلفه، متحيّفا الكثير من الأصول فى باب البذل و قرى الضّيوف، و مداومة الصّيد، و إيثار الراحة، معتمدا بالتّجلّة، مقصود الحلّة، مخطوب المداخلة، من أبناء أشراف الدولة، منتجعا لأولى الكدية. و لما قام بالأمر السلطان، أمير المسلمين أبو الوليد، و أمّه بنت السلطان ثانى الملوك من بنى نصر، جزم ما تقدّم من المتات و الوسيلة، استنهضه للإعانة على أمره، و جعل طريقه على بلده، فحطب فى حبله، و تمسّك بدعوته، و اعتمده بنزله و ضيافته، و كان أعظم الأسباب فى حصول الأمر بيده، و دخوله

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٩٦

فى حكمه، و انتقل إلى حضرة الملك بانتقاله، فنال ما شاء من اصطناعه و حظوته، و جرى له هذا الرّسم فى أيام من خلفه من ولده إلى يوم الوقيعة الكبرى بطريف تاريخ فقده.

و جرى ذكره فى كتاب «الإكليل» بما نصه : إن طال الكلام، و جمحت الأقلام، كنت كما قيل: مادح نفسه يقرئك السلام، و إن أحجمت، فما أسديت فى الثّناء و لا ألحمت، و أضعت الحقوق، و خفت و معاذ اللّه العقوق. هذا، و لو أنّى زجرت طير البيان من أوكاره، و جئته بعيون الإحسان و أبكاره، لما قضيت حقّه بعد، و لا قلت إلّا التى علمت سعد . فقد كان، رحمه اللّه، ذمر عزم، و رجل رخاء و أزم، تروق أنوار خلاله الباهرة، و تضىء مجالس الملوك من صورتيه الباطنة و الظاهرة، ذكاء يتوقّد، و طلاقة يحسد نورها الفرقد. فقدته بكائنة طريف ، جبر اللّه عثارها، و عجّل ثارها.

حدّث خطيب المسجد الأعظم، و هو ما هو، من وفور العقل، و صحة النّقل، قال: مررت بأبيك بعد ما تمت الكسرة، و خذلت تلك الأسرة، و قد كبا بأخيك الظّرف، و عرض عليه الحمام للصّيرف، و الشيخ رحمه اللّه لم تزلّ قدمه، و لا راعه الموقف و عظمه. و لما آيس من الخلاص و طلّابه، صرفنى و قال: أنا أولى به، فقضى سعيدا شهيدا، لم يستنفره الهول، و لم يثنه و لا رضى عار الفرار عن ابنه.

شعره: قال فى «الإكليل» : و كان له فى الأدب فريضة، و فى النّادرة العذبة منادح عريضة. تكلّمت يوما بين يديه، فى مسائل من الطب، و أنشدته أبياتا من شعرى ، و قرأت عليه رقاعا من إنشائى، فسرّ و تهلّل، و عبّر عما أمل، و ما برح أن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٩٧

ارتجل قوله رحمة اللّه عليه: [مخلع البسيط]

الطبّ و الشّعر و الكتابه‌سماتنا فى بنى النّجابه

هنّ ثلاث مبلّغات‌مراتبا بعضها الحجابه

و وقّع لى يوما بخطّه على ظهر أبيات، بعثتها إليه، أعرض عليه نمطها: [الكامل]

وردت كما ورد النسيم بسحره عن روضة جاد الغمام رباها

فكأنما هاروت أودع سحره‌فيها و آثرها به و حباها

مصقولة الألفاظ يبهر حسنهافبمثلها افتخر البليغ و باهى

فقررت عينا عند رؤية حسنهاإنى أبوك و كنت أنت أباها الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج٣ ؛ ص٢٩٧

من شعره قوله: [الوافر]

و قالوا قد نأوا : فاصبر ستشفىفترياق الهوى بعد الدّيار

فقلت: هبوا بأنّ الحقّ هذافقلبى يمّموا فيم اصطبارى ؟

و من قوله مما يجرى مجرى الحكم و الأمثال : [السريع]

عليك بالصمت فكم ناطق كلامه أدّى إلى كلمه

إنّ لسان المرء أهدى إلىغرّته و اللّه من خصمه

يرى صغير الجرم مستضعفاو جرمه أكبر من جرمه

و قال و هو من المستحسن فى التّجنيس : [الخفيف]

أنا بالدّهر، يا بنىّ، خبيرفإذا شئت علمه فتعالى

كم مليك قد ارتغى منه روضالم يدافع عنه الردى ما ارتغى لا

كلّ شىء تراه يفنى و يبقىربّنا اللّه ذو الجلال تعالى

أنشدنى هاتين المقطوعتين.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٩٨

مولده: ولد بحضرة غرناطة فى جمادى الأولى من عام اثنين و سبعين و ستمائة.

وفاته: بعد يوم الوقيعة الكبرى على المسلمين بظاهر طريف يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى عام واحد و أربعين و سبعمائة.

من رثاه: قلت فى رثائه من قصيدة أولها : [الطويل]

سهام المنايا لا تطيش و لا تخطىو للدهر كفّ تستردّ الذى تعطى

و إنّا و إن كنّا على ثبج الدّنافلا بدّ يوما أن نحلّ على الشّطّ

و سيّان ذلّ الفقر أو عزّة الغنىو من أسرع السّير الحثيث و من يبطى

تساوى على ورد الرّدى كلّ واردفلم يغن ربّ السّيف عن ربّة القرط

و قال شيخنا أبو زكريا بن هذيل من قصيدة يرثيه بها : [الطويل]

إذا أنا لم أرث الصديق فما عذرىإذا قلت أبياتا حسانا من الشعر؟

و لو كان شعرى لم يكن غير ندبةو أجريت دمعى لليراع عن الحبر

لما كنت أقضى حقّ صحبته التىتوخّيتها عونا على نوب الدّهر

رمانى عبد اللّه يوم وداعهبداهية دهياء قاصمة الظّهر

قطعت رجائى حين صحّ حديثهفإن لم يوف دمعى فقد خاننى صبرى

و هل مؤنس كابن الخطيب لوحشتىأبثّ له همّى و أودعه سرّى؟

عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزىّ

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، و قد مرّ ذكر أبيه شيخنا و أخويه، و تقرّرت نباهة بيتهم.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٢٩٩

حاله: هـذا الفاضل قريع بيت نبيه، و سلف شـهير، و أبوّة خيّرة ، و أخوّة بليغة، و خؤولة تميّزت من السـلطات بحظوة. أديب حافظ، قام على فنّ العربيّة، مشارك فى فنون لسانيّة سواه، طرف فى الإدراك، جيد النظم، مطواع القريحة، باطنه نبل، و ظاهره غفلة. قعد للإقراء ببلـده غرناطـة، معيـدا و مسـتقلّا، ثم تقـدّم للقضاء بجهات نبيهة، على زمن الحداثة، و هو لهذا العهد مخطوب رتبة، و جار إلى غاية، و عين من أعيان البلدة.

مشـيخته: أخذ عن والده الأستاذ الشهير أبى القاسم حديث الرّحمة بشرطه، و سمع عليه على صغر السّن، أبعاضا من كتب عدة فى فنون مختلفة، كبعض صـحيح مسـلم، و بعض صـحيح البخارى، و بعض الجامع للتّرمذى، و بعض السّـنن للنّسائى، و بعض سنن أبى داود، و بعض موطّأ مالك بن أنس، و بعض الشّـفاء لعياض، و بعض الشّـمائل للتّرمذى، و بعض الأعلام للنّميرى، و بعض المشـرع السّـلس فى الحديث المسـلسل لابن أبى الأحوص، و بعض كتاب التّيسـير لأبى عمرو الدّانى، و بعض كتاب التّبصـرة للمكىّ، و بعض الكافى لابن شريـح، و بعض الهدايـة للمهـدى، و بعض التّلخيص للطّبرى، و بعض كتـاب الدّلالـة فى إثبـات النبوّة و الرسالـة لأـبى عامر بن ربيع، و بعض كتاب حلبـة الأسانيـد و بغية التلاميذ لابن الكمّاد، و بعض كتاب وسـيلة المسـلم فى تهذيب صـحيح مسـلم من تواليف والده، و بعض القوانين الفقهيـة، و بعض كتـاب الـدّعوات و الأذكـار، و بعض كتـاب النّور المبين فى قواعـد عقائـد الـدين من تـأليفه، و بعض تقريب الوصول إلى علم الأصول، و بعض كتاب الصلاة، و بعض كتاب الأنوار السّنية فى الكلمات السّنية، و بعض كتاب برنامجه. كل ذلك من تأليف والـده، رحمه اللّه. و أجاز له روايـة الكتب المذكورة عنه، مع روايـة جميع مرويّاته و تواليفه و تقييداته، إجازة عامة. و لقّنه فى صغره جملة من الأحاديث النبوية و المسائل الفقهية، و المقطوعات الشعرية.

و منهم قاضـى الجماعة أبو البركات بن الحاج، حدّثه بألمرية حديث الرحمة بشـرطه، و سمع عليه بها و بغرناطة عدّة من أبعاض كتب، و أجازه عامـة، و أنشده من شـعره، و شـعر غيره. و منهم قاضـى الجماعة الشـريف أبو القاسم، لازمه مدة القراءة عليه، و اسـتفاد منه، و تفقّـه عليه بقراءة غيره فى كـثير من النّصـف الثـانى من كتـاب سـيبويه، و فى كـثير من النصـف الثـانى من كتـاب الإيضـاح لأـبى على الفارسى، و فى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٠٠

كثير من كتـاب التّسـهيل لابن مالك، و فى القصـيدة الخزرجيـة فى العروض، و سـمع من لفظه الرّبع الواحـد أو نحوه من تأليفه شـرح مقصورة حازم، و تفقّه عليه فيه، و أنشـده كثيرا من شـعره و شـعر غيره. و منهم الأسـتاذ أبو عبـد اللّه البيّانى، لازمه مـدة القراءة عليه، و تفقّه عليه بقراءته فى كتـاب التّسـهيل البـديع فى اختصـار التّفريع إلّا يسـيرا منه، و تفقّه عليه بقراءة غيره فى أبعـاض من كتب فقهيـة و غيرها، ككتاب التهـذيب، و كتاب الجواهر الثمينـة، و كتاب التفريع، و كتاب الرسالـة لابن أبى زيـد، و كتاب الأحكام لابن العربى، و كتاب شـرح العمدة لابن دقيق العيد، و غير ذلك مما يطول ذكره. و منهم الأسـتاذ الأعرف الشـهير أبو سعيد بن لب، تفقّه عليه بقراءته فى جميع النصف الثـانى من كتـاب الإيضـاح للفارسـى، و فى كـثير من النصف الأـول من كتـاب سـيبويه، و تفقّه عليه بقراءة غيره فى أبعـاض من كتب عـدة، فى فنون مختلفـة، كالمدوّنـة و الجواهر، و كتـاب ابن الحـاجب، و كتـاب التّلقين، و كتـاب الجمـل، و كتـاب التّسـهيل و التنقيح، و الشّاطبيّة، و كتاب العمدة فى الحديث و غير ذلك. و منهم الشيخ المقرئ المحدّث أبو عبد اللّه محمد بن بيبش، سمع عليه بقراءة أخيه الكـاتب أبى عبـد اللّه محمـد، جميع كتـاب الموطّأ، و كتاب الشّـفا إلّا يسـيرا منه، و أجازه روايتهما عنه، و رواية جميع مرويّاته، إجازة عامة، و أنشده جملة من شـعره و شـعر غيره. و ممن أجازه عامة، رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجيّاب، و قاضـى الجماعـة أبو عبـد اللّه بن يحيى بن بكر الأشـعرى، و الخطيب أبو على القرشـى، و الأسـتاذ أبو محمـد بن سـلمون، و الحاج الراويـة أبو جعفر بن جـابر، و الشـيخ القاضـى أبو جعفر أحمـد بن عتيق الشّاطبى الأزدى، و القاضـى الكاتب البارع أبو بكر بن شبرين، و القاضـى الخطيب الأستاذ الراوية أبو بكر بن الشيخ الخطيب الصالح أبى جعفر بن الزيات، و القاضى الخطيب أبو محمد بن محمد بن الصّايغ.

و ممن كتب له بالإجازة من المشايخ، شيخ المشايخ أثير الدين أبو حيّان محمد بن يوسف بن حيان، و قاضى الجماعة بفاس محمد بن

محمد بن أحمد المقرى، و رئيس الكتاب أبو محمد الحضرمى، و جماعة سوى من ذكر من أهل المشرق و المغرب.

شعره: و شعره نبيل الأغراض، حسن المقاصد. فمن ذلك قوله: [الطويل]

سنى الليلة الغرّاء و افتك بالبشرىو أبدى بها وجه القبول لك البشرا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٠١ تهلّل وجه الكون من طرب بهاو أشرقت الدّنيا بغرّتها الغرّا

لها المنّة العظمى بميلاد أحمدلها الرّتبة العليا لها العزّة الكبرا

طوى سرّه فى صدره الدّهر مدّةفوافى ربيعا ناشرا ذلك السّرّا

حوى شهرة الفضل الشهير و فضلهفأحسن به فضلا و أعظم به شهرا

لقد كان ليل الكفر فى اللّيل قد جفافأطلع منه فى سمّة الهدى فجرا

و فى ليلة الميلاد لاحت شواهدقضت أنّ دين الكفر قد أبطل الكفرا

لقد أخمدت أنوارها نار فارسو أرجت كما ارتجّ إيوانه كسرى

له معجزات يعجز القلب كنههاو يحصر إن رام اللسان لها حصرا

معال يكلّ الشّعر عن نيل وصفهاو تقصر عن إدراك مصعده الشّعرى

به بشّر الرّسل الكرام و لم تزلشمائله تتلى و آياته تترى

ففى الصّحف الأولى مناقبه العلىو فى الذكر آيات خصّت له قدرا

لقد خصّه مولاه بالقرب و الرضىو حسبك ما قد نصّ فى النّجم و الإسرا

و ردّ عليه الشمس بعد غروبهاو شقّ على رغم العداة له البدرا

و كان له فى مائه و طعامهلطائف ربّانيّة تبهر الفكرا

غدا الماء من بين الأصابع نابعاو عاد قليل الزّاد من يمنه كثرا

و كم نائل أولى و كم سائل حباو كم مشتك أشفى و كم مدنف أبرى!

كفى شاهدا أن ردّ عين قتادةفكان لها الفضل المبين على الأخرى

و حنّ إليه الجذع عند فراقهو لا حنّت الخنساء إذ فارقت صخرا

و حقّ له إذ بان عنه حبيبهو من ذاق طعم الوصل لم يحمل الهجرا

خليليّ، و الدنيا تجدّد للفقرضروبا من الأشواق لو تنفع الذّكرى

بعيشكما هل لى إلى أرض طيبةسبيل؟ فأمّا الصّبر عنها فلا صبرا

منى النفس من تلك المعاهد زورةأبثّ بها شكوى و أشكو بها وزرا

و تعفير خدّى فى عروق ترابهاليمحو لى ذنبا و يثبت لى أجرا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٠٢ تعلّلنى نفسى بإدراكها المنىو ما أجهدت عيشا و لا ملّكت قفرا

و من كانت الآمال أقصى اجتهادهغدت كفّه ممّا تأمّله صفرا

و كم زجرتها واعظات زمانهافما سمعت وعظا و لا قبلت زجرا

و كنت لها عصر الشبيبة عاذراسقاه الحيا ما كان أقصره عصرا

و أمّا و قد ولّت ثلاثون حجّةفلست أرى للنفس من بعدها عذرا

إذا أنت لم تترك سوى النفس طائعافلا بدّ بعد الشّيب من تركه قسرا

و لم أدّخر إلّا شفاعة أحمدلتخفيف وزر شدّ ما أوثق الظّهرا

لقد علقت كفّ الرجاء بحملهلعلّ كسير القلب يقلبه برّا

هو المرتضى الداعى إلى منهج الرّضاهو المصطفى الهادى الميسّر لليسرى

هو الحاسر الماحى الضّلالة بالهدىهو الشّافع الواقى إذا شهر الحشرا

بأى كلام يبلغ المرء وصف منمكارمه تستغرق النّظم و النّثرا

خلال إذا الأفكار جاست خلالهاتكرّ على الأعقاب خاسئة خسرا

لقد غضّ طرف النّجم باهرها سنىو أرغم أنف الرّوض عاطرها نشرا

سقى ليلة حيّت به واكف الحيافنعماؤها ما إن يحيط بها شكرا

لقد خصّها سند الإله برحمةفعمّت بها الدنيا و سكّانها طرّا

أقمت أمير المسلمين حقوقهابأفعال برّ أضحكت للهدى ثغرا

لقد سرت فيها إذ أتتك بسرّهأقرّت لها عينا و سرّت لها صدرا

عرفت بها حقّ الذى عرفت بهفأحسنتها شكرا و أوليتها برّا

و أصحبتها الإخلاص للّه و التّقىو أعقبها الإحسان و النّائل الغمرا

لدى مصنع ملا العيون محاسناتجسّم فيه السّحر حتى بدا قصرا

منها بعد أبيات فى المدح للسلطان:

روى عن أبى الحجاج غرّ شمائلأعاد لنا دهم الليالى بها غرّا

و من كبنى نصر جلالة منصببهم نصر الرحمن دين الهدى نصرا

هم ما هم إن تلقهم فى مهمّةلقيت الجناب السّهل و المعقل الوعرا

سلالة أنصار النبىّ محمدفسل أحدا ينبيك عنهم و سل بدرا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٠٣

و من شعره فى المقطوعات، قال فى التورية العروضية : [الوافر]

لقد قطّعت قلبى يا خليلىبهجر طال منك على العليل

و لكن ما عجيب منك هذاإذ التّقطيع من شأن الخليل

و قال فى التّورية النّحوية : [الطويل]

لقد كنت موصولا فأبدل وصلكمبهجر و ما مثلى على الهجر يصبر

فما بالكم غيّرتم عبدكمو عهدى بالمحبوب ليس يغيّر

و قال فى التّورية مداعبا بعض المقرئين للعدد و هو بديع : [الكامل]

يا ناصبا علم الحساب حباله لقناص ظبى ساحر الألباب

إن كنت ترجو بالحساب وصالهفالبدر يرزقنا بغير حساب

و قال فى التّورية العروضية : [المتقارب]

لقد كمل الودّ ما بيننا و دمنا على فرح شامل

فإن دخل القطع فى وصلنافقد يدخل القطع فى الكامل

و قال فى تضمين مثل : [الوافر]

ألا أكتم حبّ من أحببت و اصبرفإنّ الهجر يحدثه الكلام

و إن أبداه دمع أو نحولفمن بعد اجتهادى لا تلام

و قال : [السريع]

و أشنب الثّغر له و جنةتعدّت النّحل على وردها

ما ذاك إلّا حسد إذ رأترضابه أعذب من شهدها

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۰۴

و قال فى التّورية بأسماء كتب فقهية جوابا غير معمّى : [الطويل]

لك اللّه من خلّ حبانى برقعةحبتنى من أبياتها بالنوادر

رسالة رمز فى الجمال نهاية و خيرة نظم أتحفت بالجواهر

و قال فى التّورية أيضا : [الطويل]

إلى اللّه أشكو غدر آل تودّدى إلىّ فلمّا لاح سرّى لهم حالوا

لقد خدعونى إذ أرونى مودّةو لكنّه لا غرو أن يخدع الآل

و قال يخاطب رجلا من أصحابه : [الطويل]

أبا حسن إن شتّت الدّهر شملنافليس لودّ فى الفؤاد شتات

و إن حلت عن عهد الإخاء فلم يزل لقلبى على حفظ العهود ثبات

و هبنى سرت منى إليك إساءةأ لم تتقدّم قبلها حسنات؟

و قال فى النّسيب : [الطويل]

لئن كان باب القرب قد سدّ بيننا و لم يبق لى فى نيل وصلك مطمع

و أخفرت عهدى دون ذنب جنيتهو أصبح ودّى فيك و هو مضيّع

و لم ترث لى عمّا ألاقى من الأسىو صرت أنادى منك من ليس يسمع

و ضاقت بى الأحوال عن كلّ وجهةفما أرتجى من رحمة اللّه أوسع

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۰۵

و ممّا نظمه فى التّضمين مخاطبا بعض المنتحلين للشّعر قوله : [الطويل]

لقد صرت فى غصب القصائد ماهرافما أسم جميع الشعر عندك غير لى

و لم تبق شعرا لامرىء متقدّم و لم تبق شعرا يا ابن بشت لأول

فشعر جرير قد غصبت و رؤبة و شعر ابن مرج الكحل و ابن المرحّل

و إن دام هذا الأمر أصبحت تدّعى(قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل)

و من المقرئين و العلماء

عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدرى الكوّاب

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، الخطيب، المقرئ.

حاله: من «الصّلة»: كان، رحمه اللّه، أتقن أهل زمانه فى تجويد كتاب اللّه العزيز، و أبرعهم فى ذلك، و أنفعهم للمتعلم، نفع اللّه به كل من قرأ عليه، و ترك بعده جملة يرجع إليهم فى ذلك، و يعمل على ما عندهم. و كان مع ذلك نبيه الأغراض، فى جميع ما

يحتاج إليه فى علمه، ذاكرا للاختيارات التى تنسب للمقرئين، من يرجّح و يعلّل، و يختار و يردّ، موفقا فى ذلك، صابرا على التعليم، دائبا عليه نهاره و ليله، ذاكرا لخلاف السّبعة. رحل الناس إليه من كل مكان، خاصّتهم و عامّهم، و ملأ بلده تجويدا و إتقانا، و كان مع هذا فاضلا ورعا جليلا. خطب بجامع غرناطة و أمّ به مدة طويلة إلى حين وفاته.

مشيخته: أخذ القراءات عن الحاج أبى الحسين بن كوثر، و أبى خالد بن رفاعة، و أبى عبد اللّه بن عروس. و رحل إلى بيّاسة فأخذ بها القراءات عن أبى بكر بن حسّون، و أخذ مع هؤلاء عن جعفر بن حكم، و أبى جعفر بن عبد الرحيم،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۰۶

و أبى الحسن الصّدفى الفاسى، و سمع عليه كثيرا من كتاب سيبويه تفقّها، و أجاز له كتابة القاضى أبو بكر بن أبى جمرة مع آخرين ممن أخذوا عنه.

من أخذ عنه: روى عن الناس أهل بلده و غيرهم، منهم ابن أبى الأحوص، و أبو عبد اللّه بن إبراهيم المقرئ.

وفاته: توفى فى سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة ، و دفن بمقبرة باب إلبيرة.

عبد اللّه بن على بن عبد اللّه بن على بن سلمون الكنانى

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، و يعرف بابن سلمون.

حاله: كان، رحمه اللّه، نسيج وحده، دينا و فضلا، و تخلّقا و دماثة، و لين جانب، حسن اللّقاء، سليم الباطن، مغرقا فى الخير، عظيم الهشّة و القبول، كريم الطّويّة، عظيم الانقياد، طيّب اللهجة، متهالكا فى التماس الصّالحين، يتقلّب فى ذلك بين الخطإ و الإصابة، صدرا فى أهل الشّورى. قرأ ببلده و سمع و أسمع و أقرأ، و كتب الشروط مدة، مأثور العدالة، معروف النّزاهة، مثلا فى ذلك، و يقوم على العربية و الفقه، خصوصا باب البيوع، و يتقدّم السّباق فى معرفة القراءات، منقطع القرين فى ذلك، أشدّ الناس خفوفا فى الحوائج، و أسرعهم إلى المشاركة.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الكبير أبى جعفر بن الزبير بغرناطة، و لازمه، فانتفع به دراية و رواية. و قرأ على الخطيب أبى الحسن بن فضيلة، و المكتّب أبى الحسن البلّوطى، و أبى محمد النّفزى، و الخطيب أبى جعفر الكحيلى. و بمالقة على الأستاذ أبى محمد الباهلى. و بسبتة على الأستاذ المقرئ رحلة وقته أبى القاسم بن الطيب، و سمع عليه الكثير. و على الأستاذ أبى عبد اللّه الدّراج، و لازم مجلس إقرائه، و على الشيخ المعمّر أبى عبد اللّه بن الخطّار الكامى، و هو أعلى من لقيه من تلك الحلبة.

و أخذ بالإجازة عن العدل أبى عبد اللّه محمد بن عبد الرحمن النّولى، و روايته عالية.

لقى أبا الربيع بن سالم، و لقى بسبتة الشّريف الرّاوية أبا على الحسن بن أبى الشرف ربيع، و الأديب الكاتب أبا على الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق. و بفاس الفقيه أبا غالب محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلى. و قرأ على الخطيب المحدّث أبى عبد اللّه بن رشيد. و سمع على ذى الوزارتين أبى عبد اللّه بن الحكيم. و لقى الأديب المعمّر مالك بن المرحّل. و أجازه أبو عمران موسى بن الخطيب أبى الحسن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۰۷

الدّارى برندة. و أجازه من أهل المشرق كثير، منهم عز الدين أحمد بن محمد الحسنى بقيّة الأشراف بالدّيار المصرية، و جمال الدين أحمد بن محمد بن عبد اللّه الظاهرى، و نجم الدين أحمد بن حمدان الحرّانى، و جمال الدين أحمد بن أبى الفتح الشّيبانى، و أحمد بن عبد المنعم الصّوفى، و مولده عام أحد و ستمائة، و أحمد بن سلمان بن أحمد المقدسى، و أحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادى، و شمس الدين إبراهيم بن سرور المقدسى، و الخطيب بالمسجد الأعظم ببجاية أبو عبد اللّه بن صالح الكنانى، و أبو عبد اللّه محمد بن أبى خمسة محمد بن البكرى بن أبى بكر، و أبو عبد اللّه محمد بن على بن وهب بن مطيع بن أبى الطاعة القشيرى، و ابن دقيق العيد

تقى الدين، و أبو عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة، و الشيخة الصالحة أم محمد عائشة بنت أبى الخطاب محمد بن أحمد بن خليل السّكونى. و أجازه نحو من المايتين من أهل المشرق و المغرب. و لقى بفاس الشّيخة الأديبة الطيبة الشاعرة سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبيّة و أجازته، و ألبسته خرقة التصوّف.

قال: و أنشدتنى قصيدة أجابت بها الخطيب المحدّث أبا عبد اللّه بن رشيد، أولها يعنى قصيدة ابن رشيد: [السريع]

سرى نسيم من حمى سارةعاد به كلّ نسيم عاطرا

و جال أفكار الدّنا ذكرهافسار فيها مثلا سائرا

دائرة و المجد قطب لهادارت عليه فلكا دائرا

فقالت:

وافى قريض منكم مذ غدالبعض أوصافكم ذاكرا

أطلع من أنفاسه حجوا و من شذاه نفسا عاطرا

أعاد ميت الفكر من خاطرىمن بعد دفن فى الثّرى ناشرا

يبهر طرفى حسن منظرهأحبب به نظما غدا باهرا

فقلت لمّا هالنى حسنهأ شاعرا أصبح أم ساحرا؟

أم روضة هذى التى قد نوى؟أم بدر تمّ قد بدا زاهرا؟

أم ضرب من فمه سائل؟أم جوهر أضحى لنا ناثرا؟

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۰۸ للّه ما أعذب ألفاظهو أنور الباطن و الظّاهرا!

يا ابن رشيد، بل أبا الرّشد،من لم يزل طىّ العلا ناشرا

خذ ما فدتك النّفس يا سيدىو كن لمن نظمها عاذرا

ما تصل الأنثى بتقصيرهالأن تبارى ذكرا ماهرا

لا زلت تحيى من رسوم العلاما كان منها دارسا داثرا

تصانيفه: الكتاب المسمى ب «الشافى فى تجربة ما وقع من الخلاف بين التّيسير و التّبصرة و الكافى» لا نظير له.

مولده: ولد بغرناطة بلده فى الثانى و العشرين لذى قعدة من عام تسعة و ستين و ستمائة.

وفاته: فقد فى الوقيعة العظمى بطريف يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى من عام أحد و أربعين و سبعمائة. حدّث بعض الجند أنه رآه يتحامل، و جرح بصدره يثغب دما، و هو رابط الجأش، فكان آخر العهد به، تقبّل اللّه شهادته.

عبد اللّه بن سهل الغرناطى

يكنى أبا محمد، و ينبز بوجه نافخ.

حاله: من كتاب ابن حمامة، قال: عنى بعلم القرآن و النحو و الحديث عناية تامة، و بهذا كنت أسمع الثّناء عليه من الأشياخ فى حال طفولتى بغرناطة، ثم شهر بعد ذلك بعلم المنطق، و العلوم الرياضية، و سائر العلوم القديمة، و عظم بسببها، و امتدّ صيته من أجلها، و أجمع المسلمون و اليهود و النصارى أن ليس فى زمانه مثله، و لا فى كثير ممن تقدّمه، و بين هذه الملل الثلاثة من التّحاسد ما عرف. و كانت النصارى تقصده من طليطلة، تتعلّم منه أيام كان ببيّاسة ، و له مع قسّيسهم مجالس فى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۰۹

التّناظر، حاز فيها قصب السّبق. قال: ثم خرج عن بيّاسة، و سار إلى نظر ابن همشك عند خروج النصارى عن بيّاسة. و له تواليف. و هو

الآن بحاله.

قلت: تاريخ هذا القول، عام ثلاثة و خمسين و خمسمائة.

عبد اللّه بن أيوب الأنصارى

يكنى أبا محمد، و يعرف بابن خدوج ، من أهل قلعة أيوب .

حاله: فقيه حافظ لمذهب مالك. استوطن غرناطة و سكنها.

تواليفه: ألّف فى الفقه كتابا مفيدا سماه «المنوطة على مذهب مالك»، فى ثمانية أسفار ، أتقن فيها كل الإتقان.

وفاته: توفى بها سنة اثنتين و ستين و خمسمائة، و قد قارب المائة.

عبد اللّه بن الحسن بن أحمد بن يحيى ابن عبد اللّه الأنصارى

مالقى، قرطبى الأصل، يكنى أبا محمد، و يعرف بالقرطبى، و قرأ بغرناطة.

حاله: كان فى وقته ببلده كامل المعارف، صدرا فى المقرئين و المجوّدين ، رئيس المحدّثين و إمامهم، واسع المعرفة، مكثرا، ثقة، عدلا، أمينا، مكين الرّواية ، رائق الحطّ، نبيل التّقييد و الضّبط، ناقدا، ذاكرا أسماء رجال الحديث و طبقاتهم و تواريخهم، و ما حلوا به من جرح و تعديل، لا يدانيه أحد فى ذلك، عزيز النّظر ،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣١٠

متيقّظا، متوقّد الذهن، كريم الخلال، حميد العشرة، دمثا، متواضعا، حسن الخلق، محبّبا إلى الناس، نزيه النفس، جميل الهيئة، و قورا، معظّما عند الخاصة و العامة، ديّنا، زاهدا، ورعا، فاضلا، نحويا ماهرا، ريّان من الأدب، قائلا الجيّد من الشعر، مقصدا و مقطعا. و كان له بجامع مالقة الأعظم مجلس عام، سوى مجلس تدريسه، يتكلم فيه على الحديث، إسنادا و متنا، بطريقة عجز عنها الكثير من أكابر أهل زمانه. و تصدّر للإقراء ابن عشرين سنة .

من أخباره فى العلم و الذكاء: قالوا: قرىء عليه يوما باب الابتداء بالكلم التى يلفظ بها فى إيضاح الفارسى، و كان أحسن الناس قياما عليه، فتكلّم على المسألة الواقعة فى ذلك الباب، المتعلقة بعلم العروض، و كان فى الحاضرين من أحسن صناعته، فجاذبه الكلام ، و ضايقه فى المباحثة، حتى أحسّ الأستاذ من نفسه التّقصير، إذ لم يكن له قبل كبير نظر فى العروض، فكفّ عن الخوض فى المسألة، و انصرف إلى منزله، و عكف سائر اليوم على تصفّح علم العروض حتى فهم أغراضه، و حصّل تواليفه ، و صنّف فيه مختصرا نبيلا لخّص فى صدره ضروبه ، و أبدع فيه بنظم مثله، و جاء به من الغد، معجزا من رآه أو سمع به، فبهت الحاضرون و قضوا العجب من اقتداره و ذكائه، و نفوذ فهمه، و سموّ همّته.

و من أخباره فى الدّين: قال أبو أحمد جعفر بن زعرور العاملى المالقى، تلميذه الأخصّ به: بتّ معه ليلة فى دويرته التى كانت له بجبل فاره للإقراء و المطالعة، فقام ساعة كنت فيها يقظانا ، و هو ضاحك مسرور، يشدّ يده كأنّه ظفر بشىء نفيس، فسألته فقال: رأيت كأن الناس قد حشروا فى العرض على اللّه، و أتى بالمحدّثين، و كنت أرى أبا عبد اللّه النّميرى يؤتى به، فيوقف بين يدى اللّه تعالى،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣١١

فيعطى براءته من النّار، ثم يؤتى بى، فأوقفت بين يدى ربىّ، فأعطانى براءتى من النّار، فاستيقظت، و أنا أشدّ عليها يدى اغتباطا بها و فرحا، و الحمد للّه.

مشيخته: تلا بمالقة على أبيه، و أبى زيد السّهيلى، و القاسم بن دحمان، و روى عنهم، و عن أبى الحجاج بن الشيخ، و أبوى عبد اللّه بن الفخّار، و ابن نوح، و ابن اليتيم، و ابن كامل، و ابن جابر، و ابن بونة. و بالمنكّب عن عبد الوهاب الصّدفى. و حضر بمالقة مجلس

أبى إسحاق بن قرقول. و بإشبيلية عن أبى بكر بن الجد، و ابن صاف، و أبى جعفر بن مضاء، و أبوى الحسن عبد الرحمن بن مسلمة، و أبى عبد اللّه بن زرقون، و أبى القاسم بن عبد الرازق، و أبى محمد بن جمهور.

و بغرناطة عن أبوى جعفر بن حكم الحصّار، و ابن شراحيل، و أبى عبد اللّه بن عروس، و أبوى محمد عبد الحق النّوالشى، و عبد المنعم بن الفرس. و بمرسية عن أبى عبد اللّه بن حميد، و أبى القاسم بن حبيش. و بسبتة عن أبى محمد الحجرى.

و أجاز له من الأندلس ابن محرز، و ابن حسّون، و ابن خيرة، و الأركشى، و ابن حفص، و ابن سعادة، و يحيى المجريطى، و ابن بشكوال، و ابن قزمان. و من أهل المشرق جماعة كبيرة.

شعره و تصانيفه: ألّف فى العروض مجموعات نبيلة، و فى قراءة نافع. و لخّص أسانيد الموطّأ. و له المبدى، لخطإ الرّندى. و دخل يوما بمجلس أقرأ به أبو الفضل عياض، و كان أفتى منه، غير أنّ الشّيب جار عليه، و تأخّر شيب الأستاذ، فقال: يا أستاذ، شبنا و ما شبتم، قال: فأنشده ارتجالا : [الطويل]

و هل نافع أن أخطأ الشّيب مفرقىو قد شاب أترابى و شاب لداتى؟

لئن كان خطب الشّيب يوجد حسّه بتربى فمعناه يقوم بذاتى

و من شعره فى التّجنيس : [الطويل]

لعمرك، ما الدّنيا و سرعة سيرهابسكّانها إلّا طريق مجاز

حقيقتها أنّ المقام بغيرهاو لكنهم قد أولعوا بمجاز

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣١٢

و مما يؤثر أيضا من شعره قوله : [الخفيف]

سهرت أعين و نامت عيونلأمور تكون أو لا تكون

فاطرد الهمّ ما استطعت عن النّفس فحملانك الهموم جنون

إنّ ربّا كفاك بالأمس ما كانسيكفيك فى غد ما يكون

مولده: ولد أبو محمد قريب ظهر يوم الاثنين لثمان بقين من ذى القعدة عام ستة و خمسين و خمسمائة.

وفاته: سحر ليلة السبت أو سحر يومها، و دفن إثر صلاة العصر من اليوم السابع لربيع الآخر سنة إحدى عشرة و ستمائة.

من رثاه: رثاه الأديب أبو محمد عبد اللّه بن حسّون البرجى من قصيدة حسنة طويلة : [الطويل]

خليلىّ، هبّا ساعدانى بعبرةو قولا لمن بالرىّ: و يحكم هبّوا

نبكّ العلا و المجد و العلم و التّقىفمأتم أحزانى نوائحه الصّحب

فقد سلب الدّين الحنيفىّ روحهففى كلّ سرّ من نباهته نهب

و قد طمست أنوار سنّة أحمدو قد خلت الدنيا و قد ظعن الرّكب

مضى الكوكب الوقّاد و المرهف الذىيصحّح فى نصّ الحديث فما ينبو

تمنّى علاه النّيران و نورهو قالا بزعم: إنّه لهما ترب

أ أسلو و بحر العلم غيضت مياههو محيى رسوم العلم يحجبه التّرب؟

عزيز على الإسلام أن يودع الثرىمسدّدة الأسرى و عالمه النّدب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣١٣ بكى العالم العلوىّ و السّبع حسرةأولئك حزب اللّه ما فوقهم حزب

على القرطبىّ الحبر أستاذنا الذىعلى أهل هذا العصر فضّله الرّبّ

فقد كان فيما قد مضى من زمانهبه تحسن الدّنيا و يلتئم الشّعب

و يجمع سرب الأنس روض جنابه فقد جفّ ذاك الرّوض و افترق السّرب

فسحقا لدنيا خادعتنا بمكرهاإذا عاقدت سلما فمقصدها حرب

ركبنا بها السّهل الذّلول فقادناإلى كلّ ما فى طيّه مركب صعب

و نغفل عنها و الرّدى يستفزّناكفى واعظا بالموت لو كان لى لبّ

عبد اللّه بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد ابن إسماعيل بن سماك العاملى

يكنى أبا محمد، مالقى الأصل.

حاله: كان فقيها أديبا، بارع الأدب، شاعرا مطبوعا، كثير النّادر، حلو الشّمايل، أدرك شيوخا جلّة، و ولّى قضاء غرناطة مدّة.

مشيخته: روى عن جدّه لأمه، و ابن عمّ أبيه أبى عمر أحمد بن إسماعيل، و أبى على الغسّانى، و أبى الحسن على بن عبيد الرحمن بن سمحون، و المرسانى الأديب.

شعره: [الكامل]

الروض مخضرّ الرّبى متجمّلللناظرين بأجمل الألوان

و كأنما بسطت هناك سوارهاخود زهت بقلائد العقيان

و كأنّما فتقت هناك نوافحمن مسكة عجنت بعرف البان

و الطّير يسجع فى الغصون كأنماتقرأ القيان فيه على العيدان

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣١٤ و الماء مطّرد يسيل عبابه كسلاسل من فضّة و جمان

بهجات حسن أكملت فكأنهاحسن اليقين و بهجة الإيمان

و كتب إلى الكاتب أبى نصر الفتح بن عبيد اللّه فى أثناء رسالة :

[الوافر]

تفتّحت الكتابة عن نسيمنسيم المسك فى خلق الكريم

أبا نصر، رسمت لها رسوماتخال رسومها وضح النّجوم

و قد كانت عفت فأنرت منهاسراجا لاح فى اللّيل البهيم

فتحت من الصّناعة كلّ بابفصار فى طريق مستقيم

فكتّاب الزمان و لست منهمإذا راموا مرامك فى هموم

فما قسّ بأبدع منك لفظاو لا سحبان مثلك فى العلوم

وفاته: فى السابع و العشرين من رمضان المعظم سنة أربعين و خمسمائة، و هو ابن أربع و ثمانين سنة.

و من ترجمة القضاة

عبد اللّه بن أحمد بن محمد بن سعيد بن أيوب بن الحسن ابن منخل بن زيد الغافقى

من أهل غرناطة و أعيانها، يكنى أبا محمد، و ينسب إلى غافق بن الشّاهد بن عك بن عدنان، لا إلى حصن غافق.

حاله: من «العائد: كان رجلا صحيح المذهب، سليم الصّدر، قليل المصانعة، كثير الحركة و الهشّة و الجدة، ملازم الاجتهاد و العكوف، لا يفتر عن النّسخ و التّقييد و المطالعة، على حال الكبرة، قديم التّعيّن و الأصالة، ولّى القضاء عمره بمواضع كثيرة، منها بيرة و رندة ثم

مالقة، مضافا إلى الخطابة بها.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۱۵

مشيخته: حجّ فى حدود سبعة و ثمانين و ستمائة، و روى عن جلّة من أهل المشرق، كالإمام تقى الدين بن دقيق العيد، و الحافظ أبى محمد عبد المؤمن الدّمياطى، و شمس الدين المصنّف أبى عبد اللّه بن عبد السلام. و أجازه من أهل المغرب شيخ الجماعة بالأندلس أبو جعفر بن الزبير، و القاضى ابن أبى الأحوص، و الخطيب أبو الحسن بن فضيلة، و الأستاذ أبو الحسن ابن الصّائغ الإشبيلى، و أبو جعفر الطّباع، و غيرهم.

تواليفه: ألّف كتابا سماه ب «المنهاج، فى ترتيب مسائل الفقيه المشاور أبى عبد اللّه ابن الحاج».

مولده: ولد بغرناطة فى حدود ستين و ستمائة.

وفاته: توفى بغرناطة يوم عاشوراء من عام أحد و ثلاثين و سبعمائة.

عبد اللّه بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه ابن أبى زمنين المرّى

يكنى أبا خالد.

حاله: كان فقيها جليلا، و ولّى القضاء ببعض جهات غرناطة.

مشيخته: أخذ الفقه عن أبى جعفر بن هلال، و أبى محمد بن سماك القاضى.

و العربية عن الخضر بن رضوان العبدرى. و الحديث عن الحافظ أبى بكر بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية، و الإمام أبى الحسن على بن أحمد، و القاضى أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض أيام قضائه بغرناطة.

مولده: ولد سنة سبع و تسعين و أربعمائة.

وفاته: توفى فى ذى قعدة سنة أربع و أربعين و خمسمائة.

عبد اللّه بن يحيى بن محمد بن أحمد بن زكريا بن عيسى ابن محمد بن يحيى بن زكريا الأنصارى

يكنى أبا محمد، من أهل غرناطة، شرقى الأصل، مرسيّه، من بيوتاته النّبيهة، و قد مرّ ذكر أخيه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۱۶

حاله: كان على طريقة حسنة من دمائة الأخلاق، و سلامة السّجيّة، و التزام الحشمة، و الاشتغال بما يعنى. ولّى القضاء دون العشرين سنة، و تصرّف فيه عمره بالجهات الأندلسية، فأظهر فيه عدلا و نزاهة، و لم يختلف عليه اثنان مدة حياته من أهل المعرفة بالأحكام، و التّقدّم فى عقد الشّروط، و صناعة الفرائض، علما و عملا، ثاقب الذهن، نافذا فى صنعة العدد.

مشيخته: قرأ على أبيه القاضى أبى بكر بن زكريا، و له رواية عالية من أعلام من أهل المشرق و المغرب. و قرأ على أبى الحسن بن فضيلة الولىّ الصالح، و القاضى أبى عبد اللّه بن هشام الألشى، و الأستاذ أبى جعفر بن الزبير، و الحاج أبى محمد بن جابر، و أبى بكر القللوسى. و قرأ العدد و ما أشبهه على الأستاذ التّعاليمى أبى عبد اللّه الرقّام، و لازمه، و أجازه طائفة كبيرة. أخبرنى ولده الفاضل أبو بكر، قال: ورد سؤال من تونس مع تاجر وصل فى مركب إلى مدينة المنكّب أيام قضائه بها، فى رجل فرّط فى إخراج زكاة ماله سنين متعدّدة، سمّيت فى السؤال مع نسبة قدر المال، و طلب فى السؤال أن يكون عملها بالأربعة الأعداد المتناسبة، إذ عملها بذلك أصعب من عملها بالجبر و المقابلة، فعملها و أخرجها بالعملين، و عبّر عنها بعبارة حسنة، و كتبها فى بطاقة بخطّ جميل، فذكر التاجر أنه لم يبق بتونس فقيه إلّا و نسخ منها نسخة و استحسنها.

مولده: ولد يوم الخميس السابع عشر لجمادى الآخرة عام خمسة و سبعين و ستمائة.

وفاته: توفى قاضيا ببسطة فى التاسع عشر من رمضان عام خمسة و أربعين و سبعمائة.

عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك ابن أبى جمرة الأزدى

من أهل مرسية، نزيل غرناطة، يكنى أبا محمد، و بيته بمرسية من أعلام بيوتاتها، شهير التّعيّن و الأصالة، ينكح فيه الأمراء.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣١٧

حاله: كان من أعلام وقته فضلا و عدالة و صلاحا و وقارا، طاهر النشأة، عفّ الطّعمة، كثير الحياء، مليح التّخلّق. نشأ بمرسية، ثم انتقل إلى غرناطة فتولّى القضاء ببيرة و جهاتها، ثم جاز إلى سبتة، و انعقدت بينه و بين رؤسائها المصاهرة فى بعض بناته. ثم آب إلى غرناطة عند رجوع إيالة سبتة إلى أميرها، فتقدّم خطيبا بها.

مشيخته: روى بالإجازة عن الخطيب الحافظ أبى الرّبيع بن سالم و أمثاله.

وفاته: الغريبة المستحسنة، قال بعض شيوخنا: كنت أسمعه عند سجوده و تبتّله و ضراعته إلى اللّه يقول: اللّهم، أمتنى ميتة حسنة، و يكرّر ذلك. فأجاب اللّه دعاءه، و توفّاه على أتمّ وجوه التّأنيب طهارة و خشوعا و خضوعا و تأهّبا، و زمانا و مكانا، عندما صعد أوّل درج من أدراج المنبر، يوم الجمعة الثالث و العشرين لشوال من عام أحد عشر و سبعمائة، فكان يوما مشهودا لا عهد بمثله، ما رئى أكثر باكيا منه، و أكثر الناس من الثناء عليه.

عبد اللّه بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان ابن عمر بن حوط اللّه الأنصارى الحارثى الأزدى

يكنى أبا محمد.

حاله: من «الصّلة»: قال : القاضى المحدّث الجليل العالم، كان فقيها جليلا أصوليا، نحويا، كاتبا، أديبا، شاعرا، متفنّنا فى العلوم، و رعا، ديّنا، حافظا، ثبتا، فاضلا. و كان يدرّس كتاب سيبويه، و مستصفى أبى حامد ، و يميل إلى الاجتهاد فى نظره، و يغلّب طريقة الظّاهرية ، مشهورا بالعقل و الفضل، معظّما، عند الملوك، معلوم القدر لديهم، يخطب فى مجالس الأمراء و المحافل الجمهورية، مقدّما فى ذلك، بلاغة و فصاحة إلى أبعد مضمار. و لملوك الموحّدين به اعتناء كبير.

و هو كان أستاذ الناصر و إخوته، و كان له عند المنصور والدهم، بذلك أكرم أثرة، مع ما كان مشهورا به من العلم و الدّين و الفضل.

ولّى القضاء بإشبيلية و قرطبة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣١٨

و مرسية و سبتة و سلا و ميورقة، فتظاهر بالعدل، و عرف بما أبطن من الدين و الفضل، و كان من العلماء العاملين، سنّيا، مجانبا لأهل البدع و الأهواء، بارع الخطّ، حسن التّقييد.

مشيخته: تردّد فى طلب العلم، فسمع ببلنسية و شاطبة و مرسية و ألمرية و قرطبة و إشبيلية و مالقة، و غيرها من البلاد الأندلسية، و تحصّل له سماع جمّ لم يشاركه فيه أحد من أهل المغرب . قرأ القرآن على أبيه، و على أبى محمد عبد الصمد الغسّانى، و أخذ عن ابن حميد كتاب سيبويه تفقّها، و عن غيره، و سمع عن ابن بشكوال، و قرأ أكثر من ستّين تأليفا بين كبار و صغار، و كمل له على أبى محمد بن عبد اللّه، بين قراءة و سماع، نحو من ستة و ثلاثين تأليفا، منها الصّحيحان، و أكثر عن ابن حبيش، و السّهيلى، و ابن الفخّار و غيرهم. و استيفاء مشيخته يشقّ.

شعره: قال الأستاذ: أنشدنيه ابنه أبو القاسم، و نقلت من خطه : [الوافر]

أ تدرى أنّك الخطّاء حقّاو أنّك بالذى تدرى رهين؟

و تغتاب الألى فعلوا و قالواو ذاك الظّنّ و الإفك المبين

مولده: فى محرم سنة ثمان و أربعين و خمسمائة .

وفاته: كان آخر عمره قد أعيد إلى مرسية، قصدها من الحضرة، فمات بغرناطة سحر يوم الخميس الثانى لربيع الأول اثنتى عشرة و ستمائة، و نقل منها فى تابوته الذى ألحد فيه، يوم السبت التاسع عشر لشعبان من السنة إلى مالقة، فدفن بها.

عبد اللّه بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد ابن عبد الرحمن بن ربيع الأشعرى

من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسم، و يعرف بابن ربيع.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣١٩

حاله: كان، رحمه اللّه، أديبا، كاتبا، شاعرا، نحويا، فقيها أصوليّا، مشاركا فى علوم، محبّا فى القراءة، و طيّا عند المناظرة، متناصفا، ستيّا، أشعرى المذهب و النّسب، مصمّما على طريقة الأشعريّة، ملتزما لمذهب أهل السّنّة المالكى، من بقايا الناس و عليتهم، و من آخر طلبة الأندلس المشاركين الجلّة، المصمّمين على مذهب أهل السّنة، المنافرين للمذاهب الفلسفية و المبتدعة، و الزّيغ. ولّى قضاء مواضع من الأندلس، منها مدينة شريش و رندة و مالقة، و أمّ و خطب بجامعها. ثم ولّى قضاء الجماعة بحضرة غرناطة، و عقد بها مجلسا للإقراء، فانتفع به طلبتها، و استمرّ على ذلك، و كانت ولايته غرناطة نحوا من سبعة أعوام.

مشيخته: أخذ عن أبيه أبى عامر و تفقّه به، و عن الخطيب أبى جعفر بن يحيى الحميرى، و تلا عليه، و تأدّب به، و عن الأستاذ أبى الحسن بن خروف، و روى مع هؤلاء عن القاضى أبى القاسم بن بقى، و أبى محمد بن حوط اللّه، و أبى عبد اللّه بن أصبغ، و غيرهم. و أجاز له الشيخ المسنّ أبو الحسن على بن أحمد بن على الغافقى الشّقورى، و له به علوّ، و بالأستاذ الخطيب المسنّ أبى جعفر بن يحيى المتقدم.

وفاته: توفى فى السابع عشر لشوال سنة ست و ستين و ستمائة، و لم يخلف بعده مثله، و لا من يقاربه.

عبد اللّه بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن ابن الحسين الثقفى العاصمى

من ولد عاصم بن مسلم، الداخل فى طلعة بلج الملقّب بالعريان، أخو الأستاذ أبى جعفر بن الزبير، شقيقه، يكنى أبا محمد.

حاله: كان طبيبا ماهرا، كاتبا شاعرا، ذاكرا للّغة، صنع اليدين، متقدّما فى أقرانه نباهة و فصاحة، معدوم النظير فى الشجاعة و الإقدام، يحضر الغزوات، فارسا و راجلا و لقى بفحص غرناطة ليلا نصرانيا يتجسّس، فأسره و جرّه، و أدخله البلد، و لم يلتفت إلى ثمنه استكتاما لتلك الفعلة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٢٠

مشيخته: أخذ القرآن عن الأستاذ أبى عبد اللّه بن مستقور، و روى عن أبى يحيى بن عبد الرحيم، و أبى الوليد العطار، و أبى القاسم بن ربيع، و أبى الخطار بن خليل، و أخذ عن أبى عمر بن حوط اللّه بمالقة، و ابن أبى ريحانة. و بسبتة على أبى بكر بن مشليون. و أجاز له أبو بكر بن محرز، و أبو الحسن الشّارى. و أخذ عن الأستاذ الناقد أبى الحسن على بن محمد الكنانى.

مولده: ولد بغرناطة لسبع عشرة ليلة خلت من ذى قعدة سنة ثلاث و أربعين و ستمائة.

وفاته: توفى بها سحر أول يوم من ذى قعدة سنة ثلاث و ثمانين و ستمائة.

عبد اللّه بن موسى بن عبد الرحمن بن حمّاد الصّنهاجى

يكنى أبا يحيى.

حاله: طالب نبيل فاضل، ورع زاهد، مؤثر فى الدنيا بما تملّكه، تال لكتاب اللّه فى جميع الأوقات.

أخباره فى الإيثار: وجّه له السيد أبو إسحاق ابن الخليفة أبى يعقوب خمسمائة دنير ليصلح بها من شأنه، فصرف جميعها على أهل السّتر فى أقلّ من شهر. و مرّ بفتى فى إشبيلية، و أعوان القاضى يحملونه إلى السّجن، و هو يبكى، فسأله، فقال: أنا غريب، و طولبت بخمسين دنيرا، و بيدى عقود، و طولبت بضامن فلم أجده، فقال: له اللّه، قال: نعم، قال: فدفع له خمسين دنيرا، قال: أشهد لك بها، فضجر و قال: إن اللّه إذا أعطى عبده شيئا لم يشهد به عليه، و تركه و انصرف لشأنه، و كانت عنده معرفة و أدب.

مولده: بغرناطة فى سنة إحدى و عشرين و خمسمائة.

و من ترجمة الكتّاب و الشعراء بين أصلى و طارىء

عبد اللّه بن إبراهيم بن عبد اللّه الأزدى

من أهل بلّش، يكنى أبا محمد، و يعرف بابن المرابع.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٢١

حاله: من نبهاء أدباء البادية، خشن الظاهر، منطو على لوذعيّة متوارية فى مظهر جفوة، كثير الانطباع عند الخبرة، قادر على النظم و النثر، متوسّط الطّبقة فيهما، مسترفد بالشعر، سيّال القريحة، مرهوب الهجاء، مشهور المكان ببلده، يعيش من الخدم المخزنيّة، بين خارص و شاهد، و جدّ بذلك وقته، يوسّط رقاعته، فتنجح الوسيلة، و يتمشّى له بين الرّضا و السّخط الغرض.

و جرى ذكره فى «التاج» بما نصّه : «طويل القوادم و الخوافى، كلف على كبر سنّه بعقائل القوافى، شاب فى الأدب و شبّ، و نشق ريح البيان لمّا هبّ، فحاول رفيعه و جزله، و أجاد جدّه، و أحكم هزله. فإن مدح صدح، و إن وصف أنصف، و إن عصف قصف، و إن أنشأ و دوّن، و تقلّب فى أفانين البلاغة و تلوّن، أفسد ما شاء اللّه و كوّن، فهو شيخ الطريقة الأدبيّة و فتاها، و خطيب حفلها كلّما أتاها، لا يتوقّف عليه من أغراضها غرض، و لا يضيع لديه منها مفترض. و لم تزل بروقه تتألّق، و معانيه بأذيال الإحسان تتعلّق، حتى برّز فى أبطال الكلام و فرسانه، و ذعرت القلوب لسطوة لسانه، و ألقت إليه الصّناعة زمامها، و وقفت عليه أحكامها. و عبر البحر منتجعا بسعره ، و منفقا فى سوق الكساد من شعره ، فأبرق و أرعد، و حذّر و توعّد ، و بلغ جهد إمكانه، فى التّعريف بمكانه، فما حرّك و لا هزّ، و ذلّ فى طلب الرّفد و قد عزّ، و ما برح أن رجع إلى وطنه الذى اعتاده، رجوع الحديث إلى قتاده.

شعره: قال فى «التاج»: و قد أثبتّ من نزعاته، و بعض مخترعاته، ما يدلّ على سعة باعه، و نهضة ذراعه. فمن النسيب قوله : [البسيط]

ما للمحبّ دواء يذهب الألماعنه سوى لمم فيه ارتشاف لمى

و لا يردّ عليه نوم مقلتهإلّا الدّنوّ إلى من شفّه سقما

يا حاكما و الهوى فينا يؤيّدهواك فىّ بما ترضاه قد حكما

أشغلتنى بك شغلا شاغلا فلم تناسى، فديتك، عنّى بعد ذاك لما؟

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٢٢ ملكت روحى فأرفق قد علمت بمايلقى و لا حجّة تبقى لمن علما

ما غبت عنّى إلّا غاب عن بصرىبدرا إذا لاح يجلى نوره الظّلما

ما لحت لى فدنا طرفى لغيرك يامولى لحا فيه جفنى النوم قد حرما

طوعا لطيعك لا أعصيك فافض بماترضاه أرضى بما ترضى و لا جرما

إنّ الهوى يقتضى ذلّا لغيرك لوأفادنى فيك قربا يبرّد الألما

سلمت من كل عيب يا محمد لاكن قلب صبّك من عينيك ما سلما

و من مخاطباته الأدبية، ما كتب به إلى شيخ الصّوفية ببلده مع طالع من ولده:

[الطويل]

مماليكم قد زاد فيكم مرابع‌من الأفق الكونى باليمن طالع

بأنواركم يهدى إلى سبل الهدىو يسمو لما تسمو إليه المطالع

فواسوه منكم بالدّعاء فإنه‌مجاب بفضل اللّه للخلق نافع

أفاض عليه اللّه من بركاتكم‌و أبقاكم ذو العرش ما جنّ ساجع

فوقّع له الشيخ المخاطب بها، أبو جعفر بن الزيات، رحمه اللّه، بما نصّه:

[الطويل]

عسى اللّه يؤتيه من العلم حصّةتصوّب على الألباب منها ينابع

و يجعله طرفا لكلّ سجيّةمطهّرة للناس فيها منافع

و يلحقه فى الصالحات بجدّه‌فيثنى عليه الكلّ دان و شاسع

و ذو العرش جلّ أسما عميم نواله‌و خير الورى فى نصّ ما قلت شافع

فما أنت دونى يا أباه مهنّأبه فالسرور الكلّ بابنك جامع

و له يستدعى إلى الباكور: [الوافر]

بدار بدار قد آن البدارإلى أكواس باكور تدار

تبدّت رافلات فى مسوحله لون الدّياجى مستعار

و قد رقمت بياضا فى سوادكأنّ الليل خالطه النّهار

و قد نضجت و ما طبخت بنارو هل يحتاج للباكور نار؟

و لا تحتاج مضغا لا و ليس‌عجيب لا يشقّ له غبار

فقل للخلق قل للضّرس دعنى‌ففى البلع اكتفاء و اقتصار

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٢٣

و ممّا وقع له أثناء مقامات تشهد باقتداره، مقطوعة سهلة و هى : [المتقارب]

رعى اللّه عهدا حوى ما حوىلأهل الوداد و أهل الهوى

أراهم أمورا حلا وردهاو أعطاهم السؤل كيف نوى

و لمّا حلا الوصل صالوا لهو راموه مأوى و ماء روى

و أوردهم سر أسرارهم‌و ردّ إلى كلّ داء دوا

و ما أمل طال إلّا و هىو لا آمل صال إلّا هوى

و قال يرثى ديكا فقده، و يصف الوجد الذى وجده، و يبكى من عدم أذانه، إلى غير ذلك من مستطرف شانه : [البسيط]

أودى به الحتف لمّا جاءه الأجل‌ديكا فلا عوض منه و لا بدل

قد كان لى أمل فى أن يعيش فلم‌يثبت مع الحتف فى بغيا لها أمل

فقدته فلعمرى إنها عظةو بالمواعظ تذرى دمعها المقل

كأنّ مطرف وشى فوق ملبسه‌عليه من كلّ حسن باهر حلل

كأنّ إكليل كسرى فوق مفرقه‌و تاجه فهو عالى الشّكل محتفل

مؤقّت لم يكن يحزى له خطأفيما يرتّب من ورد و لا خطل

كأنّ زرقيل فيما مرّ علّمهعلم المواقيت فيما رتّب الأول الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج۳ ؛ ص۳۲۴

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۲۴ يرحّل الليل يحيى بالصراخ فمايصدّه كلل عنه و لا ملل

رأيته قد وهت منه القوى فهوىللأرض فعلا يريه الشّارب الثّمل

لو يفتدى بديوك الأرض قلّ لهذاك الفداء و لكن فاجأ الأجل

قالوا الدّواء فلم يغن الدّواء و لمينفعه من ذاك ما قالوا و ما فعلوا

أمّلت فيه ثوابا أجر محتسبإن قلت ذلك صحّ القول و العمل

و أمره السلطان أبو عبد اللّه سادس الملوك النّصريين فى بعض أسفاره، و قد نظر إلى شلير ، و تردّى بالثلج و تعمّم، و كمل ما أراد من بزّته و تمّم، أن ينظم أبياتا فى وصفه، فقال بديهة : [الطويل]

و شيخ جليل القدر قد طال عمرهو ما عنده علم بطول و لا قصر

عليه لباس أبيض باهر السّناو ليس بثوب أحكمته يد البشر

و طورا تراه كلّه كاسيا بهو كسوته فيها لأهل النّهى عبر

و طورا تراه عاريا ليس يشتكى لحرّ و لا برد من الشمس و القمر

و كم مرّت الأيام و هو كما تریعلى حاله لم يشك ضعفا و لا كبر

فذاك شلير شيخ غرناطة التىلبهجتها فى الأرض ذكر قد انتشر

بها ملك سامى المراقى أطاعه كبار ملوك الأرض فى حالة الصّغر

تولّاه ربّ العرش منه بعصمةتقيه مدى الأيام من كلّ ما ضرر

نثره: و نثره كثير ما بين مخاطبات، و خطب، و مقطعات، و لعب، و زرديّات شأنها عجب. فمن ذلك ما خاطب به الرئيس أبا سعيد بن نصر يستجدى أضحية:

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۲۵

يقول شاكر الأيادى: و ذاكر فخر كل نادى، و ناشر غرر الغرر للعاكف و البادى، و الرائح و الغادى، اسمعوا منى حديثا تلذّهُ الأسماع، و يستطرفه الاستماع، و يشهد بحسنه الإجماع، و يجب عليه الاجتماع، و هو من الأحاديث التى لم تتفق إلّا لمثلى، و لا ذكرت عن أحد قبلى، و ذلك يا معشر الألبّاء، و الخلصاء الأحبّاء، أنى دخلت فى هذه الأيام دارى، فى بعض أدوارى، لأقضى من أخذ الغذاء أوطارى، على حسب أطوارى، فقالت لى ربّةُ البيت: لم جئت، و بما أتيت؟ قلت: جئت لكذا و كذا، فهات الغذا، فقالت: لا غذا لك عندى اليوم، و لو أودى بك الصّوم، حتى تسل الاستخارة، و تفعل كما فعل زوج الجارة، طيّب اللّه نجاره، و ملأ بالأرزاق و جاره.

قلت: و ما فعل قرينى، و أرنى من العلامة ما أحببت أن ترينى. قالت: إنه فكّر فى العيد، و نظر فى أسباب التّعييد، و فعل فى ذلك ما يستحسنه القريب و البعيد، و أنت قد نسيت ذكره و محوته من بالك، و لم تنظر إليه نظرة بعين اهتبالك، و عيد الأضحى فى اليد، و النّظر فى شراء الأضحية اليوم أوفق من الغد. قلت: صدقت، و بالحقّ نطقت، بارك اللّه فيك، و شكر جميل تحفّيك، فلقد نبّهت بعلك لإقامة السّنة، و رفعت عنه من الغفلة منّة. و الآن أسير لأبحث عمّا ذكرت، و أنظر فى إحضار ما إليه أشرت، و يتأتّى ذلك إن شاء اللّه بسعدك، و تنالين فيه من بلوغ الأمر غاية قصدك، و الجدّ ليس من الهزل، و الأضحية للمرأة و للرجل الغزل. قالت: دعنى من الخرافات، و أخبار الزّرافات، فإنّك حلو اللسان، قليل الإحسان، تخذت الغربة صحبتك إلى ساسان، فتهاونت بالنّساء، و أسأت فيمن أساء، و عوّدت أكل خبزك فى غير منديل، و إيقاد الفتيل دون قنديل، و سكنى الخان، و عدم ارتفاع الدّخان، فما تقيم موسما، و لا تعرف له ميسما، و أخذت معى فى ذلك بطويل و عريض، و كلانا فى طرفى نقيض، إلى أن قلت لها: إزارك و ردائى، فقد تفاقم بك أمر دائى، و ما أظنّك إلّا بعض أعدائى، قالت: ما لك و الإزار، شطّ بك المزار؟ لعلك تريد إرهانه فى الأضحية و الأبزار، اخرج

عنى يا مقيت، لا عمرت معك و لا بقيت، أو عدمت الدّين، و أخذ الورق بالعين. يلزمنى صوم سنة، لا أغفيت معك سنة، إلّا إن رجعت بمثل ما رجع به زوج جارتى، و أرى لك الرّبح فى تجارتى. فقمت عنها و قد لوت رأسها و ولولت، و ابتدرت و هرولت، و جالت فى العتاب و صوّلت، و ضمّت بنتها و ولدها، و قامت باللّجج و الانتصار بالحجج أودها، فلم يسعنى إلّا أن عدوت أطوف السّككَ و الشوارع، و أبادر لما غدوت بسبيله و أسارع، و أجوب الآفاق، و أسأل الرّفاق، و أخترق الأسواق، و أقتحم زريبة بعد زريبة، و أختبر منها البعيدة و القريبة، فما استرخصته استنقصته، و ما استغليته استعليته، و ما وافق غرضى، اعترضنى دونه عدم عرضى، حتى انقضى ثلثا يومى، و قد عييت بدورانى و هومى، و أنا لم أتحصل من

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۲۶

الابتياع على فائدة، و لا عادت علىّ فيه من قضاء الأرب عائدة، فأومأت الإياب، و أنا أجد من خوفها ما يجد صغار الغنم من الذّئاب، إلى أن مررت بقصّاب يقصب فى مجزره، قد شدّ فى وسطه مئزره، و قصّر أثوابه حتى كشف عن ساقيه، و شمّر عن ساعديه حتى أبدى مرفقيه، و بين يديه عنز قد شدّ يديه فى رقبته و هو يجذبه فيبرك، و يجرّه فما يتحرّك، و يروم سيره فيرجع القهقرى، و يعود إلى ورا، و القصاب يشدّ على إزاره، خيفة من فراره، و هو يقول: اقتله من جان باغ، و شيطان طاغ، ما أشدّه، و ما ألذّه و ما أصدّه، و ما أجدّه، و ما أكثره بشحم، و ما أطيبه بلحم، الطّلاق يلزمه إن كان عاين تيسا مثله، أو أضحية تشبهه قبله، أضحية حفيلة، و منحة جليلة. هنّأ اللّه من رزقها، و أخلف عليها رزقها. فاقتحمت المزدحم أنظر مع من نظر، و أختبر فيمن اختبر. و أنا و اللّه لا أعرف فى التقليب و التّخمين، و لا أفرّق بين العجف و السّمين، غير أنى رأيت صورة دون البغل و فوق الحمار، و هيكلا يخبرك عن صورة العمّار، فقلت للقصّاب: كم طلبك فيه، على أن تمهل الثّمن حتى أوفيه؟ فقال: ابغنى فيه أجيرا، و كن له الآن من الذّبح مجيرا، و خذه بما يرضى، لأول التقضّى. قلت:

استمع الصوت، و لا تخف الفوت. قال: ابتعه منى نسيّة، و خذه هديّة، قلت: نعم، فشقّ لى الضمير، و عاكسنى فيه بالنّقير و القطمير، قال: تضمن لى فيه عشرين دينارا، أقبضها منك لانقضاء الحول دنيّرا دنيّرا، قلت: إنّ هذا لكثير، فاسمح منه بإحاطة اليسير. قال: و الذى فلق الحبّة، و برّأ النّسمة، لا أنقصك من هذا، و ما قلت لك سمسمة، اللهمّ إن شئت السّعة فى الأجل، فأقضى لك ذلك دون أجل، فجلبنى للابتياع منه الإنساء فى الأمد، و غلبنى بذلك فلم أفتقر منه لرأى والد و لا ولد، و لا أحوجت نفسى فى ذلك لمشورة أحد، و قلت: قد اشتريته منك فضع البركة، ليصحّ النّجح فى الحركة. فقال: فقيه بارك اللّه فيه قد بعته لك، فاقبض متاعك، و ثبت ابتياعك، و ها هو فى قبضك فاشدد وثاقه، و هلمّ لنعقد عليك الوثاقة. فانحدرت معه لدكان التّوثيق، و ابتدرت من السّعة إلى الضّيق، و أوثقنى بالشادّة تحت عقد وثيق، و حملنى من ركوب الدّين و لحاق الشّين فى أوعر طريق. ثم قال لى: هذا تيسك فشأنك و إياه، و ما أظنّك إلّا تعصياه، و أت بحمّالين أربعة فإنك لا تقدر أن ترفعه، و لا يتأتى لك أن يتبعك و لا أن تتبعه، و لم يبق لك من الكلفة إلّا أن يحصل فى محلّك، فيكمل سرور أهلك. و انطلقت للحمّال و قلت: هلم إلىّ، و قم الآن بين يدىّ، حتى انتهينا إلى مجزرة القصّاب، و العنز يطلب فلا يصاب، فقلت: أين التّيس، يا أبا أويس؟ قال: إنه قد فرّ، و لا أعلم حيث استقرّ. قلت: أ تضيع علىّ مالى، لتخيب آمالى، و اللّه لا يحزنك بالعصا، كمن عصا، و لا رفعتك إلى الحكّام، تجرى عليك منهم الأحكام. قال: ما لى علم به، و لا بمنقلبه، لعلّه فرّ لأمّه و أبيه، و صاحبته

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۲۷

و بنيه، فعليك بالبريح. فاتجهت أنادى بالأسواق، و جيران الزّقاق، من ثقف لى تيسا فله البشارة، بعد ما أتى بالأمارة، و إذا برجل قد خرج من دهليز، و له هدير و هزيز، و هو يقول: من صاحب العنز المشوم؟ لا عدم به الشّوم، إن وقعت عليه عينى، يرتفع الكلام بينه و بينى. قلت: أنا صاحبه فما الذى دهاك منّى، أو بلغك عنّى. قال: إن عنزك حين شرد، خرج مثل الأسد، و أوقع الرّهج فى البلد، و أضرّ بكل أحد، و دخل فى دهليز الفخّارة فقام فيه و قعد، و كان العمل فيه مطبوخا و نيّا، فلم يترك منه شيا، و منه كانت معيشتى، و به

استقامت عيشتى، و أنت ضامن مالى، فارتفع معى إلى الوالى، و العنز مع هذا يدور وسط الجمهور، و يكرّ كرّة العفريت المزجور، و يأتى بالكسر على ما بقى فى الدّهليز من الطّواجن و القدور، و الخلق قد انحسروا للضجيج، و كثر العياط و العجيج، و أنت تعرف عفرطة الباعة، و ما يحوون من الوضاعة، و أنا أحاول من أخذه ما أستطيع، و أروم الإطاعة من غير مطيع، و الباعة قد أكسبته من الحماقة، ما لم يكن لى به طاقة. و رجل يقول: المحتسب، و اعرف ما تكتسب، و إلى من تنتسب، فقد كثر عنده بك التّشكّى، و صاحب الدهليز قبالته يبكى، و قد وجد عنده عليك وجد الشكوى، و أيقن أنك كسرت الدّعوى، و أمر بإحضارك، و هو فى انتظارك، فشدّ وسطك، و احفظ إبطك، و إنك تقوم على من فتح باعه للحكم على الباعة و نصب لأرباب البراهين، على أرباب الشّواهين، و رفع على طبقة، ليملأ طبقة، ثم أمسكنى باليمين، حتى أوصلنى للأمين، فقال لى: أرسلت التّيس للفساد، كأنك فى نعم اللّه من الحسّاد. قلت: إنه شرد، و لم أدر حيث ورد. قال: و لم لا أخذت ميثاقه، و لم تشدّد وثاقه، يا شرطى طرّده، و اطرح يدك فيه و جرّده. قلت: أ تجرّدنى الساعة، و لست من الباعة؟ قال: لا بدّ من ذاك، أو تضمن ما أفسده هناك؟ قلت:

الضّمان الضّمان، الأمان الأمان. قال: قد أمّنت، إن ضمنت، و عليك الثّقاف، حتى يقع الإنصاف، أو ضامن كاف، فابتدر أحد إخوانى، و بعض جيرانى، فأدّى عنى ما ظهر بالتّقدير، و آلت الحال للتّكدير. ثم أردت الانصراف بالتّيس، لا كان كيانه، و لا كوّن مكانه، و إذا بالشّرطى قد دار حولى، و قال لى: كلف فعلى بأداء جعلى، فقد عطّلت من أجلك شغلى، فلم يك عندى بما تكسر سورته، و لا بما تطفى جمرته، فاسترهن مئزرى فى بيته ليأخذ مايته. و توجّهت لدارى، و قد تقدّمت أخبارى، و قدمت بغبارى، و تغيّر صغارى و كبارى، و التّيس على كاهل الحمّال يرغو كالبعير، و يزأر كالأسد إذا فصلت العير، فلقت للحمال: أنزله على مهل، فهلال التّعييد قد استهلّ، فحين طرحه فى الأسطوان، كرّ إلى العدوان، و صرخ كالشيطان، و همّ أن يقفز الحيطان، و علا فوق الجدار، و أقام الرّهجة فى الدار، و لم تبق فى الزقاق عجوز إلّا وصلت لتراه، و تسأل عمّا اعتراه، و تقول: بكم اشتراه، و الأولاد قد دارت به

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٢٨

و أرهقهم لهفه، و دخل قلوبهم خوفه، فابتدرت ربّة البيت، و قالت: كيت و كيت، لا خلّ و لا زيت، و لا حىّ و لا ميت، و لا موسم و لا عيد، و لا قريب و لا بعيد، سقت العفريت إلى المنزل، و رجعت بمعزل، و من قال لك اشتره، ما لم تره، و من قال لك سقه، حتى توثّقه، و متى تفرح زوجتك، و العنز أضحيتك، و متى تطبخ القدور، و ولدك منه معذور، و بأىّ قلب تأكل الشّويّة، و لم تخلص لك فيه النيّة، و لقلّة سعدها، و أخلف وعدها، و اللّه لو كان العنز، يخرج الكنز، ما عمر لى دارا، و لا قرب لى جوارا، اخرج عنى يا لكع، فعل اللّه بك و صنع، و ما حبسك عن الكباش السّمان، و الضّأن الرّفيعة الأثمان، يا قليل التّحصيل، يا من لا يعرف الخياطة و لا التّفصيل، أدلّك على كبش سمين، واسع الصدر و الجبين، أكحل عجيب، أقرن مثل كبش الخطيب، يعبق من أوداكه كلّ طيب، يغلب شحمه على لحمه، و يسيل الودك من عظمه، قد علف بالشّعير، و دبّر عليه أحسن تدبير، لا بالصّغير و لا بالكبير، تصلح منه الألوان، و يستطرف شواه فى كل أوان، و يستحسن ثريده و قديده فى سائر الأحيان، قلت: بيّنى لى قولك، لأتعرّف فعلك، و أين توجد هذه الصّفة، يا قليلة المعرفة. قالت: عند مولانا، و كهفنا و مأوانا، الرئيس الأعلى، الشّهاب الأجلى، القمر الزّاهر، الملك الظّاهر، الذى أعزّ المسلمين بنعمته، و أذلّ المشركين بنقمته. و استرسل فى المدح فأطال و فيما ثبت كفاية.

وفاته: فى كائنة الطاعون ببلده بلّش فى أواخر عام خمسين و سبعمائة، و دفن بها.

عبد اللّه بن إبراهيم بن و زمّر الحجارى الصّنهاجى

الأديب المصنّف، يكنى أبا محمد.

حاله و أوليته: أبوه أديب مدينة الفرج بوادى الحجارة ، المصنّف للمأمون بن ذى النون كتاب «مغنيطاس الأفكار، فيما تحتوى عليه مدينة الفرج من النظم و النثر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۲۹

و الأخبار». و كان أبو محمد هذا ماهرا، كاتبا، شاعرا، رحّالا. سكن مدينة شلب بعد استيلاء العدو على بلاده بالثّغر. و له فى التّحوّل أشعار و أخبار. قدم غرناطة و قصد عبد الملك بن سعيد، صاحب القلعة من بنيّاتها، و استأذن عليه فى زىّ موحش، و استخفّ به القاعدون ببابه، إلى أن لاطف بعضهم، و سأله أن يعرّف به القائد، فلما بلّغ عنه، أمر بإدخاله، فأنشده قصيدة مطلعها : [الوافر]

عليك أحالنى الذّكر الجميلفجئت و من ثنائك لى دليل

أتيت و لم أقدّم من رسوللأنّ القلب كان هو الرّسول

منها فى وصف زيّه البدوى المستقل و ما فى طيّه:

و مثّلنى بدنّ فيه خمر يخفّ بها و منظره ثقيل

فأكرم نزله، و أحسن إليه، و أقام عنده سنة، حتى ألّف بالقلعة كتاب «المسهب، فى غرائب المغرب»، و فيه التّنبيه على الحلى البلادية و العبّادية. و انصرف إلى قصد ابن هود بروطة، بعد أن عذله عن التّحوّل عنه، فقال: النّفس توّاقة، و ما لى بالتّغرّب طاقة، ثم أفكر و قال: [الطويل]

يقولون لى: ما ذا الملال تقيم فىمحلّ فعند الأنس تذهب راحلا

فقلت لهم: مثل الحمام إذا شداعلى غصن أمسى بآخر نازلا

نكبته: قال على بن موسى بن سعيد : و لمّا قصد الحجارى روطة، و حلّ لدى أميرها المستنصر بن عماد الدولة بن هود ، و تحرّك لغزو من قصده من

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۳۰

البشكنس، فهزم جيشه، كان الحجارى أحد من أسر فى تلك الوقيعة، فاستقرّ ببسقاية ، و بقى بها مدّة، يحرّك ابن هود بالأشعار و يحثّه على خلاصه من الإسار، فلم يجد عنده ذمامة، و لا تحرّك له اهتمامه، فخاطب عبد الملك بن سعيد بقوله:

[السريع]

أصبحت فى بسقاية مسلماإلى الأعادى لا أرى مسلما

مكلّفا ما ليس فى طاقتىمصفّدا منتهرا مرغما

أطلب بالخدمة، وا حسرتى!و حالتى تقضى بأن أخدما

فهل كريم يرتجى للأسيريفكّه، أكرم به منتمى

و قوله: [الخفيف]

أ رئيس الزمان أغفلت أمرىو تلذّذت تاركا لى بأسر؟

ما كذا يعمل الكرام و لكنقد جرى على المعوّد دهرى

فاجتهد فى فدائه، و لم يمرّ شهر إلّا و قد تخلص من أسره، و استقرّ لديه، فكان طليق آل سعيد، و فيهم يقول :

وجدنا سعيدا منجبا خير عصبةهم فى بنى أعصارهم كالمواسم

مشنّفة أسماعهم بمدائح مسوّرة أيمانهم بالصّوارم

فكم لهم فى الحرب من فضل ناثرا!و كم لهم فى السّلم من فضل ناظم

تواليفه: و تواليف الحجارى بديعة، منها «الحديقة» فى البديع، و هو كتاب مشهور، و منها «المسهب فى غرائب المغرب»، و افتتح خطبته بقوله: «الحمد للّه الذى جعل العباد، من البلاد بمنزلة الأرواح من الأجساد، و الأسياف من الأغماد». و هو فى ستة مجلدات.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۳۱

عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن عبد اللّه ابن سعيد بن الخطيب السّلمانى

يكنى أبا محمد.

أوّليّته: تنظر فى اسم جدّه.

حاله: حسن الشّكل، جيّد الفهم، يغطّى منه رماد السّكون جمرة حركة، منقبض عن الناس، قليل البشاشة، حسن الخطّ، وسط النّظم.

كتب عن الأمراء بالمغرب، و أنشدهم، و اقتضى خلعهم و صكوكهم بالإقطاع و الإحسان. ثم لما كانت الفتنة كتب عن سلطان وطنه، معزّز الخطّة بالقيادة، و أنشدهم.

مشيخته: قرأ على قاضى الجماعة، الشيخ الأستاذ الخطيب أبى القاسم الحسنى، و الأستاذ الخطيب أبى سعيد فرج بن لب التّغلبى، و استظهر بعض المبادىء فى العربية، و استجيز له من أدركه ميلاده من أهل المشرق و المغرب.

شعره: و شعره مترفّع عن الوسط إلى الإجادة، بما يكفله عذر الحداثة.

و قد ثبت فى اسم السلطان لهذا العهد، أبى عبد اللّه بن نصر ، أيّده اللّه، ما يدلّ على جودة قريحته، و ذكاء طبعه. و ممّا دوّن الذى ثبت له حيث ذكر قوله :

لمن طلل بالرّقمتين محيل‌عفت دمنتيه شمأل و قبول

يلوح كباقى الوشم غيّره البلى‌و جادت عليه السّحب و هى همول

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٣٢ فيا سعد، مهلا بالرّكاب لعلّنانسائل ربعا فالمحبّ سؤول

قف العيس ننظر نظرة تذهب الأسى‌و يشفى بها بين الضّلوع غليل

و عرّج على الوادى المقدّس بالحمى فطاب لديه مربع و مقيل

فيا حبّذا تلك الديار و حبّذاحديث بها للعاشقين طويل

دعوت لها سقى الحمى عندما سرى و ميض و عرف للنسيم عليل

و أرسلت دمعى للغمام مساجلافسال على الخدّين منه مسيل

فأصبح ذاك الرّبع من بعد محله‌رياضا بها الغصن المروح يميل

لئن حال رسم الدار عمّا عهدته‌فعهد الهوى فى القلب ليس يحول

و ممّا شجانى بعد ما سكن الهوى‌بكاء حمامات لهنّ هديل

توسّدن فرع البان و النّجم مائل‌و قد آن من جيش الظلام رحيل

فيا صاحبى، دع عنك لومى فإنّه‌كلام على سمع المحبّ ثقيل

تقول اصطبارا عن معاهدك الألى‌و هيهات صبرى ما إليه سبيل

فللّه عينا من رآنى و للأسى‌غداة استقلّت بالخليط حمول

يطاول ليل التّمّ منى مسهّدو قد بان عنّى منزل و خليل

فياليت شعرى هل يعودنّ ما مضى؟و هل يسمحنّ الدهر و هو بخيل؟

نثره: أجابنى لما خاطبت الجملة من الكتّاب، و السلطان، رضى اللّه عنه، بالمنكّب، فى رحلة أعملها بما نصّه:

«للّه من فذّة المعانى، حيث مشوق الفؤاد عانى، لما أنارت بها المغانى، غنين عن مطّرب الأغانى، يا صاحب الإذعان، أجب باللّه من دعانى، إذا صرت من كثرة الأمانى، بالشوق و الوجد مثل مانى. وردت سحّات سيدى التى أنشأت لغمام الرحمة عند اشتداد الأزمة رياحا، و ملأت العيون محاسنا و الصّدور انشراحا، و أصبح رحيب قرطاسها و عميم فضلها و نوالها و أيناسها لفرسان البلاغة مغدى و

مراحا. فلم أدر أ صحيفة نسخت مسطورة، أم روضة نفحت ممطورة، أطيب من المسك منتشقا، و أحسن من السلك متّسقا، فملّكتها مقادة خاطرى، و أودعتها سواد قلبى و ناظرى، و طلعت علىّ طلوع الصّبح على عقب السّرى، و خلصت خلوص الخيال مع سنة الكرى. فلله ما جلبت من أنس، و أذهبت لطائفة الشيطان من مسّ، و هاجت من

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۳۳

الشوق، الذى شبّ عمره عن الطّوق، و الوجد الذى أصبح وارى الزّند. فأقسم ببارى النّسم، و واهب الحظوظ و القسم، لو أعطيت للنّفس مقادتها، و سوّغتها إرادتها، ما قنعت بنيابة القرطاس و المداد، عن مباشرة الأرواح و الأجساد، و إن أعرضت عقبة للشّعير و رأس المزاد، و شمخ بأنفه و زاد، و ما بين ذلك من علم باذخ، و طود شامخ، قد أذكرت العقاب عقابه، و صافحت النجوم هضابه، قد طمح بطرفه، و شمخ بأنفه، و سال الوقار على عطفه: [الكامل]

ملكت عنان الرّيح راحتهفجيادها من تحته تجرى

و أما الحمل الهائج، و البحر المتمايج، و الطّلل المائل، و الذّنب الشّائل، فمساجلة مولاى فى ذلك المجال، من المحال، إذ العبد قصاراه ألفاظ مركّبة، غير مرتّبة: [الخفيف]

هو جهد المقلّ و افاك منّىإنّ جهد المقلّ غير قليل

و أقرأ على مولاى، أبقاه اللّه، سلاما عميما، تنسّم روضه نسيما، و رفّ نظره و عبق شميما، و الأوفر الأذكى منه عليه معادا، ما سحّ السّحاب إرعادا، و أبرق الغمام رعدا و الحسام أبعادا، و رحمة اللّه و بركاته. من عبده الشّبق لوجهه، عبد اللّه بن الخطيب، فى الخامس عشر لجمادى الأولى عام تسعة و ستين و سبعمائة.

مولده: بحضرة غرناطة، يوم السبت سابع عشر صفر عام ثلاثة و أربعين و سبعمائة.

عبد اللّه بن محمد بن سارة البكرى

شنترينى ، سكن ألمرية و غرناطة، و تردّد مادحا و منتجعا شرقا و مغربا، و يضرب فى كثير من البلاد.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۳۴

حاله: كان ذا حظّ صالح من النحو و اللغة، و حفظ الأشعار، أديبا ماهرا، شاعرا مجيدا، مطبوع الاختراع و التّوليد. تجوّل فى شرق الأندلس و غربها معلّما للنحو، و مادحا ولاتها، و كتب عن بعضهم، و تعيّش بالوراقة زمانا، و كان حسن الخطّ، جيّد النقل و الضّبط.

مشيخته: روى عن أبى الحسن بن الأخضر.

من روى عنه: روى عنه أبو بكر بن مسعود، و أبو جعفر بن الباذش، و أبو عثمان بن هارون، و أبو الطاهر التّميمى، و أبو العباس بن على اللص، و أبو العلاء بن الجنّان، و أبو محمد بن يوسف القضاعى، و إبراهيم بن محمد السّبتى.

شعره: و شعره كثير جيد شهير. منه فى حرفة الوراقة قوله : [الكامل]

أمّا الوراقة فهى أيكة حرفةأغصانها و ثمارها الحرمان

شبّهت صاحبها بإبرة خائطيكسو العراة و ظهره عريان

و قال فى نجم الرّحيم، و هو من التّشبيه العقيم : [البسيط]

و كوكب أبصر العفريت مسترقافانقضّ يذكى سريعا خلفه لهبه

كفارس حلّ إحصار عمامتهفجرّها كلّها من خلفه عذبه

و قال منه فى المواعظ : [البسيط]

يا من يصيخ إلى داعى السّفاه و قدنادى به النّاعيان: الشّيب و الكبر

إن كنت لا تسمع الذّكرى ففيم ثوى فى رأسك الواعيان: السّمع و البصر؟

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٣٥ ليس الأصمّ و لا الأعمى سوى رجل‌لم يهده الهاديان: العين و الأثر

لا الدهر يبقى على حال و لا الفلك الأعلى و لا النّيران: الشمس و القمر

لأرحلنّ عن الدنيا و لو كرها فراقها الثاويان: البدو و الحضر

و قال فى موت ابنة له : [الوافر]

ألا يا موت، كنت بنا رؤوفافجدّدت السّرور لنا بزوره

حمدنا سعيك المشكور لمّاكفيت مؤنة و سترت عوره

فأنكحنا الضّريح بلا صداقو جهّزنا العروس بغير شوره

وفاته: توفى عبد اللّه بن سارة سنة تسع عشرة و خمسمائة .

عبد اللّه بن محمد الشرّاط

يكنى أبا محمد، من أهل مالقة.

حاله: طالب جليل، ذكى، مدرك، ظريف، كثير الصّلف و الخروانة و الإزراء بمن دونه، حادّ النّادرة، مرسل عنان الدّعابة، شاعر مكثر، يقوم على الأدب و العربية، و له تقدّم فى الحساب، و البرهان على مسائله. استدعى إلى الكتابة بالباب السلطانى، و اختصّ بولى العهد، و نيط به من العمل، و ظيف نبيه، و كاد ينمو عشبه و يتأشّب جاهه، لو أن الليالى أمهلته، فاعتبط لأمد قريب من ظهوره، و كانت بينه و بين الوزير أبى عبد اللّه بن الحكيم، إحنة، تخلّصه الحمام لأجلها، من كفّ انتقامه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٣۶

شعره: و شعره كثير، لكنى لم أظفر منه إلّا باليسير. نقلت من خطّ صاحبنا القاضى المؤرخ أبى الحسن بن الحسن، من نظم أبى محمد الشراط، فى معنى كان أدباء عصره قد كلفوا بالنظم فيه، يظهر من هذه الأبيات فى شمعة:

[الوافر]

و كنت ألفت قبل اليوم إلفاأنادى مرة فيجيب ألفا

و كنّا مثل وصل العهد وصلاو كنّا مثل وصف الشّهد وصفا

ففرّق بيننا صرف الليالىو سوّغنا كؤوس البين صرفا

فصرت غداة يوم البين شمعاو سار فصار كالعسل المصفّا

فدمعى لا يتم أسى و جسمىيغص بنار وجدى ليس يطفا

ثم فى المعنى أيضا : [البسيط]

حالى و حالك أضحت آية عجباإن كنت مغتربا أو كنت مقتربا

إذا دنوت فإنى مشعر طرباو إن نأيت فإنى مشعل لهبا

كذاك الشّمع لا تنفكّ حالتهإلّا إلى الناس مهما فارق الضّربا

و من ذلك أيضا: [الطويل]

رحلتم و خلّفتم مشوفكم نسيارهين هيام لا يموت و لا يحيا

فضاقت علىّ الأرض و اعتاص مذهبىو ما زلت فى قومى و لا ضاقت الدنيا

و ما باختيار شتّت الدهر بيننا‌و هل يملك الإنسان من أمره شيّا؟

فذا أضلعى لم تخب من أجلكم جوىو ذا أدمعى لم تأل من بعدكم جريا

كأنّنى شمع فى فؤاد و أدمعو قد فارقت من وصلكم ريّا

و ذكر لى أن هذا صدر عنه فى مجلس أنس مع الوزير أبى عبد اللّه بن عيسى بمالقة، بحضرة طائفة من ظرفاء الأدباء.

وفاته: كان حيّا سنة سبعمائة، و توفى بغرناطة، و هو على حاله من الكتابة، رحمه اللّه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٣٧

عبد اللّه بن يوسف بن رضوان بن يوسف ابن رضوان النّجارى

يكنى أبا القاسم، و يعرف باسم جدّه، من أهل مالقة، و صاحب القلم الأعلى لهذا العهد بالمغرب.

حاله: هذا الفاضل نسيج وحده، فهما و انطباعا، و لوذعيّة، مع الدّين و الصّون، معمّ، مخول فى الخير، مستول على خصال حميدة، من خطّ و أدب و حفظ، مشارك فى معارف جملة. كتب ببلده عدلا رضى، و أنشد السلطان عند حلوله ببلده. و رحل عن بلده إلى المغرب، فارتسم فى كتابة الإنشاء بالباب السلطانى، ثم بان فضله، و نبه قدره، و لطف محلّه، و عاد إلى الأندلس، لما جرت على سلطانه الهزيمة بالقيروان، و لم ينتشله الدهر بعدها مع جملة من خواصّه. فلمّا استأثر اللّه بالسلطان المذكور، موسوم التّمحيص، و صيّر أمره إلى ولده بعده، جنح إليه، و لحق ببابه، مقترن الوفادة، بيمن الطّائر، و سعادة النّصبة، مظنّة الاصطناع، فحصل على الحظوة، و أصبح فى الأمد القريب، محلا للبثّ و جليسا فى الخلوة، و مؤتمنا على خطّة العلامة ، من رجل ناهض بالكلّ، جلد على العمل، حذر من الذّكر، متقلّص ذيل الجاه، متهيّب، غزير المشاركة، مطفّف فى حقوق الدّول عند انخفاض الأسعار، جالب لسوق الملك ما ينفق فيها، حارّ النّادرة، مليح التّنديد، حلو الفكاهة، غزل مع العفة، حافظ للعيون، مقدّم فى باب التّحسين و التنقيح، لم ينشب الملك أن أنس منه بهذه الحال، فشدّ عليه يد الغبطة، و أنشب فيه براثن الأثرة، و رمى إليه بمقاليد الخدمة، فسما مكانه، و علا كعبه، و نما عشّه. و هو الآن بحاله الموصوفة، من مفاخر قطره، و مناقب وطنه، كثّر اللّه مثله.

مشيخته: قرأ ببلده على المقرئ أبى محمد بن أيوب، و المقرئ الصالح أبى عبد اللّه المهندس، و الأستاذ أبى عبد اللّه بن أبى الجيش، و القاضى أبى جعفر بن عبد الحق. و روى عن الخطيب المحدّث أبى جعفر الطّنجالى، و القاضى أبى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٣٨

بكر بن منظور. و بغرناطة عن جلّة؛ منهم شيخنا رئيس الكتاب أبو الحسن ابن الجيّاب، و قاضى الجماعة أبو القاسم بن أحمد الحسنى، و لازم بالمغرب الرئيس أبا محمد عبد المهيمن الحضرمى، و القاضى أبا إسحاق إبراهيم بن أبى يحيى، و أبا العباس بن يربوع السّبتى. و بتلمسان عن أبى عبد اللّه الآبلى، و أبى عبد اللّه بن النّجار، و غيرهما. و بتونس عن قاضى الجماعة أبى عبد اللّه بن عبد السلام، و عن جماعة غيرهم.

شعره: و نظمه و نثره متجاريان لهذا العهد فى ميدان الإجادة. أما شعره، فمتناسب الوضع، سهل المأخذ، ظاهر الرّواء، محكم الإمرة للتّنقيح. و أما نثره، فطريف السّجع، كثير الدّالة، مطيع لدعوة البديهة، و ربما استعمل الكلام المرسل، فجرى يراعه فى ميدانه ملء عنانه.

و جرى ذكره فى «التاج» أيام لم يفهق حوضه، و لا أزهر روضه، و لا تباينت سماؤه و لا أرضه، بما نصه : أديب أحسن ما شاء، و فتح قليبه فملأ الدّلو و بلّ الرّشاء ، و عانى على حداثته الشعر و الإنشاء، و له ببلده بيت معمور بفضل و أمانة، و مجد و ديانة. و نشأ هذا الفاضل على أتمّ العفاف و الصّون، فما مال إلى فساد بعد الكون. و له خطّ بارع، و فهم إلى الغوامض مسارع. و قد أثبتّ من كلامه، و نفثات أقلامه، كلّ محكم العقود، زاريا بنت العنقود. فمن ذلك قصيدة أنشدها للسلطان أمير المسلمين ، مهنّئا بهلاك الأسطول الحربى بالزّقاق الغربى ، أجاد أغراضها، و سبك المعانى و راضها، و هى قوله : [الطويل]

لعلّكما أن ترعيا لى و سائلافباللّه عوجا بالرّكاب وسائلا

بأوطان أوطار قفا و مآربىو بالحبّ خصّا بالسّلام المنازلا

ألا فانشدا بين القباب من الحمىفؤاد شج أضحى عن الجسم راحلا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٣٩ و بثّا صبّا بات هنالك و اشرحالهم من أحاديثى عريضا و طائلا

رعى اللّه مثواكم على القرب و النّوىو لا زال هامى السّحب فى الرّبع هاملا

و هل لزمان باللّوى قد سقى اللّوىمآرب فما ألقى مدى الدّهر حائلا؟

فحظّى بعيد الدّار منه بقربهو يورد فيه من مناه مناهلا

لقد جار دهرى أن نأى بمطالبىو ظلّ بما أبقى من القرب ماطلا

و حمّلنى من صرفه ما يؤدنىو مكّن منّى الخطوب شواغلا

عتبت عليه فاغتدى لى عاتباو قال: أصخ لى لا تكن لى عاذلا

أتعتبنى إذ قد أفدتك موقفالدى أعظم الأملاك حلما و نائلا؟

مليك حباه اللّه بالخلق الرّضاو أعلى له فى المكرمات المنازلا

مليك علا فوق السّماك فطرفهغدا كهلال الأفق يبصرنا علا

إذا ما دجا ليل الخطوب فبشرهصباح و بدر لا يرى الدهر آفلا

نماه من الأنصار غرّ أكابرلهم شيم ملء الفضاء فضائلا

تلوا سور النّعماء فى حزبهم كماجلوا صور الأيام غرّا جلائلا

تسامت لهم فى المعلوات مراتبيرى زحل دون المراتب زاحلا

عصابة نصر اللّه طابت أواخراكما قد زكت أصلا و طابت أوائلا

لقد كان ربع المجد من قبل خالياو من آل نصر عاد يبصر آهلا

إذا يوسف منهم تلوح يمينهتقول سحاب الجود و البأس هاطلا

كتائبه فى الفتح تكتب أسطراتبين من الأنفال فيها المسائلا

عوامله بالحذف تحكم فى العداكما حكموا فى حذف جزم عواملا

يبدّد جمع الكفر رعبا و هيبةكما بدّدت منه اليمين النّوافلا

و منها فى وصفه الأسطول و اللقاء:

و لمّا استقامت بالزّقاق أساطيل ثم استقلّت للسّعود محافلا

رآها عدوّ اللّه فانفضّ جمعهو أبصر أمواج البحار أساطلا

و من دهش ظنّ السّواحل أبحراو من رعب خال البحار سواحلا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٤٠ و من جندكم هبّت عليه عواصفتدمّر أدناها الصّلاب الجنادلا

تفرّقهم أيدى سبا و تبيدهمفقد خلّفت فيهم حساما و ذابلا

و عهدى بمرّ الريح للنار موقدافقد أطفأت تلك الحروب المشاعلا

و كان لهم برد العذاب و لم يكنسلاما و ما كادوه قد عاد باطلا

حداهم هواهم للإسار و للفنافما أفلتوا من ذا و ذاك حبائلا

فهم بين عان فى القيود مصفّدو فان عليه السّيف أصبح صائلا

ستهلك ما بالبرّ منهم جنودكم كما أهلكت من كان بالبحر عاجلا

و قال أيضا يمدحه: [الطويل]

نشرت لواء النّصر و اليمن و السّعدو أطلعت وجه اليسر و الأمن و الرّفد

أعدت لنا الدّنيا نعيما و لذّةألا للمعالى ما تعيد و ما تبدى

بنوركم و اللّه يكلأ نوركم تبدّت لنا سبل السعادة و الرّشد

تحلّى لكم بالملك نحر و لبّةفراق كذاك الجيد يزدان بالعقد

مآثركم قد سطّرتها يد العلاعلى صفحات الفخر أو مفرق الحمد

بمدحكم القرآن أثنى منزّلاو قد حزتم مجدا بجدّكم سعد

كفاكم فخارا أنه لكم أبو من فخره إن أنت تدعوه بالجدّ

ثناؤكم هذا أم المسك نافح؟و ذكركم أم عاطر العنبر الورد؟

أجل ذكركم أزكى و أذكى لناشق كما أنكم أجلى و أعلى لمشهد

طلعت على الآفاق نورا و بهجةفما أنت إلّا البدر فى طالع السّعد

و فى جملة الأملاك عزّ و رفعةو دم فى خلود الملك و النصر و السعد

و لو أننى فقت سحبان وائلو أربيت فى شعرى على الشاعر الكندى

لما قمت بالمعشار من بعض ما لكممن الجود و الأفضال و البذل و الرّفد

و قال فى شيخه أبى بكر بن منظور، رحمه اللّه: [الطويل]

جلالك أولى بالعلا للمخلّد و ذكرك أعلى الذّكر فى كلّ مشهد

لمجدك كان العزّ يذخر و العلىو أنّك للأولى بأرفع سؤدد

أبى اللّه إلّا أن تكون مشرّفابمقعد خير العالمين محمد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٤١ فهنّئت بالفخر السّنىّ محلّهو هنّئت بالمجد الرّفيع المجدّد

شهدت بما أوليتنى من عوارفو خوّلت من نعمى و أسديت من يد

و ما حزت من مجد كريم نجارهو ما لك من مجد و رفعة محتد

لقد نبّأتنى بالرّواح لعزّكممخايل إسعاد تروح و تغتدى

تحدّثنى نفسى و إنّى لصادقبأن سوف تلقى كاملا كلّ مقصد

دليلى بهذا أنّك الماجد الذىتسامى علوّا فوق كلّ ممجّد

ليفخر أولو الفخر المنيف بأنّكملهم علم أعلى، به الكلّ مقتدى

إمام علوم معتلى القدر لم يزلرداء المعالى و العوارف يرتدى

و قاض إذا الأحكام أشكل أمرهاجلا لى برأى الحقيقة مرشدى

إذا الحقّ أبدى نوره عند حكمهرأيت له حدّ الحسام المهنّد

و إنّ جميع الخلق فى الحقّ عندهسواسية ما بين دان و سيّد

هنيّا لنا بل للقضاء و فضلهبقاض حليم فى القضاء مسدّد

أمات به الرحمن كلّ ضلالةو أحيا بما أولاه شرعة أحمد

و كائن تراه لا يزال ملازمالأمر بعرف أو لزام بمسجد

و ما زال قدما للحقيقة حامياو للشّرعة البيضاء يهدى و يهتدى

و يمنح أفضالا و يولى أياديا‌و إحسانه للمعتفين بمرصد

يقيّد أحرارا بمنطق جوده‌فما إن ينى عن مطلق أو مقيّد

نعم إن يكن للفضل شخص فإنمابشيمته الغرّاء فى الفضل يبتدى

أيا ناثرا أسنى المعارف و الغناو يا طارقا يطوى السّرى كلّ فدفد

ألا الق عصا التّسيار و اعش لناره‌تجد خير نار عندها خير موقد

و من مقطوعاته قوله : [الطويل]

تبرّأت من حولى إليك و أيقنت‌برحماك آمالى فصحّ يقينى

فلا أرهب الأيام إذ كنت ملجأى و حسبى يقينى باليقين يقينى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۴۲

و من شعره لهذا العهد منقولا من خطّه، قال مما نظمه فلان، يعنى نفسه فى كتاب الشّفا، نفع اللّه به: [الكامل]

سل بالعلى و سنى المعارف يبهرهل زانها إلّا الأئمّة معشر؟

و هل المفاخر غير ما شهدت به‌آى الكتاب و خارتها الأعصر؟

هم ما هم شرفا و نيل مراتب‌يوم القيام إذا يهول المحشر

ورثوا الهدى عن خير مبعوث به‌فخرا هديّهم النعيم الأكبر

و عياض الأعلى قداحا فى العلى‌منهم و حوّله الفخار الأظهر

بشفائه تشفى الصدور و إنه‌لرشاد نار بالشّهاب النّير

هو للتّوالف روح صورتها و قل‌هو تاج مفرقها البهىّ الأنور

أفنت محاسنه المدائح مثل مالمعيده بعد الثناء الأعطر

و له اليد البيضاء فى تأليفه‌عند الجميع ففضلها لا ينكر

هو مورد الهيم العطاش هفت‌بهم أشواقهم فاعتاض منه المصدر

فبه ننال من الرضى ما نبتغى‌و بكونه فينا نغاث و نمطر

انظر إليه تميمة من كل ماتخشى من الخطب المهول و تحذر

لكأنّنى بك يا عياض مهنأبالفوز و الملأ العلىّ مبشّر

لكأنّنى بك يا عياض منعّمابجوار أحمد يعتلى بك مظهر

لكأنّنى بك يا عياض متوّجاتاج الكرامة عند ربّك تخبر

لكأنّنى بك راويا من حوضه‌إذ لا صدى ترويه إلّا الكوثر

فعلى محبّته طويت ضمائراو ضحت شواهدها بكتبك تؤثر

ها إنّهن لشرعة الهادى الرّضاصدف يصان بهن منها جوهر

فجزاك ربّ العالمين تحيةيهب النعيم سريرها و المنبر

و سقى هزيم الودق مضجعك الذى‌ما زال بالرّحمى يؤمّ و يعمر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۴۳

و قال فى محمل الكتب: [الطويل]

أنا الحبر فى حمل العلوم و إن تقل‌بأنى حليّ عن حلاهنّ تعدل

أقيّد ضروب العلم ما دمت قائماو إن لم أقم فالعلم عنّى بمعزل

خدمت بتقوى اللّه خير خليفةفبوّأنى من قربه خير منزل

أبا سالم لا زال فى الدهر سالمايسوّغ من شرب المنى كلّ منهل

و كان قد رأى ليلة الاثنين الثانية لجمادى الأولى عام ستين و سبعمائة فى النوم، كأنّ الوزير أبا على بن عمر بن يخلف بن عمران الفدودى، يأمره أن يجيب عن كلام من كتب إليه، فأجاب عنه بأبيات نظمها فى النوم، و لم يحفظ منها غير هذين البيتين:

[المتقارب]

و إنى لأجزى بما قد أتاهصديقى احتمالا لفعل الحفاء

بتمكين ودّ و إثبات عهدو إجزال حمد و بذل حياء

و من نظمه فى التورية : [الخفيف]

و بخيل لمّا دعوه لسكنى‌منزل بالجنان ضنّ بذلك

قال لى مخزن بدارى فيه‌جلّ مالى فلست للدار تارك

لا تعرّج على الجنان بسكنى‌و لتكن ساكنا بمخزن مالك

و من ذلك أيضا : [الكامل]

يا ربّ منشأة عجبت لشأنهاو قد احتوت فى البحر أعجب شان

سكنت بجنبيها عصابة شدّةحلّت محلّ الروح فى الجثمان

فتحرّكت بإرادة مع أنهافى جنسها ليست من الحيوان

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۴۴ و جرت كما قد شاءه سكّانهافعلمت أنّ السّر فى السّكان

و من ذلك أيضا قوله : [الوافر]

و ذى خدع دعوه لاشتغالو ما عرفوه غثّا من سمين

فأظهر زهده و غنى بمالو جيش الحرص منه فى كمين

و أقسم لا فعلت يمين خبّ‌فيا عجبا لحلاف مهين

يقدّ بسيره و يمين حلف ليأكل باليسار و باليمين

شىء من نثره خاطبته من مدينة سلا بما نصه، حسبما يظهر من غرضه: [الطويل]

مرضت فأيّامى لذاك مريضةو برؤك مقرون ببرئى اعتلالها

فما راع ذاك الذّات للضّرّ رائعو لا وسمت بالسّقم غرّ خلالها

و ينظر باقى الرسالة فى خبر التّعريف بمؤلّف الكتاب.

فراجعنى عن ذلك بما نصّه: [الطويل]

متى شئت ألقى من علائك كل ماينيل من الآمال خير منالها

كبر اعتلال من دعائك زارنى‌و عادات برّ لم ترم عن وصالها

أبقى اللّه ذلك الجلال الأعلى متطوّلا بتأكيد البرّ، متفضّلا بموجبات الحمد و الشكر. و ردتنى سمات سيدى المشتملة على معهود تشريفه، و فضله الغنىّ عن تعريفه، متحفّيا فى السؤال عن شرح الحال، و معلنا ما تحلّى به من كرم الخلال، و الشّرف العال، و المعظّم على ما يسرّ ذلك الجلال، الوزارى، الرئاسى، أجراه اللّه على أفضل ما عوّده، كما أعلى فى كل مكرمة يده، ذلك ببركة دعائه

الصالح، و حبّه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۴۵

المخيّم بين الجوانح. و اللّه سبحانه المحمود على نعمه، و مواهب لطفه و كرمه، و هو سبحانه المسؤول أن يسنى لسيدى قرار الخاطر، على ما يسرّه فى الباطن و الظاهر، بمنّ اللّه و فضله، و السلام على جلاله الأعلى و رحمة اللّه و بركاته. كتبه المعظّم الشاكر، الداعى المحبّ، ابن رضوان وفّقه اللّه.

و مما خاطبنى به، و قد جرت بينى و بين المتغلب على دولتهم، رقاع، فيها سلم و إيقاع، ما نصه:

يا سيدى الذى علا مجده قدرا و خطرا، و سما ذكره فى الأندية الحافلة ثناء و شكرا، و سما فخره فى المراتب الدينيّة و الدنيوية حمدا و أجرا، أبقاك اللّه جميل السّعى، أصيل الرأى، سديد الرمى، رشيد الأمر و النّهى، ممدوحا من بلغاء زمانك، بما يقصر بالنّوابغ و العشى، مفتوحا لك باب القبول، عند الواحد الحقّ. و صلنى كتابك الذى هو للإعجاز آية، و للإحسان غاية، و لشاهد الحسن تبريز، و لثوب الأدب تطريز، و فى النّقد إبريز، وقفت منه على ما لا تفى العبارة بعجائبه، و لا يحيد الفضل كله عن مذاهبه، من كل أسلوب طار فى الجو إعرابا و إغرابا، و ملك من سحر البيان خطابا، و حمد ثناه مطالا و حديثا مطابا، شأن من قصر عن شأو البلغاء، بعد الإغياء، و وقف دون سباق البديع بعد الإعياء، فلم يشقّ غباره، و لا اقتفيت إلّا بالوهم آثاره، فلله من سيدى إتحاف سرّ ما شاء، و أحكم الإنشاء، و برّ الأكابر و الإنشاء، فما شئت من إفصاح و كتابة، و برّ و رعاية، و فهم و إفهام، و تخصيص و إبهام، و كبح لطرف النّفس و قمع، و حفض فى الجواب و رفع، و تحرّج و تورّع، و ترقّص و توسّع، و جماع و أصحاب، و عتب و إعتاب، و إدلال على أحباب، إلى غير ذلك من أنواع الأغراض، و المقاصد السّالمة جواهرها من الأعراض، جملة جمعت المحاسن، و أمتعت السامع و المعاين، و حلّت من امتناعها مع السهولة الحرم، إلّا من زاد اللّه تلك المعارف ظهورا، و جعلها فى شرع المكارم هدى و نورا. و أما شكر الجناب الوزارى، أسماه اللّه، بحكم النّيابة عن جلالكم، فقد أبلغت فيه حمدى، و بذلت ما عندى، و ودّى لكم ودى، و وردى لكم من المخالصة لكم وردى، و كل حالات ذلك الكمال، مجمع على تفضيله، معتمد من الثناء العاطر بإجماله و تفصيله. و أما مؤدّيه إليكم أخى و سيدى الفقيه المعظم، قاضى الحضرة و خطيبها، أبو الحسن، أدام اللّه عزّته، و حفظ أخوّته، فقد قرّر من أوصاف كمالاتكم، ما لا تفى بتقريره الأمثلة من أولى العلم بتلك السّجايا الغرّ، و الشّيم الزّهر، و ما تحلّيتم به من التقوى و البرّ، و العدل و الفضل، و الصبر و الشكر، و لحمل المتاعب فى أمور الجهاد، و ترك الملاذ و الدّعة فى مرضاة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۴۶

ربّ العباد، و الإعراض عن الفانية، و الإقبال على الباقية، فيا لها من صفات خلعت السعادة عليكم مطارفها، و أجزلت عوارفها، و جمعت لكم تالدها و طارفها، زكّى اللّه ثوابها و جدّد أثوابها، و وصل بالقبول أسبابها. و ذكر لى أيضا من حسناتكم، المنقبة الكبيرة، و القربة الأثيرة، فى إقامة المارستان بالحضرة، و التّسبّب فى إنشاء تلك المكرمة المبتكرة، التى هى من مهمّات المسلمين بالمحلّ الأعلى، و من ضروريات الدين بالمزيّة الفضلى، و ما ذخره القدر لكم من الأجر فى ذلك السعى المشكور، و العمل المبرور، فسرّنى لتلك المجادة إحراز ذلك الفضل العظيم، و الفوز بثوابه الكريم، و فخره العميم. و معلوم، أبقاكم اللّه، ما تقدّم من ضياع الغرباء و الضعفاء من المضى فيما سلف هنالك، و قبل ما قدّر لهم من المرتفق العظيم و بذلك، حتى أن من حفظ قول عمر، رضى اللّه عنه، و اللّه لو ضاعت نخلة بشاطئ الفرات لخفت أن يسأل اللّه عنها عمر. لا شك فى أن من تقدّم من أهل الأمر هنالكم، لا بدّ من سؤاله عمّن ضاع لعدم القيام بهذا الواجب المغفل. و الحمد للّه على ما خصّكم به من مزية قوله صلى اللّه عليه و سلم: إذا أراد اللّه بخليفة خيرا، جعل له وزيرا صالحا، إن نسى ذكّره، و إن ذكر أعانه.

و أما «كتاب المحبة» ، فقد وقف المعظّم على ما وجّهتهم منه، وقوفا ظهر بمزية التّأمل، و علم منه ما ترك للآخر الأول، و لم يشكّ فى أنّ الفضل للحاكى، و شتّان بين الباكى و المتباكى. حقّا لقد فاق التأليف جمعا و ترتيبا، و ذهب فى الطّرق الصوفية مذهبا عجيبا. و لقد

بهرت معانيه كالعرائس المجلوّة حسنا و نضارة، و برعت بدائعه و روائعه سنى و إنارة، و ألفاظا مختارة، و كؤوسا مدارة، و غيوثا من البركات مدرارة، أحسن بما أدّته تلك الغرر السّافرة، و الأمثال السائرة، و الخمائل النّاظرة، و اللآلئ المفاخرة، و النجوم الزّاهرة. أما إنه لكتاب تضمّن زبدة العلوم، و ثمرة الفهوم، و إن موضوعه للباب اللّباب، و خلاصة الألباب، و فذلكة الحساب، و فتح الملك الوهّاب، سنى اللّه لكم و لنا كماله، و بلّغ الجميع منّا آماله، و جعل السّعى فيه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۴۷

خالصا لوجهه، و كفيلا بمعرفته بمنّه و كرمه، و هو سبحانه يبقى بركتكم، و يكلأ ذاتكم الكريمة و حوزتكم، بفضله و طوله و قوته، و السلام الكريم يخصّكم به كثيرا أثيرا، معظّم مقداركم، و ملتزم إجلالكم و إكباركم، ابن رضوان، وفّقه اللّه، و كتب فى الثامن و العشرين لرجب من عام سبعة و ستين و سبعمائة.

و هو الآن بحاله الموصوفة، أعانه اللّه. و له تردّد إلى حضرة غرناطة، و اجتياز و إلمام.

عبد اللّه بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد ابن خلف بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن الحسن ابن عثمان بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن عمار بن ياسر

غرناطى، قلعى الأصل، سكن مالقة.

حاله: قال صاحب «الطالع» : هو المشهور باليربطول ، زاد على أخيه بخفّة الروح، و طيب النوادر، و اختار سكنى مالقة، فما زال بها يمشى على كواهل ما تعاقب فيها من الدول، و يقلّب طرفه مما نال من ولاياتها بين الخيل و الخول، حتى أنّ ابن عسكر، قاضى مالقة و عالمها، كان من جملة من مدحه، و توسّل بها إلى بلوغ أغراضه عند القوم، و صنّف له شجرة الأنساب السّعيدية. و كان قبيح المنظر، مع كونه من رياحين الفضل و الأدب. فمن الحكايات المتعلقة بذلك، أنه دخل يوما على الوالى بغرناطة، السّيد أبى إبراهيم ، و جعل يساره، و كان مختصّا به، و اقتضى ذلك أن ردّ ظهره للشيخ الفقيه الجليل، عميد البلدة، أبى الحسن سهل بن مالك، ثم التفت فردّ وجهه إليه، و قال: أعتذر لكم بأمر ضرورى، فقال أبو الحسن: إنما تعتذر لسيّدنا، فانقلب المجلس ضحكا. و منها أنه خرج إلى سوق الدواب مع ابن يحيى الحضرمى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۴۸

المشهور أيضا بخفّة الروح، و كان مسلّطا على بنى سعيد، فبينما هو واقف، إذ النخّاس ينادى على فرس: فم يشرب من القادوس، و عين تحصد بالمنجل، فقال له:

يا قائد، أبا محمد، سر بنا من هنا لئلّا تؤخذ من يدى، و لا أقدر لك بحيلة، فعلم مقصده، و لم يخف عليه أنّ تلك صورته، فقال: سل جارتك عنها، فمضى لأمّه، و أوقع بينها و بينه، فحلف أن لا يدخل عليها الدار. قال أبو عمران بن سعيد: و اتفق أن جزت بدار أمّ الحضرمى، فرأيته إلى ناحية، و هو كئيب منكسر، فقلت له: ما خبرك يا أبا يحيى؟ فقال لى عن أمّه و عن نفسه: النساء يرمين أبناء الزّنا صغارا، و هذه العجوز الفاعلة الصّانعة، ترمينى ابن خمسين سنة، فقلت له: و ما سبب ذلك؟

فقال: ابن عمّك يوسف الجمال، لا أخذ اللّه له بيد، فما زلت حتى أصلحت بينها و بينه.

و من نوادر أجوبته المسكتة، أنّه كان كثير الخلطة بمرّاكش لأحد السّادة، لا يفارقه، إلى أن ولى ذلك السّيد، و تموّل، و اشتغل بدنياه عنه، فقيل له: نرى السيد فلانا أضرب عن صحبتك و منادمتك، فقال: كان يحتاج إلىّ وقتا كان يتبخّر بى، و أمّا اليوم، فإنه يتبخّر بالعود و النّدّ و العنبر. و قال له شخص كان يلقّب ب «فسيوات» فى مجلس خاص: أى فائدة فى «اليربطول»؟ و فيم ذا يحتاج إليه؟ فقال له: لا تقل هذا، فإنه يقطع رائحة الفسا، فودّ أنه لم ينطق. و تكلّم شخص من المترفين فقال: أمس بعنا الباذنجان التى بدار خالتى، بعشرين مثقالا، فقال: لو بعتم الكريز التى فيها لساوى أكثر من مائة.

و أخباره شهيرة؛ قال أبو الحسن على بن موسى: وقعت فى رسائل الكاتب الجليل، شيخ الكتاب أبى زيد الفازازى، على رسائل فى حق أبى محمد اليربطول، و منه إليه، فمنها فى رسالة عن السّيد أبى العلاء، صاحب قرطبة، إلى أخيه أبى موسى صاحب مالقة، و يصلكم به إن شاء اللّه، القائد الأجلّ الأكرم، الحسيب الأمجد الأنجد، أبو محمد أدام اللّه كرامته، و كتب سلامته، و هو الأكيد الحرمة، القديم الخدمة، المرعى الماتّة و الذّمّة، المستحق البرّ فى وجوه كثيرة، و لمعان أثيرة، منها أنه من عقب عمّار بن ياسر، رضوان اللّه عليه، و حسبكم هذا مجدا مؤثّلا، و شرفا موصلا، و منها تعيّن بيته و سلفه، و اختصاصهم من النّجابة و الظهور، بأنوه الاسم و أشرفه، و كونهم بين معتكف على مضجعه، أو مجاهد بمرهفه و مثقّفه، و منها سبقهم إلى هذا الأمر العزيز، و تميّزهم بأثرة الشّفوف و التّمييز، و منها الانقطاع إلى أخيكم، ممدّ مورده و مصدره، و كرم مغيبه و محضره، و هذه وسائل شتى، و أذمّة قلّ ما تتأتّى لغيره.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٤٩

وفاته: كانت وفاته بمالقة بعد عشرين و ستمائة؛ قال الرئيس أبو عمر بن حكم:

شاهدته قد وصل إلى السيد أبى محمد البيّاسى أيام ثورته، و هو بشنتلية مع وفد مالقة بالبيعة سنة ثنتين و عشرين و ستمائة.

و من الصوفية و الفقراء

عبد اللّه بن عبد البر بن سليمان بن محمد بن محمد ابن أشعث الرّعينى

من أهل أرجدونة من كورة ريّه، يكنى أبا محمد، و يعرف بابن أبى المجد.

حاله: كان من أعلام الكور سلفا، و ترتّبا، و صلاحا، و إنابة، و نيّة فى الصالحين، متّسع الذّرع للوارد، كثير الإيثار بما تيسّر، مليح التخلّق، حسن السّمت، طيّب النفس، حسن الظنّ، له حظّ من الطّلب، من فقه و قراءات و فريضة، و خوض فى طريقة الصوفية، و أدب لا بأس به، قطع عمره خطيبا و قاضيا ببلده، و وزيرا، و كتب بالدار السلطانية، فى كل ذلك لم يفارق السّداد.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الجليل أبى جعفر بن الزّبير؛ رحل إليه من وطنه عام اثنين و تسعين و ستمائة، و لازمه و انتفع به، أخذ عنه الكتاب العزيز و العربية، و سمع عليه الكثير من الحديث، و على الخطيب الصوفى المحقّق أبى الحسن فضل بن محمد بن فضيلة المعافرى، و على الخطيب المحدّث أبى عبد اللّه محمد بن عمر بن رشيد، و سمع على الشيخ القاضى الرّاوية أبى محمد النّبعدى، و الوزير المعمر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٥٠

المحدّث الحسيب أبى محمد عبد المنعم بن سماك العاملى، و العدل الرّاوية أبى الحسن بن مستقور. و قرأ بمالقة على الأستاذ أبى بكر بن الفخّار، و أجازه من أهل المشرق طائفة.

شعره: ممّا حدّثنى ابن أخته صاحبنا أبو عثمان بن سعيد، قال: نظم الفقيه القاضى الكاتب أبو بكر بن شبرين ببيت الكتّاب مألف الجملة، رحمهم اللّه، هذين البيتين : [الطويل]

ألا يا محبّ المصطفى، زد صبابةو ضمّخ لسان الذّكر منه بطيبه

و لا تعبأن بالمبطلين فإنماعلامة حبّ اللّه حبّ حبيبه

فأخذ الأصحاب فى تذييل ذلك. فقال الشيخ أبو الحسن بن الجيّاب، رحمه اللّه : [الطويل]

فمن يعمر الأوقات طرّا بذكرهفليس نصيب فى الهدى كنصيبه

و من كان عنه معرضا طول دهره فكيف يرجّيه شفيع ذنوبه؟

و قال أبو القاسم بن أبى القاسم بن أبى العافية : [الطويل]

أليس الذى جلّى دجى الجهل هديه‌بنور أقمنا بعده نهتدى به؟

و من لم يكن من دأبه شكر منعم‌فمشهده فى الناس مثل مغيبه

و قال أبو بكر بن أرقم : [الطويل]

نبىّ هدانا من ضلال و حيرة‌إلى مرتقى سامى المحلّ خصيبه

فهل يذكر الملهوف فضل مجيره‌و يغمط شاكى الداء شكر طبيبه؟

و انتهى القول إلى الخطيب أبى محمد بن أبى المجد، فقال، رحمه اللّه، مذيّلا كذلك : [الطويل]

و من قال مغرورا: حجابك ذكره‌فذلك مغمور طريد عيوبه

و ذكر رسول اللّه فرض مؤكّدو كلّ محقّ قائل بوجوبه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٥١

و قال يوما شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب هذين البيتين على عادة الأدباء فى اختبار الأذهان : [الخفيف]

جاهد النّفس جاهدا فإذا مافنيت عنك فهى عين الوجود

و ليكن حكمك المسدّد فيهاحكم سعد فى قتله لليهود

قال: فأجابه أبو محمد بن أبى المجد : [الخفيف]

أيها العارف المعبّر ذوقاعن معان غزيرة فى الوجود

إنّ حال الفناء عن كلّ غيركمقام المراد غير المريد

كيف لى بالجهاد غير معانو عدوّ مظاهر بجنود؟

و لو أنّى حكمت فيمن ذكرتم‌حكم سعد لكنت جدّ سعيد

فأراها صبابة بى فتوناو أرانى فى حبّها كيزيد

سوف أسلو بحبكم عن سواهاو لو أبدت فعل المحبّ الودود

ليس شىء سوى إلهك يبقىو اعتبر صدق ذا بقول لبيد

وفاته: توفى، رحمه اللّه، ليلة النصف من شعبان المكرم عام تسعة و ثلاثين و سبعمائة. و كان يجمع الفقراء و يحضر طائفتهم، و تظهر عليه حال لا يتمالك معها، و ربما أوحشت من لا يعرفه بها.

عبد اللّه بن فارس بن زيان

من بنى عبد الوادى، تلمسانى، يكنى أبا محمد، و ينتمى إلى بنى زيّان من بيت أمرائهم.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٥٢

كذا نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضى أبى الطاهر ... قاضى الجماعة أبى جعفر بن فركون، و له بأحواله عناية، و له إليه تردّد كثير و زيارة. قال: ورد الأندلس مع أبيه، و هو طفل صغير، و استقرّ بقتّورية فى ديوان غزانها. و لما توفى أبوه سلك مسلكه برهة، و رفض ذلك، و جعل يتردّد بين الولد، و انقطع لشأنه.

حاله: هذا الرجل غريب النّزعة فى الانقطاع عن الخلق، ينقطع ببعض جبال بنى مشرف، و اتخذ فيها كهوفا و بيوتا من الشّعر أزيد من أربعين عاما، و هلمّ جرّا، منفردا، لا يداخل أحدا، و لا يلابسه من العرب، و يجعل الحلفاء فى عنقه ... اختلف فيه، فمن ناسب ذلك إلى التّلبيس و إلى لوثة تأتيه، و ربما أثاب بشىء، و يطلبون دعاءه و مكالمته، فربما أفهم، و ربما أبهم.

محنته: ذكروا أنه ورث عن أخ له مالا غنيّا، و قدم مالقة، و قد سرق تاجر بها ذهبا عينا، فاتّهم بها، فجرت عليه محنة كبيرة من الضّرب

الوجيع، ثم ظهرت براءته، و طلب الحاكم الجائر منه العفو، فعفا عنه، و قال: للّه عندى حقوق و ذنوب، لعلّ بهذا أكفّرها، و صرف عليه المال فأباه، و قال: لا حاجة لى به فهو مال سوء، و تركه و انصرف، و كان من أمر انقطاعه ما ذكر.

شيء من أخباره: استفاض عنه بالجهة المذكورة شفاء المرضى، و تفريج الكربات ... ، إلى غير ذلك من أخبار لا تحصى كثيرة. و هو إلى هذا العهد بحاله الموصوفة، و هو عام سبعين و سبعمائة.

مولده: بتلمسان عام تسعين و ستمائة. و دخل غرناطة غير ما مرة.

عبد اللّه بن فرج بن غزلون اليحصبى

يعرف بابن العسّال، و يكنى أبا محمد، طليطلى الأصل. سكن غرناطة و استوطنها، الصالح المقصود التّربة، المبرور البقعة، المفزع لأهل المدينة عند الشّدة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۵۳

حاله: قال ابن الصّيرفى: كان، رحمه اللّه، فذّا فى وقته، غريب الجود، طرفا فى الخير و الزهد و الورع، له فى كل جو متنفّس، يضرب فى كل علم بسهم، و له فى الوعظ تواليف كبيرة، و أشعاره فى الزهد مشهورة، جارية على ألسنة الناس، أكثرها كالأمثال جيّدة الرّصعة، صحيحة المبانى و المعانى. و كان يحلّق فى الفقه، و يجلس للوعظ. و قال الغافقى : كان فقيها جليلا، زاهدا، متفنّنا، فصيحا لسنا، الأغلب عليه حفظ الحديث و الآداب و النحو، حافظا، عارفا بالتفسير، شاعرا مطبوعا. كان له مجلس، يقرأ عليه فيه الحفظ و التفسير، و يتكلّم عليه، و يقصّ من حفظه أحاديث.

و ألّف فى أنواع من العلوم، و كان يعظ الناس بجامع غرناطة، غريبا فى قوته، فذّا فى دهره، عزيز الوجود.

مشيخته: روى عن أبى محمد مكّى بن أبى طالب، و أبى عمرو المقرئ الدّانى، و أبى عمر بن عبد البرّ، و أبى إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيرى الزاهد، و عن أبيه فرج، و عن أبى زيد الحشاء القاضى، و عن القاضى أبى الوليد الباجى.

شعره: و شعره كثير، و من أمثل ما روى منه قوله: [مخلع البسيط]

لست وجيها لدى إلهىفى مبدإ الأمر و المعاد

لو كنت وجها لما برانىفى عالم الكون و الفساد

وفاته: توفى، رحمه اللّه، يوم الاثنين لعشر خلون من رمضان عام سبعة و ثمانين و أربعمائة، و ألحد ضحى يوم الثلاثاء بعده بمقبرة باب إلبيرة بين الجبانتين. و يعرف المكان إلى الآن بمقبرة العسّال. و كان له يوم مشهود، و قد نيّف على الثمانين، رحمه اللّه، و نفع به.

و من الملوك و الأمراء و الأعيان و الوزراء

عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه [بن محمد] ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ابن معاوية، أمير المؤمنين، الناصر لدين اللّه

الخليفة الممتّع، المجدود، المظفّر، البعيد الذكر، الشهير الصيت. الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج۳ ؛ ص۳۵۳

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۵۴

حاله: كان أبيض، أشهل، حسن الوجه، عظيم الجسم، قصير الساقين. أول من تسمّى أمير المؤمنين، ولى الخلافة فعلا جدّه، و بعد صيته، و توطّأ ملكه، و كأن خلافته كانت شمسا نافية للظلمات، فبايعه أجداده و أعمامه و أهل بيته، على حداثة السّن، و جدة العمر، فجدّد الخلافة، و أحيا الدعوة، و زيّن الملك، و وطّد الدولة، و أجرى اللّه له من السّعد ما يعظم عنه الوصف و يجلّ عن الذكر، و هيّأ له استنزال الثوار و المنافقين و اجتثاث جراثيمهم.

بنوه: أحد عشر ، منهم الحكم الخليفة بعده، و المنذر، و عبد اللّه، و عبد الجبار.

حجّابه: بدر مولاه، و موسى بن حدير.

قضاته : جملة، منهم: أسلم بن عبد العزيز، و أحمد بن بقيّ، و منذر بن سعيد البلوطى.

نقش خاتمه: «عبد الرحمن بقضاء اللّه راض».

أمّه: أمّ ولد تسمى مزنة. و بويع له فى ربيع الأول من سنة تسع و تسعين و مائتين .

دخوله إلبيرة: قال المؤرخ : أول غزوة غزاها بعد أن استحجب بدرا مولاه، و خرج إليها يوم الخميس رابع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثلاثمائة، مفوّضا إليه، و مستدعيا نصره، و استئلاف الشّاردين، و تأمين الخائفين، إلى ناحية كورة جيّان، و حصن المنتلون، فاستنزل منه سعيد بن هذيل، و أناب إليه من كان نافرا عن الطاعة، مثل ابن اللّبانة، و ابن مسرّة، و دحون الأعمى. و انصرف إلى قرطبة، و قد تجوّل، و أنزل كلّ من بحصن من حصون كورة جيان، و بسطة، و ناجرة، و إلبيرة، و بجّانة،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۵۵

و البشرّة، و غيرها، بعد أن عرض نفسه عليها. و على عهده توفى ابن حفصون .

و جرت عليه هزيمة الخندق فى سنة سبع و عشرين و ثلاثمائة ، و طال عمره، فملك نيفا و خمسين سنة، و وجد بخطّه: أيام السّرور التى صفت لى دون كدر يوم كذا و يوم كذا، فعدّت، فوجدت أربعة عشر يوما.

وفاته: فى أول رمضان من سنة خمسين و ثلاثمائة .

عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه بن عبد الرحمن الناصر لدين اللّه بن محمد بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن معاوية

يكنى أبا المطرّف، و يلقب بالمرتضى.

حاله و صفته: كان أبيض أشقر أقنى، مخفّف البدن، مدوّر اللحية، خيّرا، فاضلا، من أهل الصلاح و التّقى، قام بدولته خيران العامرى، بعد أن كثر السؤال عن بنى أمية، فلم يجد فيهم أسدى للخلافة منه، بورعه و عفافه و وقاره، و خاطب فى شأنه ملوك الطوائف على عهده، فاستجاب الكلّ إلى الطاعة بعد أن أجمع الفقهاء و الشيوخ و جعلوها شورى، و انصرفوا يريدون قرطبة، و بدأوا بصنهاجة بالقتال، فكان نزوله بجبل شقشتر على محجة واط.

وفاته: يوم لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة تسع و أربعمائة. و كانت الهزيمة على عساكر المرتضى، فتركوا المحلات و هربوا، و فشى فيهم القتل، و ظفرت صنهاجة من المتاع و الأموال بما يأخذه الوصف، و قتل المرتضى فى تلك الهزيمة، فلم يوقع له على أثر، و قد بلغ سنّه نحو أربعين.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۵۶

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس

يكنى أبا المطرّف، و قيل: أبا زيد، و قيل: أبا سليمان، و هو الداخل إلى الأندلس، و المجدّد الخلافة بها لذريته، و الملقّب بصقر بنى أمية .

حاله: قال ابن مفرّج: كان الأمير عبد الرحمن بن معاوية راجح العقل، راسخ العلم، ثابت الفهم، كثير الحزم، فذّ العزم، بريئا من العجز، مستخفّا للثّقل، سريع النهضة، متّصل الحركة، لا يخلد إلى راحة، و لا يسكن إلى دعة، و لا يكل الأمور إلى غيره، ثم لا ينفرد بإبرامها برأيه. و على ذلك فكان شجاعا، مقداما، بعيد الغور، شديد الحذر، قليل الطّمأنينة، بليغا، مفوّها، شاعرا محسنا، سمحا، سخيا، طلق اللسان، فاضل البنان، يلبس البياض، و يعتمّ به و يؤثره. و كان أعطى هيبة من وليّه و عدوّه لم يعطها واحد من الملوك فى زمانه. و قال

غيره: و ألفى الأمير عبد الرحمن الأندلس ثغرا من أنأى الثغور القاصية، غفلا من سمة الملك، عاطلا من حلية الإمامة، فأرهب أهله بالطاعة السلطانية، و حرّكهم بالسّيرة الملوكية، و رفعهم بالآداب الوسطية، فألبسهم عمّا قريب المودّة، و أقامهم على الطريقة. و بدأ يدوّن الدواوين، و أقام القوانين، و رفع الأواوين، و فرض الأعطية، و أنفذ الأقضية، و عقد الألوية، و جنّد الأجناد، و رفع العماد، و أوثق الأوتاد، فأقام للملك آلته، و أخذ للسلطان عدّته.

نبذة من أوليّته: لمّا ظهر بنو العباس بالمشرق، و نجا فيمن نجا من بنى أمية، معروفا بصفته عندهم، خرج يؤمّ المغرب لأمر كان فى نفسه، من ملك الأندلس، اقتضاه حدثان، فسار حتى نزل القيروان، و معه بدر مولاه، ثم سار حتى لحق بأخواله من نفزة، ثم سار بساحل العدوة فى كنف قوم من زناتة، و بعث إلى الأندلس بدرا، فداخل له بها من يوثق به، و أجاز البحر إلى المنكّب، و سأل عنها، فقال: نكبوا عنها، و نزل بشاط من أحوازها، و قدم إليه أولو دعوته، و عقد اللّوا،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۵۷

و قصد قرطبة فى خبر يطول، و حروب مبيرة، و هزم يوسف الفهرى، و استولى على قرطبة، فبويع له بها يوم عيد الأضحى من سنة ثمان و ثلاثين و مائة، و هو ابن خمس و عشرين سنة.

دخوله إلبيرة: قالوا: و لمّا انهزم الأمير يوسف بن عبد الرحمن الفهرى، لحق بإلبيرة، فامتنع بحصن غرناطة، و حاصره الأمير عبد الرحمن بن معاوية، و أحاط به، فنزل على صلح، و انعقد بينهما عقد، و رهنه يوسف ابنيه؛ أبا زيد و أبا الأسود، و شهد فى الأمان وجوه العسكر، منهم أمية بن حمزة الفهرى، و حبيب بن عبد الملك المروانى، و مالك بن عبد اللّه القرشى، و يحيى بن يحيى اليحصبى، و رزق بن النّعمان الغسّالى، و جدار بن سلامة المذحجى، و عمر بن عبد الحميد العبدرى، و ثعلبة بن عبيد الجذامى، و الحريش بن حوار السلمى، و عتّاب بن علقمة اللخمى، و طالوت بن عمر اليحصبى، و الجرّاح بن حبيب الأسدى، و موسى بن خالد، و الحصين بن العقيلى، و عبد الرحمن بن منعم الكلبى، إلى آخرين سواهم، بتاريخ يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع و ثلاثين و مائة. نقلت أسماء من شهد، لكونهم ممن دخل البلدة، و وجب ذكره، فاجترأت بذلك، فرارا من الإطالة، إذ هذا الأمر بعيد الأمد، و الإحاطة للّه.

بلاغته و نثره و شعره: قال الرّازى: قام بين يديه رجل من جند قنّسرين، يستنجد به، و قال له: يا ابن الخلائف الراشدين و السّادات الأكرمين، إليك فررنا، و بك عذت من زمن ظلوم، و دهر غشوم قلّل المال، و ذهب الحال، و صيّر إلىّ بذاك المنال، فأنت ولىّ الحمد، و ربى المجد، و المرجو للرّفد. فقال له ابن معاوية مسرعا: قد سمعنا مقالتك، فلا تعودنّ و لا سواك لمثله، من إراقة وجهك، بتصريح المسألة، و الإلحاف فى الطّلبة، و إذا ألمّ بك خطب أو دهاك أمر، أو أحرقتك حاجة فارفعه إلينا فى رقعة لا تعدو ذكيا، تستر عليك خلّتك، و تكفّ شماتة العدوّ بك، بعد رفعها إلى مالكنا و مالكها عن وجهه، بإخلاص الدّعاء، و حسن النية. و أمر له بجائزة حسنة. و خرج الناس يعجبون من حسن منطقه، و براعة أدبه.

و من شعره: قوله، و قد نظر إلى نخلة بمنية الرّصافة، مفردة، هاجت شجنه إلى تذكر بلاد المشرق : [الطويل]

تبدّت لنا وسط الرّصافة نخلةتناءت بأرض الغرب عن بلد النّخل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۵۸ فقلت: شبيهى فى التغرّب و النّوىو طول التّنائى عن بنىّ و عن أهلى

نشأت بأرض أنت فيها غريبةفمثلك فى الإقصاء و المنتأى مثلى

سقتك غوادى المزن من صوبها الذىيسحّ و يستمرى السّماكين بالويل

وفاته: توفى بقرطبة يوم الثلاثاء الرابع و العشرين لربيع الآخر سنة اثنتين و سبعين و مائة، و هو ابن تسعة و خمسين عاما، و أربعة أشهر، و كانت مدّة ملكه ثلاثا و ثلاثين سنة و أربعة أشهر ، و أخباره شهيرة.

و جرى ذكره فى الرّجز المسمى بقطع السلوك، فى ذكر هذين من بنى أمية، قولى فى ذكر الداخل: [الرجز]

و غمر الهول كقطع الليل‌بفتنة الفهرىّ و الصّميل

و جلّت الفتنة فى أندلس‌فأصبحت فريسة المفترس

فأسرع السّير إليها و ابتدرو كلّ شىء بقضاء و قدر

صقر قريش عابد الرحمن‌بانى المعالى لبنى مروان

جدّد عهد الخلفاء فيهاو أسّس الملك لمترفيها

ثم أجاب داعى الحمامو خلّف الأمر إلى هشام

و قام بالأمر الحفيد الناصرو الناس محصور بها و حاصر

فأقبل السّعد و جاء النّصرو أشرق الأمن و ضاء القصر

و عادت الأيام فى شباب‌و أصبح العدو فى تباب

سطا و أعطى و تغاضى و وفاو كلّما أقدره اللّه عفا

فعاد من خالف فيها و انتزى‌و حارب الكفّار دأبا و غزا

و أوقع الرّوم به فى الخندق‌فانقلب الملك بسعى مخفق

و اتصلت من بعد ذا فتوح‌تغدو على مثواه أو تروح

فاغتنموا السّلم لهذا الحين‌و وصّلت إرسال قسطنطين

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۵۹ و ساعد السّعد فنال و اقتنى‌ثم بنى الزّهرا فيما قد بنى

حتى إذا ما كملت أيامه‌سبحان من لا ينقضى دوامه

عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد ابن محمد اللخمى

من أهل رنـدة و أعيانها، يكنى أبا القاسم، و يعرف بابن الحكيم، و جـدّه يحيى، هو المعروف بابن الحكيم، و قـد تقدم ذكر جملة من هذا البيت.

حاله: كان، رحمه اللّه، عين بلده المشار إليه، كثير الانقباض و العزلة، مجانبا لأهل الدنيا، نشأ على طهارة و عفّة، مرضى الحال، معدودا فى أهل النّزاهة و العدالة، و أفرط فى باب الصّدقة بما انقطع عنه أهل الإثراء من المتصدّقين، و وقفوا دون شأوه.

و من شهير ما يروى من مناقبه فى هذا الباب، أنه أعتق بكل عضو من أعضائه رقبة، و فى ذلك يقول بعض أدباء عصره:

أعتق بكل عضو منه رقبةو اعتدّ ذلك ذخرا ليوم العقبه

لا أجـد منقبـة مثل هذه المنقبه مشيخته: روى عن القاضـى الجليل أبى الحسن بن قطرال، و عن أبى محمد بن عبد اللّه بن عبد العظيم الزهرى، و أبى البركات بن مودود الفارسـى، و أبى الحسن الدّباج، سمع من هؤلاء و أجازوا له. و أجاز له أبو أمية بن سعد السّعود بن عفير، و أبو العباس بن مكنون الزاهد. قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: و كان شيخنا القاضى العالم الجليل أبو الخطّاب بن خليل، يطنب فى الثناء عليه، و وقفت على ما خاطبه به معربا عن ذلك.

شعره: منقولا من «طرفة العصر» من قصيدة يردّدها المؤذنون منها:

[البسيط]

كم ذا أعلل بالتّسويف و الأمل‌قلبا تغلّب بين الوجد و الوجل

و كم أجرّد أذيال الصّبا مرحافى مسرح اللهو و فى ملعب الغزل

و كم أماطل نفسى بالمتاب و لاعزم فيوضح لى عن واضح السّبل

ضللت و الحقّ لا تخفى معالمهشتّان بين طريق الجدّ و الهزل

وفاته: يوم الاثنين التاسع و العشرين لجمادى الأولى عام ثلاثة و سبعين و ستمائة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۶۰

عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجى

يكنى أبا القاسم، و يعرف بابن الفرس، و يلقّب بالمهر، من أعيان غرناطة.

حاله: كان فقيها جليل القدر، رفيع الذّكر، عارفا بالنحو و اللغة و الأدب، ماهر الكتابة، رائق الشعر، بديع التّوشيح، سريع البديهة، جاريا على أخلاق الملوك فى مركبه و ملبسه و زيّه. قال ابن مسعدة : و طىء من درجات العزّ و المجد أعلاها، و فرع من الأصالة منتماها. ثم علت همّته إلى طلب الرّئاسة و الملك، فارتحل إلى بلاد العدوة، و دعا إلى نفسه، فأجابه إلى ذلك الخلق الكثير، و الجمّ الغفير، و دعوه باسم الخليفة، و حيّوه بتحيّة الملك. ثم خانته الأقدار، و الدهر بالإنسان غدّار، فأحاطت به جيوش الناصر بن المنصور، و هو فى جيش عظيم من البربر، فقطع رأسه، و هزم جيشه، و سيق إلى باب الخليفة، فعلّق على باب مرّاكش، فى شبكة حديد، و بقى به مدة من عشرين سنة .

قال أبو جعفر بن الزبير: كان أحد نبهاء وقته لو لا حدّة كانت فيه أدّت به إلى ما حدّثنى به بعض شيوخى من صحبه. قال: خرجنا معه يوما على باب من أبواب مراكش برسم الفرجة، فلمّا كان عند الرجوع نظرنا إلى رؤوس معلّقة، و تعوّذنا بالله من الشّرّ و أهله، و سألناه سبحانه العافية. قال: فأخذ يتعجب منّا، و قال: هذا خور طريقة و خساسة همّة، و اللّه ما الشرف و الهمّة إلّا فى تلك، يعنى فى طلب الملك، و إن أدّى الاجتهاد فيه إلى الموت دونه على تلك الصّفة. قال: فما برحت الليالى و الأيام، حتى شرع فى ذلك، و رام الثورة، و سيق رأسه إلى مراكش، فعلق فى جملة تلك الرءوس، و كتب عليه، أو قيل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۶۱

فيه: [الطويل]

لقد طمّح المهر الجموح لغايةفقطّع أعناق الجياد السّوابق

جرى و جرت رجلاه لكنّ رأسهأتى سابقا و الجسم ليس بسابق

و كانت ثورته ببعض جهات درعة من بلاد السّوس.

مشيخته: أخذ عن صهره القاضى أبى محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم، و عن غيره من أهل بلده، و تفقّه بهم، و بهر فى العقليّات و العلوم القديمة، و قرأ على القاضى المحدّث أبى بكر بن أبى زمنين، و تلا على الأستاذ الخطيب أبى عبد اللّه بن عروس، و الأدب و النحو على الأستاذ الوزير أبى يحيى بن مسعدة. و أجازه الأستاذ الخطيب أبو جعفر العطّار. و من شعره فى الثورة : [البسيط]

قولوا لأولاد عبد المؤمن بن علىتأهّبوا لوقوع الحادث الجلل

قد جاء فارس قحطان و سيّدها و وارث الملك و الغلّاب للدول

و من شعره القصيدة الشهيرة و هى: [الكامل]

اللّه حسبى لا أريد سواههل فى الوجود الحق إلّا اللّه؟

ذات الإله بها تقوم دولتنا هل كان يوجد غيره لولاه؟

يا من يلوذ بذاته أنت الذىلا تطمع الأبصار فى مرآه

لا غرو أنّا قد رأيناه بهافالحقّ يظهر ذاته و تراه

يا من له وجب الكمال بذاتهفالكل غاية فوزهم لقياه

أنت الذى لمّا تعالى جدّهقصرت خطا الألباب دون حماه

أنت الذى امتلأ الوجود بحمدهلمّا غدا ملآن من نعماه

أنت الذى اخترع الوجود بأسرهما بين أعلاه إلى أدناه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۶۲ أنت الذى خصّصتنا بوجودناأنت الذى عرّفتنا معناه

أنت الذى لو لم تلخ أنوارهلم تعرف الأضداد و الأشباه

لم أفش ما أودعتنيه إنّهما صان سرّ الحقّ من أفشاه

عجز الأنام عن امتداحك إنهتتضاءل الأفكار دون مداه

من كان يعلم أنك الحقّ الذىبهر العقول فحسبه و كفاه

لم ينقطع أحد إليك محبّةإلّا و أصبح حامدا عقباه

و هى طويلة ....

.... من أهل غرناطة، يكنى أبا ورد، و يعرف بابن القصجة.

عديم رواء الحسّ، قريب العهد بالنجعة، فارق وطنه و عيصه، و استقبل المغرب ... الوفادة، و قدم على الأندلس فى أخريات دولة الثانى من الملوك النصريين، فمهد جانب البر له، و قرب مجلسه، و رعى وسيلته، و كان على عمل بر من صوم و اعتكاف و جهاد.

نباهته: و وقف بى ولده الشريف أبو زيد عبد الرحيم، على رسالة كتب بها أمير مكة على عهده إلى سلطان الأندلس ثانى الملوك النصريين، رحمهم اللّه، و عبّر فيها عن نفسه: من عبد اللّه، المؤيّد باللّه، محمد بن سعد الحرسنى، فى غرض المواصلة و المودة و المراجعة عن بر صدر عن السلطان، رحمه اللّه، من فصولها: «ثم أنكم، رضى اللّه عنكم، بالغنم فى الإحسان للسيد الشريف أبى القاسم الذى انتسب إلينا، و أويتموه من أجلنا، و أكرمتموه، و رفعتموه احتراما لبيته الشريف، جعل اللّه عملكم معه وسيلة بين يدى جدّنا عليه السلام». و هى طويلة و تحميدها ظريف، من شنشنة أحوال تلك البال بمكة المباركة.

وفاته: توفى شهيدا فى الوقيعة بين المسلمين و النصارى بظاهر ألمرية عندما وقع الصريخ لإنجادها، و رفع العدو البرجلونى عنها فى السادس و العشرين من شهر ربيع الأول عام عشرة و سبعمائة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۶۳

و من ترجمة المقرئين و العلماء و الطلبة النجباء من ترجمة الطارئين منهم

عبد الرحمن بن عبد اللّه بن أحمد بن أبى الحسن أصبغ بن حسن بن سعدون بن رضوان بن فتّوح الخثعمى

مالقى، يكنى أبا زيد، و أبا القاسم، و أبا الحسين، و هى قليلة، شهر بالسّهيلى.

حاله: كان مقرئا مجوّدا، متحققا بمعرفة التفسير، غواصا على المعانى البديعة، ظريف التّهدّى إلى المقاصد الغريبة، محدّثا، واسع الرّواية، ضابطا لما يحدّث به، حافظا متقدما، ذاكرا للأدب و التواريخ و الأشعار و الأنساب، مبرّزا فى الفهم، ذكيا، أديبا، كاتبا بليغا، شاعرا مجيدا، نحويا، عارفا، بارعا، يقظا، يغلب عليه علم العربية و الأدب. استدعى آخرا إلى التدريس بمرّاكش، فانتقل إليها من مالقة، محلّ إقرائه، و متبوّأ إفادته، فأخذ بها الناس عنه، إلى حين وفاته.

مشيخته: تلا- بالحرمين على خال أبيه الخطيب أبى الحسن بن عباس، و بالسّبع على أبى داود بن يحيى، و على أبى على منصور بن علاء، و أبى العباس بن خلف بن رضى، و روى عن أبى بكر بن طاهر، و ابن العربى، و ابن قندلة، و أبى الحسن شريح، و ابن عيسى، و يونس بن مغيث، و أبى الحسن بن الطّراوة، و أكثر عنه فى علوم اللسان، و أبى عبد اللّه حفيد مكّى، و ابن أخت غانم، و ابن معمّر، و

ابن نجاح، و أبى العباس بن يوسف بن يمن اللّه، و أبوى القاسم ابن الأبرش، و ابن الرّماك، و أبوى محمد بن رشد، و القاسم بن دحمان، و أبوى مروان بن بونة، و أبى عبد اللّه بن بحر. و ناظر فى «المدوّنة» على ابن هشام. و أجاز له و لم يلقه أبو العباس عبّاد بن سرحان، و أبو القاسم بن ورد.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۶۴

من روى عنه: روى عنه أبو إسحاق الزّوالى، و أبو إسحاق الجانى، و أبو أمية بن عفير، و أبو بكر بن دحمان، و ابن قنتوال، و المحمدون ابن طلحة، و ابن عبد العزيز، و ابن على جو يحمات، و أبو جعفر بن عبد المجيد، و الحفّار و سهل بن مالك، و ابن العفّاص، و ابن أبى العافية، و أبو الحسن السّراج، و أبو سليمان بن حوط اللّه، و السمائى، و ابن عياش الأندرشى، و ابن عطية، و ابن يربوع، و ابن رشيد، و ابن ناجح، و ابن جمهور، و أبو عبد اللّه بن عيّاش الكاتب، و ابن الجذع، و أبو على الشّلوبين، و سالم بن صالح، و أبو القاسم بن بقى، و أبو القاسم بن الطّيلسان، و عبد الرحيم بن الفرس، و ابن الملجوم، و أبو الكرم جودى، و أبو محمد بن حوط اللّه، إلى جملة لا يحصرها الحدّ.

دخل غرناطة، و كان كثير التأميل و المدح لأبى الحسن بن أضحى، قاضيها و ريّسها ، و له فى مدحه أشعار كثيرة، و ذكر لى من أرّخ فى الغرناطيين، و أخبرنى بذلك صاحبنا القاضى أبو الحسن بن الحسن كتابة عمّن يثق به.

تواليفه: منها كتاب «الشّريف و الإعلام، بما أبهم فى القرآن من أسماء الأعلام». و منها شرح آية الوصية، و منها «الرّوض الآنف و المشرع الرّوا، فيما اشتمل عليه كتاب السيرة و احتوى». و ابتدأ إملاءه فى محرم سنة تسع و ستين و خمسمائة، و فرغ منه فى جمادى منها. و منها «حلية النّبيل، فى معارضة ما فى السّبيل». إلى غير ذلك.

شعره: قال أبو عبد اللّه بن عبد الملك: أنشدنى أبو محمد القطّان، قال:

أنشدنى أبو على الرّندى، قال: أنشدنى أبو القاسم السّهيلى لنفسه : [الطويل]

أسائل عن جيرانه من لقيتهو أعرض عن ذكراه و الحال تنطق

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۶۵ و ما لى إلى جيرانه من صبابةو لكنّ قلبى عن صبوح يوفّق

و نقلت من خطّ الفقيه القاضى أبى الحسن بن الحسن، من شعر أبى القاسم السّهيلى، مذيّلا بيت أبى العافية فى قطعة لزوميّة: [الطويل]

و لمّا رأيت الدّهر تسطو خطوبهبكل جليد فى الورى أو هدانى

و لم أر من حرز ألوذ بظلّهو لا من له بالحادثات يدانى

فزعت إلى من ملّك الدهر كفّهو من ليس ذو ملك له بمران

و أعرضت عن ذكر الورى متبرّماإلى الرّب من قاص هناك و دان

و ناديته سرّا ليرحم عبرتىو قلت: رجائى قادنى و هدانى

و لم أدعه حتى تطاول مفضلاعلىّ بإلهام الدّعاء وعان

و قلت: أرجّى عطفه متمثّلابيت لعبد صائل بردان

تغطّيت من دهرى بظلّ جناحهعسى أن ترى دهرى و ليس يرانى

قلت: و ما ضرّه، غفر اللّه له، لو سلمت أبياته من «بردان»، و لكن أبت صناعة النحو إلّا أن تخرج أعناقها.

و من شعره قوله: [المتقارب]

تواضع إذا كنت تبغى العلاو كن راسيا عند صفو الغضب

فخفض الفتى نفسه رفعةله و اعتبر برسوب الذّهب

و شعره كثير، و كتابته كذلك، و كلاهما من نمط يقصر عن الإجادة.

و قال ملغزا فى محمل الكتب، و هو مما استحسن من مقاصده: [الخفيف]

حامل للعلوم غير فقيهليس يرجو أمرا و لا يتّقيه

يحمل العلم فاتحا قدميهفإذا انضمّتا فلا علم فيه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٦٦

و من ذلك قوله فى المجبنات : [الكامل]

شغف الفؤاد نواعم أبكاربردت فؤاد الصّبّ و هى حرار

أذكى من المسك الفتيق لناشقو ألذّ من صهباء حين تدار

و كأنّ من صافى اللّجين بطونهاو كأنّما ألوانهنّ نضار

صفت البواطن و الظواهر كلها لكن حكت ألوانها الأزهار

عجبا لها و هى النعيم تصوغهانار، و أين من النّعيم النار؟

و من شعره و ثبت فى الصّلة: [المتقارب]

إذا قلت يوما: سلام عليكففيها شفاء و فيها سقام

شفا إذ قلتها مقبلاو إن قلتها مدبرا فالحمام

فاعجب لحال اختلافيهماو هذا سلام و هذا سلام

مولده: عام سبعة أو ثمانية و خمسمائة .

وفاته: و توفى فى مرّاكش سحر ليلة الخامس و العشرين من شعبان أحد و ثمانين و خمسمائة ، و دفن لظهره بجبّانة الشيوخ خارج مراكش، و كان قد عمى سبعة عشر عاما من عمره.

عبد الرحمن بن هانىء اللخمى

يكنى أبا المطرف، من أهل فرقد من قرى إقليم غرناطة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٦٧

حاله: كان فقيها فاضلا، و تجوّل فى بلاد المشرق. قال: أنشدنى إمام الجامع بالبصرة: [الوافر]

بلاء ليس يشبهه بلاءعداوة غير ذى حسب و دين

ينيلك منه عرضا لم يصنهو يرتع منك فى عرض مصون

عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدى

من أهل غرناطة، يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن القصير .

حاله: كان فقيها [مشاورا، رفيع القدر جليلا] ، بارع الأدب، عارفا بالوثيقة، نقّادا لها، صاحب رواية و دراية، تقلّب ببلاد الأندلس، و أخذ الناس عنه بمرسية و غيرها. و رحل إلى مدينة فاس، و إفريقية، و أخذ بها، و ولّى القضاء بتقرش من بلاد الجريد.

مشيخته: روى عن أبيه القاضى أبى الحسن بن أحمد، و عن عمّه أبى مروان، و عن أبوى الحسن بن درّى، و ابن الباذش، و أبى الوليد بن رشد، و أبى إسحاق بن رشيق الطليطلى، نزيل وادى آش، و أبى بكر بن العربى، و أبى الحسن بن وهب ، و أبى محمد عبد الحق بن عطيّة، و أبى عبد اللّه بن أبى الخصال، و أبى الحسن يونس بن مغيث، و أبى القاسم بن ورد، و أبى بكر بن مسعود الخشنى، و أبى القاسم بن بقىّ، و أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض، و غيرهم.

تواليفه : له تواليف و خطب و رسائل و مقامات، و جمع مناقب من أدركه من أهل عصره، و اختصر كتاب الجمل لابن خاقان الأصبهانى، و غير ذلك، و ألّف برنامجا يضم رواياته.

من روى عنه: روى عنه ابن الملجوم ، و استوفى خبره.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۶۸

وفاته: ركب البحر قاصدا الحج، فتوفى شهيدا فى البحر؛ قتله الرّوم بمرسى تونس مع جماعة من المسلمين، صبح يوم الأحد، فى العشر الوسط من شهر ربيع الآخر سنة ست و سبعين و خمسمائة .

عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصارى

يكنى أبا بكر، و يعرف بابن الفصّال.

حاله: هذا الرجل فاضل عريق فى العدالة، ذكىّ، نبيل، مختصر الجرم، شعلة من شعل الإدراك، مليح المحاورة، عظيم الكفاية، طالب متقن. قرأ على مشيخة بلده، و اختصّ منهم بمولى النعمة على أبناء جنسه، أبى سعيد ابن لب، و استظهر من حفظه كتبا كثيرة، منها كتاب التفريع فى الفروع، و ارتسم فى العدول، و تعاطى لهذا العهد الأدب، فبرّز فى فنّه.

أدبه: مما جمع فيه بين نظمه و نثره، قوله يخاطب الكتّاب، و يسحر ببراعته الألباب: [الطويل]

لعلّ نسيم الريح يسرى عليلهفأهدى صحيح الودّ طىّ سقيم

لتحملها عنّى و أزكى تحيةلقيت ككهف مانع و رقيم

و يذكر ما بين الجوانح من جوىو شوق إليهم مقعد و مقيم

يا كتّاب المحلّ السامى، و الإمام المتسامى، و واكف الأدب البسّامى، أناشدكم بانتظامى، فى محبّتكم و ارتسامى، و أقسم بحقّكم علىّ و حبّذا إقسامى، ألا ما أمددتم بأذهانكم الثاقبة، و أسعدتم بأفكاركم النّيرة الواقبة، على إخراج هذا المسمّى، و شرح ما أبهمه المعمّى، فلعمرى لقد أحرق مزاجى، و فرّق امتزاجى، و أظلم به وهاجى، و غطّى على مرآة ابتهاجى، فأعينونى بقوة ما استطعتم، و أقطعونى من مددكم ما قطعتم، و آتونى بذلك كلّه إعانة و سدّا و إلّا فها هو بين يديكم ففكّوا غلقه، و اسردوا خلقه، و اجمعوا مضغه المتباينة و علقه، حتى يستقيم جسدا قائما بذاته، متّصفا بصفاته المذكورة و لذّاته، قائلا بتسلّيه أسلوبا، مصحفا كان أو مقلوبا. و إن تأبّى عليكم و تمنّع، و أدركه الحياء فتستّر و تقنّع، و ضرب على آذان الشّهدا، و ربط على قلوبهم من الإرشاد له و الاهتداء، فابعثوا أحدكم إلى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۶۹

المدينة، ليسأل عنه خدينه: [المتقارب]

أحاجى ذوى العلم و الحلم ممن ترى شعلة الفهم من زنده

عن اسم هو الموت مهما دناو إن بات يبكى على فقده

لذيذ و ليس بذى طعمو يؤمر بالغسل من بعده

و أطيب ما يجتنيه الفتىلدى ربّة الحسن أو عبده

مضجّعه عشر الثلث فىحساب المصحّف من خدّه

و إن شئت قل: مطعم ذمّه الرسول و حضّ على بعده

و قد جاء فى الذّكر إخراجهلقوم نبىّ على عهده

و تصحيف ضدّ له آخريبارك للنّحل فى شهده

و تصحيف مقلوبه ربّه‌تردّد من قبل فى ردّه

فهاكم معانيه قد بدت‌كنار الكريم على نجده

و كتب للولد، أسعده اللّه، يتوسّل إليه، و يروم قضاء حاجته: [الخفيف]

أيها السيد العزيز، تصدّق‌فى المقام العلىّ لى بالوسيلة

عند ربّ الوزارتين أطال الله أيامه حسانا جميلة

علّه أن يجيرنى من زمان‌مسّنى الضّرّ من خطاه الثّقيلة

و استطالت علىّ بالنّهب جورامن يديه الخفيفة المستطيلة

لم تدع لى بضاعة غير مزجاة و نزر أهون به من قليله

و إذا ما وفّى لى الكيل يوماحشفا ما يكيله سوء كيله

فشفى بى غليله لا شفى بى‌دون أبنائه الجميع غليله

من لهذا الزمان مذ نال منّى‌ليس لى بالزمان و اللّه حيله

غير أن يشفع الوزير و يدعو عبده أو خديمه أو خليله

دمت يا ابن الوزير فى عزّك السامى و دامت به الليالى كفيله

سيدى الذى بعزّة جاهه أصول، و بتوسّلى بعنايته أبلغ المأمول و السّول، و أروم لما أنا أحوم عليه الوصول، ببركة المشفوع إليه و الرسول، المرغوب من مجدك السّامى الصريح، و المؤمّل من ذلك الوجه السّنىّ الصبيح، أن تقوم بين يدى نجوى الشّفاعة، هذه الرّقاعة، و تعين بذاتك الفاضلة النفّاعة، من لسانك مصقاعة، حتى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۷۰

ينجلى حالى عن بلج، و أتنسّم من مهبّات القبول طيب الأرج، و تتطلع مستبشرات فرحتى من ثنيّات الفرج، فإنّ سيّد الجماعة الأعلى، و ملاذ هذه البسيطة و فحلها الأجلى، فسح اللّه تعالى فى ميدان هذا الوجود بوجوده، و أضفى على هذا القطر ملابس السّتر برأيه السديد و سعوده، و بلّغه فى جميعكم غاية أمله و مقصوده، قلّما تضيع عنده شفاعة الأكبر من ولده، أو يخيب لديه من توسّل إليه بأزكى قطع كبده، و بحقك ألا ما أمرت هذه الرّقعة، بالمثول بين يدى ذلك الزّكى الذّات الطاهر البقعة، و قل لها قبل الحلول بين يدى هذا المولى الكريم، و الموئل الرحيم، بعظيم التوقير و التّبجيل، و اعلمى يا أيتها السائل، أن هذا الرجل هو المؤمّل، بعد اللّه تعالى فى هذا الجيل، و الحجّة البالغة فى تبليغ راجيه أقصى ما يؤملونه بالتعجيل، و خاتمة كلام البلاغة و تمام الفصاحة الموقف عليه ذلك كله بالتّسجيل، و غرّة صفح دين الإسلام المؤيدة بالتّحجيل. و هذا هو مدبّر فلك الخلافة العالية بإيالته، و حافظ بدر سمائها السامية بهالته، فقرّى بالمثول بين يديه عينا، و لقد قضيت على الأيام بذلك دينا، و إذا قيل ما وسيلة مؤمّلك، و حاجة متوسّلك، فوسيلته تشيّعه فى أهل ذلك المعنى، و حاجته يتكفّل بها مجدكم الصميم و يعنى، و ليست تكون بحرمة جاهكم من العرض الأدنى، و تمنّ فإنّ للإنسان هنالك ما تمنّى، و تولّى تكليف مرسلى بحسب ما وسعكم، و أنتم الأعلون و اللّه معكم. ثم اثن العنان، و اللّه المستعان، و أعيدى السلام، ثم عودى بسلام.

و خاطب قاضى الحضرة، و قد أنكر عليه لباس ثوب أصفر:

أبقى اللّه المثابة العليّة و مثلها أعلى، و قدحها فى المعلوّات المعلّى، ما لها أمرت لا زالت بركاتها تنثال، و لأمر ما يجب الامتثال، بتغيير ثوبى الفاقع اللون، و إحالته عن معتاده فى الكون، و إلحاقه بالأسود الجون أصبغه حدادا و أيام سيدى أيام سرور، و بنو الزمان بعدله ضاحك و مسرور، ما هكذا شيمة البرور، بل لو استطعنا أن نزهو له كالميلاد، و نتزيّا فى أيامه بزىّ الأعياد، و نرفل من المشروع فى محبر و موروس، و نتجلّى فى حلل العروس، حتى تقرّ عين سيدى بكتيبة دفاعه، و قيمة نوافله و إشفاعه، ففى علم سيدى الذى به

الاهتداء، و بفضله الاقتداء، تفضيل الأصفر الفاقع، حيثما وقع من المواقع، فهو مهما حضر نزهة الحاضرين، و كفاه فاقع لونها تسرّ الناظرين.

و لقد اعتمّه جبريل عليه السلام، و به تطرّز المحبرات و الأعلام، و إنه لزيّ الظّرفاء، و شارة أهل الرّفاء، اللهمّ إلا إن كان سيدى دام له البقاء، و ساعده الارتقاء، ينهى أهل التّبريز، عن مقاربة لون الذهب الإبريز، خيفة أن تميل له منهم ضريبة، فيزنّوا بريبة، فنعم إذا و نعمى عين، و سمعا و طاعة لهذا الأمر الهيّن اللّين، أتبعك لا زيدا و عمرا،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۷۱

و لا أعصى لك أمرا، ثم لا ألبس بعدها إلّا طمرا، و أتجرّد لطاعتك تجريدا، و أسلك إليك فقيرا و مزيدا، و لا أتعرّض للسّخط بلبس شفيف أستنشق هباه، و ألبس عباه، و أبرأ من لباس زى ينشئ عتابا، يلقى على لسان مثل هذا كتابا، و أتوب منه متابا، و لو لا أنى الليلة صفر اليدين، و معتقل الدّين، لباكرت به من حانوت صبّاغ رأس خابية، وقاع مظلمة جابية، فأصيّره حالكا، و لا ألبسه حتى أستفتى فيه مالكا، و لعلى أجدّ فأرضى سيدى بالتّزيّ بشارته، و العمل بمقتضى إشارته، و اللّه تعالى يبقيه للحسنات يتبّه عليها، و يومى بعمله و حظّه إليها، و السلام.

و خاطبنى و قد قدم فى شهادة المواريث بحضرة غرناطة: [السريع]

يا منتهى الغايات دامت لناغايتك القصوى بلا فوت

طلبت إحيائى بكم فانتهىمن قبله حالى إلى الموت

و حقّ ذاك الجاه جاه العلالا متّ إلّا أن أتى وقتى

مولاى الذى أتأذّى من جور الزمان بذمام جلاله، و أتعوّذ من نقص شهادة المواريث بتمام كماله، شهادة يأباها المعسر و الحىّ، و يودّ أن لا- يوافيه أجله عليها الحىّ، مناقضة لما العبد بسبيله، غير مربح قطميرها من قليله، فإن ظهر لمولاى إعفاء عبده، فمن عنده، و اللّه تعالى يمتّع الجميع بدوام سعده، و السلام الكريم يختص بالطاهر من ذاته و مجده، و رحمة اللّه و بركاته. من عبد إنعامكم ابن الفصّال لطف اللّه به: [البسيط]

قد كنت أسترزق الأحياء ما رزقواشيئا و لا ما وفونى بعض أقوات

فكيف حالى لمّا أن شكوتهمرجعت أطلب قوتى عند أمواتى

و السلام يعود على جناب مولاى، و رحمة اللّه و بركاته.

و خاطب أحد أصحابه، و قد استخفى لأمر قرف به، برسالة افتتحها بأبيات على حرف الصاد، أجابه المذكور عن ذلك بما نصّه، و فيه إشارة لغلط وقع فى الإعراب:

[البسيط]

يا شعلة من ذكاء أرسلت شرراإلى قريب من الأرجاء بعد قص

و شبهة حملت دعوى السّفاح علىفحل يليق به مضمونها و خص

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۷۲ رحماك بى فلقد جرّعتنى غصصاأثار تعريضها المكتوم من غصّ

بليتنى بنكاة القرح فى كبدى كمثل مرتجف المجذوم بالبرص

أيها الأخ الذى رقى و مسح، ثم فصح، و غشّ و نصح، و مزّق ثم نصح، و تلاهب بأطراف الكلام المشقّق فما أفصح، ما لسحّاتك ذات الجيد المنصوص، توهم سمة الودّ المرصوص، ثم تعدل إلى التأويلات عن النّصوص، و تؤنس على العموم، و توحش على الخصوص، لا- درّ درّه من باب برّ ضاع مفتاحه، و تأنيس حرّ سبق بالسجن استفتاحه، و من الذى أنهى إلى أخى خبر ثقافى، و وثيقة تحبيسى و إيقافى، و قد أبى ذلك سعد فرعه باسق، و عزّ عقده متناسق. يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ ، بل المثوى و الحمد

للّه جنّات و غرف، و المنتهى مجد و شرف، فإن كان وليّى مكترثا فيحقّ له السّرور، أو شامتا فلى الظّل و له الحرور. أنا لا أزنّ و الحمد للّه بها من هناه، و لما أدين بها من عزّى و مناه، و لا تمرّ لى ببال فلست بذى سيف و لست بنكال نفسى أرقّ شيمة، و أكرم مشيمة، و عينى أغزر ديمة، لو كان يسأل لسان عن إنسان، أو مجاولته بملعبه خوان، أوقفنى إخوان لا بمأزق عدوان، لارتسمت منه بديوان، لا يغنى فى حرب عوان. عين هذا الشكل و الحمد للّه فراره، و عنوان هذا الحدّ غراره. و أما كونى من جملة الصّفرة، و ممن أجهز سيدى الفقار على ذى الفقرة، فأقسم لو ضرب القتيل ببعض البقرة، لتعين مقدار تلك الغفرة.

اللهمّ لو كنت مثل سيدى ممن تتضاءل النخلة السّحوق لقامته، و يعترف عوج لديه بقماءته و دمامته، مقبل الظّعن كالبدور فى سحاب الخدور، و خليفة السّيد الذى بلغت سراويله تندوة العدوّ الأبّد، لطلت بباع مديد، و ساعدنى الخلق بساعد شديد، و أنا لى جسم شحت، يحف به بخت، و حسب مثلى أن يعلم فى ميدان هوى تسلّ فيه سيوف اللّحاظ، على ذوى الحفاظ، و تشرع سيوف القدود، إلى شكاة الصّدود، و تسطو أولو الجفون السّود بالأسود، فكيف أخشى تبعة تزلّ عن صفاتى، و تنافى صفاتى، و لا تطمع أسبابها فى التفاتى، و لا تستعمل فى حربها قنا ألفاتى. و اللّه يشكر سيدى على اهتباله، و يحلّ كريم سباله، على ما ظهر لأجلى من شغف باله، إذ رفع ما ينصب، و غيّر ما لو غيّره الحجاج لكان مع الهيبة يحصب، و نكّت بأن نفقت بالحظ سوقى، و ظهر لأجله فسوقى، و يا حبّذا هو من شفيع رفيع و وسيلة لا يخالفها الرّعى، و لا

يخيب لها السّعى. و للّه درّ القائل: [الكامل]

للّه بالإنسان فى تعليمهبوساطة القلم الكريم عنايه

فالخطّ خطّ و الكتابة لم تزلفى الدهر عن معنى الكمال كنايه

و ما أقرب، يا سيدى، هذه الدعوى لشهامتك، و كبر هامتك: [الكامل]

لو كنت حاضرهم بخندق بلجو لحمل ما قد أبرموه فصال

لخصصت بالدعوى التى عمّوا بهاو لقيل: فصل جلاه الفصال

و تركت فرعون بن موسى عبرةتتقدّ منه بسيفه الأوصال

فاحمد اللّه الذى نجّاك من حضور وليمتها، و لم تشهد يوم حليمتها. و أما اعتذارك عما يقلّ من تفقّد الكنز، و منتطح العنز، فورع فى سيدى أتمّ من أن يتّهم بغيبة، و لسانه أعفّ من أن ينسب إلى ريبة، لما اتّصل به من فضل ضريبة، و مقاصد فى الخير غريبة، إنما يستخفّ سيدى أفرط التّهم، رمى العوامل بالتّهم، فيجرى أصحّ مجرى أختها، و يلبسها ثياب تحتها، بحيث لا إثم يترتّب، و لا هو ممن تعتب ، و على الرجال فجنايته عذبة الجنا، و مقاصده مستطرفة لفصح أو كنى. أبقاه اللّه رب نفاضة و جرادة، و لا أخلى مبرده القاطع من برادة، و عوّده الخير عادة، و لا أعدمه بركة و سعادة، بفضل اللّه. و السلام عليه من وليّه المستزيد من ورش وليه، لا بل من قلائد حليه، محمد بن فركون القرشى، و رحمة اللّه و بركاته.

فراجعه المترجم بما نصه، و قد اتّهم أن ذلك من إملائى: [البسيط]

يا ملبس النّصح ثوب الغشّ متّهمايلوى النّصيحة عنه غير منتكص

و جاهلا باتخاذ الهزل مأدبةأشدّ ما يتوقّى محمل الرّخص

نصحته فقصانى فانقلبت إلىحال يغصّ بها من جملة الغصص

بالأمس أنكرت آيات القصاص لهو اليوم يسمع فيه سورة القصص

ممّن استعرت يا بابلىّ هذا السّحر، و لم تسكن بناصية السحر، و لا أعملت إلى بابل هاروت امتطاء ظهر، و من أين جئت بقلائد ذلك النّحر؟ أمن البحر، أو مما وراء النهر؟ ما لمثل هذه الأريحيّة الفاتقة، استنشقنا مهبّك و لا قبل هذه البارقة الفائقة، استكثرنا غيّك، يا

أيها الساحر ادع لنا ربّك. أ أضغاث أحلام ما تريه الأقلام، أم فى لحظة تلد الأيام فرائد الأعلام؟ لقد عهدت بربعك محسن دعابة، ما فرعت شعابه، أو

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۷۴

مصيبا فى صبابة، ما قرعت بابه، و لا استرجعت قبل أن أعبر عبابه. اللهمّ إلّا أن تكون تلك الآيات البيّنات من بنات يراعتك، لا براعتك، و مغترس تلك الزّهر، الطالعة كالكواكب الزّهر، مختلس يد استطاعتك، لا زراعتك، و إلّا فنطّرح مصائد التعليم و الإنشاء، و ننتظر معنى قوله عزّ و جلّ يؤتى الحكمة من يشاء، أو نتوسّل فى مقام الإلحاح و الإلحاف، أن ننقل من غائلة الحسد إلى الإنصاف، و حسبى أن أطلعت بالحديقة الأنيقة، و وقفت من مثلى تلك الطّريقة على حقيقة، فألفيت بها بيانا، قد وضح تبيانا أو أطلق عنانا، و محاسن و جدت إحسانا، فتمثّلت إنسانا، سرّح لسانا، و أجهد بنانا، إلّا أنّ صادح أيكتها يتململ فى قيظ، و يكاد يتميّز من الغيظ، فيفيض و يغيض، و يهيض و ينهض ثم يهيض، و يأخذ فى طويل و عريض، بتسبيب و تعريض، و يتناهض فى ذلك بغير مهيض، و فاتن كمائمها تسأل عن الصّادح، و يتلقّف عصا استعجاله ما يفكّه المادح، و يحرق بناره زند القادح، و يتعاطى من نفسه بالإعجاب، و يكاد ينادى من وراء حجاب، إن هذا لشىء عجاب. إيه بغير تمويه رجع الحديث الأول، إلى ما عليه المعوّل، لا درّ درّها من نصيحة غير صحيحة، و وصيّة مودّة صريحة، تعلقت بغير ذى قريحة، فهى استعجلتنى بداهية كاتب، و استطالة ظالم عاتب، قد سلّ مرهفه، و استنجد مترفه، و جهّزها نحو كتيبته تسفر عن تحجيل، بغير تبجيل، و سحابة سجلّ ترمى بسجّيل، ما كان إلّا أن استقلّت، و رمتنى بدائها و انسلّت، و ألقت ما فيها و تخلّت، فحسبى اللّه تغلّب على فهمى، و رميت بسهمى، و قتلت بسلاحى، و أسكرت براحى، برئت برئت، مما به دهيت، أنت أبقاك اللّه لم تدن بها منى منالا و عزّا، فكيف بها تنسب إلىّ بعدك و تعزى؟ نفسى التى هى أرقّ و أجدر بالمعالى و أحقّ، و شكلى أخفّ على القلوب و أدقّ، و شمائلى أملك فلا تسترق، و لسانى هو الذى يسأل فلا يفلّ، و قدرى يعزّ و يجلّ، عما فخرت أنت به من ملعب مائدة، و مجال رقاب متمايدة، فحاشى سيدى أن يقع منه بذلك مفخر، إلا أن يكون يلهو و يسخر، و موج بحره بالطّيّب و الخبيث تزخر، و عين شكلى هى بحمد اللّه عين الظّرف، المشار إليه بالبنان و الطّرف. و أما تعريض سيدى بصغر القامة، و تكبيره لغير إقامة، فمطّرد قول، و مدامة غول، و فريضة نشأ فيها عول، إذ لا مبالاة تجسم كائنا ما كان، أو ما سمعت أنّ السّر فى السّكان، و إنما الجسد للرّوح مكان، و لم يبق إليه فقد يروح، و قد قال و يسألونك عن الرّوح، و المرء بقلبه و لسانه، لا بمستظهر عيانه، و للّه درّ القائل: [الكامل]

لم يرضنى أنى بجسم هائلو الرّوح ما وفّت له أغراضه

و لقد رضيت بأنّ جسمى ناحلو الروح سابغة به فضفاضه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۷۵

و لما وقّع سيدى بمكتوبى على المرفوع و المنصوب، و ظفرت يده بالمغضوب، و الباحث المعصوب، لم يقلها زلّة عالم، و إنى و قد وجدتها منية حالم، فعدّد و أعاد، و شدّد و أشاد. هلّا عقل ما قال، و علم أن المقيل سيكون مقال، و زلّة العالم لا تقال، و أن الحرب سجال، و قبضة غيره هو المتلاعب فى الحجال؟ و بالجملة فلك الفضل يا سيدى ما اعتنى بمعناك، و ارتفع بين مغانى الكرام مغناك، فمدة ركوبك الحمران لا تجارى، و لا يشقّ أحد لك غبارا. أبقاك اللّه تحفظ عرى هذا الوداد، و يشمل الجميع بركة ذلك النّاد، و السلام عليك من ابن الفصّال، و رحمة اللّه و بركاته.

و جعلا إلىّ التّحكيم، و فوّضا لنظرى التّفضيل فكتبت: [البسيط]

بارك عليها بذكر اللّه من قصصو اذكر لها ما أتى فى سورة القصص

حيث اغتدى السّحر يلهو بالعقول و قدأحال بين حؤول كيده و عصى

عقائل العقل و السحر الحلال قوتمن كافل الصّون بعد الكون جحر وصى

و أقبلت تتهادى كالبدور إذابسحر من فلك النّذور فى حصص

من للبدور و ربّات الخدور بهاالمثل غير مطيع و المثيل عصى

ما قرصة البدر و الشّمس المنيرة أنقيست بمن قاسها من جملة القرض

تاللّه ما حكمها يوما بمنتقص كلّا و لا بدرها يوما بمنتقص

إن قال حكمى فيها بالسّواد فقدأمنت ما يحذر القاضى من الغصص

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٧٦ أو كنت أرخصت فى التّرجيح مجتهدالم يقبل الورع الفتيا مع الرّخص

يا مدلج ليل التّرجيح، قف فقد خفيت الكواكب، و يا قاضى طرف التّحسين و التّقبيح، تسامت و الحمد للّه المناكب، و يا مستوكف خبر الوقيعة من وراء أقتام القيعة تصالحت المواكب. حصحص الحقّ فارتفع اللّجاج، و تعارضت الأدلّة فسقط الاحتجاج، و وضعت الحرب أوزارها فسكن العجاج، و طاب نحل الأقلام بأزهار الأحلام فطاب المجاج، و قلّ لفرعون البيان و إن تألّه، و بلّد العقول و بلّه، و ولّى بالغرور و دلّه. أوسع الكنائن نثلا، و دونك أيّدا شثلا، و شحرا حثلا، لا خطما و لا أثلا. إن هذان لساحران إلى قوله: و يذهبا بطريقتكم المثلى و إن أثرت أدب الحليم، مع قصّة الكليم، فقل لمجمل جياد التّعاليم، و واضع جغرافيا الأقاليم، أندلسا ما علمت بلد الأجم، لا سود العجم، و مداحض السّقوط، على شوك قتاد القوط، و لم يذر إن محل ذات العجائب و الأسرار التى تضرب إليها أباط النّجاب فى غير الإقليم الأول، و هذا الوطن بشهادة القلب الحوّل، إنما هو رسم دارس ليس عليه من معوّل. فهنالك يتكلم الحق فيفصح و يعجم، و يرد المدد على النفوس الجريئة من مطالع الأضواء فيحدّث و يلهم، و يجود خازن الأمداد، على المتوسّل بوسيلة الاستعداد، فيقطع و يسهم. و أما إقليمنا الرابع و الخامس، بعد أن تكافأت المناظر و الملامس، و تناصف الليل الدّامس و اليوم الشّامس، باعتدال ربيعى، و مجرى طبيعى، و ذكىّ بليد، و معاش و توليد، و طريف فى البداوة و تليد، ليس به برباه و لا هرم، يخدم بها درب محترم، و يشبّ لقرياته حرم، فيفيد روحانيا يتصرف، و رئيسا يتعرّض و يتعرّف، كلما استنزل صاب، و أعمل الانتصاب، و جلب المآرب و أذهب الأوصاب، و علم الجواب، و فهم الصواب. و لو فرضنا هذه المدارك ذوات أمثال، أو مسبوقة بمثال، لتلقينا منشور القضاء بامتثال، لكنّا نخاف أن نميل بعض الميل، فنجنى بذلك أبخس الجرى و إرضاء الذّميل، و نجرّ تنازع الفهرى مع الصّميل. فمن خيّر ميّز، و من حكم أزرى به و تهكّم، و ما سلّ سيوف الخوارج، فى الزمن الدّارج، إلّا التّحكيم، حتى جهل الحكيم، و خلع الخطام و نزع الشّكيم، و أضرّ بالخلق نافع، و ذهب الطفل لجراه و اليافع، و ذم الذّمام و ردّ الشّافع، و قطر سيف قطرى، بكل نجيع طرى، و زار الشّيب الأسد الهصور، و صلّت الغزالة بمسجد الثّقفى و هو محصور، و انتهبت المقاصير و القصور، إلّا أن مستأهل الوظيفة الشّرعية عند الضرورة يجبر، و المنتدب للبرّ محيى عند اللّه و يجبر، و اجعلنى على خزائن الأرض و هو الأوضح و الأشهر، فيها به يستظهر. و أنا فإن حكمت على التّعجيل،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٧٧

فغير مشهد على نفسى بالتّسجيل، إنما هو تلفيق يرضى و تطفيل، يعتب عليه من تصدّع بالحق و يمضى، إلّا أن يغضى، و رأيى فيها المراضاة و الاستصلاح، و إلّا فالسّلاح و الرّكاب الطلّاح، و الصلح خير، و ما استدفع بمثل التّسامح ضير. و من وقف عليه، و اعتبر ما لديه، فليعلم أنى صدعت و قطعت، و الحقّ أطعت، و إن أريد إلّا الإصلاح ما استطعت، و السلام.

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى

من ذرّية عثمان أخى كريب المذكور فى نبهاء ثوار الأندلس. و ينتسب سلفهم إلى وائل بن حجر، و حاله عند القدوم على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، معروف .

أوليته: قد ذكر بعض منها. و انتقل سلفه من مدينة إشبيلية عن نباهة و تعيّن و شهرة عند الحادثة بها، أو قبل ذلك، و استقرّ بتونس

منهم ثالث المحمدين؛ محمد بن الحسن، و تناسلوا على سراوة و حشمة و رسوم حسنة، و تصرّف جدّ المترجم به لملوكها فى القيادة.

حاله: هذا الرجل الفاضل حسن الخلق، جمّ الفضائل باهر الخصل، رفيع القدر، ظاهر الحياء، أصيل المجد، وقور المجلس، خاصّيّ الزّيّ، عالى الهمّة، عزوف عن الضّيم، صعب المقادة، قوى الجأش، طامح لقنن الرئاسة، خاطب للحظّ، متقدّم فى فنون عقلية و نقلية، متعدّد المزايا، سديد البحث، كثير الحفظ، صحيح التّصوّر، بارع الخطّ، مغرى بالتجلّة، جواد الكفّ ، حسن العشرة، مبذول

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٧٨

المشاركة، مقيم لرسوم التّعين، عاكف على رعى خلال الأصالة، مفخرة من مفاخر التّخوم المغربية.

مشيخته: قرأ القرآن ببلده على المكتّب ابن برال، و العربية على المقرئ الزواوى ، و ابن العربى، و تأدّب بأبيه، و أخذ عن المحدّث أبى عبد اللّه بن جابر الوادى آشى. و حضر مجلس القاضى أبى عبد اللّه بن عبد السلام، و روى عن الحافظ عبد اللّه السّطى، و الرئيس أبى محمد عبد المهيمن الحضرمى، و لازم العالم الشهير أبا عبد اللّه الآبلى، و انتفع به.

توجّهه إلى المغرب: انصرف عن إفريقية منشئه، بعد أن تعلّق بالخدمة السلطانية على الحداثة و إقامته لرسم العلامة بحكم الاستنابة عام ثلاثة و خمسين و سبعمائة. و عرف فضله، و خطبه السلطان منفّق سوق العلم و الأدب أبو عنان فارس بن على بن عثمان، و استقدمه ، و استحضره بمجلس المذاكرة، فعرف حقّه، و أوجب فضله، و استعمله فى الكتابة أوائل عام ستة و خمسين، ثم عظم عليه حمل الخاصّة من طلبة الحضرة لبعده عن حسن التأنّى، و شفوفه بثقوب الفهم، و جودة الإدراك، فأغروا به السلطان إغراء عضّده ما جبل عليه عندئذ من إغفال التّحفّظ، ممّا يريب لديه، فأصابته شدّة تخلّصه منها أجله؛ كانت مغربة فى جفاء ذلك الملك، و هناة جواره، و إحدى العواذل لأولى الهوى فى القول بفضله، [و استأثر به الاعتقال باقى أيام دولته على سنن الأشراف من الصّبر] و عدم الخشوع، و إهمال التوسّل، و إبادة المكسوب فى سبيل النّفقة، و الإرضاخ على زمن المحنة، و جار المنزل الخشن، إلى أن أفضى الأمر إلى السّعيد ولده، فأعتبه قيّم الملك لحينه، و أعاده إلى رسمه. و دالت الدولة إلى السلطان أبى سالم، و كان له به الاتصال، قبل تسوّغ المحنة، بما أكد حظوته، فقلّده ديوان الإنشاء مطلق الجرايات، محرّر السّهام، نبيه الرّتبة، إلى آخر أيامه. و لمّا ألقت الدولة مقادها بعده إلى الوزير عمر بن عبد اللّه، مدبّر الأمر، و له إليه قبل ذلك وسيلة، و فى حليه شركة، و عنده حقّ، رابه تقصيره عمّا ارتمى إليه أمله، فساء ما بينهما إلى أن آل إلى انفصاله عن الباب المرينى.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٧٩

دخوله غرناطة: ورد على الأندلس فى أوائل شهر ربيع الأول من عام أربعة و ستين و سبعمائة، و اهتزّ له السلطان، و أركب خاصّته لتلقّيه، و أكرم وفادته، و خلع عليه، و أجلسه بمجلسه الخاص ، و لم يدّخر عنه برّا و مؤاكلة و مطايبة و فكاهة.

و خاطبنى لما حلّ بظاهر الحضرة مخاطبة لم تحضرنى الآن، فأجبته عنها بقولى : [الطويل]

حللت حلول الغيث فى البلد المحل‌على الطائر الميمون و الرّحب و السّهل

يمينا بمن تعنو الوجوه لوجهه‌من الشّيخ و الطفل المهدّإ و الكهل

لقد نشأت عندى للقياك غبطة‌تنسّى اغتباطى بالشّبيبة و الأهل

أقسمت بمن حجّت قريش لبيته، و قبر صرفت أزمّة الأحياء لميته، [و نور ضربت الأمثال بمشكاته و زيته، لو خيّرت أيها الحبيب] الذى زيارته الأمنية السّنيّة، و العارفة الوارفة، و اللطيفة المطيفة، بين رجع الشّباب يقطر ماء، و يرفّ نماء، و يغازل عيون الكواكب، فضلا عن الكواعب، إشارة و إيماء، بحيث لا الوخط يلمّ بسياج لمّته، أو يقدح ذبالة فى ظلمته، أو يقوم حواريّه فى ملّته ، من الأحابش و أمّته، و زمانه روح وراح، و مغدى فى النّعيم و مراح، و قصف صراح ، [و رقّى و جراح،] و انتحاب و اقتراح، و صدور ما بها إلّا انشراح، و مسرّات تردفها أفراح. و بين قدومك خليع الرّسن، ممتّعا و الحمد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٨٠

للّه باليقظة و الوسن، محكما فى نسك الجنيد أو فتك الحسن، ممتعا بظرف المعارف، مالئا أكفّ الصّيارف، ماحيا بأنوار البراهين شبه الزّخارف- لما اخترت الشّباب و إن شاقنى زمنه، و أعيانى ثمنه، و أجرت سحاب دمعى دمنه. فالحمد للّه الذى رقى جنون اغترابى، و ملّكنى أزمة آرابى، و غبّطنى بمائى و ترابى، [و مألف أترابى،] و قد أغصّنى بلذيذ شرابى، و وقّع على سطوره المعتبرة إضرابى، و عجّلت هذه مغبّطة بمناخ المطيّة ، و منتهى الطّيّة، و ملتقى السّعود غير البطيّة، و تهنّى الآمال الوثيرة الوطيّة، فما شئت من نفوس عاطشة إلى ريّك، متجمّلة بزيّك، عاقلة خطى مهريّك، و مولى مكارمه نشيدة أمثالك، و مظانّ مثالك، و سيصدق الخبر ما هنالك، و يسع فضل مجدك فى التخلّف عن الإصحار ، لا بل اللقاء من وراء البحار، و السّلام.

و لما استقرّ بالحضرة، جرت بينى و بينه مكاتبات أقطعها الظّرف جانبه، و أوضح الأدب فيها مذاهبه. فمن ذلك ما خاطبته به، و قد تسرّى جارية روميّة اسمها هند صبيحة الابتناء بها: [السريع]

أوصيك بالشيخ أبى بكرهلا تأمنن فى حالة مكره

و اجتنب الشّكّ إذا جئتهجنّبك الرحمن ما تكره

سيدى، لا زلت تتّصف بالوالج، بين الخلاخل و الدّمالج ، و تركض فوقها ركض الهمالج أخبرنى كيف كانت الحال، و هل حطّت بالقاع من خير البقاع الرّحال، و أحكم بمرود المراودة الاكتحال، و ارتفع بالسّقيا الإمحال، و صحّ

الانتحال، و حصحص الحقّ و ذهب المحال، و قد طولعت بكل بشرى و بشر، و زفّت هند منك إلى بشر، فللّه من عشيّة تمتّعت من الربيع بفرش موشيّة، و ابتذلت منها أى و ساد وحشية، و قد أقبل ظبى الكناس، من الدّيماس، و مطوق الحمام، من الحمّام، و قد حسّنت الوجه الجميل التّطرية ، و أزيلت عن الفرع الأثيث الإبرية ، و صقلت الخدود فهى كأنها الأمرية ، و سلّط الدّلك على الجلود، و أغريت النّورة بالشّعر المولود، و عادت الأعضاء يزلق عنها اللّمس، و لا تنالها البنان الخمس، و السّحنة يجول فى صفحتها الفضّيّة ماء النعيم، و المسواك يلبّى من ثنيّة التّنعيم و القلب يرمى من الكفّ الرّقيم بالمقعد المقيم، و ينظر إلى نجوم الوشوم، فيقول: إنى سقيم. و قد تفتّح ورد الخفر، و حكم لزنجى الظّفيرة بالظّفر، و اتّصف أمير الحسن بالصّدود المغتفر، و رشّ بماء الطّيب، ثم أعلق بباله دخان العود الرّطيب. و أقبلت الغادة، يهديها اليمن و تزفّها السعادة، فهى تمشى على استحياء و قد ذاع طيب الريّا، و راق حسن المحيّا، حتى إذا نزع الخفّ، و قبّلت الأكفّ، و صخب المزمار و تجاوب الدّف، و ذاع الأرج، و ارتفع الحرج، و تجوّز اللّوا و المنعرج، و نزل على بشر بزيارة هند الفرج، اهتزّت الأرض و ربت، و عوصيت الطّباع البشرية فأبت. و للّه درّ القائل : [المتقارب]

و مرّت فقالت : متى نلتقى؟فهشّ اشتياقا إليها الخبيث

و كاد يمزّق سربالهفقلت: إليك يساق الحديث

فلمّا انسدل جنح الظلام، و انتصفت من غريم العشاء الأخيرة فريضة الإسلام ، و خاطت خيوط المنام، عيون الأنام، تأتّى دنوّ الجلسة، و مسارقة الخلسة، ثم عضّة النهد، و قبلة الفم و الخدّ، و إرسال اليد من النّجد إلى الوهد،

و كانت الإمالة القليلة قبل المدّ، ثم الإفاضة فيما يغبط و يرغب، ثم الإماطة لما يشوّش و يشغب، ثم إعمال المسير، إلى السّرير : [الطويل]

و صرنا إلى الحسنى و رقّ كلاماناو رضت فذلّت صعبة أىّ إذلال

هذا بعد منازعة للأطواق يسيرة، يراها الغيد من حسن السيرة، ثم شرع فى حلّ التّكة، و نزع الشّكة، و تهيئة الأرض العزاز عمل السّكة، ثم كان الوحى و الاستعجال، و حمى الوطيس و المجال، و علا الجزء الخفيف، و تضافرت الخصور الهيف، و تشاطر الطّبع العفيف، و تواتر التقبيل، و كان الأخذ الوبيل، و امتاز الأنوك من النّبيل، و منها جائر و على اللّه قصد السّبيل، فيا لها من نعم متداركة، و نفوس

فى سبيل القحـة متهالكـة، و نفس يقطّع حروف الحلق، و سبحان الذى يزيد فى الخلق، و عظمت الممانعة، و كثرت باليد المصانعة، و طال التّراوغ و التّزاور، و شكى التجاور ، و هنالك تختلف الأحوال، و تعظم الأهوال، و تخسر أو تربح الأموال، فمن عصا تنقلب ثعبانا مبينا، و نونـة تصـير تنينا، و بطل لم يهله المعترك الهائل، و الوهم الزائل، و لا حال بينه و بين قرّته الحائل، فتعـدّى فتكـة السّـليك إلى فتكـة البرّاض، و تقلّد مـذهب الأزارقـة من الخوارج فى الاـعتراض، ثم شقّ الصفّ، و قـد خضّب الكفّ، بعـد أن كـاد يصـيب البرىّ بطعنته، و يبوء بمقت اللّه و لعنته : [الطويل]

طعنت ابن عبد اللّه طعنة ثائرلها نفذ لو لا الشعاع أضاءها

و هنـاك هـدأ القتـال، و سـكن الخبال، و وقع المتوقّع فاستراح البال، و تشوّف إلى مـذهب الثنويـة من لم يكن للتّوحيـد بمبال، و كثر السؤال عن البال، بما بال، و جعل الجريح يقول: و قد نظر إلى دمه، يسيل على قدمه: [البسيط]

إنّى له عن دمى المسفوك معتذرأقول: حمّلته فى سفكه تعبا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٨٣

و من سـنان عاد عنانا، و شـجاع صار هدانا جبانا، كلما شابته شائبة ريبة، أدخل يده فى جيبه، فانجحرت الحيّة، و ماتت الغريزة الحيّة، و هناك يزيغ البصـر، و يخذل المنتصـر، و يسلم الأسر، و يغلب الحصر، و يجفّ اللّباب ، و يظهر العاب ، و يخفق الفؤاد، و يكبو الجواد، و يسـيل العرق، و يشـتدّ الكرب و الأـرق، و ينشـأ فى محـلّ الأـمن الفرق، و يـدرك فرعون الغرق، و يقوى اللّجاج و يعظم الخرق. فلا تزيد الحال إلا شدّة، و لا تعرف تلك الجارحة المؤمنة إلّا ردّة: [الطويل]

إذا لم يكن عون من اللّه للفتىفأكثر ما يجنى عليه اجتهاده

فكم مغرى بطول اللّبث، و هو من الخبث، يؤمل الكرّة، ليزيل المعرّة، و يستنصر الخيال، و يعمل باليد الاحتيال: [الرجز]

إنك لا تشكو إلى مصمّتفاصبر على الحمل الثّقيل أو مت

و معتذر بمرض أصابه، جرّعه أوصابه ، و وجع طرقه، جلب أرقه، و خطيب أرتج عليه أحيانا، فقال: سيحدث اللّه بعد عسـر يسرا و بعد عىّ بيانـا، اللهمّ إنّا نعوذ بك من فضائـح الفروج إذا استغلقت أقفالها، و لم تسم بالنّجيع أغفالها ، و من معرّات الأقـذار ، و النكول عن الأبكار، و من النّزول عن البطون و السّـرر، و الجوارح الحسنة الغرر، قبل ثقب الدّرر، و لا تجعلنا ممن يستحى من البكر بالغداة، و تعلم منه كلال الأداة، و هو مجال فضحت فيه رجال، و فراش شكيت فيه أوجال، و أعملت رويّة و ارتجال. فمن قائل: [السريع]

أرفعه طورا على إصبعىو رأسه مضطرب أسفله

كالحنش المقتول يلقى علىعود لكى يطرح فى مزبله

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٨۴

أو قائل : [السريع]

عدمت من أيرى قوى حسّهيا حسرة المرء على نفسه

تراه قد مال على أصلهكحائط خرّ على أسّه

و قائل: [الطويل]

أ يحسدنى إبليس داءين أصبحابرجلى و رأسى دمّلا و زكاما؟

فليتهما كانا به و أزيدهرخاوة أير لا يريد قياما

و قائل: [الطويل]

أقول لأيرى و هو يرقب فتكةبه: خبت من أير و عالتك داهيه

إذا لم يك للأير بخت تعذّرتعليه وجوه النيك من كلّ ناحيه

و قائل: [الطويل]

تعقّف فوق الخصيتين كأنه‌رشاء إلى جنب الركيّة ملتفّ

كفرخ ابن ذى يومين يرفع رأسه‌إلى أبويه ثم يدركه الضّعف

و قائل: [الطويل]

تكرّش أيرى بعدما كان أملساو كان غنيّا من قواه فأفلسا

و صار جوابى للمها أن مررن بى«مضى الوصل إلّا منية تبعث الأسى»

و قائل: [الطويل]

بنفسى من حيّيته فاستخفّ بىو لم يخطر الهجران منه على بالى

و قابلنى بالغور و النّجد بعدماحططت به رحلى و جرّدت سربالى

و ما أرتجى من موسر فوق دكّة عرضت له شيئا من الحشف البالى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۸۵

علل لا تزال تبكى، و علل على الدهر تشكى، و أحاديث تقصّ و تحكى، فإن كنت أعزّك اللّه من النّمط الأول، و لم تقل: [الطويل]

و هل عند رسم دارس من معوّل فقد جنيت الثّمر، و استطبت السّمر، فاستدع الأبواق من أقصى المدينة، و اخرج على قومك فى ثياب الزّينة ، و استبشر بالوفود، و عرّف المسمع عازفة الجود، و تبجّح بصلابة العود، و إنجاز الوعود، و اجن رمّان النّهود، من أغصان القدود، و اقطف ببنان اللّثم أقاح الثّغور و ورد الخدود، و إن كانت الأخرى، فأخف الكمد، و ارض الثمد، و انتظر الأمد، و أكذب التوسّم، و استعمل التّبسّم، و استكتم النّسوة، و أفض فيهنّ الرّشوة، و تقلّد المغالطة و ارتكب، و جىء على قميصك بدم كذب، و استنجد الرحمن، و استعن على أمورك بالكتمان:

[الكامل]

لا تظهرنّ لعاذل أو عاذرحاليك فى السّرّاء و الضّرّاء

فلرحمة المتفجّعين حرارةفى القلب مثل شماتة الأعداء

و انتشق الأرج، و ارتقب الفرج، فكم غمام طبّق و ما همى ، وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى ، و املك بعدها عنان نفسك حتى تمكّنك الفرصة، و ترفع إليك القصّة، و لا تشتره إلى عمل لا تفىء منه بتمام، و خذ عن إمام، و للّه درّ عروة بن حزام : [الكامل]

اللّه يعلم ما تركت قتالهم‌حتى رموا مهرى بأشقر مزبد

و علمت أنى إن أقاتل دونهم‌أقتل و لم يضرر عدوّى مشهدى

ففررت منهم و الأحبّة فيهم‌طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۸۶

و اللّبانات تلين و تجمح، و المآرب تدنو و تنزح، و تحرن ثم تسمح ، و كم من شجاع خام ، و يقظ نام، و دليل أخطأ الطريق، و أضلّ الفريق، و اللّه عزّ و جلّ يجعلها خلّة موصولة، و شملا أكنافه بالخير مشمولة، و بنية أركانها لركاب اليمن مأمولة، حتى يكثر خدم سيدى و جواريه، و أسرته و سراريه، و تضفو عليه نعمة باريه، ما طورد قنيص، و اقتحم عيص ، و أدرك مرام عويص ، و أعطى زاهد و حرم حريص، و السّلام.

تواليفه: شرح القصيدة المسماة بالبردة شرحا بديعا، دلّ فيه على انفساح ذرعه، و تفنّن إدراكه، و غزارة حفظه. و لخّص كثيرا من كتب ابن رشد.

و علّق للسلطان أيام نظره فى العلوم العقلية تقييدا مفيدا فى المنطق، و لخّص محصّل الإمام فخر الدين ابن الخطيب الرازى. و بذلك

داعبته أول لقیة لقیته [ببعض منازل الأشراف، فی سبیل المبرّة بمدینة فاس،] فقلت له:

لی علیک مطالبة، فإنک لخّصت «محصّلی». و ألّف کتابا فی الحساب. و شرع فی هذه الأیام فی شرح الرّجز الصادر عنی فی أصول الفقه، بشیء لا غایة وراءه فی الکمال. و أمّا نثره و سلطانیّاته، مرسلها و مسجعها ، فخلج بلاغة، و ریاض فنون، و معادن إبداع، یفرغ عنها یراعه الجریء، شبیهة البداءات بالخواتم، فی نداوة الحروف، و قرب العهد بجریة المداد، و نفوذ أمر القریحة، و استرسال الطبع.

و أما نظمه، فنهض لهذا العهد قدما فی میدان الشّعر، و أغری نقده باعتبار أسالیبه؛ فانثال علیه جوّه، و هان علیه صعبه، فأتی منه بکل غریبة. من ذلک قوله یخاطب السلطان ملک المغرب لیلة المیلاد الکریم عام اثنین و ستین و سبعمائة الإحاطة فی أخبار غرناطة ؛ ج۳ ؛ ص۳۸۶

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۸۷

بقصیدة طویلة : [الکامل]

أسرفن فی هجری و فی تعذیبیو أطلن موقف عبرتی و تحیبی

و أبین یوم البین موقف ساعةلوداع مشغوف الفؤاد کئیب

للّه عهد الظّاعنین و غادرواقلبی رهین صبابة و وجیب

غربت رکائبهم و دمعی سافحفشرقت بعدهم بماء غروبی

یا ناقعا بالعتب غلّة شوقهمرحماک فی عذلی و فی تأنیبی

یستعذب الصّبّ الملام و إننیماء الملام لدیّ غیر شریب

ما هاجنی طرب و لا اعتاد الجویلو لا تذکّر منزل و حبیب

أهفو إلی الأطلال کانت مطلعاللبدر منهم أو کناس ربیب

عبثت بها أیدی البلی و تردّدتفی عطفها للدهر آی خطوب

تبلی معاهدها و إنّ عهودهالیجدّها وصفی و حسن نسیبی

و إذا الدیار تعرّضت لمتیّمهزّته ذکراها إلی التّشبیب

إیه علی الصّبر الجمیل فإنهألوی بدین فؤادی المنهوب

لم أنسها و الدهر یثنی صرفهو یغضّ طرفی حاسد و رقیب

و الدار مونقة محاسنها بمالبست من الأیام کلّ قشیب

یا سائق الأظعان تعتسف الفلاو تواصل الإسآد بالتّأویب

متهافتا عن رحل کلّ مذلّلنشوان من أین و مسّ لغوب

تتجاذب النّفحات فضل ردائهفی ملتقاها من صبا و جنوب

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۸۸ إن هام من ظمإ الصّبابة صحبهنهلوا بمورد دمعه المسکوب

فی کلّ شعب منیة من دونهاهجر الأمانی أو لقاء شعوب

هلّا عطفت صدورهنّ إلی التیفیها لبانة أعین و قلوب

فتؤمّ من أکناف یثرب مأمنایکفیک ما تخشاه من تثریب

حیث النبوّة آیها مجلوّةتتلو من الآثار کلّ غریب

سرّ غریب لم تحجّبه الثّریما کان سرّ اللّه بالمحجوب

یا سیّد الرّسل الکرام ضراعةتقضی منی نفسی و تذهب حوبی

عاقت ذنوبى عن جنابك و المنىفيها تعلّلنى بكل كذوب

لا كالألى صرفوا العزائم للتّقىفاستأثروا منها بخير نصيب

لم يخلصوا للّه حتى فرّقوافى اللّه بين مضاجع و جنوب

هب لى شفاعتك التى أرجو بهاصفحا جميلا عن قبيح ذنوبى

إنّ النجاة و إن أتيحت لامرىءفبفضل جاهك ليس بالتّسبيب

إنى دعوتك واثقا بإجابتىيا خير مدعوّ و خير مجيب

قصّرت فى مدحى فإن يك طيّبافبما لذكرك من أريج الطّيب

ما ذا عسى يبغى المطيل و قد حوىفى مدحك القرآن كلّ مطيب

يا هل تبلّغنى الليالى زورةتدنى إلىّ الفوز بالمرغوب؟

أمحو خطيئاتى بإخلاصى بهاو أحطّ أوزارى و إصر ذنوبى

فى فتية هجروا المنى و تعوّدواإنضاء كلّ نجيبة و نجيب

يطوى صحائف ليلهم فوق الفلاما شئت من خبب و من تقريب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٨٩ إن رنّم الحادى بذكرك ردّدواأنفاس مشتاق إليك طروب

أو غرّد الرّكب الخلىّ بطيبةحنّوا لمغناها حنين النّيب

ورثوا اعتساف البيد عن آبائهمإرث الخلافة فى بنى يعقوب

الطاعنون الخيل و هى عوابسيغشى مثار النّقع كلّ سبيب

و الواهبون المقربات هواتنامن كلّ خوّار العنان لعوب

و المانعون الجار حتى عرضهمفى منتدى الأعداء غير معيب

تخشى بوادرهم و يرجى حلمهمو العزّ شيمة مرتجى و مهيب

و منها بعد كثير :

سائل به طامى العباب و قد سرىتزجى بريح العزم ذات هبوب

تهديه شهب أسنّة و عزائميصدعن ليل الحادث المرهوب

حتى انجلت ظلم الضّلال بسعيهو سطا الهدى بفريقها المغلوب

يا ابن الألى شادوا الخلافة بالتقىو استأثروك بتاجها المعصوب

جمعوا بحفظ الدين آى مناقبكرموا بها فى مشهد و مغيب

للّه مجدك طارفا أو تالدافلقد شهدنا منه كلّ عجيب

كم رهبة أو رغبة لك و العلاتقتاد بالتّرغيب و التّرهيب

لا زلت مسرورا بأشرف دولةيبدو الهدى من أفقها المرقوب

تحيى المعالى غاديا أو رائحاو جديد سعدك ضامن المطلوب

و قال من قصيدة خاطبه بها عند وصول هديّة ملك السودان ، و فيها الحيوان الغريب المسمى بالزّرافة : [الكامل]

قدحت يد الأشواق من زندىو هفت بقلبى زفرة الوجد

و نبذت سلوانى على ثقةبالقرب فاستبدلت بالبعد

و لربّ وصل كنت آملهفاعتضت منه مؤلم الصّدّ

لا عهد عند الصبر أطلبهإنّ الغرام أضاع من عهدى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٩٠ يلحى العذول فما أعنّفهو أقول: ضلّ فأبتغى رشدى

و أعارض النّفحات أسألهابرد الجوى فتزيد فى الوقد

يهدى الغرام إلى مسالكهالتعلّلى بضعيف ما تهدى

يا سائق الوجناء معتسفاطىّ الفلاة لطيّة الوجد

أرح الرّكاب ففى الصّبا نبأيغنى عن المستنّة الجرد

و سل الرّبوع برامة خبراعن ساكنى نجد و عن نجد

ما لى تلام على الهوى خلقىو هى التى تأبى سوى الحمد

لأبيت إلّا الرّشد مذ وضحتبالمستعين معالم الرّشد

نعم الخليفة فى هدى و تقىو بناء عزّ شامخ الطّود

نجل السّراة الغرّ شأنهم كسب العلا بمواهب الوجد

و منها فى ذكر خلوصه إليه، و ما ارتكبه فيه :

للّه منّى إذ تأوّبنىذكراه و هو بشاهق فرد

شهم يفلّ بواترا قضباو جموع أقيال أولى أيد

أوريت زند العزم فى طلبىو قضيت حقّ المجد من قصدى

و وردت عن ظمإ مناهلهفرويت من عزّ و من رفد

هى جنّة المأوى لمن كلفتآماله بمطالب المجد

لو لم أعلّ بورد كوثرهاما قلت: هذى جنّة الخلد

من مبلغ قومى و دونهمقذف النّوى و تنوفة البعد

أنى أنفت على رجائهمو ملكت عزّ جميعهم و حدى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٩١

و منها:

و رقيمة الأعطاف حاليةموشيّة بوشائح البرد

و حشيّة الأنساب ما أنستفى موحش البيداء بالقود

تسمو بجيد بالغ صعداشرف الصّروح بغير ما جهد

طالت رؤوس الشامخات بهو لربما قصرت عن الوهد

قطعت إليك تنائفا وصلتآسادها بالنّصّ و الوخد

تخدى على استصعابها ذللاو تبيت طوع القنّ و القدّ

بسعودك اللائى ضمنّ لناطول الحياة بعيشة رغد

جاءتك فى وفد الأحابش لايرجون غيرك مكرم الوفد

وافوك أنضاء تقلّبهمأيدى السّرى بالغور و النّجد

كالطّيف يستقرى مضاجعهأو كالحسام يسلّ من غمد

يثنون بالحسنى التى سبقتمن غير إنكار و لا جحد

و يرون لحظك من وفادتهمفخرا على الأتراك و الهند

يا مستعينا جلّ فى شرفعن رتبة المنصور و المهدى

جازاك ربّك عن خليقتهخير الجزاء فنعم ما يسدى

و بقيت للدنيا و ساكنهافى عزّة أبدا و فى سعد

و قال يخاطب صدر الدولة فيما يظهر من غرض المنظوم : [الكامل]

يا سيّد الفضلاء دعوة مشفقنادى لشكوى البثّ خير سميع

ما لى و للإقصاء بعد تعلّةبالقرب كنت لها أجلّ شفيع

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٩٢ و أرى الليالى رنّقت لى صافيامنها فأصبح فى الأجاج شروعى

و لقد خلصت إليك بالقرب التىليس الزمان لشملها بصدوع

و وثقت منك بأىّ وعد صادقإنى المصون و أنت غير مضيع

و سما بنفسى للخليفة طاعةدون الأنام هواك قبل نزوع

حتى انتحانى الكاشحون بسعيهمفصددتهم عنى و كنت منيعى

رغمت نفوسهم بنجح وسائلىو تقطّعت أنفاسهم بصنيعى

و بغوا بما نقموا علىّ خلائقىحسدا فرامونى بكلّ شنيع

لا تطمعنّهم ببذل فى التىقد صنتها عنهم بفضل قنوعى

أنّى أضام و فى يدى القلم الذىما كان طيّعه لهم بمطيع

ولى الخصائص ليس تأبى رتبةحسبى بعلمك ذاك من تفريعى

قسما بمجدك و هو خير أليّة أعتدّها لفؤادى المصدوع

إنى لتصطحب الهموم بمضجعىفتحول ما بينى و بين هجوعى

عطفا علىّ بوحدتى عن معشرنفث الإباء صدودهم فى روعى

أغدو إذا باكرتهم متجلّداو أروح أعثر فى فضول دموعى

حيران أوجس عند نفسى خيفةفتسرّ فى الأوهام كلّ مروع

أطوى على الزّفرات قلبا إدّه حمل الهموم تجول بين ضلوعى

و لقد أقول لصرف دهر رابنىبحوادث جاءت على تنويع

مهلا عليك فليس خطبك ضائرىفلقد لبست له أجنّ دروع

إنى ظفرت بعصمة من أوحدبذّ الجميع بفضله المجموع

و أنشد السلطان أمير المسلمين أبا عبد اللّه ابن أمير المسلمين أبا الحجاج، لأول قدومه ليلة الميلاد الكريم، من عام أربعة و ستين و سبعمائة : [البسيط]

حيّ المعاهد كانت قبل تحيينىبواكف الدمع يرويها و يظمينى

إنّ الألى نزحت دارى و دارهمتحمّلوا القلب فى آثارهم دونى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٩٣ وقفت أنشد صبرا ضاع بعدهمفيهم و أسأل رسما لا يناجينى

أمثّل الرّبع من شوق و ألثمهو كيف و الفكر يدنيه و يقصينى

و ينهب الوجد منّى كلّ لؤلؤةما زال جفنى عليها غير مأمون

سقت جفونى مغانى الرّبع بعدهمفالدمع وقف على أطلاله الجون

قد كان للقلب عن داعى الهوى شغلو أنّ قلبى إلى السّلوان يدعونى

أحبابنا، هل لعهد الوصل مدّكرمنكم و هل نسمة منكم تحيّينى؟

ما لى و للطّيف لا يعتاد زائرهو للنسيم عليلا لا يداوينى

يا أهل نجد، و ما نجد و ساكنهاحسنا سوى جنّة الفردوس و العين

أعندكم أنّنى ما مرّ ذكركمإلّا انثنيت كأنّ الرّاح تثنينى

أصبو إلى البرق من أنحاء أرضكمشوقا، و لولاكم ما كان يصبينى

يا نازحا و المنى تدنيه من خلدىحتى لأحسبه قربا يناجينى

أسلى هواك فؤادى عن سواك و ماسواك يوما بحال عنك يسلينى

ترى الليالى أنستك ادّكارى يامن لم يكن ذكره الأيام تنسينى

و منها فى ذكر التفريط:

أبعد مرّ الثلاثين التى ذهبتأولى الشّباب بإحسانى و تحسينى

أضعت فيها نفيسا ما وردت بهإلّا سراب غرور ليس يروّينى

وا حسرتا من أمان كلّها خدعتريش غيّى و مرّ الدّهر يبرينى

و منها فى وصف المشور المبتنى لهذا العهد:

يا مصنعا شيّدت منه السّعود حمىلا يطرق الدهر مبناه بتوهين

صرح يحار لديه الطّرف مفتتنافما يروقك من شكل و تلوين

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٩۴ بعدا لإيوان كسرى إنّ مشورك السّامى لأعظم من تلك الأواوين

و دع دمشق و مغناها فقصرك ذا«أشهى إلى القلب من أبواب جيرون»

و منها فى التعريض بالوزير الذى كان انصرافه من المغرب لأجله :

من مبلغ عنّى الصّحب الألى جهلواودّى و ضاع حماهم إذ أضاعونى

أنى أويت من العليا إلى حرمكادت مغانيه بالبشرى تحيّينى

و إننى ظاعن لم ألق بعدهمدهرا أشاكى و لا خصما يشاكينى

لا كالتى أخفرت عهدى ليالى إذأقلّب الطّرف بين الخوف و الهون

سقيا و رعيا لأيامى التى ظفرتيداى منها بحظّ غير مغبون

أرتاد منها مليّا لا يماطلنىوعدا و أرجو كريما لا يعنّينى

و هاك منها قواف طيّها حكممثل الأزاهر فى طىّ الرياحين

تلوح إن جليت درّا، و إن تليتتثنى عليك بأنفاس البساتين

عانيت منها بجهدى كلّ شاردةلو لا سعودك ما كانت تواتينى

يمانع الفكر عنها ما تقسّمهمن كلّ حزن بطىّ الصّدر مكنون

لكن بسعدك ذلّت لى شواردهافرضت منها بتحبير و تزيين

بقيت دهرك فى أمن و فى دعةو دام ملكك فى نصر و تمكين

و هو الآن قد بدا له فى التّحول طوع أمل ثاب له فى الأمير أبى عبد اللّه ابن الأمير أبى زكريا بن أبى حفص، لما عاد إليه ملك بجاية،

و طار إليه بجناح شراع تفيّأ ظلّه، و صكّ من لدنه رآه مستقرّا عنده، يدعّم ذلك بدعوى تقصير خفيّ أحسّ به، و جعله علّة منقلبة، و تجنّ سار منه فى مذهبه و ذلك فى ... من عام ثمانية و ستين و سبعمائة. و لما بلغ بجاية صدق رأيه، و نجحت مخيّلته، فاشتمل عليه أميرها، و ولّاه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٩٥

الحجابة بها. و لم ينشب أن ظهر عليه ابن عمّه الأمير أبو العباس صاحب قسنطينة، و تملّك البلدة بعد مهلكه، و أجرى المترجم به على رسمه بما طرق إليه الظّنّة بمداخلته فى الواقع. ثم ساء ما بينه و بين الأمير أبى العباس، و انصرف عنه، و استوطن بسكرة، متحوّلا إلى جوار رئيسها أبى العباس بن مزنى، متعلّلا برفده إلى هذا العهد.

و خاطبته برسالة فى هذه الأيام، تنظر فى اسم المؤلّف فى آخر الديوان.

مولده: بمدينة تونس بلده، حرسها اللّه، فى شهر رمضان من عام اثنين و ثلاثين و سبعمائة .

عبد الرحمن بن الحاج بن القميى الإلبيرى

حاله: كان شاعرا مجيدا، هجا القاضى أبا الحسن بن توبة، قاضى غرناطة، و من نصره من الفقهاء، فضربه القاضى ضربا و جيعا، و طيف به على الأسواق بغرناطة، فقال فيه الكاتب أبو إسحاق الإلبيرى الزاهد، و كان يومئذ كاتبا للقاضى المذكور، الأبيات الشهيرة: [البسيط]

السّوط أبلغ من قول و من قيلو من نباح سفيه بالأباطيل

من الدّار كحرّ النار أبراهيعقل التقاضى أى تعقيل

عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد بن تقليت الفازازى

يكنى أبا زيد.

حاله: كان حافظا، نظّارا، ذكيا، ذا حظّ وافر من معرفة أصول الفقه و علم الكلام، و عناية بشأن الرّواية، متبذّلا فى هيئته و لباسه، قلّما يرى راكبا فى حضر إلّا لضرورة، فاضلا، سنيّا، شديد الإنكار و الإنحاء على أهل البدع، مبالغا فى التحذير منهم، عامر الإناء، يطلب العلم شغفا به و انطباعا إليه و حبّا فيه و حرصا عليه، آية من آيات اللّه فى سرعة البديهة، و ارتجال النّظم و النّثر، و فور مادّة، و موالاة استعمال، لا يكاد يقيد، و لا يصرفه عنه إلّا نسخ أو مطالعة علم، أو مذاكرة فيه، حتى صار له

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٩٦

ملكة. لا يتكلف معها الإنشاء، مع الإجادة و تمكّن البراعة. و كان متلبّسا بالكتابة عن الولاة و الأمراء، ملتزما بذلك، كارها له، حريصا على الانقطاع عنه، و اختصّ بالسيد أبى إسحاق بن المنصور، و بأخيه أبى العلاء، و بملازمتهما استحقّ الذّكر فيمن دخل غرناطة، إذ عدّ ممّن دخلها من الأمراء.

مشيخته: روى عن أبيه أبى سعيد، و أبى الحسن جابر بن أحمد، و ابن عتيق بن مون، و أبى الحسن بن الصائغ، و أبى زيد السّهيلى ، و أبى عبد اللّه التّجيبى، و أبى عبد اللّه بن الفخّار، و أبى محمد بن عبيد اللّه، و أبى المعالى محمود الخراسانى، و أبى الوليد بن يزيد بن بقى و غيرهم. و روى عنه ابنه أبو عبد اللّه، و أبو بكر بن سيّد الناس، و ابن مهدى، و أبو جعفر بن على بن غالب، و أبو العباس بن على بن مروان، و أبو عمرو بن سالم، و أبو القاسم عبد الرحيم بن سالم، و ابنه عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن سالم، و أبو القاسم عبد الكريم بن عمران، و أبو يحيى بن سليمان بن حوط اللّه، و أبو محمد بن قاسم الحرار، و أبو الحسن الرّعينى، و أبو على الماقرى.

تواليفه و منظوماته: له المعشّرات الزّهدية التى ترجمها بقوله: «المعشرات الزهدية، و المذكرات الحقيقية الجدّية، ناطقة بألسنة الوجلين المشفقين، شائقة إلى مناهج السّالكين المستبقين، نظمها متبرّكا بعبادتهم، متيمنا بأغراضهم و إشاراتهم، قابضا عنان الدّعوى عن

مـداناتهم و مجاراتهم، مهتـديا إهـداء السّـنن الخمس بالأشـعّة الواضـحة من إشاراتهم، مخلّـدا دون أفقهم العالى إلى حضـيضه، جامعا لحسن أقواله و قبح أفعاله بين الشّـىء و نقيضـيه عبد الرحمن». و له «المعشّرات الحبّية، و ترجمتها النّفحات القلبيّة، و اللّفحات الشّوقية، منظومـة على ألسـنة الـذاهبين وجـدا، الـذّائبين كمـدا و جهـدا، الـذين غربـوا و بقيت أنوارهم، و احتجبوا و ظهرت آثـارهم، و نطقوا و صمتت أخبارهم، و وفّوا العبودية حقّها، و محضوا المحبّة مستحقّها، نظم من نسج على منوالهم، و لم يشاركهم إلّا فى أقوالهم فلان». و القصائد، فى مدح النبىّ صـلى اللّه عليه و سلم، التى كل قصيدة منها عشرون بيتا، و ترجمتها الوسائل المتقبّلة، و الآثار المسلمة المقبلة، مودعـة فى العشـرنية النبويـة، و الحقـائق اللّفظيـة و المعنويـة، نظم من اعتقـدها من أزكى الأعمـال، و أعـدّها لمـا يسـتقبله من مـدهش الأهوال، و فرع خاطره لها على توالى القواطع و تتابع الأشغال، و رجال بركة خاتم الرّسالة، و غاية السّؤدد و الجلالة، محو ما

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٩٧

لسـلفه من خطأ فى الفعل، و زلل فى المقال، و اللّه سـبحانه وليّ القبول للتّوبـة، و المنّان بتسويغ هـذه المنّـة المطلوبـة، فذلك يسـير فى جنب قدرته، و معهود رحمته الواسعة و مغفرته.

شعره: و شعره كثير جدا، و نثره مشهور و موجود. فمن شعره فى غرض الشكر للّه عزّ و جلّ، على غيث جاء بعد قحط: [الكامل]

نعم الإله بشكره تتقيّدفاللّه يشكر فى النّوال و يحمد

مدّت إليه أكفّنا محتاجةفأنالها من جوده ما نعهد

و أغاثنا بغمائم و كّافةبالبشر تشرق و البشائر ترعد

حملت إلى ظمإ البسيطة ريّةفلها عليه منّة لا تجحد

فالجوّ برّاق و الشّعاع مفضّضو الماء فيّاض الأثير معسجد

و الأرض فى حلى الأتىّ كأنمانطف الغمام و لؤلؤ و زبرجد

و الرّوض مطلول الخمائل باسمو القضب ليّنة الحمائل ميّد

تاهت عقول الناس فى حركاتهاأ لشكرها أم سكرها تتأوّد؟

فيقول أرباب البطالة تنثنىو يقول أرباب الحقيقة تسجد

و إذا اهتديت إلى الصواب فإنهافى شكر خالقها تقوم و تقعد

هذا هو الفضل الذى لا ينقضىهذا هو الجود الذى لا ينفد

احضر فؤادك للقيام بشكرهإن كنت تعلم قدر ما تتقلّد

و انفض يديك من العباد فكلّهمعجز الحلّ و أنت جهلا تعقد

و إذا افتقرت إلى سواه فإنما اللذى بخاطرك المجال الأبعد

نعم الإله كما تشاهد حجّةو الغائبات أجلّ مما يشهد

فانظر إلى آثار رحمته التىلا يمترى فيها و لا يتردّد

يا ليت شعرى و الدليل مبلّغمن أىّ وجه يستريب الملحد

من ذا الذى يرتاب أنّ إلههأحد و ألسنة الجماد توحّد

كلّ يصرّح حاله و مقالهأن ليس إلّا اللّه ربّ يعبد

و من شعره أيضا قوله: [الكامل]

عجبا لمن ترك الحقيقة جانباو غدا لأرباب الصواب مجانبا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٣٩٨ و ابتاع بالحق المصحّح حاضراما شاء للزّور المعلّل عائبا

من بعد ما قد صار أنفذ أسهماو أشدّ عادیة و أمضی قاضبا

لا تخدعنک سوابق من سابق‌حتی تری الإحضار منه عواقبا

فلربما اشتدّ الخیال وعاقه‌دون الصّواب هوی و أصبح غالبا

و لکم إمام قد أضرّ بفهمه‌کتب تعبّ من الضّلال کتائبا

فانحرف بأفلاطون و أرسطالیس و دونهما تسلک طریقا لاحبا

ودع الفلاسفة الذّمیم جمیعهمو مقالهم تأتی الأحقّ الواجبا

یا طالب البرهان فی أوضاعهم‌أعزز علیّ بأن تعمّر جانبا

أعرضت عن شطّ النّجاة ملجّجافی بحر هلک لیس ینجی عاطبا

و صفا الدّلیل فما نفعت بصفوه‌حتی جعلت له اللّجین شائبا

فانظر بعقلک هل تری متفلسفافیمن تری إلّا دعیّا کاذبا؟

أعیته أعباء الشّریعة شدّةفارتدّ مسلوبا و یحسب سالبا

و اللّه أسأل عصمة و کفایةمن أن أکون عن المحجّة ناکبا

و من شعره: [الطویل]

إلیک مددت الکفّ فی کلّ شدّةو منک وجدت اللّطف فی کل نائب

و أنت ملاذ و الأنام بمعزلو هل مستحیل فی الرّجا کرّ آیب؟

فحقّق رجائی فیک یا ربّ و اکفنی‌شمات عدوّ أو إساءة صاحب

و من أین أخشی من عدوّ إساءةو ستر ک ضاف من جمیع الجوانب؟

و کم کربة نجّیتنی من غمارهاو کانت شجا بین الحشا و التّرائب

فلا قوة عندی و لا لی حیلةسوی حسن ظنّی بالجمیل المواهب

فیا منجی المضطرّ عند دعائه‌أغثنی فقد سدّت علیّ مذاهبی

رجاؤک رأس المال عندی و ربحهو زهده فی المخلوق أسنی المواهب

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۳۹۹ إذا عجزوا عن نفعهم فی نفوسهم‌فتأمیلهم بعض الظّنون الکواذب

فیا محسنا فیما مضی أنت قادرعلی اللّطف فی حالی و حسن العواقب

و إنّی لأرجو منک ما أنت أهلهو إن کنت حطّا فی کثیر المعایب

فصلّ علی المختار من آل هاشم‌إمام الوری عند اشتداد النوائب

و قال فی مدّعی قراءة الخطّ دون نظر: [الطویل]

و أدور میّاس العواطف أصبحت‌محاسنه فی الناس کالنّوع فی الجنس

یدیر علی القرطاس أنمل کفّه‌فیدرک أخفی الخطّ فی أیسر اللّمس

فقال فریق: سحر بابل عندهو قال فریق: لیس هذا من الإنس

فقلت لهم لم تفهموا سرّ درکه‌علی أنه للعقل أجلی من الشمس

ستکفه حبّ القلوب فأصبحت‌مدارکها أجفان أنمله الخمس

وفاته: استقدمه المأمون علی حال وحشة، کانت بینه و بینه، فورد ورود الرّضا علی مرّاکش فی شعبان سنة سبع و عشرین و ستمائة. و توفی فی ذی قعدة بعده ، و دفن بجبانة الشیوخ مع أخیه عبد اللّه و قرنائهما، رحم اللّه جمیعهم.

انتهى السفر التاسع بحمد اللّه

*** و من السفر العاشر العمال الأثرا فى هذا الحرف

عبد الرحمن بن أسباط

الكاتب المنجب، كاتب أمير المسلمين، يوسف بن تاشفين.

حاله: لحق به بالعدوة، فاتّصل بخدمته، و أغراه بالأندلس، إذ ألقى إليه أمورها على صورتها، حتى كان ما فرغ اللّه، عزّ و جلّ، من استيلائه على ممالكها، و خلعه لرؤسائها. و كان عبد الرحمن، قبل اتصاله به، مقدورا عليه فى رزقه، يتحرّف بالنّسخ، و لم يكن حسن الخطّ، و لا معرّب اللفظ، إلى أن تسيّر للكتابة فى باب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴٠٠

الدّيوان بألمريّة، و رأى خلال ذلك، فى نومه، شخصا يوقظه، و يقول له: قم يا صاحب ربع الدّنيا، و قصّ رؤياه على صاحب له بمثواه، فبشّره، فطلب من ذلك الحين السّموّ بنفسه، فأجاز البحر، و تعلّق بحاشية الحرّة العليا زينب ، فاستكتبته، فلمّا توفّيت الحرّة، أقرّه أمير المسلمين كاتبا، فنال ما شاء مما ترتمى إليه الهمم جاها و مالا و شهرة. و كان رجلا حصيفا، سكونا، عاقلا، مجدى الجاه، حسن الوساطة، شهير المكانة.

وفاته: توفى فجأة بمدينة سبتة، فى عام سبعة و ثمانين و أربعمائة. و تقلّد الكتابة بعده أبو بكر بن القصيرة. ذكره ابن الصّيرفى.

عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه بن مالك المعافرى

و تكرر مالك فى نسبه.

أوليته: قالوا: من ولد عقبة بن نعيم الداخل إلى الأندلس، من جند دمشق، نزيل قرية شكنب من إقليم تاجرة الجمل من عمل بلدنا لوشة، غرناطى، يكنى أبا محمد.

حاله: كان أبو محمد هذا أحد وزراء الأندلس، كثير الصّنائع، جزل المواهب، عظيم المكارم، على سنن عظماء الملوك، و أخلاق السادة الكرام . لم ير بعده مثله فى رجال الأندلس، ذاكرا للفقه و الحديث، بارعا فى الأدب ، شاعرا مجيدا و كاتبا بليغا، حلو الكتابة و الشعر، هشّا مع وقار، ليّنا على مضاء، عالى الهمّة، كثير الخدم و الأهل .

من آثاره الماثلة إلى اليوم الحمّام، بجوفىّ الجامع الأعظم من غرناطة. بدأ بناءه أول يوم من جمادى الأولى سنة تسع و خمسمائة. و شرع فى الزّيادة فى سقف

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴٠١

الجامع من صحنه سنة ست عشرة، و عوّض أرجل قسيّه أعمدة الرخام، و جلب الرّءوس و الموائد من قرطبة، و فرش صحنه بكذّان الصّخيرة . و من مكارمه أنه لمّا ولّى مستخلص غرناطة و إشبيلية، وجّهه أميره على بن يوسف بن تاشفين إلى طرطوشة برسم بنائها، و إصلاح خللها، فلمّا استوفى الغاية فيها قلّده، و استصحب جملة من ماله لمؤنته المختصّة به، فلما احتلّها سأل قاضيها، فكتب إليه جملة من أهلها ممن ضعف حاله و قلّ تصرفه من ذوى البيوتات، فاستعملهم أمناء فى كل وجه جميل، و وسّع أرزاقهم، حتى كمل له ما أراد من عمله. و من عجز أن يستعمله وصله من ماله. و صدر عنها و قد أنعش خلقا كثيرا.

شعره: من قوله فى مجلس أطربه سماعه، و بسطه احتشاد الأنس فيه و اجتماعه : [الخفيف]

لا تلمنى إذا طربت لشجو يبعث الأنس فالكريم طروب

ليس شقّ الجيوب حقّا علينا إنما الحقّ أن تشقّ القلوب

و قال، و قد قطف غلام من غلمانه نوّارة، و مدّ بها يده إلى أبى نصر الفتح بن عبيد اللّه ، فقال أبو نصر : [الطويل]

و بدر بدا و الطّرف مطلع حسنهو فى كفّه من رائق النّور كوكب

يروح لتعذيب النفوس و يغتدىو يطلع فى أفق الجمال و يغرب

فقال أبو محمد بن مالك : [الطويل]

و يحسد منه الغصن أىّ مهفهفيجىء على مثل الكثيب و يذهب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴٠٢

نثره: قال أبو نصر : كتبت إليه مودّعا، فكتب إلىّ مستدعيا، و أخبرنى رسوله أنه لما قرأ الكتاب وضعه، و ما سوّى و لا فكّر و لا روى: يا سيدى، جرت الأيام بجمع افتراقك، و كان اللّه جارك فى انطلاقك ، فغيرك روّع بالظّعن، و أوقد للوداع جاحم الشّجن، فأنت من أبناء هذا الزمن، خليفة الخضر لا يستقرّ على وطن، كأنّك و اللّه يختار لك ما تأتيه و ما تدعه، موكّل بفضاء الأرض تذرعه ، فحسب من نوى بعشرتك الاستمتاع، أن يعدّك من العوارى السّريعة الارتجاع ، فلا يأسف على قلّة الثّوا ، و ينشد:

[الطويل]

و فارقت حتى ما أبالى من النّوى وفاته: اعتلّ بإشبيليـة فانتقل إلى غرناطة، فزادت علّته بها، و توفى، رحمه اللّه، بها فى غرّة شعبان سنة ثمانى عشرة و خمسمائة، و دفن إثر صلاة الظهر من يوم الجمعة المذكورة بمقبرة باب إلبيرة، و حضر جنازته الخاصة و العامة.

من رثاه: رثاه ذو الوزارتين أبو عبد اللّه بن أبى الخصال، رحمه اللّه، فقال:

[الكامل]

إن كنت تشفق من نزوح نواهفهناك مقبرة و ذا مثواه

قسّم زمانك عبرة أو عبرةو أحل تشوّقه على ذكراه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴٠٣ و أعدده ما امتدّت حياتك غائباأو عاتبا إن لم تزر زرناه

أو نائما غلبت عليه رقدةلمسهد لم تغتمض عيناه

أو كوكبا سرت الرّكاب بنورهفمضى و بلّغنا المحلّ سناه

فمتى تبعد و النفوس تزورهو متى تغيب و القلوب تراه

يا واحدا عدل الجميع و أصلحتدنيا الجميع و دينهم دنياه

طالت أذاتك بالحياء كرامةو اللّه يكرم عبده بأذاه

لشهادة التّوحيد بين لسانهو جنانه نور يرى مسراه

و بوجهه سيما أغرّ محجّلمهما بدا لم تلتبس سيماه

و كأنما هو فى الحياة سكينةلو لا اهتزاز فى النّدى يغشاه

و كأنّه لحظ العفاة توجّعافتلازمت فوق الفؤاد يداه

أبدى رضى الرحمن عنك ثناؤهمإنّ الثّناء علامة لرضاه

يا ذا الذى شغف القلوب بهو ذا لا ترتجيه و ذاك لا تخشاه

ما ذاك إلّا أنه فرع زكاوسع الجميع بظلّه و حناه

فاليوم أودى كلّ من أحببتهو نعى إلى النفس من ينعاه

ما ذا يؤمل فى دمشق مسهدقد كنت ناظره و كنت تراه؟

يعتاد قبرك للبكا أسفا بماقد كان أضحكه الذى أبكاه

يا تربة حلّ الوزير ضريحهاسقاك بل صلّى عليك اللّه

و سرى إليك و منك ذكر ساطع كالمسك عاطرة به الأفواه

عبد الرحمن بن عبد الملك الينشتى

يكنى أبا بكر، أصله من مدينة باغة ، و نشأ بلوشة، و هو محسوب من الغرناطيين.

حاله: كان شيخا يبدو على مخيّلته النّبل و الدّهاء، مع قصور أدواته. ينتحل النّظم و النثر فى أراجيز يتوصّل بها إلى غرضه من التصرّف فى العمل.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴٠۴

و جرى ذكره «فى التّاج المحلّى» و غيره بما نصه : قارض هاج، مداهن مداج، أخبث من نظر من طرف خفى، و أغدر من تلبّس بشعار و فى، إلى مكيدة مبثوتة الحبائل، و إغراء يقطع بين الشعوب و القبائل، من شيوخ طريقة العمل، المتقلّبين من أحوالها بين الصّحو و الثّمل، المتعلّلين برسومها حين اختلط المرعىّ و الهمل . و هو ناظم أرجاز، و مستعمل حقيقة و مجاز. نظم مختصر السّيرة، فى الألفاظ اليسيرة، و نظم رجزا فى الزّجر و الفال، نبّه به تلك الطريقة بعد الإغفال. فمن نظمه ما خاطبنى به مستدعيا إلى إعذار ولده : [البسيط]

أريد من سيدى الأعلى تكلّفهعلى الوصول إلى دارى صباح غد

يزيدنى شرفا منه و يبصر لىصناعة القاطع الحجّام فى ولدى

فأجبته: [البسيط]

يا سيدى الأوحد الأسمى و معتمدىو ذا الوسيلة من أهل و من بلد

دعوت فى يوم الاثنين الصّحاب ضحىو فيه ما ليس فى بيت و لا أحد

يوم السّلام على المولى و خدمتهفاصفح و إن عثرت رجلى فخذ بيدى

و العذر أوضح من نار على علمفعدّ إن غبت عن لوم و عن فند

بقيت فى ظلّ عيش لا نفاد لهمصاحبا غير محصور إلى أمد

و منه أيضا: [الكامل]

قل لابن سيّد والديه: لقد علاو تجاوز المقدار فيما يفخر

ما ساد والده فيحمد أمرهإلّا صغير العنز حتى يكبر

و صدرت عنه مقطوعات فى غير هذا المعنى، ممّا عذب به المجنى، منها قوله : [الكامل]

إنّ الولاية رفعة لكنهاأبدا إذا حقّقتها تتنقّل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴٠۵ فانظر فضائل من مضى من أهلهاتجد الفضائل كلّها لا تعزل

و قال: [الطويل]

هنيّا أبا إسحاق دمت موفّقاسعيدا قرير العين بالعرس و العرس

فأنت كمثل البدر فى الحسن و التىتملّكتها فى الحسن أسنى من الشمس

و قالوا: عجيب نور بدرين ظاهرفقلت: نعم إنّ ألف الجنس للجنس

و كتب إلىّ: [الطويل]

إذا ضاق ذرعى بالزّمان شكوتهلمولاى من آل الخطيب فينفرج

هو العدّة العظمى هو السيّد الذىبأوصافه الحسنى المكارم تبتهج

وزير علا ذاتا و قدرا و منصبافمن دونه أعلا الكواكب يندرج
و فى بابه نلت الأمانى و قادنىدليل رشادى حيث رافقنى الفرج
فلا زال فى سعد و عزّ و نعمةتصان به الأموال و الأهل و المهج
وفاته: توفى فى الطاعون عام خمسين و سبعمائة بغرناطة.

و فى سائر الأسماء التى بمعنى عبد اللّه و عبد الرحمن، و أولاد الأمراء:

عبد الأعلى بن موسى بن نصير مولى لخم

أوليته: أبوه المنسوب إليه فتح الأندلس، و محلّه من الدّين و الشهرة و عظم الصّيت معروف.
حاله: كان عبد الأعلى أميرا على سنن أبيه فى الفضل و الدين، و هو الذى باشر فتح غرناطة و مالقة، و استحقّ الذكر لذلك. قال الرّازى : و كان موسى بن نصير قد أخرج ابنه عبد الأعلى فيمن رتّبه من الرجال إلى إلبيرة و تدمير؛ لفتحها، و مضى إلى إلبيرة ففتحها، و ضمّ بها إلى غرناطة اليهود مستظهرا بهم على النّصر، ثم مضى إلى كورة ريّه، ففتحها.
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴٠۶

عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن محيو

يكنى أبا محمد، أوّليته معروفة.
و فسد ما بين أبيه و بين جدّه، أمير المسلمين، بما أوجب انتباذه إلى سكنى مدينة سجلماسة، معزّزة له ألقاب السلطان بها، مدوّخا ما بأحوازها من أماكن الرئاسة، منسوبة إليه بها الآثار، كالسّدّ الكبير الشهير، و قصور الملك. فلمّا نزل عنها على حكم أخيه أمير المسلمين أبى الحسن، و أمضى قتلته بالفصاد، نشأ ولده، و هم عدّة بباب عمّهم، يسعهم رفده، و يقودهم ولده، ثم جلاهم إلى الأندلس ابنه السلطان أبو عنان، عندما تصيّر الأمر إليه، فاستقرّوا بغرناطة تحت برّ و جراية، قلقا بمكانهم من جلاهم و من بعده، لإشارة عيون التّرشيح إليهم، مغازلة من كثب، و قعودهم بحيث تعثر فيهم المظنّة، إلى أن كان من أمرهم ما هو معروف.
حاله: هذا الرجل من أهل الخير و العفاف و الصّيانة و دمث الخلق و حسن المداراة، يألف أهل الفضل، خاطب للرّتبة بكل جهد و حيلة، و سدّ عنه باب الأطماع. حذّر من كان له الأمر بالأندلس من لدن وصوله؛ كى لا تختلف أحوال هذا الوطن فى صرف وجوه أهله إلى غزو عدو الملّة، و محوّلى القبلة، و إعراضهم عن الإغماض فى الفتنة المسلمة، و ربما يميت عنهم الحركات و الهموم، فثقّفوا من فيها عليهم، إلى أن تبرأ ساحتهم و يظن به السكون. فلمّا دالت الدولة، و كانت للأخابث الكرّة، و استقرّت بيد الرئيس الغادر الكرّة، و كان ما تقدّم الإلماع به من عمل السلطان أبى سالم، ملك المغرب، على إجازة السلطان، وليّ ملك الأندلس، المزعج عنها بعلّة البغى، ذهب الدّايل الأخرق إلى المقارضة، فعندما استقرّ السلطان أبو عبد اللّه بجبل الفتح، حاول إجازة الأمير عبد الحليم إلى تلمسان بعد مفاوضة، فكان ذلك فى أخريات ذى قعدة، و قد قضى الأمر فى السلطان أبى سالم، و انحلّت العقدة، و انتكثت المريرة، و ولّى الناس الرجل المعتوه، وفد إلى تلمسان من لم يرض محلّه من الإدالة، و لا قويت نفسه على العوض، و لا صابرت غضّ المخافة، و حرّك ذلك من عزمه، و قد أنجده السلطان مستدعيه بما فى طوقه. و لما اتصل خبره بالقائم بالأمر بفاس، و معمل التدبير على سلطانه، أعمل النظر فيهم؛ زعموا بتسليم الأمر، ثم حذّر من لحق به من أضداده، فصمّم على الحصار، و استراب بالقبيل المرينى، و أكثف الحجاب دونهم بما يحرّك أنفتهم، فنفروا عنه بواحدة أول عام ثلاثة و ستين و سبعمائة، و اتفق رأيهم على الأمير عبد الحليم، فتوجّهت إليه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۰۷

وجوههم اتّفاقا، و انثالوا عليه اضطرارا، و نازل البلد الجديد، دار الملك من مدينة فاس، يوم السبت السادس لشهر المحرم من العام. و اضطربت المحلّات بظاهره، و خرج إليه أهل المدينة القدمى، فأخذ بيعتهم، و خاطب الجهات، فألقت إليه قواعدها باليد، و وصلت إليه مخاطباتها.

و من ذلك ما خوطب به من مدينة سلا، و أنا يومئذ بها: [الخفيف]

يا إمام الهدى، و أىّ إمامأوضح الحقّ بعد إخفاء رسمه

أنت عبد الحليم حلمك نرجوفالمسمّى له نصيب من اسمه

و سلك مسلكا حسنا فى الناس، و فسح الآمال، و أجمل اللقاء، و تحمّل الجفاء، و استفزّ الخاصة بجميل التأتّى و أخذ العفو، و التّظاهر بإقامة رسوم الدّيانة، و حارب البلد المحصور فى يوم السبت الثالث عشر لشهر اللّه المحرم المذكور، كانت الملاقاة التى برز فيها وزير الملك و مدير رحاه بمن اشتملت عليه البلدة من الرّوم و الجند الرّحل، و استكثر من آلات الظهور و عدد التّهويل، فكانت بين الفريقين حرب مرّة تولّى كبرها النّاشبة، فأرسلت على القوم حواصب النّبل، غارت لها الخيل، و اقشعرّت الوجوه، و تقهقرت المواكب. و عندها برز السلطان المعتوه، مصاحبة له نسمة الإقدام، و تهوّر الشجاعة عند مفارقة الخلال الصّحيّة، و توالت الشدات، و تكالبت الطّائفة المحصورة، فتمرّست بأختها، و وقعت الهزيمة ضحوة اليوم المذكور على قبيل بنى مرين و من لفّ لفّهم، فصرفوا الوجوه إلى مدينة تازى، و استقرّ بها سلطانهم، و دخلت مكناسة فى أمرهم، و ضاق ذرع فاس للملك بهم، إلى أن وصل الأمير المستدعى، طيّة الصبر، و أجدى دفع الدّين، و دخل البلد فى يوم الاثنين الثانى و العشرين لصفر من العام. و كان اللقاء بين جيش السلطان، لنظر الوزير، مطعم الإمهال و معوّد الصّنع. و بين جيش بنى مرين، لنظر الأخ عبد المؤمن ابن السلطان أبى على، فرحل القوم من مكناسة، و فرّ عنهم الكثير من الأولياء، و أخلوا العرصة، و استقرّوا أخيرا ببلد أبيهم سجلماسة، فكانت بين القوم مهادنة.

و على أثرها تعصّب للأخ عبد المؤمن معظم عرب الجهة، و قد برز إليهم فى شأن استخلاص الجبابة، فرجعوا به إلى سجلماسة. و خرج لمدافعتهم الأمير عبد الحليم، بمن معه من أشياخ قبيله و العرب أولى مظاهر، فكانت بينهم حرب أجلت عن هزيمة الأمير عبد الحليم، و استلحم للسّيف جملة من المشاهير، كالشيخ الخاطب فى حبله، خدن النّكر و قادح زند الفتنة، الدّاين بالحمل على الدول على التفصيل و الجملة، المعتمد بالمغرب بالرأى و المشورة، يحيى بن رحّو بن مسطى و غيره.

و أذعن عبد الحليم بعدها للخلع، و خرج عن الأمر لأخيه، و أبقى عليه، و تحرّج من

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۰۸

قتله، و تعرّف لهذا الوقت صرفه عنه إلى الأرض الحجازية على صحراء القبلة، فانتهى أمره إلى هذه الغاية.

دخوله غرناطة: قدم على الحضرة مع الجملة من إخوته و بنى عمّه فى ... .

جلاهم السلطان أبو عنان عندما تصيّر له الأمر، فاستقرّوا بها، يناهز عبد الحليم منهم بلوغ أشدّه.

وفاته: و توفى ... و ستين و سبعمائة.

عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن محيو

أخو الأمير عبد الحليم، يكنى أبا محمد.

حاله: كان رجلا و قورا، سكونا، نحيفا، آية اللّه فى جمود الكفّ، و إيثار المسك، قليل المداخلة للناس، مشتغلا بما يغنيه من خويصة نفسه، موصوفا ببسالة و إقدام، حسن الهيئة. دخل الأندلس مع أخيه، و على رسمه، و تحرّك معه و ابن أخ لهما، فتولّى كثيرا من أمره، و لقى الهول دونه. و لمّا استقرّوا بسجلماسة، كان ما تقرّر من توبته على أمره، و العمل على خلعه، معتذرا، زعموا إليه، موفيا حقّه،

موجبا تجلّته إلى حين انصرافه، و وصل الأندلس خطابه يعرّف بذلك بما نصّه فى المدرجة.

و لم ينشب أن أحسّ بحركة جيش السلطان بفاس إليه، فخاطب عميد الهساكره ، عامر بن محمد الهنتاتى، و عرض نفسه عليه، فاستدعاه، و بذل له أمانا.

و لما تحصّل عنده، قبض عليه و ثقّفه، و شدّ عليه يده، و حصل على طلبه دهيّة من التّوعّد بمكانه، و اتخاذ اليد عند السلطان بكفّ عاديته إلى هذا التاريخ.

و من الأفراد أيضا فى هذا الحرف و هم طارؤون

عبد الحق بن على بن عثمان بن أبى يوسف يعقوب ابن عبد الحق

الأمير المخاف بعد أبيه أمير المسلمين أبى الحسن بمدينة الجزائر، بعد ما توجّه إلى المغرب، و جرت عليه الهزيمة من بنى زيّان.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴٠٩

حاله: كان صبيّا ظاهر السكون و الأدب، فى سنّ المراهقة، لم ينشب أن نازله جيش عدوّه. و مالأه أهل البلد، و أخذ من معه لأنفسهم و له الأمان، فنزل عنها و لحق بالأندلس. قال فى كتاب «طرفة العصر»: و فى ليلة العاشر من شهر ربيع الأول اثنين و خمسين و سبعمائة، اتّصل الخبر من جهة الساحل، بنزول الأمير عبد الحق ابن أمير المسلمين أبى الحسن و من معه، بساحل شلوبانية ، مفلتين من دهق الشّدة، بما كان من منازلة جيش بنى زيّان مدينة الجزائر، و قيام أهلها بدعوتهم، لما سموه من المطاولة، و نهكهم من الفتنة، و امتنع الأمير و من معه بقصبتها، و أخذوا لأنفسهم عهدا، فنزلوا و ركبوا البحر، فرافقتهم السّلامة، و شملهم ستر العصمة. و لحين اتصل بالسلطان خبره، بادر إليه بمركبين ثقيلى الحلية، و ما يناسب ذلك من بزّة، و عجّل من خدامه بمن يقوم ببرّه، و أصحبه إلى منزل كرامته. و لرابع يوم من وصوله كان قدومه، و برز له السلطان بروزا فخما، و نزل له، قارضا إياه أحسن القرض؛ بما أسلفه من يد، و أسداه من طول. و أقام ضيفا فى جواره، إلى أن استدعاه أخوه ملك المغرب، فانصرف عن رضى منه، و لم ينشب أن هلك مغتالا فى جملة أرداهم الترشيح.

عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحيانى

يكنى أبا ملك . و بيته فى الموحّدين الملوك بتونس. و أبوه سلطان إفريقية، المترقّى إليها من رتبة الشّياخة الموحدية.

حاله: كان رجلا طوالا نحيفا، فاضلا حسيبا، مقيما للرّسوم الحسبيّة، حسن العشرة، معتدل الطّريقة. نشأ بالبلاد المشرقية، ثم اتصل بوطنه إفريقية، و تقلّد الإمارة بها برهة يسيرة، ثم فرّ عنها و لحق بالمغرب، و جاز إلى الأندلس، و قدم على سلطانها، فرحّب به، و قابله بالبرّ، و نوّه محلّه، و أطلق جرايته، ثم ارتحل أدراجه إلى العدوة، و وقعت بينى و بينه صحبة، و أنشدته عند وداعه : [المتقارب]

أبا ملك، أنت نجل الملوكغيوث النّدى و ليوث النزال

و مثلك يرتاح للمكرماتو ما لك بين الورى من مثال

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴١٠ عزيز بأنفسنا أن نرىركابك مؤذنة بارتحال

و قد خبرت منك خلقا كريماأناف على درجات الكمال

و فازت لديك بساعات أنس كما زار فى النّوم طيف الخيال

فلو لا تعلّلنا أننانزورك فوق بساط الجلال

و نبلغ فيك الذى نشتهى و ذاك على اللّه سهل المنال

لما فترت أنفس من أسىو لا برحت أدمع فى انهمال
تلقّتك حيث احتللت السّعودو كان لك اللّه فى كلّ حال

و من ترجمة الأعيان و الوزراء و الأماثل و الكبرا

عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن محيو

يكنى أبا إدريس، شيخ الغزاة بالأندلس.
حاله: كان شجاعا عفيفا تقيّا، و قورا جلدا، معروف الحقّ، بعيد الصّيت. نازع الأمر قومه بالمغرب، و انتزى بمدينة تازى، على السلطان أبى الرّبيع، و أخذ بها البيعة لنفسه. ثم ضاق ذرعه، فعبر فيمن معه إلى تلمسان. و لما هلك أبو الربيع، و ولى السلطان أبو سعيد، قدّم للكتب فى شأنه إلى سلطان الأندلس، و قد تعرّف عزمه على اللحاق، و لم ينشب أن لحق بألمرية من تلمسان، فثقّف بها؛ قضاء لحقّ من خاطب فى شأنه. ثم بدا للسلطان فى أمره، فأوعز لرقبائه فى الغفلة عنه، و فرّ فلحق ببلاد النصرى فأقام بها، إلى أن كانت الوقيعة بالسلطان بغرناطة، بأحواز قرية العطشا على يد طالب الملك أمير المسلمين أبى الوليد، و أسر يومئذ شيخ الغزاة حمّو بن عبد الحق، و ترجّح الرأى فى إطلاقه و صرفه، إعلانا للتّهديد، فنجحت الحيلة، و عزل عن الخطّة، و استدعى عبد الحق هذا إليها، فوصل غرناطة، و قدّم شيخا على الغزاة.
و لما تغلّب السلطان أبو الوليد على الأمر، و استوسق له، و كان ممن شمله أمانه، فأقرّه مرءوسا بالشيخ أبى سعيد عثمان بن أبى العلاء برهة. ثم لحق بأميره المخلوع الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج٣ ؛ ص۴١١
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴١١
نصر، المستقرّ موادعا بوادى آش، و أوقع بجيش المسلمين مظاهر الطاغية، الوقيعة الشّنيعة بقرمونة، و أقام لديه مدّة. ثم لحق بأرض النّصرى، و أجاز البحر إلى سبتة، مظاهرا لأميرها أبى عمرو يحيى بن أبى طالب العزفى، و قد كشف القناع فى منابذة طاعة السلطان، ملك المغرب، و كان أملك لما بيده، و أتيح له ظفر عظيم على الجيش المضيّق على سبتة، فبيّته و هزمه. و تخلّص له ولده، الكائن بمضرب أمير الجيش فى بيت من الخشب رهينة، فصرف عليه، فما شئت من ذياع شهرة، و بعد صيت، و كرم أحدوثة. ثم بدا له فى التّحول إلى تلمسان، فانتقل إليها، و أقام فى إيالة ملكها عبد الرحمن بن موسى بن تاشفين إلى آخر عمره.
وفاته: توفى يوم دخول مدينة تلمسان عنوة، و هو يوم عيد الفطر من عام ثمانية و ثلاثين و سبعمائة، قتل على باب منزله، يدافع عن نفسه، و على ذلك فلم يشهر عنه يومئذ كبير غناء، و كوّر و استلحم، و حزّ رأسه. و كان أسوة أميرها فى المحيا و الممات، رحم اللّه جميعهم، فانتقل بانتقاله و قتل بمقتله. و كان أيضا علما من أعلام الحروب، و مثلا فى الأبطال، و ليثا من ليوث النّزال.

عبد الملك بن على بن هذيل الفزارى و عبد اللّه أخوه

حالهما: قال ابن مسعدة: أبو محمد و أبو مروان تولّيا خطّة الوزارة فى الدولة الحبّوسية ، ثم تولّيا القيادة بثغور الأندلس، و قهرا ما جاورهما من العدوّ، و غلباه، و سقياه كأس المنايا، و جرّعاه. و لم يزالا قائمين على ذلك، ظاهرين علمين، إلى أن استشهدا، رحمهما اللّه.

عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزارى

حاله: قال ابن مسعدة: كان بارع الأدب، شاعرا، نحويا، لغويا، كاتبا متوقّد الذهن، عنده معرفة بالطّب، ثم اعتزل الناس، و انقبض، و

قصد سكنى البشارات ؛ لينفرد بها، و يخفى نفسه؛ فرارا من الخدمة، فتهيّأ له المراد.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴١٢

شعره: و كان شاعرا جيّد القريحة سريع الخاطر، و من شعره: [السريع]

يا صاح، لا تعرض لزوجيّةكلّ البلا من أجلها يعترى

الفقر و الذّلّ و طول الأسىلست بما أذكره مفترى

ما فى فم المرأة شىء سوىاشتر لى و اشتر لى و اشتر

القضاة الفضلاء و أولا الأصليون

عبــد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن بن غالب ابن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد اللّه بن تمام بن عطية بن خالد ابن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكتوم المحاربى

أوليته: من ولـد زيـد بن محارب بن عطيّـة، نزل جـدّه عطيـة بن خفاف بقريـة قسـلة من زاوية غرناطة، فأنسل كثيرا ممن له خطر، و فيه فضل.

حاله: كان عبـد الحق فقيها، عالما بالتفسـير و الأحكام و الحـديث و الفقه، و النحو و الأدب و اللغـة، مقيّدا حسن التّقييد، له نظم و نثر، ولّى القضاء بمدينة ألمريّة فى المحرم سـنة تسع و عشـرين و خمسـمائة، و كان غاية فى الدّهاء و الذكاء، و التّهمّم بالعلم، سـرىّ الهمّة فى اقتناء الكتب. توخّى الحق، و عدل فى الحكم، و أعزّ الخطّة.

مشـيخته: روى عن الحافظ أبيه، و أبوى على الغسّانى و الصّدفى، و أبى عبد اللّه محمد بن فرج مولى الطلاع، و أبى المطرّف الشـعبى، و أبى الحسين بن البيّان، و أبى القاسم بن الحصّار المقرى، و غيرهم.

تواليفه: ألّف كتابه المسـمى ب «الوجيز فى التفسـير» فأحسن فيه و أبدع، و طار بحسن نيّته كل مطار. و ألف برنامجا ضـمنه مرويّاته، و أسماء شيوخه، و جرز و أجاد.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴١٣

شعره: قال الملّاحى: ما حدّثنى به غير واحد من أشياخه عنه، قوله :

[البسيط]

و ليلة جبت فيها الجزع مرتديابالسّيف أسحب أذيالا من الظّلم

و النّجم حيران فى بحر الدّجا غرقو البدر فى طيلسان اللّيل كالعلم

كأنما اللّيل زنجىّ بكاهلهجرح فيثعب أحيانا له بدم

و قال يندب عهد شبابه : [البسيط]

سقيا لعهد شباب ظلت أمرح فىريعانه و ليالى العيش أسحار

أيام روض الصّبا لم تذو أغصنهو رونق العمر غضّ و الهوى جار

و النّفس تركض فى تضمين ثرّتهاطرفا له فى زمان اللّهو إحضار

عهدا كريما لبسنا منه أرديةكانت عيونا و محّت فهى آثار

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴١۴ مضى و أبقى بقلبى منه نار أسىكونى سلاما و بردا فيه يا نار

أبعد أن نعمت نفسى و أصبح فىليل الشباب لصبح الشّيب إسفار

و نازعتنى الليالى و انثنت كسرا عن ضيغم ما له ناب و أظفار

إلّا سلاح خلال أخلصت فلهافى منهل المجد إيراد و إصدار

أصبو إلى روض عيش روضه خضل أو ينثنى بى عن اللّقاء إقصار

إذا فعطّلت كفّى من شبا قلمآثاره فى رياض العلم أزهار

من روى عنه: روى عنه أبو بكر بن أبى جمرة، و أبو محمد بن عبد اللّه، و أبو القاسم بن حبيش، و أبو جعفر بن مضاء، و أبو محمد عبد المنعم، و أبو جعفر بن حكم، و غيرهم.

مولده: ولد سنة إحدى و ثمانين و أربعمائة.

وفاته: توفى فى الخامس و العشرين لشهر رمضان سنة ست و أربعين و خمسمائة بمدينة لورقة . قصد مرسية يتولّى قضاءها، فصدّ عنها، و صرف منها إلى لورقة، اعتداء عليه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۱۵

عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجى

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، و يعرف بابن الفرس، و قد تقدم ذكر طائفة من أهل بيته.

حاله: كان حافظا جليلا، فقيها، عارفا بالنحو و اللغة، كاتبا بارعا، شاعرا مطبوعا، شهير الذكر، عالى الصّيت. ولّى القضاء بمدينة شقر، ثم بمدينة وادى آش، ثم بجيّان، ثم بغرناطة، ثم عزل عنها، ثم وليها الولاية التى كان من مضمن ظهيره بها قول المنصور له: أقول لك ما قاله موسى، عليه السلام، لأخيه هارون:

اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحْ وَ لا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ، و جعل إليه النظر فى الحسبة، و الشّرطة، و غير ذلك، فكان إليه النظر فى الدّماء فما دونها، و لم يكن يقطع أمر دونه ببلده و ما يرجع إليه.

و قال ابن عبد الملك: كان من بيت علم و جلالة، مستبحرا فى فنون المعارف على تفاريقها، متحقّقا بها، نافذا فيها، ذكىّ القلب، حافظا للفقه. استظهر أوان طلبه الكتابين : المدوّنة، و كتاب سيبويه و غيرهما، و عنى به أبوه و جدّه عناية تامة. و قال أبو الربيع بن سالم : سمعت أبا بكر بن الجدّ، و حسبك به شاهدا، يقول غير ما مرة: ما أعلم بالأندلس أحفظ لمذهب مالك من عبد المنعم بن الفرس، بعد أبى عبد اللّه بن زرقون.

مشيخته: روى عن أبيه الحافظ أبى عبد اللّه، و عن جدّه أبى القاسم، سمع عليهما و قرأ، و عن أبى بكر بن النّفيس، و أبى الحسن بن هذيل، و أبى عبد اللّه بن سعادة، و أبى محمد عبد الجبار بن موسى الجذامى، و أبى عامر محمد بن أحمد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۱۶

الشّلبى، و أبى العباس أحمد و أخيه أبى الحسن، ابنى زيادة اللّه. هذه جملة من لقى من الشيوخ و شافهه و سمع منه، و أجاز له من غير لقاء، و بعضهم باللّقاء من غير قراءة؛ ابن ورد، و ابن بقى، و أبو عبد اللّه بن سليمان التونسى، و أبو جعفر بن قبلال، و أبو الحسن بن الباذش، و يونس بن مغيث، و ابن معمّر، و شريح، و ابن الوحيدى، و أبو عبد اللّه بن صاف، و الرّشاطى، و الحميرى، و ابن وضّاح، و ابن موهب، و أبو مروان الباجى، و أبو العباس بن خلف بن عيشون، و أبو بكر بن طاهر، و جعفر بن مكّى، و ابن العربى، و مساعد بن أحمد بن مساعد، و عبد الحق بن عطية، و أبو مروان بن قزمان، و ابن أبى الخصال، و عياض بن موسى، و المازرى، و غيرهم.

تواليفه: ألّف عدة تواليف، منها «كتاب الأحكام» ، ألّفه و هو ابن خمسة و عشرين عاما، فاستوفى و وفّى، و اختصر الأحكام السلطانية، و كتاب النّسب لأبى عبيد بن سلام، و ناسخ القرآن و منسوخه لابن شاهين، و كتاب المحتسب لابن جنّى.

و ألّف كتابا فى المسائل التى اختلف فيها النحويون من أهل البصرة و الكوفة، و كتابا فى صناعة الجدل، و ردّ على ابن غرسيّة فى رسالته فى تفضيل العجم على العرب.

و كتب بخطه من كتب العربية و اللغة و الأدب و الطب و غير ذلك.

من روى عنه: حدّث عنه الحافظ أبو محمد القرطبى، و أبو على الرّندى، و ابنا حوط اللّه، و أبو الربيع بن سالم، و الجمّ الغفير.

شعره: [الطويل]

أبى ما بقلبى اليوم أن يتكتّماو حسبك بالدمع السّفوح مترجما

و أعجب به من أخرس بات مفصحاييّن للواشين ما كان مبهما

فكم عبرة فى نهر شقر بعثتهاسباقا فأمسى النهر مختضبا دما

يرجع ترجيع الأنين اضطراره كشكوى الجريح للجريح تألّما

كملن بصحبى فوقه الدّمع ناثرشقائق نعمان على متن أرقما

و للّه ليل قد لبست ظلامهرداء بأنوار النجوم منمنما

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۱۷ أناوح فيه الورق فوق غصونهافكم أورق منهنّ قد باب معجما

و ما لى إلّا الفرقدين مصاحبو يا بعد حالى فى الصّبابة منهما

أبيت شتيت الشّمل و الشّمل فيهماجميع كما أبصرت عقدا منظّما

فيا قاصدا تدمير، عرّج مصافحانسائلك رسما بالعقيق و معلما

و أعلم بأبواب السلام صبابتى كما كان عرف المسك بالمسك علّما

و إن طفت فى تلك الأجارع لا تضعبحقّ هواها إن تلمّ مسلّما

و ما ضرّها لو جاذبت ظبية النّقافضول رداء قد تغشّته معلما

فيثنى قضيبا أثمر البدر مائسابحقف مسيل لفّه السّيل مظلما

و ما كنت إلّا البدر وافى غمامةفما لاح حتى غاب فيها مغيّما

و ما ذاك من هجر و لكن لشقوةأبت أن يكون الوصل منها متمّما

فيا ليتنى أصبحت فى الشّعر لفظةتردّدنى مهما أردت تفهّما

و للّه ما أذكى نسيمك نفحةأ أنت أعرت الرّوض طيبا تنسّما؟

و للّه ما أشفى لقاءك للجوى كأنّك قد أصبحت عيسى ابن مريما

و ما الرّاح بالماء القراح مشوبةبأطيب من ذكراك إن خامرت فما

فما لى و للأيام قد كان شملناجميعا فأضحى فى يديها مقسّما

و لمّا جنيت الطّيب من شهد وصلهاجنيت من التّبديد للوصل علقما

و قد ذقت طعم البين حتى كأننىلألفة من أهواه ما ذقت مطعما

فمن لفؤاد شطره حازه الهوىو شطر لإحراز الثّواب مسلّما

و يا ليت أنّ الدّار حان مزارهافلو صحّ قرب الدار أدركت مغنما

و لو صحّ قرب الدار لى لجعلتهإلى مرتقى السّلوان و الصّبر سلّما

فقد طال ما ناديت سرّا و جهرةعسى وطن يدنو بهم و لعلّما؟

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۱۸

و من شعره: [الطويل]

سلام على من شفّنى بعد دارهو أصبحت مشغوفا بقرب مزاره

و من هو فى عينى ألذّ من الكرىو فى النفس أشهى من أمان المكاره

سلام عليه كلّما ذرّ شارق‌ينمّ كعرف الزّهر غبّ فطاره

لعمرك ما أخشى غداة و داعناو قد سعرت فى القلب شعلة ناره

و سال على الخدّين دمع كأنه‌بقيّة ظلّ الروض فى جلّناره

و عانقت منه غصن بان منعّماو لا حظت منه الصّبح عند اشتهاره

و أصبحت فى أرض و قلبى بغيرهاو ما حال مسلوب الفؤاد مكاره

نأى وجه من أهوى فأظلم أفقهو قد غاب عن عينيه شمس نهاره

سل البرق عن شوقى يخبّرك بالذى‌ألاقيه من برح الهوى و أواره

و هل هو إلّا نار وجدى و كلّماتنفّست عمّ الجوّ ضوء شراره

و من شعره أيضا رحمة اللّه عليه: [مخلع البسيط]

اقرأ على شنجل سلاماأطيب من عرفه نسيما

من مغرم القلب ليس ينسى‌منظره الرائق الوسيما

إذا رأى منظرا سواهعاف الجنى منه و الشّميما

و إن أتى مشربا حميداكان و إن راقه ذميما

وقف بنجد وقوف صبّ‌يستذكر الخدن و الحميما

و اندب أراكا بشعب رضوى‌قد رجعت بعدنا مشيما

و اذكر شبابا مضى سريعاأصبحت من بعده سقيما

هيهات ولّى و جاء شيبو كيف للقلب أن يهيما؟

ما يصلح الشّيب غير تقوى‌تحجب عن وجهه الجحيما

فى كل يوم له ارتحال‌أعجب به ظاعنا مقيما

ما العمر إلّا لديه دين‌قد آن أن يقضى الغريما

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٤١٩ فعد إلى توبة نصوحو ارج إلها بنا رحيما

قد سبق الوعد منه حتى‌أطمع ذا الشّقوة النّعيما

مولده: فى سنة أربع و عشرين و خمسمائة.

وفاته: عصر يوم الأحد الرابع من جمادى الآخرة سنة سبع و تسعين و خمسمائة . و شهد دفنه بباب إلبيرة الجمّ الغفير، و ازدحم الناس على نعشه حتى حملوه على أكفّهم و مزّقوه. و أمر أن يكتب على قبره: [الطويل]

عليك سلام اللّه يا من يسلّمو رحمته ما زرتنى تترحّم

أ تحسبنى وحدى نقلت إلى هنا؟ستلحق بى عمّا قريب فتعلم

ألا قل لمن يمسى لدنياه مؤثراو يهمل أخراه ستشقى و تندم

فلا تفرحن إلّا بتقديم طاعةفذاك الذى ينجى غدا و يسلّم

و من غير الأصلبين

عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الملك بن يحيى ابن باسيو بن تادررت التّنمالى اليدرازتينى ثم الواغدينى

أصله من تينملّل ، من نظر مرّاكش، و انتقل جدّه عبد الملك مع الخليفة عبد المؤمن بن على إلى إقليم بجاية. و نشأ عبد الملك ببجاية، و انتقل إلى تونس فى حدود خمسة و ثمانين. و ورد أبو محمد الأندلس فى حدود سبعمائة.

حاله: من تعريف شيخنا أبى البركات: كان من أهل المعرفة بالفقه و أصوله على طريقة المتأخرين. و كان مع ذلك، رجلا كريم النفس، صادق اللّهجة، سليم الصدر، منصفا فى المذاكرة. قلت: يجمع هذا الرجل إلى ما وصفه به، الأصالة ببلده إفريقية. و ثبّت اسمه فى «عائد الصلة» بما نصّه: الشيخ الأستاذ القاضى، يكنى أبا محمد. كان، رحمه اللّه، من أهل العلم بالفقه، و القيام على الأصلين، صحيح

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۲۰

الباطن، سليم الصدر، من أهل الدين و العدالة و الأصالة. بثّ فى الأندلس علم أصول الفقه، و انتفع به. و تصرّف فى القضاء فى جهات.

مشيخته: منقولا من خطّ ولده الفقيه أبى عبد اللّه صاحبنا، الكاتب بالدار السلطانية: قرأ ببلده على الفقيه الصّدر أبى على بن عنوان، و الشيخ أبى الطاهر بن سرور، و الإمام أبى على ناصر الدين المشدالى، و الشيخ أبى الشّمل جماعة الحلبى، و الشيخ أبى الحجاج بن قسوم و غيرهم. و من خط المحدّث أبى بكر بن الزيات:

يحمل عن أبى الطاهر بن سرور، و عن أبى إسحاق بن عبد الرفيع.

تواليفه: من تواليفه: «المعانى المبتكرة الفكرية، فى ترتيب المعالم الفقهية»، «و الإيجاز، فى دلالة المجاز»، و نصرة الحق، و ردّ الباغى فى مسألة الصّدقة ببعض الأضحية، و الكرّاس الموسوم ب «المباحث البديعة، فى مقتضى الأمر من الشريعة».

مولده: ببجاية فى أحد لجمادى الأولى من عام ثلاثة و ستين و ستمائة.

وفاته: و توفى قاضيا بشالش يوم الجمعة، و هو الرابع عشر لجمادى الأولى من عام ثلاثة و عشرين و سبعمائة. و دفن بجبانة باب إلبيرة بمقربة من قبر ولى اللّه أبى عبد اللّه التونسى. و كانت جنازته مشهورة.

و من المقرئين و العلماء

عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة ابن العباس بن مرداس السلمى

أصله من قرية قورت، و قيل: حصن واط من خارج غرناطة، و بها نشأ و قرأ.

حاله: قال ابن عبد البر: كان جمّاعا للعلم، كثير الكتب، طويل اللسان، فقيها، نحويا، عروضيا، شاعرا، نسّابة، أخباريا. و كان أكثر من يختلف إليه الملوك

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۲۱

و أبناؤهم. قال ابن مخلوف: كان يأتى إلى معالى الأمور. و قال غيره: رأيته يخرج من الجامع، و خلفه نحو من ثلاثمائة، بين طالب حديث، و فرائض، و فقه، و إعراب. و قد رتّب الدّول عليه، كل يوم ثلاثين دولة، لا يقرأ عليه فيها شىء إلّا تواليفه و موطّأ مالك. و كان يلبس الخزّ و السّمّور. قال ابن نمير: و إنما كان يفعله إجلالا للعلم، و توقيرا له. و كان يلبس إلى جسمه ثوب شعر، و كان صوّاما قوّاما. و قال المغامى : لو رأيت ما كان على باب ابن حبيب، لازدريت غيره. و زعم الزّبيدى أنه نعى إلى سحنون فاسترجع، و قال: مات عالم الأندلس. قال ابن الفرضى:

جمع إلى إمامته فى الفقه التبحبح فى الأدب، و التفنّن فى ضروب العلوم، و كان فقيها مفتيا. قال ابن خلف أبو القاسم الغافقى: كان له أرض و زيتون بقرية بيرة من طوق غرناطة، حبس جميع ذلك على مسجد قرطبة. و له ببيرة مسجد ينسب إليه.

و كان يهبط من قرية قورت يوم الاثنين و الخميس إلى مسجده ببيرة، فيقرأ عليه، و ينصرف إلى قريته.

مشيخته: روى عن صعصعة بن سلّام، و الغازى بن قيس، و زياد بن عبد الرحمن. و رحل إلى المشرق سنة ثمان و مائتين، و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنة، و كانت رحلته من قريته بفحص غرناطة ، و سمع فيها من عبد الملك بن الماجشون، و مطرّف بن عبد اللّه، و أصبغ بن الفرج، و ابنه موسى، و جماعة سواهم. و أقام فى رحلته ثلاثة أعوام و شهورا. و عاد إلى إلبيرة، إلى أن رحّله عبد الرحمن بن الحكم إلى قرطبة، فى رمضان سنة ثمانى عشرة و مائتين.

من روى عنه: سمع منه ابناه محمد و عبد اللّه، و سعيد بن نمر، و أحمد بن راشد، و إبراهيم بن خالد، و إبراهيم بن شعيب، و محمد بن فطيس. و روى عنه من

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۲۲

عظماء القرطبيين، مطرّف بن عيسى، و بقى بن مخلد، و محمد بن وضّاح، و المقامى فى جماعة.

تواليفه: قال أبو الفضل عياض بن موسى، فى كتابه فى أصحاب مالك :

قال بعضهم: قلت لعبد الملك بن حبيب: كم كتبك التى ألفت؟ قال: ألف كتاب و خمسون كتابا. قال عبد الأعلى: منها كتب المواعظ سبعة، و كتب الفضائل سبعة، و كتب أجواد قريش و أخبارها و أنسابها خمسة عشر كتابا، و كتب السلطان و سيرة الإمام ثمانية كتب، و كتب الباه و النساء ثمانية، و غير ذلك. و من كتب سماعاته فى الحديث و الفقه، و تواليفه فى الطب، و تفسير القرآن، ستّون كتابا. و كتاب المغازى، و النّاسخ و المنسوخ، و رغائب القرآن، و كتاب الرّهون و الحدثان، خمسة و تسعون كتابا. و كتاب مقام رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، اثنان و عشرون كتابا، و كتاب فى النّسب، و فى النجوم، و كتاب الجامع، و هى كتب فيها مناسك النّبى، و كتاب الرّغائب، و كتاب الورع فى المال، و كتاب الرّبا، و كتاب الحكم و العدل بالجوارح. و من المشهورات الكتاب المسمّى بالواضحة. و من تواليفه كتاب إعراب القرآن، و كتاب الحسبة فى الأمراض، و كتاب الفرائض، و كتاب السّخاء و اصطناع المعروف، و كتاب كراهية الغناء.

شعره: أنشد ابن الفرضى ممّا كتب بها إلى أهله من المشرق سنة عشر و مائتين : [الطويل]

أحبّ بلاد الغرب و الغرب موطنىألا كلّ غربىّ إلىّ حبيب

فيا جسدا أضناه شوق كأنّهإذا انتضيت عنه الثّياب قضيب

و يا كبدا عادت زمانا كأنمايلذّغها بالكاويات طبيب

بليت و أبلانى اغترابى و نأيهو طول مقامى بالحجاز أجوب

و أهلى بأقصى مغرب الشمس دارهمو من دونهم بحر أجشّ مهيب

و هول كريه ليله كنهارهو سير حثيث للرّكاب دؤوب

فما الداء إلّا أن تكون بغربةو حسبك داء أن يقال غريب

فيا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلةبأكناف نهر الثّلج حين يصوب

و حولى أصحابى و بنتى و أمّهاو معشر أهلى و الرؤوف مجيب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۲۳

و كتب إلى الأمير عبد الرحمن فى ليلة عاشوراء : [البسيط]

لا تنس لا ينسك الرحمن عاشورا و اذكره لا زلت فى الأحياء مذكورا

قال الرسول ، صلاة اللّه تشمله،قولا وجدنا عليه الحقّ و النّورا

من بات فى ليل عاشوراء ذا سعةيكن بعيشه فى الحول محبورا

فارغب، فديتك، فيما فيه رغبتنا خير الورى كلّهم حيّا و مقبورا

وفاته: توفى فى ذى الحجة سنة ثمان و ثلاثين، و قيل: تسع و ثلاثين و مائتين . قال ابن خلف: كان يقول فى دعائه: إن كنت يا ربّ راضيا عنى، فاقبضنى إليك قبل انقضاء سنة ثمان و ثلاثين، فقبضه اللّه فى أحبّ الشهور إليه، رمضان من عام ثمانية و ثلاثين، و هو ابن أربع و ستين سنة ، و صلّى عليه ولده محمد، و دفن بمقبرة أم سلمة بقبلى محراب مسجد الضّيافة من قرطبة. قالوا: و الخبر متصل، إنه وجد جسده و كفنه وافرين لم يتغيّرا بعد وفاته، بتسع و أربعين سنة، و قطعت من كفنه قطعة رفعت إلى الأمير عبد اللّه، و ذلك عندما دفن محمد بن وضّاح إلى جنبه، رحمهم اللّه. و رثاه أبو عبد اللّه الرشّاش و غيره، فقال: [الطويل]

لئن أخذت منّا المنايا مهذّباو قد قلّ فيها من يقال المهذّب

لقد طاب فيه الموت و الموت غبطةلمن هو مغموم الفؤاد معذّب

و لأحمد بن ساهى فيه: [البسيط]

ما ذا تضمّن قبر أنت ساكنهمن التّقى و النّدى يا خير مفقود

عجبت للأرض فى أن غيّبتك و قدملأتها حكما فى البيض و السّود

قلت: فلو لم يكن من المفاخر الغرناطية إلا هذا الحبر لكفى.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴٢۴

و من الطارئين عليها

عبد الواحد بن محمد بن على بن أبى السّداد الأموى المالقى، الشهير بالباهلى

حاله: كان، رحمه اللّه، بعيد المدى، منقطع القرين فى الدّين المتين و الصلاح، و سكون النفس، و لين الجانب، و التواضع، و حسن الخلق، إلى وسامة الصّورة، و ملاحة الشّيبة، و طيب القراءة، مولى النّعمة على الطّلبة من أهل بلده، أستاذا حافلا، متفنّنا، مضطلعا، إماما فى القراءات، حائزا خصل السباق إتقانا، و أداء، و معرفة، و رواية، و تحقيقا، ماهرا فى صناعة النحو، فقيها، أصوليّا، حسن التعليم، مستمرّ القراءة، فسيح التّحليق، نافعا، متحبّبا، مقسوم الأزمنة على العلم و أهله، كثير الخضوع و الخشوع، قريب الدّمعة. أقرأ عمره، و خطب بالمسجد الأعظم من مالقة، و أخذ عنه الكثير من أهل الأندلس.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الإمام أبى جعفر بن الزبير، و كان من مفاخره، و على القاضى أبى على بن أبى الأحوص، و على المقرئ الضّرير أبى عبد اللّه محمد بن على بن الحسن بن سالم بن خلف السّهيلى، و الرّاوية أبى الحجاج ابن أبى ريحانة المربلىّ. و كتب له بالإجازة العامة الرّاوية أبو الوليد العطار، و الإمام أبو عبد اللّه بن سمعون الطائى. و سمع على الراوية أبى عمر عبد الرحمن بن حوط اللّه الأنصارى. و قرأ على القاضى أبى القاسم، قاسم بن أحمد بن حسن الحجرى، الشهير بالسّكوت المالقى، و أخذ عن الشيخ الصالح أبى جعفر أحمد بن يوسف الهاشمى الطّنجالى، و غيرهم ممن يطول ذكرهم. و يحمل عن خاله ولى اللّه أبى محمد عبد العظيم ابن ولى اللّه محمد بن أبى الحجاج ابن الشيخ، رحمه اللّه.

تواليفه: شرح التّيسير فى القراءات. و له تواليف غيره فى القرآن و الفقه.

شعره: حدّث الشيخ الفقيه القاضى أبو الحجاج المنتشافرى، قال: رأيت فى النّوم أبا محمد الباهلى أيام قراءتى عليه بمالقة فى المسجد الجامع بها، و هو قائم يذكّر الناس و يعظهم، فعقلت من قوله: أ تحسبوننى غنيّا فقيرا، أنا فقير، أنا.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴٢۵

فاستيقظت و قصصتها عليه، فاستغفر اللّه، و قال: يا بنىّ، حقا ما رأيت. ثم رفع إلى ثانى يوم تعريفه رقعة فيها مكتوب: [المتقارب]

لئن ظنّ قوم من أهل الدّنابأنّ لهم قوّة أو غنا

لقد غلطوا جمع مالهمفتاهوا عقولا، عموا أعينا

فلا تحسبونى أرى رأيهمفإنّى ضعيف فقير أنا

و ليس افتقارى و فقرى معاإلى الخلق ما عند خلق غنى

و لكن إلى خالقى وحدهو فى ذاك عزّ و نيل المنى

فمن ذلّ للحقّ يرقى العلاو من ذلّ للخلق يلق العنا

وفاته: ببلده مالقة، رضى اللّه عنه، و نفع به، فى خامس ذى القعدة من عام خمسة و سبعمائة. و كان الحفل فى جنازته عظيما، و حفّ الناس بنعشه، و حمله الطّلبة و أهل العلم على رؤوسهم. سكن غرناطة و أقرأ بها.

و من الكتّاب و الشعراء فى هذا الحرف

عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى بن عبد اللّه بن طلحة ابن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربى

صاحبنا الكاتب للدولة الغادرة.

حاله: كان هذا الرجل فى حال الدّعة التى استصحبها، و قبل أن تبعته أيدى الفضول، بعفاف و طهارة، إلى خصل خطّ، نشط البنان، جلد على العمل. و نظمه وسط، و نثره جمهورى عامى، مبين عن الأغراض. و ولّى ببلده الخطابة و القضاء ... فى الحداثة. ثم انتقل إلى غرناطة، فجأجأت به الكتابة السلطانية

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۲۶

باختيارى، مستظهرة منه ببطل كفاية، و باذل حمل كلفة، فانتقل رئيسا فى غرض إعانتى و انتشالى من الكلفة ، على الضّعف و إلمام المرض، و التّرفّع عن الابتذال، و الأنفة من الاستخدام، فرفع الكلّ، و لطف من الدولة محلّه. ثم لمّا حال الأمر، و حتم التّمحيص، و تسوّرت القلعة، و انتثر النّظم، و استأثر به الاصطناع، كشفت الخبرة منه عن سوءة لا توارى، و عورة لا يرتاب فى أشنوعتها و لا يتمارى، فسبحان من علّم النفس فجورها و تقواها، إذ لصق بالدّائل الفاسق، فكان آلة انتقامه، و جارحة صيده، و أحبولة كيده، فسفك الدّماء، و هتك الأستار، و مزّق الأسباب، و بدّل الأرض غير الأرض، و هو يزقّه فى أذنه، فيؤمّ النّصيحة، و ينحله لقب الهداية، و يبلغ فى شدّ أزره إلى الغاية: «عنوان عقل الفتى اختياره، يجرى فى جميل دعوته»، طوالا أخرق، يسىء السمع، و ينسى الإجابة، بدويّا، قحّا، جهوريّا، ذاهلا عن عواقب الدنيا و الآخرة، طرفا فى سوء العهد، و قلّة الوفاء، مردودا فى الحافزة ، منسلخا من آية السّعادة، تشهد عليه بالجهل يده، و يقيم عليه الحجج شرهه، و تبوّئه هفوات الندم جهالته. ثم أسلم المحروم مصطنعه، أحوج ما كان إليه، و تبرّأ منه، و لحقته بعده مطالبة ماليّة، لقى لأجلها ضغطا. و هو الآن بحال خزى، و احتقاب تبعات، خلّصنا اللّه من ورطات الدّنيا و الآخرة.

أوليته و شيوخه: و بسط كثير من مجمل حاله حسبما نقلت من خطه.

قال يخاطبنى بما نصّه : [البسيط]

يا سيّدا، فاق فى مجد و فى شرفوفات سبقا بفضل الذات و السّلف

و فاضلا عن سبيل الذّمّ منحرفاو عن سبيل المعالى غير منحرف

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۲۷ و تحفة الزمن الآتى به فلقدأربى بما حازه منها على التّحف

و معدنا لنفيس الدّرّ فهو لماحواه منه لدى التّشبيه كالصّدف

و بحر علم جميع الناس مغترفمنه، و نيل المعالى حظّ مغترف

و سابقا بذّ أهل العصر قاطبةفالكلّ فى ذاك منهم غير مختلف

من ذا يخالف فى نار على علمأو يجحد الشمس نورا و هو غير خفى؟

ما أنت إلّا وحيد العصر فى شيمو فى ذكاء و فى علم و فى ظرف

للّه من منتم للمجد منتسببالفضل متّسم، بالعلم متّصف

للّه من حسب عد و من كرمقد شاده السّلف الأخيار للخلف

إيه أيا من به تبأى الوزارة إذكنت الأحقّ بها فى الذّات و الشرف

يا صاحب القلم الأعلى الذى جمعتفيه المعالى ببعض البعض لم أصف

يا من يقصّر وصفى فى علاه و لوأنسى مديح حبيب فى أبى دلف

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴۲۸ شرّفتنى عندما استدعيت من قبلى نظما تدوّنه فى أبدع الصّحف

و ربما راق ثغر فى مباسمه حتى إذا ناله إلمام مرتشف

أجلّ قدرك أن ترضى لمنتجعبسوء كيلته حظّا مع الحشف

هذا، و لو أننى فيما أتيت بهنافحت فى الطّيب زهر الرّوضة الأنف

لكنت أفضى إلى التّقصير من خجلأخليت بالبعض ممّا تستحقّ أفى

فحسبى العجز عمّا قد أشرت بهو العجز حتما قصارى كلّ معترف

لكن أجبت إلى المطلوب ممتثلاو إن غدوت بمرمى القوم كالهدف

فانظر إليها بعين الصّفح عن زللو اجعل تصفّحها من جملة الكلف

بقيت للدهر تطويه و تنشرهتسمو من العزّ باسم غير منصرف

جئتك ، أعزّك اللّه، ببضاعة مزجاة، و أعلقت رجائى من قبولك بأمنية مرتجاة، و ما مثلك يعامل بسقط المتاع، و لا يرضى له بالحشف مع بخس المدّ و الصّاع. لكن فضلك يغضى عن التّقصير و يسمح، و يتجاوز عن الخطإ و يصفح، و أنت فى كل حال إلى الأدنى من اللّه أجنح. و لو لا أنّ إشارتك واجبة الامتثال، و المسارعة إليها مقدّمة على سائر الأعمال، لما أتيت بها تمشى على استحياء، و لا عرّضت نفسى أن أقف

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴۲۹

موقف حشمة و حياء، فما مثلى فيما أعرضه عليك، أو أقدّمه من هذا الهذر بين يديك، إلّا مثل من أهدى الخرز لجالب الدّرّ، أو عارض للوشل موج البحر، أو كاثر بالحصى عدد الأنجم الزّهر، على أنى لو نظمت الشّعرى شعرا، و جئتك بالسّحر الحلال نظما و نثرا، و نافحتك بمثل تلك الرّوضة الأدبية التى تعبق أزاهرها نثرا، لما وصفتك ببعض البعض من نفائس حلاك، و لا وفّيت ما يجب من نشر مآثر علاك.

فما عسى أن أقول فى تلك المآثر العلمية، و الذّات الموسومة باسم التعريف و العلميّة، أو أعبّر عنه فى وصف تلك المحاسن الأدبية، و المفاخر الحسبيّة. إن وصفت ما لك من شرف الذات، ملت إلى الاختصار و قلت: آية من الآيات، و إن ذهبت إلى ذكر مفاخرك الباهرة الآيات، بلغت فى مدى الفخر و الحسب إلى أبعد الغايات، و إن حلّيتك ببعض الحلى و الصّفات، سلبت محاسن الرّوض الأريج النّفحات. فكم لك من التّصانيف الرائقة، و البدائع الفائقة، و الآداب البارعة، و المحاسن الجامعة. فما شئت من حدائق ذات بهجة كأنما جادتها سحب نيسان، و جنّات ثمراتها صنوان و غير صنوان، تزرى ببدائع بديع الزّمان، و تخجل الروض كما يخجل الورد ابتسام الأقحوان. نظم كما انتثر الدّرّ، و نثر تتمنّى الجوزاء أن تتقلّده و الأنجم الزّهر، و معان أرقّ منّ نسيم الأسحار، تهبّ على صفحات الأزهار. فأهلا بك يا روضة الآداب، و ربّ البلاغة التى شمس آياتها لا تتوارى بالحجاب، فما أنت إلّا حسنة الزّمان، و مالك أزمّة

البيان، و سبّاق غايات الحسن و الإحسان. و قد وجدت مكان القول ذا سعة فى أوصافك، و ما فى تحلّيك بالفضائل و اتّصافك. لكنّى رأيت أنى لو مددت فى ذلك باع الإطناب، و أتيت فيه بالعجب العجاب، فليس لى إلّا تقصير عن المطاولة و إمساك، و العجز عن درك الإدراك إدراك. إيه أيها السّيّد الأعلى، و الفاضل الذى له فى قداح الفخر القدح المعلّى، فإنك أمرت أن أعرض عليك لتعريف بنفسى و مولدى، و ذكر أشياخى الذين بأنوارهم أقتدى، فعلمت أن هذا إنما هو تهمّم منك بشانى، و جرى على معتاد الفضل الذى يقصر عنه لسانى، و فضل جميل لاـ أزال أجرى فى الثناء عليه ملء عنانى. و إلّا فمن أنا فى الناس حتى أنسب، أو من يذهب إلّا أنت هذا المذهب؟

أما التّعريف بنفسى، فأبدأ فيه باسم أبى: هو أبو القاسم محمد بن عطيۀ بن يحيى بن عبد اللّه بن طلحۀ بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطيۀ المحاربى. و جدّى عطيۀ هو الدّاخل إلى الأندلس عام الفتح، نزل بإلبيرۀ، و بها تفرّع من تفرّع من عقبه، إلى أن انتقلوا إلى غرناطۀ، فتأثّل بها حالهم، و استمرّ بها

الإحاطۀ فى أخبار غرناطۀ، ج۳، ص: ۴۳۰

استيطانهم، إلى حدود المائۀ السابعۀ، فتسبّب فى الانتقال من بقى منهم، و هو جدّى الأقرب الأنساب، و قضى ارتحاله إلى مدينۀ وادى آش، و لكل أجل كتاب، و ذلك أنه استقضى بنظر ما فى دولۀ أمير المسلمين الغالب بالله ، أول ملوك هذه الدولۀ النصريۀ، نصر اللّه خلفها، و رحم سلفها، فاتخذ فيها صهرا و نسبا، و كان ذلك لاستيطانه بها سببا، و استمرّ مقامه بها إلى أن ارتحل إلى المشرق لأداء الفريضۀ فكان إلى أشرف الحالات مرتحله، و قضى فى إيابه من الحج أمله. و استمرّت به الاستيطان، و تعذّرت بعوده إلى غرناطۀ بعدما نبت فيها الأوطان. على أنه لم يعدم من اللّه السّتر الجميل، و لا حظّ من عنايته بإيصال النّعمۀ كفيل، فإنه سبحانه حفظ من سلف فيمن خلف، و جعلهم فى حال الاغتراب فيمن اشتهر بنباهۀ الحال و اتّصف، و قيّض لمصاهرتهم من خيار المجد و الشرف، و بذلك حفظ اللّه بيتهم، و شمل باتصال النّعمۀ حيّهم و ميتهم. فالحمد للّه، بجميع محامده، على جميل عوائده. و تخلّف بوادى آش أبى و أعمامى، تغمّدهم اللّه و إياى برحمته، و جمع شملنا فى جنّته.

و أمّا التعريف بهم، فأنت أبقاك اللّه، بمن سلف قديما منهم أعلم، و سبيلك فى معرفتهم أجدى و أقوم، بما وهبكم اللّه من عوارف المعارف، و جعل لكم من الإحاطۀ بالتالد منها و الطّارف. و أمّا من لم يقع به تعريف، ممن بعدهم، فمن اقتفى رسمهم فى الطريقۀ العلميۀ، و لم يتجاوز جدّهم، و هو جدّى أبو بكر عبد اللّه بن طلحۀ و رابع أجدادى. كان، رحمه اللّه، ممن جرى على سنن آبائه، و قام بالعلم أحسن قيام و نهض بأعبائه. ألّف كتابا فى «الرقائق»، ففات فى شأوه سبق السابق، و تصدّر ببلده للفتيا، و انتفع به الناس، و كان شيخهم المقدّم. و لم أقف على تاريخ مولده و لا وفاته، غير أنه توفى فى حدود المائۀ الخامسۀ، رحمه اللّه. و أمّا من بينى و بينه من الآباء، كجدّى الأقرب و أبيه و من خلفه من بنيه، فما منهم من بلغ رتبۀ السّابق، و لا قصر أيضا عن درجۀ اللّاحق، و إنما أخذ فى الطلب بنصيب، و رمى فيه بسهم مصيب.

و أما مولدى ، فبوادى آش، فى أواخر عام تسعۀ و سبعمائۀ. و فى عام ثلاثۀ و عشرين، ابتدأت القراءۀ على الأستاذ أبى عبد اللّه الطّرسونى و غيره ممن يأتى ذكره.

ثم كتبت بعد ستۀ أعوام على من وليها من القضاۀ، أولى العدالۀ و السّير المرتضاۀ،

الإحاطۀ فى أخبار غرناطۀ، ج۳، ص: ۴۳۱

و لم يطل العهد حتى تقدّمت فى جامعها الأعظم خطيبا و إماما، و ارتسمت فى هذه الخطّۀ التى ما زالت على من أحسن تماما، و ذلك فى أواخر عام ثمانيۀ و ثلاثين. ثم ولّيت القضاء بها، و بما يرجع إليها من النّظر، فى شهر ربيع الأول من عام ثلاثۀ و أربعين، و استمرّت الولايۀ إلى حين انتقالى للحضرۀ، آخر رجب من عام ستۀ و خمسين، أسأل اللّه الإقالۀ و الصّفح عما اقترفت من خطإ أو زلل، أو ارتكبته من عمد و سهو، فى قول أو عمل، بمنّه.

و أمّا أشياخى، فإنى قرأت بالحضرة على الأستاذ الخطيب أبى الحسن القيجاطى، و الأستاذ الخطيب أبى القاسم بن جزى. و بمالقة على الأستاذ القاضى أبى عمرو بن منظور. و بألمريّة على الأستاذ القاضى أبى الحسن بن أبى العيش، و سيّدى القاضى أبى البركات ابن الحاج، و الأستاذ أبى عثمان بن ليون، و بوادى آش على الأستاذ القاضى أبى عبد اللّه بن غالب، و الأستاذ أبى عامر بن عبد العظيم. على كل هؤلاء قرأت قراءة تفقّه، و عرضت على أكثرهم جملة كتب فى النحو و الفقه و الأدب، أكبرها كتاب المقامات للحريرى، و أمّا من لقيته من المشايخ و استفدت، منهم أبو الحسن بن الجيّاب بالحضرة، و بمالقة القاضى أبو عبد اللّه بن بكر، و القاضى أبو عبد اللّه بن عيّاش، و الأستاذ أبو عبد اللّه بن حفيد الأمين. و من لقيته لقاء بترك، سيدى أبو جعفر بن الزيات ببلّش. و بمالقة الخطيب أبو عبد اللّه السّباحلى، و الصّوفى أبو الطاهر بن صفوان، و المقرئ أبو القاسم بن درهم. و بألمرية الخطيب أبو القاسم بن شعيب، و الخطيب ابن فرحون. و لقيت أيضا القاضى أبا جعفر بن فركون القرشى، و القاضى الخطيب أبا محمد بن الصايغ. و ممن رأيته بوادى آش، و أنا إذ ذاك فى المكتب، و أخذت بحظّ من التبرّك به، سيدى أبو عبد اللّه الطّنجالى نفع اللّه به. و الحمد للّه ربّ العالمين.

شعره: من مطولاته قوله: و من خطّه نقلت : [الطويل]

ألا أيّها اللّيل البطىء الكواكبمتى ينجلى صبح بنيل المآرب؟

و حتى متى أرعى النجوم مراقبافمن طالع منها على إثر غارب

أحدّث نفسى أن أرى الرّكب سائراو ذنبى يقصينى بأقصى المغارب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۳۲ فلا فزت من نيل الأمانى بطائلو لا قمت فى حقّ الحبيب بواجب

و كم حدّثتنى النفس أن أبلغ المنىو كم علّلتنى بالأمانى الكواذب

و ما قصّرت بى عن زيارة قبرهمعاهد أنس من وصال الكواعب

و لا حبّ أوطان نبت بى ربوعهاو لا ذكر خلّ حلّ فيها و صاحب

و لكن ذنوب أثقلتنى فها أنامن الوجد قد ضاقت علىّ مذاهبى

إليك، رسول اللّه، شوقى مجدّدا فيا ليتنى يمّمت صدر الركائب

و أعملت فى تلك الأباطح و الرّبىسراى مجدّا بين تلك السباسب

و قضيت من لثم البقيع لبانتىو جبت الفلا ما بين ماش و راكب

و روّيت من ماء زمزم غلّتىفللّه ما أشهاه يوما لشارب!

حبيبى شفيعى منتهى غايتى التىأرجّى و من يرجوه ليس بخائب

محمد المختار و الحاشر الذىبأحمد حاز الحمد من كل جانب

رؤوف رحيم خصّه اللّه باسمهو أعظم لاج فى الثّناء و عاقب

رسول كريم رفّع اللّه قدرهو أعلى له قدرا رفيع الجوانب

و شرّفه أصلا و فرعا و محتدايزاحم آفاق السّهى بالمناكب

سراج الهدى ذو الجاه و المجد و العلاو خير الورى الهادى الكريم المناسب

هو المصطفى المختار من آل هاشمو ذو الحسب العدل الرفيع المناصب

هو الأمد الأقصى هو الملجأ الذىينال به مرغوبه كلّ راغب

إمام النّبيّين الكرام، و إنهلكالبدر فيهم بين تلك المواكب

بشير نذير مفضل متطوّلسراج منير بذّ نور الكواكب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۳۳ شريف منيف باهر الفضل كاملنفيس المعالى و الحلى و المناقب

عظيم المزايا ما له من تماثل كريم السّجايا ما له من مناسب

ملاذ منيع ملجأ عاصم لمن يلوذ به من بين آت و ذاهب

حليم جميل الخلق و الخلق ما لهنظير، و وصف اللّه حجّة غالب

و ناهيك من فرع نمته أصولهإلى خير مجد من لؤىّ بن غالب

أولى الحسب العدّ الرفيع جنابهبدور الدّياجى أو بدور الركائب

له معجزات ما لها من معارضو آيات صدق ما لها من مغالب

تحدّى بهنّ الخلق شرقا و مغرباو ما ذاك عمّن حاد عنها بغائب

فدونكها كالأنجم الزّهر عدّةو نور سنا لا يختفى للمراقب

فإحصارها مهما تتبّعت معوزو هل بعد نور الشمس نور لطالب؟

لقد شرّف اللّه الوجود بمرسلله فى مقام الرّسل أعلى المراتب

و شرّف شهرا فيه مولده الذىجلا نوره الأسنى دياجى الغياهب

فشهر ربيع فى الشهور مقدّمفلا غرو أنّ الفخر ضربة لازب

فللّه منه ليلة قد تلألأتبنور شهاب نيّر الأفق ثاقب

ليهن أمير المسلمين بها المنىو أن نال من مولاه أسنى الرّغائب

على حين أحياها بذكر حبيبهو ذكر الكرام الطاهرين الأطايب

و ألّف شملا للمحبّين فيهمفسار على نهج من الرشد لاحب

فسوف يجازى عن كريم صنيعهبتخليد سلطان و حسن عواقب

و سوف يريه اللّه فى لهم دينهغرائب صنع فوق كلّ الغرائب

فيحمى حمى الإسلام عمّن يرومهبسمر العوالى أو ببيض القواضب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴۳۴ و يعتزّ دين اللّه شرقا و مغربابما سوف يبقى ذكره فى العجائب

إلهى، ما لى بعد رحماك مطلبأراه بعين الرّشد أسنى المطالب

سوى زورة القبر الشريف و إنها لموهبة فاتت جميع المواهب

عليه سلام اللّه ما لاح كوكبو ما فارق الأظعان حادى الرّكائب

و قال فى غرض المدح و التّهنئة بعرض الجيش، و تضمّن ذلك وصف حاله فى انتقاله إلى الحضرة: [البسيط]

يا قاطع البيد يطوى السّهل و الجبلاو منضيا فى الفيافى الخيل و الإبلا

يبكى بآفاق أرض لا يؤانسه إلّا تذكّر عهد للحبيب خلا

أو ظبية أذكرت عهد التواصل تحكى للّحاظ التى عاهدت و المقلا

أستغفر اللّه فى تلك اللّحاظ فقدأربى بها الحسن عن ضرب المها مثلا

أو هادل فوق غصن البان تحسبهصبا لفقد حبيب بان قد ثكلا

أو لامع البرق إذ تحكى إنارتهكفّا خضيبا مشيرا بالذى عذلا

ما ذا عسى أن تقضّى من زمانك فىقطع المهامه ترجو أن تنال علا؟

و كم معالم أرض أو مجاهلهاقطعتها لا تملّ الرّيث و العجلا

إن كنت تأمل عزّا لا نظير لهو تبتغى السّؤل فيما شئت و الأملا

فالعزّ مرسى بعيد لا ينال سوىبعزم من شدّ عزم البين و ارتحلا

و الدّرّ فى صدف قلّت نفاستهو لم يبن فخره إلّا إذا انتقلا

فاربأ بنفسك عن أهل و عن وطن..... ...

و انس الدّيار التى منها نأى وطنىو عهد أنس به قلب المحبّ سلا

و عدّ عن ذكر محبوب شغفت بهو لا تلمّ به مدحا و لا غزلا

و اقصد إلى الحضرة العليا و حطّ بهارحلا و لا تبغ عن أرجائها حولا

غرناطة لا عفا رسم بها أبداو لا سلا قلب من يبغى بها بدلا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۳۵ فهى التى شرّف اللّه الأنام بمنفى مقعد الملك من حمرائها نزلا

خليفة اللّه مولانا و موئلناو خير من أمّن الأرجاء و السّبلا

محمد بن أبى الحجاج أفضل منقد قام فينا بحقّ اللّه إذ عدلا

من آل نصر أولى الملك الذى بهرتعلاه كالشمس لمّا حلّت الحملا

هو الذى شرّف اللّه البلاد و منفيها بدولته إذ فاقت الدّولا

أقام عدلا و رفقا فى رعيّتهو كان أرحم من آوى و من كفلا

فهو المجار به من لا مجير لهلم يخش إحن الليالى فادحا جللا

إنّ المدائح طرّا لا تفى أبدابعض ما قد تحلّا من نفيس علا

بالحزم و الفهم و الإقدام شيمتهو الجود ممّا على أوصافه اشتملا

إن قال أجمل فى قول و أبدعهو الفعل أجمل منه كلّما فعلا

يولى الجميل و يعطى عزّ نائلهمن قد رجاه و لا استجدى و لا سألا

من سائلى عن بنى نصر فما أحدمنهم بأبلغ منهم كلّما سئلا

هم الذين إذا ما استمنحوا منحواأسنى العطاء و أبدوا بعده الخجلا

هم الألى مهّدوا أرجاء أندلسإذ حكّموا فى الأعادى البيض و الأملا

فإن تسل عنهم يوم الرّهان فلميعدل بأحدثهم فى سنّه بطلا

من ذا يجاريهم فى كل مكرمةأ يشبه البحر فى تمثيله الوشلا؟

مولاى، يا خير من للنّصر قد رفعترایاته و لواء الفخر قد حملا

للّه عينى لمّا أبصرتك و قدأعددت بين يديك الخيل و الخولا

و أنت فى قبّة يسمو بها عمدأقام منّا لأمر الدّين فاعتدلا

و الجيش يعشى عيون الخلق منظرهلما اكتسى منك نور الحقّ مكتملا

لا غرو أنّ شعاع الشمس يشمل ماأضحى عليه إذا ما لاح منسدلا

و راية النصر و التأييد خافقةقد أسبل اللّه منها النّصر فانسدلا

و الخيل قد كسيت أثواب زينتهافمن براقعها قد ألبست حللا

ترى الحماة عليها يوم عرضهميمشون من فرط زهو مشية الخيلا

فمن رماة قسىّ العرب عدّتهاتحكى الأهلّة مهما نورها اكتملا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۳۶ و من كماة شداد البأس شأنهمأن يعملوا البيض و الخطّيّة الذّبلا

بسعدك انتظمت تلك الجيوش لأنأسهمت فى نظمها أسلافك الأولا

و خلّد اللّه ملكا أنت ناصرهما عاقبت بكر من دهرنا الأصلا

لا زلت تزداد بى نعمى مضاعفةلتملأ الأرض منها السّهل و الجبلا

و من ذلك قوله: [البسيط]

يا عاذلى فى الهوى، أقصر عن العذلو عن حديثى مع المحبوب لا تسل

فكيف أصغى إلى عذل العذول و قدتقلّص القلب منى صائد المقل؟

تملّكته كما شاءت بنظرتهافتّانة الطّرف و الألحاظ تنهدل

معبرة عن نفيس الدّرّ فاضحةبقدّها الغضّ الميّاس فى الميل

من نور غرّتها شمس تروق سنىتحتلّ منها محلّ الشمس فى الحمل

يا حبّذا عهدنا و الشّمل منتظمبجانب الغور فى أيّامنا الأول

أيام أعين هذا الدهر نائمةعنّا و أحداثه منّا على وجل

و حبّذا أربع قد طال ما نظمتعقد التّواصل فى عيش بها خضل

قضيت منها أمانى النّفس فى دعةمن الزمان موفّى الأنس و الجذل

سطا الغمام رباها كلّ منهمرو كم سطتها دموعى كلّ منهمل

و جادها من سماء الجود صوب حيابالعارض الهطل ابن العارض الهطل

خليفة اللّه و الماحى بسيرتهرسم الضّلال و محيى واضح السّبل

محمد بن أبى الحجاج أفضل منسارت أحاديث علياه سرى المثل

و الباعث الجيش فى سهل و فى جبلحتى تغصّ نواحى السّهل و الجبل

من آل نصر أولى الفخر الذين لهممزيّة أورثت من خاتم الرسل

مهما أردت غناء فى الأمور بهشاهدت منه جميع الخلق فى رجل

لن يستظلّ بعلياه أخو أملإلّا غدا تحت ظلّ منه منسدل

و لا استجار به من لا مجير لهإلّا كفاه انتياب الحادث الجلل

ينمى إلى معشر شاد الإله لهمملكا على سالف الأعصار لم يزل

بملكهم قد تحلّى الدهر فهو بهو اللّه واليه لا يخشى من العطل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴۳۷ هم الألى نصروا أرجاء أندلسبالمشرفيّات و الخطيّة الذّبل

هم الألى مهّدوا دين الهدى فسمتفى الخلق ملّته العليا على الملل

من أمّهم صادى الآمال نال بهمجودا كفيلا له بالمعل و النّهل

أو أمّهم ضاحيا أضحى يجرّر منفضل النّوال ذيول الوشى و الحلل

إنّ الفضائل أضحت لاسمه تبعاكالنّعت و العطف و التأكيد و البدل

مولاى، خذها تروق السّامعين لهابما أجادته من مدح و من غزل

لكننى باعتبار عظم ملككلم أجد لعمرى فى مدحى و لم أطل

فإن خبرت كذاك الخلق أجمعهمسيّان محتفل أو غير محتفل

لا زلت فخر ملوك الأرض كلّهمتسمو بك الدولة العلياء على الدول

و دمت للدهر تطويه و تنشرهمبلّغا كلّما تبغى من الأمل

و من ذلك ما نظمه لينقش فى بعض المبانى التى أنشأتها : [الطويل]

أنا مصنع قد فاق كل المصانعفما منزل يزهى بمثل بدائعى

فرسمى، إذا حقّقته و اعتبرته لكل المعانى، جامع أىّ جامع

فقد جمع اللّه المحاسن كلّهالدىّ، فيا للّه إبداع صانع !

كما جمعت كلّ الفضائل فى الذىبسكناى قد وافاه أيمن طالع

وزير أمير المسلمين و حسبهمزيّة فخر ما لها من مدافع

و ذو القلم الأعلى الذى فعله لمنيؤمّله مثل السّيوف القواطع

و مطلع آيات البيان لمبصركشمس الضّحى حلّت بأسنى المطالع

و إنسان عين الدهر قرّت لنا بهعيون و طابت منه ذكرى المسامع

هو ابن الخطيب السّيّد المنتمى إلىكرام سموا ما بين كهل و يافع

لقد كنت لو لا عطفة من حنانه أعدّ زمانا فى الرّسوم البلاقع

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴۳۸ فصيّرنى مغنى كريما و مربعا لشمل بأنس من حبيبى جامع

فها أنا ذو روض يروق نسيمه كما رقّ طبعا ما له من منازع

و قد جمعتنا نسبة الطّبع عندماوقعت لمرآه بأسنى المواقع

فأشبه إزهارى بطيب ثنائهو فضل هوائى باعتدال الطبائع الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج٣ ؛ ص۴۳۸

فلا زلت معمورا به فى مسرّةمعدّا لأفراح و سعد مطالع

و لا زال من قد حلّنى أو يحلّنىموفّى الأمانى من جميل الصّنائع

و دام لمولانا المؤيّد سعدهفمن نوره يبدو لنا كلّ ساطع

و فى التهنئة بإبلال من مرض: [البسيط]

الآن قد قامت الدّنيا على قدملما استقلّ رئيس السيف و القلم

و الآن قد عادت الدنيا لبهجتهامذ أنست برءه من طارق الألم

و الآن قد عمت البشرى براحتهفلم تزل للورى من أعظم النعم

لا سيّما عند مثلى ممن اتّضحتمنه دلائل صدق غير متهم

فكيف لى و أيادى فضله ملكترقّى بما أجزلت من وافر القسم

و صيّرتنى فى أهلى و فى وطنىو بين أهل النّهى نارا على علم

و أحسبت أملى الأقصى لغايتهإذ صرت من جاهه المأمول فى حرم

ما ذا عسى أن أوفّى من ثنائى أوأنهى إلى مجده من فاضل الشّيم

و لو ملكت زمام الفضل طوع يدىقصّرت فى ضمن منثور و منتظم

يهنيك بشرى قد استبشرت مذ وردتبها لعمرك و هو البرّ فى الضّيم

و مذ دعت هذه البشرى بتهنئةفنحن أولى و محض العهد و الكرم

لا زلت للعزّة القعساء ممتطيامستصحبا لعلاء غير منصرم

و دمت بدر سنى تهدى إنارتهفى حيث يعضل خطب أو يحار عم

و لا عدمت بفضل اللّه عافيةتستصحب النّعم المنهلّة الديم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴۳۹

و ليس لهذا العهد للرجل انتحال لغير الشّعر و الكتابة. و غير هذا للشعر فراره، فقلّ أن ينتهى الشّعر فى الضّعة و الاسترذال إلى ما دون هذا النّمط، فهو بعير ثان، شعرا و شكلا و بلدا، لطف اللّه به. و هو لهذا العهد، على ما تقدّم من النكبة، و اتّصال السّخط من الدولة، تغمّدنا اللّه و إياه بلطفه، و لا نكص عنّا ظلّ عنايته و ستره.

مولده: حسبما تقدّم من بسط حاله مما قيّده بخطّه فى عام تسعة و سبعمائة.

عبد الرزّاق بن يوسف بن عبد الرزّاق الأشعرى

من أهل قرية الأنجرون من إقليم غرناطة، أبو محمد.

حاله: فقيه أديب كاتب سرى، موصوف بكرم نفس، و حسن خلق. لقى أشياخا و أخذ عنهم.

شعره: [السريع]

يا منعما ما زال من أمّهيرفل فى السّابغ من أمّته

و يا حساما جرّدته العلافريع صرف الدهر من سكتته

عبدك قد ساءت هنا حالهشوقا لمن خلّف من إخوته

شوقا يبثّ الجمر فى قلبهو يخلع السّهد على مقلته

فسكّن المؤلم من شوقهو انسين المقلق من وحشته

و امنن عليه ببلوغ المنىفى علمكم من مقتضى بغيته

و هاكها نفثة ذى خجلةتفهم ما يلقيه من نفثته

إذا شدا مدّاحكم ساجعايحسده الطيّار فى نغمته

وفاته: سنة إحدى و سبعين و خمسمائة، عن سنّ عالية.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴۴۰

عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسى

من أهل قلعة يحصب من عمل إلبيرة.

حاله و نسبه: هو عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن عمّار بن ياسر، صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. و كان عينا من أعيان الأندلس، مشارا إليه فى البيت و الرأى، و الجزالة و الفضل. علقت به الآمال، و رفعت إليه الممادح، و حطّت لديه الرّحال. و كان من أولى الجلالة و النّباهة، و الطّلب و الكتابة الحسنة، و الخطّ البارع.

و اشتمل على حظوة الأمير يحيى بن غانية اللّمتونى، و كتب عنه. بلده قلعة بنى سعيد، فثقفها، و جعل بها أكبر بنيه عبد الرحمن ضابطا لها و حارسا، فحصّنها أبو مروان و مهدها بالعمارة، فكانت فى الفتنة مثابة و أمنا، و حرزا له و لبنيه، فانجلت الناس إليها من كل مكان. و لما قبض ابن غانية على القمط مرين و أصحابه النصارى عندما وصلوا لاستنجاز الوعد فى الخروج عن جيّان، و تحصّلوا بيده بإشارة عبد الملك بن سعيد، حسبما ثبت فى اسم الأمير يحيى، ثقّفهم بالقلعة بيد ثقته المذكور و أمينه أبى مروان، فتحصلوا فى معقل حريز، عند أمير وافر العقل، سديد الرأى. و مات ابن غانية بغرناطة لأيام قلائل، و اختلف قومه، فنظر أبو مروان لنفسه، و عاهد القمط مرين و

من معه من الزعماء على عهود، أخذها عليهم و على سلطانهم، أن يكون تحت أمن و حفظ طول مدّته، فأجريت القلعة فى الأمن و الحماية، و كفّ أيدى التّعدّى مجرى ما لملك النّصرى من البلاد، فشمل أهلها الأمن، و اتسعت فيها العمارة، و تنكبتها النّكبات، و تحاشتها الغارات. و لم يزل أبو مروان بها إلى أن دخل فى أمر الموحدين. و وصل هو و ابنه إلى السيد أبى سعيد بغرناطة، و حضر معه غزوة ألمريّة، ثم دخل بجملته، فكمل له الأمن، و أقرّ على القلعة، و أمر بسكنى غرناطة بولده. ثم وصل ثانية إلى مراكش صحبة السيد أبى سعيد، و لقى من البرّ و لطف المكانة عادته، و استكتب ابنه أحمد بن أبى مروان الخليفة فى هذه الوجهة، و انتظم فى جملة الكتّاب و الأصحاب.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۴۱

محنته: و عاد أبو مروان و بنوه إلى غرناطة صحبة واليها السّيد أبى سعيد، فبقى فى جملة العسكر عند دخول ابن مردنيش و صهره غرناطة، و قد اضطربت الفتنة، و فسد ما بين السيد و بين أبى جعفر بن أبى مروان منهم، بما تقدّم فى اسمه من حديث حفصة . و لما ظهرت دلائل التغيير، و خافوا على أنفسهم، أداروا الرأى فى الانحياز إلى خدمة ابن مردنيش، و نهاهم والدهم أبو مروان، و أشار عليهم بمصابرة الأمر، فلحق عبد الرحمن بالقلعة، و فرّ أحمد لما انكشف الأمر، و عثر عليه بجهة مالقة، فقتل، و انجرّت بسبب ذلك النكبة على عبد الملك و ابنه محمد، فبقيا بغرناطة، و من يشار إليه من أهل بيتهما، و استصفيت أموالهما، و استخلصت ضياعهما، إلى أن ورد كتاب الخليفة أبى يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن على بإطلاقهم و ردّ أموالهم، بما اقتضته السياسة من استمالة من نزع منهم عن الطاعة، و أمر عبد الملك باستيلاف نافرهم. و لما هلك ابن مردنيش، و ردّ من اتصل به صحبة المستأمنين من أولاد الأمير الهالك، فقدموا على رحب و سعة، و ثاب جاه أبى مروان، و اتصل عزّه، و اتسعت حظوته، إلى أن هلك بعد أن ولى بمراكش النّظر فى العدّة و الأسلحة، و القيام على دار الصّنعة.

وفاته: بغرناطة سنة ستين و خمسمائة.

عبد العزيز بن على بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد العزيز بن يست

من أهل غرناطة، يكنى أبا سلطان.

حاله: فاضل ، حيّ، حسن الصورة، بادى الحشمة، فاضل البيت سريّه.

كتب فى ديوان الأعمال ، و ترقّى إلى الكتب مع الجملة بالدار السلطانية، و سفر فى بعض الأغراض الغربية، و لازم الشيخ أبا بكر بن عتيق بن مقدّم، من شيوخ الصّوفية بالحضرة، فظهرت عليه آثار ذلك فى نظمه و مقاصده الأدبية .

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۴۲

شعره: و شعره لا بأس به، و من أمثله قوله ما أنشد له فى ليلة الميلاد الأعظم : [الكامل]

القلب يعشق و المدامع تنطقبرح الخفاء فكلّ عضو منطق

[قلت: قد ذكرها ابن الخطيب فى جملة ما أنشد فى الميلاد الأعظم فى السفر الخامس، فلا فائدة فى تكرارها هنا] .

و مما خاطبنى به : [البسيط]

أطلت عتب زمان فلّ من أمل و سمته الذّمّ فى حلّ و مرتحل

عاتبته ليلين للعتب جانبهفما تراجع عن مطل و لا بخل

فعدت أمنحه العتبى ليشفق بى فقال لى: إنّ سمعى عنك فى شغل

فالعتب عندى و العتبى فلست أرىأصغى لمدحك إذ لم أصغ للعذل

فقلت للنّفس: كفّى عن معاتبةلا تنقضى و جواب صيغ من وجل

من يعتلق بالدّنا بابن الخطيب فقدسما عن الذّلّ و استولى على الجذل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۴۳ فقلت : من لى بتقريبى لخدمتهفقد أجاب قريبا من جوابك لى

قد اشتغلت عن الدّنيا بآخرتىو كان ما كان فى أيّامى الأول

و قد رعيت و ما أهملت من منحفكيف يختلط المرعىّ بالهمل؟

و لست أرجع للدّنيا و زخرفهامن بعد شيب غدا فى الرأس مشتعل

أ لست تبصر أطمارى و بعدى عننيل الحظوظ و إعداد إلى أجل

فقال : ذلك قول صحّ مجمله لكنّ من شأنه التّفصيل للجمل

ما أنت طالب أمر تستعين بهعلى المظالم فى حال و مقتبل

و لا تحلّ حراما أو تحرّم ماأحلّ ربّك فى قول و لا عمل

و لا تبع آجل الدّنيا بعاجلهاكما الولاة تبيع اليمّ بالوشل

و أين عنك الرّشا إن كنت تطلبهاهذا لعمرى أمر غير منفعل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۴۴ هل أنت تطلب إلّا أن تعود إلىكتب المقام الرّفيع القدر فى الدول؟

فما لأوحد أهل الكون قاطبةو أسمح الخلق من حاف و منتعل

لم يلتفت نحو ما تبغيه من وطرو لم يسدّ الذى قد بان من خلل

إن لم تقع نظرة منه عليك فمايصبو لديك الّذى أمّلت من أمل

فدونك السّيّد الأعلى فمطلبكم قد نيط منه بفضل غير منفضل

فقد خبرت بنى الدنيا بأجمعهممن عالم و حكيم عارف و ولى

فما رأيت له فى الناس من شبهقلّ النّظير له عندى فلا تسل

فقد قصدتك يا أسمى الورى نسبا و ليس لى عن حمى علياك من حول

فما سواك لما أمّلت من أملو ليس لى عنك من زيغ و لا ميل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۴۵ فانظر لحالى فقد رقّ الحسود لهاو احسم زمانة ما قد ساء من علل

قدّم لنا و لدين اللّه ترفعهما أعقبت بكر الإصباح بالأصل

لا زلت معتليا عن كلّ حادثةكما علت ملّة الإسلام فى الملل

عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد اللّه ابن عبد الرحمن الغسانى

وادى آشى الأصل، يكنى أبا محمد.

حاله: كان من جلّة الأدباء، و فحول الشّعراء، و برعة الكتّاب. كتب عن الأمير أبى زكريا يحيى بن إسحاق بن محمد بن على المسّوفى الميورقى ، الثائر على منصور بنى عبد المؤمن، ثم على من بعده من ذرّيته إلى أيام الرّشيد منهم، و انقطع إليه و صحبه فى حركاته، و كان آية فى بعد الهمّة، و الذهاب بنفسه،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۴۶

و العناء ، و مواقف الحرب، فإنه دهم فى المثل، أشبه امرءا يعض برّه، فقد كان أليق الناس بصحبة الميورقى، و أنسبهم إلى خدمته.

مشيخته: روى عن أبى زيد بن السّهيلى .

بعض أخباره فى البأو و الصّرامة: حدّثنا شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب عمن حدّثه من أشياخه، قال : وجّهه الميورقى فى عشيّة يوم من

أيام حروبه إلى المأزق، و قد طال العراك، و كاد يكلّ الناس عن الحرب، إلى أن يباكروها من الغد، فنفذ لما أمر به. و لما بلغ الصّدر اشتدّ على الناس، و ذعر أرباب الحفيظة، و أنهى إليهم العزم من أميرهم فى الحملة، فانهزم عدوّهم شرّ هزيمة، و لم يعد أبو محمد إلّا فى آخر الليل بالأسلاب و الغنيمة، و قال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال له: الذى عملت هو شأنى، و إذا أردت من يصرف الناس عن الحرب و يذهب ريحهم، فانظر غيرى.

و حدّثنى كذلك أنّ ولدا له صغيرا تشاجر مع ترب له من أولاد أميره أبى زكريا، فنال منه ولد الأمير، و قال: و ما قدر أبيك؟ و لمّا بلغ ذلك أباه خرج مغضبا لحينه، و لقى ولد الأمير المخاطب لولده، فقال: حفظك اللّه! لست أشكّ فى أنّى خديم أبيك، و لكنى أحبّ أن أعرّفك بمقدارى و مقداره، اعلم إنّ أباك وجّهنى رسولا إلى الخليفة ببغداد بكتاب عن نفسه، فلمّا بلغت بغداد نزلت فى دار اكتريت لى بسبعة دراهم فى الشهر، و أجرى علىّ سبعة دراهم فى اليوم، و طولع بكتابى، و قيل: من الميورقى الذى وجّهه؟ فقال بعض الحاضرين: هو رجل مغربى ثائر على أستاذه. و أقمت شهرا، ثم استدعيت إلى الانصراف، و لمّا دخلت دار الخلافة و تكلّمت مع من بها من الفضلاء، أرباب المعارف و الآداب، اعتذروا لى، و قالوا للخليفة: هذا رجل جهل مقداره، فأعدت إلى محلّ اكترى لى بسبعين درهما، و أجرى علىّ مثلها فى اليوم، ثم استدعيت، فودعت الخليفة، و اقتضيت ما تيسّر من جوابه ، و صدر لى شىء له حظّ من صلته. و انصرفت إلى أبيك.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۴۷

و المعاملة الأولى كانت على قدر أبيك عند من يعرف الأقدار، و الثانية كانت على قدرى و المنّة للّه. و أخبار ابن فرسان كثيرة.

شعره: و قد تعمّم الأمير بعمامة بيضاء، و ليس غفارة حمراء على جبّة خضراء، فقال : [الطويل]

فديتك بالنّفس التى قد ملكتهابما أنت موليها من الكرم الغضّ

تودّدت للحسن الحقيقىّ بهجةفصار بها الكلّىّ فى ذاك كالبعض

و لمّا تلالا نور غرّتك التىتقسّم فى طول البلاد و فى العرض

تلقّفتها خضراء أحسن ناظرنبت عنك إجلالا و ذاك من الفرض

و أسدلت حمر الملابس فوقهابمفرق تاج المجد و الشّرف المحض

و أصبحت بدرا طالعا فى غمامةعلى شفق دان إلى خضرة الأرض

و من شعره، و لا خفاء ببراعته : [الطويل]

ندى مخضلا ذاك الجناح المنمنماو سقيا و إن لم تشك يا ساجعا ضما

أعدهنّ ألحانا على سمع معربيطارح مرتاحا على القضب معجما

و طر غير مقصوص الجناح مرفّهامسوّغ أشتات الحبوب منعّما

و قال أيضا رحمه اللّه : [الطويل]

كفى حزنا أنّ الرماح صقيلةو أنّ الشّبا رهن الصّدى بدمائه

و أنّ بياذيق الجوانب فرزنتو لم يعد رخّ الدّست بيت بنائه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۴۸

عبد المنعم بن عمر بن عبد اللّه بن حسّان الغسّانى

جليانى ، من أهل وادى آش، و تردّد إلى غرناطة، يكنى أبا محمد، و أبا الفضل.

حاله: تجوّل ببلاد المشرق سائحا، و حجّ و نزل القاهرة، و كان أديبا، بارعا حكيما، ناظما ناثرا.

تواليفه: و له مصنّفات منها «جامع أنماط السائل، فى العروض و الخطب و الرسائل» ، أكثر كلامه فيه نظما و نثرا.

مشيخته و من روى عنه: روى عنه أبو الحسن على بن عبد اللّه بن عبد الرحيم الخطيب بضريح الخليل، و أبو عبد اللّه بن يحيى المرسى.

شعره: قال من شعره : [الطويل]

ألا إنّما الدّنيا بحار تلاطمتفما أكثر الغرقى على الجنبات

و أكثر من لاقيت يغرق إلفهو قلّ فتى ينجى من الغمرات

وفاته: سنة ثلاث و ستمائة .

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۴۹

فهرس المحتويات

محمد بن يحيى بن عبد اللّه بن محمد بن أحمد العزفى ۳

محمد المكودى ۸

المقرئون و العلماء- الأصليون منهم ۱۰

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزىّ الكلبى ۱۰

محمد بن أحمد بن فتّوح بن شقرال اللخمى ۱۳

محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذى النّون التّغلبى ۱۵

محمد بن محمد بن محمد بن بيبش العبدرى ۱۶

محمد بن محمد النّمرى الضّرير ۱۹

محمد بن عبد الولى الرّعينى ۲۱

محمد بن على بن أحمد الخولانى ۲۲

محمد بن على بن محمد البلنسى ۲۵

محمد بن سعد بن محمد بن لب بن حسن بن حسن بن عبد الرحمن بن بقىّ ۲۵

محمد بن سعيد بن على بن يوسف الأنصارى ۲۷

محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيّان النّفزى ۲۸

و من الطارئين عليها فى هذا الحرف ۴۳

محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللّخمى اليكّى ۴۳

و من السفر الثامن من ترجمة المقرئين و العلماء ۴۵

محمد بن أحمد بن محمد بن على الغسّانى ۴۵

محمد بن أحمد بن على بن قاسم المذحجى ۴۶

محمد بن أحمد بن محمد بن على الغسّانى ۴۷

محمد بن أحمد الرّقوطى المرسى ۴۸

محمد بن إبراهيم بن المفرّج الأوسى ۴۸

محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسى ۴۹

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۵۰

محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حمید ابن مأمون الأنصاری ۴۹

محمد بن حکم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامی ۵۱

محمد بن حسن بن محمد بن عبد اللّه بن خلف بن یوسف بن خلف الأنصاری ۵۲

محمد بن محمد بن أحمد بن علی الأنصاری ۵۳

محمد بن محمد بن إدریس بن مالک بن عبد الواحد بن عبد الملک بن محمد بن سعید بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد اللّه القضاعی ۵۳

محمد بن محمد بن محارب الصّریحی ۵۵

محمد بن محمد بن لب الکنانی ۵۶

محمد بن محمد البدوی ۵۷

محمد بن عبد اللّه بن میمون بن إدریس بن محمد بن عبد اللّه العبدری ۶۰

محمد بن عبد اللّه بن عبد العظیم بن أرقم النّمیری ۶۲

محمد بن عبد اللّه بن یحیی بن عبد اللّه بن فرج ابن الجدّ الفهری ۶۳

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علی بن محمد بن أحمد بن الفخّار الجذامی ۶۴

محمد بن علی بن عمر بن یحیی بن العربی الغستانی ۶۷

محمد بن علی بن محمد العبدری ۶۸

و من الغرباء فی هذا الباب ۷۵

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبی بکر بن مرزوق العجیسی ۷۵

محمد بن عبد الرحمن بن سعد التّمیمی التّسلی الکرسوطی ۹۸

محمد بن عبد المنعم الصّنهاجی الحمیری ۱۰۱

محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدریس بن سعید بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر بن رشید الفهری ۱۰۲

محمد بن علی بن هانی اللّخمی السّبتی ۱۰۸

محمد بن یحیی العبدری ۱۱۸

المحدّثون و الفقهاء و الطلبة النجباء و أولا الأصلیون ۱۱۹

محمد بن أحمد بن إبراهیم بن الزّبیر ۱۱۹

محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملک بن غالب الغسّانی ۱۲۱

محمد بن أحمد بن محمد الدّوسی ۱۲۲

محمد بن إبراهیم بن عبد اللّه بن أحمد بن محمد بن یوسف بن روبیل الأنصاری ۱۲۲

محمد بن إبراهیم بن عبد اللّه بن أبی زمنین المرّی ۱۲۴

محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهیم بن حسّان القیسی ۱۲۴

محمد بن خلف بن موسی الأنصاری الأوسی ۱۲۶

محمد بن محمد بن إبراهیم بن محمد بن عبد اللّه الخولانی ۱۲۷

محمد بن محمد بن علی بن سودة المرّی ۱۲۹

محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسى ١٣١

محمد بن عبد اللّه بن أبى زمنين ١٣٢

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴۵١

محمد بن عبد اللّه بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبى زمنين عدنان بن بشير بن كثير المرّى ١٣٢

محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم بن مشرّف بن قاسم بن محمد بن هانى اللخمى القائصى ١٣٣

محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد بن يوسف بن أحمد الغسانى ١٣۴

محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مفرّج بن أحمد بن عبد الواحد بن حريث بن جعفر بن سعيد بن محمد بن حقل الغافقى ١٣۵

محمد بن على بن عبد اللّه اللخمى ١٣۶

محمد بن على بن فرج القربليانى ١٣٧

محمد بن على بن يوسف بن محمد السّكونى ١٣٨

محمد بن سودة بن إبراهيم بن سودة المرّى ١٣٩

محمد بن يزيد بن رفاعة الأموى البيرى ١٣٩

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن محمد بن على بن أبى بكر بن خميس الأنصارى ١۴٠

محمد بن أحمد بن عبد اللّه العطار ١۴١

محمد بن أحمد بن المراكشى ١۴٢

محمد بن بكرون بن حزب اللّه ١۴٣

محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصارى الخزرجى ١۴۴

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصارى الساحلى ١۴۵

محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمى ١۴۶

محمد بن محمد بن ميمون الخزرجى ١۴٧

محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصارى ١۴٨

و من الغرباء فى هذا الاسم ١۵١

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التّلمسانى الأنصارى ١۵١

محمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن يوسف بن قطرال الأنصارى ١۵٣

العمال فى هذا الاسم و أولا الأصليون ١۵۴

محمد بن أحمد بن محمد بن الأكحل ١۵۴

محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقى ١۵٧

محمد بن محمد بن حسّان الغافقى ١۵٧

محمد بن عبد اللّه بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أحمد بن أسد بن قاسم النّميرى، المدعو بابن الحاج ١۵٨

محمد بن عبد الرحمن الكاتب ١۵٩

محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن عمار بن ياسر ١۶١

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴۵۲

محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد اللّه بن عمار بن ياسر العنسى ۱۶۳

و من الطارئين فى هذا الاسم من العمال ۱۶۴

محمد بن أحمد بن المتأهّل العبدرى ۱۶۴

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوى ۱۶۶

محمد بن محمد بن شعبة الغسّانى ۱۷۰

محمد بن محمد بن العراقى ۱۷۱

محمد بن عبد اللّه بن محمد بن على بن عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه بن فرتون الأنصارى ۱۷۲

محمد بن عبد اللّه بن محمد بن مقاتل ۱۷۳

محمد بن على بن عبد ربه التجيبى ۱۷۳

الزّهاد و الصّلحاء و الصّوفية و الفقراء و أولا الأصليون ۱۷۴

محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصارى ۱۷۴

محمد بن أحمد الأنصارى ۱۷۵

محمد بن حسنون الحميرى ۱۷۵

محمد بن محمد البكرى ۱۷۵

محمد بن محمد بن أحمد الأنصارى ۱۷۶

و من الطّارئين عليها فى هذا الاسم ۱۷۷

محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد بن جعفر بن محمد بن أحمد بن مروان بن الحسن بن نصر بن نزار بن عمرو بن زيد بن عامر بن نصر بن حقاف السلمى ۱۷۷

محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن صفوان القيسى ۱۷۹

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصارى ۱۸۱

محمد بن أحمد بن قاسم الأمى ۱۸۲

محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن على بن خالد بن عبد الرحمن بن حميد الهاشمى الطّنجالى ۱۸۶

محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البلفيقى بن الحاج ۱۸۷

محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عبّاد النّفزى ۱۹۰

محمد بن يوسف بن خلصون ۱۹۴

و من الغرباء فى هذا الاسم ۲۰۲

محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن إبراهيم بن جميل بن يوسف العراقى ۲۰۲

محمد بن أحمد بن شاطر الجمحى المرّاكشى ۲۰۳

محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمى بن الحلفاوى ۲۰۵

محمد بن عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللّواتى ۲۰۶

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ۴۵۳

سائر الأسماء فى حرف الميم الملوك و الأمراء و ما منهم إلّا طارىء علينا أو غريب ۲۰۷

مزدلی بن تیولتکان بن حمنی بن محمد بن ترقوت بن و ربابطن بن منصور بن نصاله بن أمیهٔ بن و اباتن الصّنهاجی اللّتمونی ۲۰۷
موسی بن محمد بن یوسف بن عبد المؤمن بن علی الهنتانی ۲۰۷
منديل بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو الأمير أبو زيّان ۲۰۸
و من الطارئين ۲۱۰
المطرّف بن عبد اللّه بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاويهٔ ۲۱۰
منذر بن يحيى التّجيبى ۲۱۱
موسی بن یوسف بن عبد الرحمن بن یحیی بن یغمراسن بن زیّان ۲۱۶
مبارك و مظفّر الأميران موليا المنصور بن أبی عامر ۲۲۰
و من ترجمهٔ الأعيان و الوزراء بل و من ترجمهٔ الطارئين و الغرباء منها ۲۲۸
منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو ۲۲۸
مقاتل بن عطيهٔ البرزالی ۲۲۹
و من السّفر التاسع من ترجمهٔ القضاهٔ ۲۳۰
مومّل بن رجاء بن عكرمهٔ بن رجاء العقيلی ۲۳۰
و من الطارئين و الغرباء ۲۳۱
المهلب بن أحمد بن أبی صفرهٔ الأسدی ۲۳۱
و من ترجمهٔ الكتاب و الشعراء و هم الأصليّون ۲۳۱
مالك بن عبد الرحمن بن علی بن عبد الرحمن بن الفرج بن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرج ۲۳۱
و من طارئی المقرئين و العلماء ۲۴۸
منصور بن علی بن عبد اللّه الزواوی ۲۴۸
مسلم بن سعيد التّنملّی ۲۵۱
و من العمال الأثراء ۲۵۲
مؤمّل، مولی باديس بن حبّوس ۲۵۲
حرف النون الملوك و الأمراء نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد بن محمد بن خميس بن عقيل الخزرجی الأنصاری ۲۵۴
و من الأعيان و الوزراء ۲۶۱
نصر بن إبراهيم بن أبی الفتح الفهری ۲۶۱
نصر بن إبراهيم بن أبی الفتح بن نصر بن إبراهيم بن نصر الفهری ۲۶۱
و من الكتّاب و الشعراء ۲۶۲
نزهون بنت القليعی ۲۶۲
الإحاطهٔ فی أخبار غرناطهٔ، ج۳، ص: ۴۵۴
حرف الصاد من الأعيان و الوزراء الصّميل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شمر بن ذی الجوشن الضّبابی الكلبی ۲۶۴
و من الكتّاب و الشعراء ۲۶۶
صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسی بن إدريس التّجيبی ۲۶۶

صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبى القاسم بن على بن شريف النّفزى ۲۷۵
حرف العين من ترجمة الملوك و الأمراء عبد اللّه بن إبراهيم بن على بن محمد التجيبى الرئيس أبو محمد بن إشقيلولة ۲۸۷
عبد اللّه بن بلقّين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ۲۸۹
عبد اللّه بن على بن محمد التّجيبى، الرئيس أبو محمد بن إشقيلولة ۲۹۱
عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن محمد العزفى ۲۹۲
عبد اللّه بن الجبير بن عثمان بن عيسى بن الجبير اليحصبى ۲۹۳
عبد اللّه بن سعيد بن عبد اللّه بن سعيد بن أحمد بن على السّلمانى ۲۹۴
عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزىّ ۲۹۸
و من المقرئين و العلماء ۳۰۵
عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدرى الكوّاب ۳۰۵
عبد اللّه بن على بن عبد اللّه بن على بن سلمون الكنانى ۳۰۶
عبد اللّه بن سهل الغرناطى ۳۰۸
عبد اللّه بن أيوب الأنصارى ۳۰۹
عبد اللّه بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد اللّه الأنصارى ۳۰۹
عبد اللّه بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد بن إسماعيل بن سماك العاملى ۳۱۳
و من ترجمة القضاة ۳۱۴
عبد اللّه بن أحمد بن محمد بن سعيد بن أيوب بن الحسن بن منخل بن زيد الغافقى ۳۱۴
عبد اللّه بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه بن أبى زمنين المرّى ۳۱۵
عبد اللّه بن يحيى بن محمد بن أحمد بن زكريا بن عيسى بن محمد بن يحيى بن زكريا الأنصارى ۳۱۵
عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أبى جمرة الأزدى ۳۱۶
عبد اللّه بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حوط اللّه الأنصارى الحارثى الأزدى ۳۱۷
عبد اللّه بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعرى ۳۱۸
عبد اللّه بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفى العاصمى ۳۱۹
عبد اللّه بن موسى بن عبد الرحمن بن حمّاد الصّنهاجى ۳۲۰
و من ترجمة الكتّاب و الشعراء بين أصلى و طارىء ۳۲۰
عبد اللّه بن إبراهيم بن عبد اللّه الأزدى ۳۲۰
عبد اللّه بن إبراهيم بن و زمّر الحجارى الصّنهاجى ۳۲۸
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۳، ص: ۴۵۵
عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن عبد اللّه بن سعيد بن الخطيب السّلمانى ۳۳۱
عبد اللّه بن محمد بن سارة البكرى ۳۳۳
عبد اللّه بن محمد الشرّاط ۳۳۵
عبد اللّه بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان النّجارى ۳۳۷
عبد اللّه بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد اللّه

بن سعيد بن عمار بن ياسر ٣٤٧

و من الصوفية و الفقراء ٣٤٩

عبد اللّه بن عبد البر بن سليمان بن محمد بن محمد بن أشعث الرّعينى ٣٤٩

عبد اللّه بن فارس بن زيان ٣٥١

عبد اللّه بن فرج بن غزلون اليحصبى ٣٥٢

و من الملوك و الأمراء و الأعيان و الوزراء ٣٥٣

عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه [بن محمد] بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معوية، أمير المؤمنين، الناصر لدين اللّه ٣٥٣

عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه بن عبد الرحمن الناصر لدين اللّه بن محمد بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن معاوية ٣٥٥

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس ٣٥٦

عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد بن محمد اللخمى ٣٥٩

عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجى ٣٦٠

و من ترجمة المقرئين و العلماء و الطلبة النجباء من ترجمة الطارئين منهم ٣٦٣

عبد الرحمن بن عبد اللّه بن أحمد بن أبى الحسن أصبغ بن حسن بن سعدون بن رضوان بن فتّوح الخثعمى ٣٦٣

عبد الرحمن بن هانىء اللخمى ٣٦٦

عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدى ٣٦٧

عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصارى ٣٦٨

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى ٣٧٧

عبد الرحمن بن الحاج بن القميى الإلبيرى ٣٩٥

عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد بن تفليت الفازازى ٣٩٥

و من السفر العاشر العمال الأثرا فى هذا الحرف ٣٩٩

عبد الرحمن بن أسباط ٣٩٩

عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه بن مالك المعافرى ٤٠٠

عبد الرحمن بن عبد الملك الينشتى ٤٠٣

و فى سائر الأسماء التى بمعنى عبد اللّه و عبد الرحمن، و أولاد الأمراء ٤٠٥

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٣، ص: ٤٥٦

عبد الأعلى بن موسى بن نصير مولى لخم ٤٠٥

عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو ٤٠٦

عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو ٤٠٨

و من الأفراد أيضا فى هذا الحرف و هم طارؤون ٤٠٨

عبد الحق بن على بن عثمان بن أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق ٤٠٨

عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحيانى ٤٠٩

و من ترجمة الأعيان و الوزراء و الأماثل و الكبرا ۴۱۰
عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن محيو ۴۱۰
عبد الملك بن على بن هذيل الفزارى و عبد اللّه أخوه ۴۱۱
عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزارى ۴۱۱
القضاة الفضلاء و أولا الأصليون ۴۱۲
عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد اللّه بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكتوم المحاربى ۴۱۲
عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجى ۴۱۵
و من غير الأصليين ۴۱۹
عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الملك بن يحيى بن باسيو بن تادررت التّنمالى اليدرازتينى ثم الواغدينى ۴۱۹
و من المقرئين و العلماء ۴۲۰
عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة بن العباس بن مرداس السلمى ۴۲۰
و من الطارئين عليها ۴۲۴
عبد الواحد بن محمد بن على بن أبى السّداد الأموى المالقى، الشهير بالباهلى ۴۲۴

و من الكتّاب و الشعراء فى هذا الحر

و من الكتّاب و الشعراء فى هذا الحرف ۴۲۵
عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى بن عبد اللّه بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربى ۴۲۵
عبد الرزّاق بن يوسف بن عبد الرزّاق الأشعرى ۴۳۹
عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسى ۴۴۰
عبد العزيز بن على بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن يست ۴۴۱
عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد اللّه بن عبد الرحمن الغسانى ۴۴۵
عبد المنعم بن عمر بن عبد اللّه بن حسّان الغسّانى ۴۴۸

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰

الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عنايةِ سماحةِ آيةِ الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹